

خزانة الأدب

ولب لباب لسان العرب

تأليف

عبد القادر بن عمر البغدادى

١٠٣٠ - ١٠٩٣

تحقيق وشروح

عبد السلام محمد هارون

الجزء الثانى

الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة

الطبعة الرابعة
١٤١٨ هـ = ١٩٩٧ م

المنصوبات

أنشد في :

المفعول المطلق

وهو الشاهد الثاني والثمانون ، وهو من شواهدس^(١) :

٨٢ ﴿ هَذَا سُرَاقَةٌ لِلْقُرْآنِ يَدْرُسُهُ وَالْمَرْءُ عِنْدَ الرُّشَاءِ إِنْ يَلْقَاهَا ذَيْبٌ ﴾

على أن الضمير في (يدرسه) راجع إلى مضمون يدرس ، أى يدرس
الدرس ، فيكون راجعاً للمصدر المدلول عليه بالفعل ؛ وإنما لم يجز عوده للقرآن
لأنه يلزم تعدى العامل إلى الضمير وظاهره معاً .

واستشهد به أبو حيان في شرح التسهيل على أن ضمير المصدر قد يجيء
مراداً به التأكيذ ، وأن ذلك لا يختص بالمصدر الظاهر على الصحيح .

وأورده سيبويه على أن تقديره عنده : والمرء عند الرشا ذنبٌ إن يلقها .
وتقديره عند اللبرد : إن يلقها فهو ذنب .

وهذا من أبيات سيبويه الحسين التي لم يقف على قائلها أحد . قال الأعمى :
« هجا هذا الشاعر رجلاً من القراء نسب إليه الرياء وقبول الرشا والحرص
عليها » وكذلك أورده ابن السراج في الأصول .

(١) سيبويه ١ : ٤٣٧ . وانظر أيضاً الخزانة ٢ : ٣/٢٨٣ : ٥٧٢ ،

٤/٦٤٩ : ١٧٠ والهمع ٢ : ٣٣ وشرح شواهد المغنى ٢٠٠ وابن السجري

١ : ٣٣٩ .

وزعم الدماميني في الحاشية الهندية : أن هذا البيت من المدح لا من الهجاء ، وظنَّ أن (سُرَاقَة) هو سُرَاقَة بن جُعْشِم الصحابي - مع أنه في البيت غير معلوم مَنْ هو - وحرف فيه تحريفات ثلاثة :

الأول أن الرشا بضم الراء والقصر : جمع رشوة ؛ فقال : هو بكسر الراء مع اللدَّة : الجبل ، وقصره للضرورة وأثَّه على معنى الآلة . وكلامه هذا على حدِّ : « زَنَاهُ وَحْدَهُ (١) » .

والثاني : أن قوله يَلْقَاهَا بفتح الياء من اللَّقَى ، وهو ضبطه بضم الياء من الإلقاء .

والثالث : أن قوله ذيب بكسر الذال وبالمهزة المبدلة ياء وهو الحيوان المعروف ؛ وهو صحفه ذنباً بفتح الذال والنون ، وقال : قوله عند الرشا متعلق بذنب لما فيه من معنى التأخر ، والمعنى : إن يُلْقَى لِنَاسٍ الرشا فهو متأخر عند إلقاءها ، يريد أن سرَاقَة درس القرآن فتقدَّم والمرء متأخر عند اشتغاله بما لا يهم كمن امتن نفسه في السقي وإلقاء الأرشية في الآبار .
هذا كلامه ؛ وتبعه فيه الشُّمِّي (٢) . فاعتبروا يا أُولَى الأبصار !

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والثمانون ، وهو من شواهد (٣) س :

-
- (١) أى اتهمه بالزنى ثم أقام عليه الحد .
(٢) فى هامش أصل الطبعة الأولى : « لم يتابعه الشمي فيما رأيت ، وإنما ذكر عبارته ثم ذكر بعدها الصواب » .
(٣) سيبويه ١ : ٩ . وسيعاد فى ٢ : ٣٣٩ / ٣ : ٤٤٣ . وانظر الهمع ١ : ٦١ وابن الشجرى ٢ : ٢٠٨ والخصائص ١ : ٨٩ والانصاف ٦٨٠ وشرح شواهد الشافعية ٢٩٠ .

٨٣

﴿ دَارٌ لِسُعْدَى إِذْهِ مِنْ هَوَاكَ ﴾

على أن المصدر بمعنى اسم المفعول أى من مَهْوِيَّكَ .
وبهذا المعنى أوردته أيضاً في باب المصدر ، فإن الهوى بالقصر مصدر
هويته من باب تعب : إذا أحببته وعلقت به .

وأنشده أيضاً في باب الضمير على أن الياء قد تحذف ضرورة من (هى)
إذ أصله إذ هي من هواك . ولهذا الوجه أوردته سيبويه ؛ قال الأعمى : سكن
الياء أولاً ضرورةً ثم حذفها ضرورة أخرى بعد الإسكان تشبيهاً لها بعد سكنها
بالياء اللاحقة في ضمير الغائب إذا سكن ما قبله ، والواو اللاحقة له في هذه
الحال نحو عليه ولديه ، ومنه وعنه (١) .

٢٢٨

ومثله للنحاس قال : « والذي أحفظه عن ابن كيسان : أن هذا على مذهب
من قال : هي جالسة . بإسكان الياء . وهذا قول حسن » ٥١ .
وهذه الياء من سنخ الكلمة (٢) ، وحذفها أقبح من حذف الياء في قوله :
* سأجل عينيه لنفسه مقنعا (٣) *

لأن الياء التي تتبع الهاء في (نفسه) ليست من بنية الضمير . قال للبرّاد :
حذف الياء من قوله : لنفسه ، لأنها زائدة زيدت خلفاء الهاء ، وكذلك الواو ،
وأنتك تقف بغير ياء ولا واو ؛ فلما اضطرّ حذفهما في الوصل كما يحذفان
في الوقف ؛ ودلّ عليهما ما بقي من حركة كل واحد منهما .

(١) ط : « وعليه » ، صوابه في ش .

(٢) السنخ : الأصل . وفي ط « نسيج الكلمة » ، صوابه في ش .

(٣) صدره كما في سيبويه ١ : ٢٩٧ والانصاف ٥١٧ :

* فان يك غثا أو سمينا فأننى *

وقال أبو الحسن الأخفش : حَذَفَ الياء لأن الاسم إنما هو الهاء ، فردّه إلى أصله ، وحرف اللين اللاحق لها زائد .

وقوله (دار لسعدى) خبر لمبتدأ محذوف أى هذه ؛ وقدّره ابن خلف : فى دار ، أو هو دار . و (إذ) عامله الظرف قبله . قال الأعلم : وصف داراً خلت من سعدى : هذه المرأة ، وبعد عهدها بها فتغيّرت بعدها ؛ وذكر أنها كانت لها داراً ومستقراً إذ كانت مقيمة بها ، فكان يهواها بإقامتها فيها . وهذا البيت أيضاً من الأبيات الحسين التى لم يعلم قائلها ولا يعرف له ضميّة ، ورأيت فى حاشية الباب أن ما قبله :

(هل تعرفُ الدارَ على تِبرِكا)

بكسر التاء المثناة ، وهو موضع . قال أبو عبيد^(١) فى معجم ما استعجم : « تِبراك بكسر التاء : موضع فى ديار بنى فقعس » .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والثمانون^(٢) :

٨٤ ﴿ إذا الداعى للثوبُ قالَ يالاً ﴾

وصدّره (فخيرُ نحنُ عند البأسِ مِنْكُمْ)

على أن (اللام) خلطت بـ (يا) أراد أنه خلطت لام الاستغاثة الجارة بيا حرف النداء وجعلتنا كالكلمة الواحدة ، وحكىنا كما تحكى الأصوات ، وصار المجموع شعاراً للاستغاثة .

(١) ط : « أبو عبيدة » ، صوابه فى ش مع اثر تصحيح .

(٢) انظر العينى ١ : ٥٢٠ والهمع ١ : ١٨١ والخصائص ١ : ٢٧٦/٢ :

٣/٣٧٥ : ٢٢٨ وشرح شواهد المغنى ٢٠٣ ، ٢٨٦ ونوادر أبى زيد ٢١ .

قال أبو زيد في نوادره: أراد يا لبني فلان ، يريد حكاية الصارخ المستغيث . وهذا مذهب أبي علي أيضاً وأتباعه ، والأصل عندهم يا لبني فلان أو يا لفلان ، فحذف ما بعد لام الاستغاثة كما يقال : « ألا تا » فيقال « ألا فا » يريدون : ألا تفعلوا وألا فافعلوا . وهذا أحد مذاهب ثلاثة فيه .

ثانيها : أن المنادي والمنقبي بلا محذوفان ، أي يا قوم لا تغدوا . ذكره ابن مالك في شرح التسهيل وابن هشام في المغني .

ثالثها : أنه بقية يا آل فلان ؛ وهو مذهب الكوفيين ، قالوا في يا لزيد : أصله يا آل زيد فحذفت همزة آل للتخفيف وإحدى الألفين لالتقاء الساكنين ، واستدلوا بهذا البيت وقالوا : لو كانت اللام جارة لما جاز الاقتصار عليها . قال الشارح المحقق : وهو ضعيف ؛ لأنه يقال ذلك فيما لا آل له ؛ نحو : يا لله ويا للدواهي ، ونحوها .

وأجاب ابن جني في الخصائص عن دليلهم بقوله : « فَإِنْ قُلْتَ : كيف جاز تعليق حرف الجر ؟ قلتُ لما خُلط بيا (١) صار كالجزء منها ؛ ولذلك شبه أبو علي ألفه التي قبل اللام بألف باب ودار ، فحكم عليها بالانقلاب . وحسن الحال أيضاً شيء آخر : وهو تشبُّث (٢) اللام الجارة بألف الإطلاق ، فصارت كأنها معارقة للمجرور ؛ ألا ترى أنك لو أظهرت ذلك المضاف إليه وقلت : يا لبني فلان ، لم يميز إلحاق الألف هنا ، [وجرت ألف الإطلاق] (٣) في منابها عما كان ينبغي أن يكون بمكانها ، مجرى ألف الإطلاق ، في منابها عن (٤) تاء التأنيث في نحو قوله :

-
- (١) ش : « بلا » صوابه في ط والخصائص ٢ : ٣٧٥ .
 (٢) في النسختين : « تثبت » ، والوجه من الخصائص .
 (٣) التكملة من الخصائص .
 (٤) ش : « على » ، صوابه في ط والخصائص .

ولاعبَ بالعشيِّ بنى بنيه كِفْعَلِ الْمَرْءِ يَحْتَرِشُ الْعِطَايَا^(١)

وكذلك نابت واو الإطلاق في قوله :

* وما كلُّ من وافى منىَّ أنا عارفٌ *

فيمن رفع كلاً عن الضمير الذى يراد في عارف . وكما ناب^(٢) التنوين في نحو يومئذ^(٣) .

وقال في موضع آخر من الخصائص : « وسألنى أبو على عن ألف (يا) من قوله يا لا ، في هذا البيت فقال : أمقلبة هي ؟ قلت لا ، لأنها في حرف فقال : بل هي منقلبة . فاستدلته على ذلك ، فاعتصم بأنها قد خلطت باللام بعدها ووقف عليها^(٤) فصارت اللام كأنها جزء منها فصارت يال بمنزلة قال ، والألف في موضع العين ، وهي مجهولة فينبغى أن يحكم بالانقلاب عن الواو . وهذا أجل ما قاله^(٥) ، والله هو ، وعليه رحته ، فما كان أقوى قياسه ١ وأشدَّ بهذا العلم اللطيف الشريف أنسه^(٦) ١ وكأنه إنما كان مخلوقاً له ١ وكيف لا يكون كذلك وقد أقام على هذه الطريقة مع جلة أصحابها وأعيان شيوخها سبعين سنة زائحةً عليه ، ساقطةً منه كلفه ، لا يعتاقه عنه ولد ، ولا يعارضه فيه متجر ، ولا يسوم به مطلباً ، ولا يخدم به رئيساً إلا بأخرة^(٧) ١ — وقد حطَّ

(١) ط : « القطايا » صوابه في ش والخصائص ٢ : ٣٧٦ .

(٢) في النسختين : « ناسب » ، صوابه من الخصائص .

(٣) في الخصائص : « في نحو حينئذ ويومئذ عن المضاف اليه اذ » .

(٤) ط : « ووقعت عليها » ، صوابه في ش والخصائص ١ : ٢٧٦ .

(٥) في الخصائص : « هذا أجل ما قاله » .

(٦) ط فقط : « ايناسه » .

(٧) بأخرة ، أى أخيراً . وفي ط : « ولا يخدم به النساء الا بأخرة » ،

صوابه في ش . والرئيس يعنى به عضد الدولة بن بويه ، وقد صنف

له الايضاح ، والتكملة .

من أثقاله^(١) ، وألقى عصا ترحاله — : ثم إنى لا أقول إلا حقاً ، إنى لأعجب من نفسى فى وقتى هذا كيف تطوَّع لى بمسألة ، أم كيف تطمح بى إلى انتزاع علة مع ما الحال عليه من عُلقى الوقت وأشجانه ، وتذاؤب^(٢) وخَلْجِ أَشْطَانِهِ ؛ ولولا مساورة الفكر واكتداده^(٣) لكنت عن هذا الشأن بمعزول ، وبأمرٍ سواء على شغل ، ا هـ .

ولله دره : فكأنما رمى عن قوسى ، وتكلم عن نفسى . والله المشكور فى كل حال ، وهو غنى بعلمه عن السؤال .

وقوله : (خَيْرٌ نحن عند البأس منكم) قد تكلم الناس على إعرابه قديماً وحديثاً لا سيما أبو على الفارسى ، فإنه تكلم عليه فى أكثر كتبه . قال فى التذكرة القصرية : « سألت عن هذا البيت ابن الخياط والمعمرى فلم يجيبا إلا بعد مدة ؛ قالوا : لا يخلو من أن يكون نحن ارتفع بخير أو بالابتداء ويكون خيرٌ الخبر ، أو يكون تأكيذاً للضمير الذى فى خير والمبتدأ محذوف أى نحن خير ؛ لا جائز أن يرتفع بخير لأن خيراً لا يرفع المظهر البتة ، ولا مبتدأ للزوم الفصل بالأجنبي بين أفعَل وبين من ، وهو غير جائز ، فثبت أن نحن تأكيذاً للضمير فى خير » .

وقد أجمَلَ كلامه هنا ، وفصله فى المسائل المشككة ، المعروفة بالبغداديات . وبعد أن منع كون نحن مبتدأ وخير خبراً قال : « عندى فيه قولان : أحدهما أن يكون قوله خير خبر مبتدأ محذوف تقديره : نحن خير عند البأس منكم ،

(١) ط : « وقال وقد حط من أثقاله » ، وكلمة « وقال » مقحمة لم

ترد فى ش ولا الخصائص .

(٢) التذاؤب : الاضطراب . وفى النسختين : « وتداويه » صوابه

فى الخصائص .

(٣) ط : « واكتداده » ، صوابه فى ش والخصائص .

فنحن على هذا في البيت ليس بمبتدأ ، لكنه تأكيد لما في خير من ضمير
المبتدأ المحذوف ؛ وحسنُ هذا التأكيد لأنه حذف المبتدأ من اللفظ ولم يقع
الفصل بشيء أجنبي بل بما هو منه ، وقد وقع الفصل بالفاعل بين الصلة
وموصولها في نحو قولهم : ما من أيام أحبَّ إلى الله فيها الصومُ منه في عشر
ذى الحجة وكان ذلك حسناً سائغاً . فإذا ساء كان التأكيد أسوأ ، لأنه قد
يحسن حيث لا يحسن غيره من الأسماء .

وقال في الإيضاح الشعري في هذا الوجه — بعد أن قال : ونحن الظاهرُ
تأكيد للضمير الذي في خير على المعنى : « كان ينبغي أن يكون على لفظ الغيبة ،
ولكن جاء به على الأصل نحو نحن فعلنا ؛ ويدلُّ على أنه كان ينبغي أن يجيء
على لفظ الغيبة : أن أبا عثمان قال — في الإخبار عن الضمير الذي في منطلق
من قوله : أنت منطلق — إذا أخبرت عن الضمير الذي في منطلق من
قواك أنت منطلق لم يجز ، لأنك تجعل مكانه ضميراً يرجع إلى الذي ولا يرجع
إلى المخاطب ، فيصير المخاطب مبتدأ ليس في خبره ما يرجع إليه . فهذا — من
قوله — يدلُّ على أن الضمير وإن كان للمخاطب في أنت منطلق فهو على لفظ
الغيبة ؛ ولولا ذلك لم يصلح أن يرجع إلى الذي . على أن هذا من كلامهم مثلُ
أنتم تذهبون ؛ واسم الفاعل أشبهُ بالمضارع منه بالماضي ، فلذلك جملة مثله ولم
يجعله مثلَ للماضى في أنتم فعلتم ، اهـ .

٢٣٠

ثم قال في البندايات : « القول الثاني : أن يجعل خبر صفة مقدّمة ، بقدر
ارتفاع نحنُ به ، كما يجيز أبو الحسن في : قائم الزيدان ، أن ارتفاع الزيدان
بقائم . فلا يقع على هذا أيضاً فصلُ شيء يكره ولا يجوز ، لأن نحن على هذا
مرتفع بخبر . إلا أن ذا قبيح ، لأن خيراً وباباً لا يعمل عمل الفعل إذا جرى

على موصوفه ، وإعماله في الظاهر مبتدأ غير جارٍ على شيء أقبح وأشدّ امتناعاً . والوجه الأول حسن سائغ .

قال في الإيضاح « فإذا جاز ذلك فيما ذكرناه — أى الوجه الأول — لم يكن فيما حمل أبو الحسن عليه البيت من الظاهر دلالة على إجازة نحو : الخليفة أحب إليه يحيى من جعفر حتى يقول : الخليفة يحيى أحب إليه من جعفر ، أو أحب إليه من جعفر يحيى ، على ما أجازته سيبويه في : ما رأيت رجلاً أحسن في عينه الكحل منه في عين زيد ، فلا يفصل بينهما بما هو أجنبيّ منهما » اهـ .

ثم قال في البغداديات : « فإن قال قائل : أيجوز أن يكون فخير خبراً مقدماً لما بعده وهو نحن ، ويكون منكم غير صلة ولكنها ظرف كقوله :

* ولست بالأكثر منهم حصّى * (١)

وتقديره : ولست بالأكثر فيهم ، لا على حدّ : هو أفضل من زيد ، ألا ترى أن الألف واللام تعاقب من هنا ؟ فالجواب : أنه بعيد ؛ وليس المعنى عليه ، إنما يريد : نحن خير منكم ، وأن الفزع إلينا والاستغاثة بنا ؛ نسدّ مالا تسدّون ونمنع من الثغور مالا تمنعون . ألا ترى أن ما بعد هذا البيت :

(ولم تثقِ العواتق من غيور بغيرته وخَلَيْنَ الحجالا)

وقوله : (عند البأس) العامل فيه خير ، ولا يجوز أن يكون متعلقاً بالمبتدأ المحذوف على أن يكون التقدير : فنحن خير عند البأس منكم ، يريد : نحن

(١) للأعشى في ديوانه ١٠٦ وعجزه :

* وانما العزة للكائر *

عند البأس خير منكم ، لأنك إن نزلته هذا التنزيل فصلت بين الصلة والموصول بما هو أجنبي منهما ومتعلق بغيرها ، وإذا قدرت اتصاله بخير لم يكن فصل كما لم يكن فصل بينهما من قولك : أحب إلى الله عز وجل فيها الصوم » ١٨

و (البأس) بالوحدة لا بالنون ، وهو الشدة والقوة . و (الداعي) من دعوت زيدا : إذا ناديته وطلبت إقباله . و (المثوب) اسم فاعل من ثوب ، قال أبو زيد : « هو الذى يدعو الناس يستنصرهم » ، والأصل فيه : أن المستغيث إذا كان بعيداً يتعزى ويلوح بثوبه رافعاً صوته ، ليرى فيثاق .

ووثق منه وبه : اطمأن إليه وقوى قلبه . وجملة لم تثق معطوفة على مدخول إذا ؛ وكذلك جملة خَلَيْنَ الحجالا . والعواتق : جمع عاتق ، وهى التى خرجت عن خدمة أبويها وعن أن يملكها الزوج . والغيور من غار الرجل على حريمه يفار من باب تمب ، غيرة بالفتح ، فهو غيورٌ وغَيْرَانُ ، وهى غيور أيضاً وغيرى . وخلصين ؛ متعدى خلا المنزل من أهله يخلو خلواً وخلأ فهو خالٍ . وصحفه بعضهم بالحاء المهملة وبالبناء للمجهول على أنه من التحلية وهو التزيين والحجال بكسر الحاء المهملة : جمع حَجَلَة بالتحريك ، وهو بيت كالقبة يستر بالثياب ويكون له أزرار كبار ، كذا فى النهاية . وزاد فى القاموس أنه للعروس . وأخطأ بعضهم حيث قال : هو جمع حِجْل بمعنى اخلخلال ؛ وهذا لا يناسب المقام ، مع أنه لا يجمع على حجال وإنما يجمع على حُجول وأحجال . يريد أنهم فى يوم فزع أو غارة لا يثقفن بأن يحمين الأزواج والآباء والإخوة ، فنحن عندهن أوثق منكم .

وهذان البيتان نسبهما أبو زيد في نوادره لزهير بن مسعود الضبيّ .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والثمانون ، وهو من أبيات س (١) .

٨٥ * عَمَرْتُكَ اللَّهُ إِلَّا مَا ذَكَرْتُ لَنَا هَلْ كُنْتَ جَارَتَنَا أَيَّامَ ذِي سَلَمٍ *
على أن قولهم (عَمَرَكُ اللَّهُ) له فعل كما في هذا البيت وعَمَرْتُكَ بتشديد
الميم وضم التاء وكسر الكاف .

وكذلك استدلَّ به سيبويه على أن عَمَرَكُ وضع بدلاً من اللفظ بالفعل ،
فلزمه النصب بذكر الفعل مجرداً في البيت .

قال الأعمش - وتبعه ابن خلف - : معنى عَمَرْتُكَ اللَّهُ ذَكَرْتُكَ اللَّهُ
وأصله من عمارة الموضع ، فكأنه جعل تذكيره عمارةً لقلبه ، فعَمَرَكُ اللَّهُ مصدر
عند سيبويه ، وتقديره أن معنى عَمَرَكُ عَمَرْتُكَ اللَّهُ : أى سألتُ اللَّهَ عَمَرَكُ؛ وإذا
وضح أن عَمَرَكُ بمعنى عَمَرْتُكَ وجب أن يكون مصدراً . وقد ثبت أنهم يقولون :
عَمَرَكُ اللَّهُ وعَمَرْتُكَ اللَّهُ بمعنى ، فيكون اسمُ اللَّهِ منصوباً بعَمَرَكُ على قول ، وبالفعل
المقدر على قول . وفيه معنى السؤال . وقيل منصوب بفعل مقدر أى سألتُ
اللَّهُ عَمَرَكُ أى بقاءك .

والفرق بينه وبين قول سيبويه وإن كان بمعنى سألتُ اللَّهَ تعالى بقاءك :
أن عَمَرَكُ على مذهب سيبويه بمعنى عَمَرْتُكَ الملتزم حذفه وهو الناصب له ، واسم
اللَّهُ المفعول الثاني ؛ وعلى القول الآخر أن عَمَرَكُ واسمُ اللَّهِ مفعولان لسألتُ
للمقدر .

(١) سيبويه ١ : ١٦٣ . وانظر أمالي ابن الشجري ١ : ٣٤٩ والهمع

وروى الشارح عن الأخفش إجازة رفع الجلالة على أنه فاعل . ونسبه أبو حيان في الارتشاف إلى ابن الأعرابي . وروى عن الأخفش : أن أصله عنده بتعميرك الله ، حذف زوائد المصدر والفعل والباء فانتصب ما كان مجروراً بها . ويدل لما قاله الأخفش وأنه ليس منصوباً على إضمار فعلٍ إدخالُ باء الجرِّ عليه ، قال :

* بَعْمَرَكْ هَلْ رَأَيْتَ لَهَا سَمِيًّا *

قال أبو حيان : والذي يكون بعد نشدتك الله وعمرتك الله أحدُ ستّة أشياء : استفهام ، وأمر ، ونهى ، وأن ، وإلا ، ولما بمعنى إلاّ كقوله :

* عَمَرَتِكَ اللهُ إِلَّا مَا ذَكَرْتُ لَنَا *

وإذا كان إلاّ أو ما في معناها فالفعل قبلها في صورة الموجب وهو منفي في المعنى ، والمعنى ما أسألك إلاّ كذا ، فالتبث لفظاً منفي معنى ليتأتى التفرغ .

قال الدماميني في شرح التسهيل : فإن قلت : تأويل الفعل بالمصدر بدون سابقٍ ليس قياساً فيلزم الشذوذ ، كنسمع بالمُعَيْدِيّ أى سماعتك ، وادعاء الشذوذ هنا غير متأتٍ لاطّراد مثل هذا التركيب وفصاحتها قلتُ : لا نسلم أن التأويل بدون حرف مصدر شاذّ مطلقاً ، وإنما يكون شاذّاً إذا لم يطرّد في بابٍ ، أما إذا اطّرد في باب واستمرّ فيه فإنه لا يكون شاذّاً ، كالجملّة التي يضاف إليها اسم الزمان مثلاً نحو : جئتكَ حين ركبَ الأمير ، أى حين ركوبه .

وضبط أبو عليّ الفارسي كما قل ابن خلف عنه أن (ألا) في هذا البيت بفتح الهمزة ، فيكون أصله هَلَا . نقل صاحب التلخيص عن الكسائي :

أَنْ هَلًا وَأَلًا بقلب الهاء همزة ولولا ولوما للتنديم في الماضي ، وللتحضيض في المستقبل ؛ فالأول نحو : هلا أكرمت زيداً — على معنى لينك أكرمته ، قصداً إلى جعله نادماً على ترك الإكرام ؛ والثاني نحو : هلا تقوم — على معنى لينك تقوم ، قصداً إلى حثه على القيام . ومع هذا فلا يخلو من ضرب من التوبيخ واللوم على ما كان يجب أن يفعله المخاطب قبل أن يطلب منه .

و (ما) زائدة . وهذه الجملة جواب عمرك الله . وهو قسم سؤالي . وجملة (هل كنت جارتنا . الخ) في موضع المفعول لذكرت معلق عنه بالاستفهام ، والأصل هلاً ذكرت لنا جواب هذا السؤال ؛ وجملة (عمرك الله) إلى آخر البيت في محل نصب على أنها مقولة لقوله في البيت السابق ، وهو :

(إذ كنت أنكر من سلمى فقلت لها لَمَّا التقينا وما بالعهد من قديم)
و (ذو سلم) : موضع عند جبل قريب من المدينة المنورة ، على ساكنها أفضل الصلاة والسلام .

والبيتان من قصيدة للأحوص الأنصاري . وأنشد سيبويه بيتاً آخر مثل هذا البيت لعمر بن أحرر الباهلي وهو (١) :

« عمرك الله الجليل فإني ألوي عليك لو أن لبك يهتدى »
ألوي عليك : أعطف عليك . وقوله : لو أن لبك يهتدى ، أي لو أن قلبك يقبل النصيحة ؛ عبّر عنه باللب لأنه محل . وجواب القسم السؤال في بيت بعده وهو :

« هل لأمني من صاحب صاحبه من حاسر أو دارع أو مرتدي »

(١) سيبويه ١ : ١٦٣ ابن الشجري ١ : ٣٤٩ والمنصف ٣ : ١٣٢

واعلم أن (عمرتك الله) في البيتين بتشديد الميم ؛ كما يدل عليه كلام سيبويه المنقول في كلام الشارح ، وهو قوله : « والأصل عند سيبويه : عمرتك الله تعميراً الخ^(١) » . ومثله في العباب للصاغاني : وقولهم عمرتك الله أى سألت الله تعميرك . وأنشد البيت الأول ، ثم قال : وقال جل ذكره : ﴿ أَوَلَمْ نَعْمَرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرْ ﴾^(٢) . ويجوز عندى أن يكون قولهم عمرتك الله مصدراً لفعل ثلاثي ، وهو : فلان يعمره من باب نصر ، أى يعبده بالصلاة والصوم ونحوهما ، وفلان عمار أى كثير الصلاة والصوم ؛ فيكون منصوباً على نزع الباء التسمية ومضافاً إلى فاعله ، أى بعبادتك الله . ولم أر من شرحه على هذا الوجه .

الأحوص
ابن محمد

و (الأحوص) من الحوص بمهملتين ، وهو ضيق في مؤخر العين ، وقيل : في أحد العينين . وهو الأحوص بن محمد بن عبد الله بن عاصم ابن ثابت ، يسمى « حميّ الدبر^(٣) » أى محيها ، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه في بعث فقتله للمشركون وأرادوا أن يصلبوه ويمثلوا به فحتمه الدبر^(٤) — وهى النحل — فلم يقدروا عليه .

والأحوص مقدّم عند أهل الحجاز وأكثر الرواة ، لولا أفعاله الدينية ؛ لأنه أسمحهم طبعاً ، وأسلسهم كلاماً ، وأصحهم معنى ؛ ولشعره رونق وحلاوة وعذوبة ألفاظ ليست لأحد . وهو محسن في الغزل والفخر والمدح . وكان يشبّ بنساء أشراف المدينة ، ويُشيع ذلك في الناس ؛ فنهى فلم ينته .

(١) الرضى ١ : ١٠٧

(٢) من الآية ٣٧ فى سورة فاطر ٠

(٣) أى كان عاصم بن ثابت ، كما فى الاصابة ٤ : ٢ والسيرة ٦٣٩ ،

(٤) الدبر ، بالفتح : جماعة النحل والزناير . ط : « الدبرة ،

صوابه فى ش .

فُشكى إلى عامل سليمان بن عبد الملك ، وسُئل الكتابة فيه إليه ، ففعل
 ٢٣٣ فكتب سليمان يأمره أن يضر به مائة ، ويقبضه على البُلْس للناس ، ثم يسيره
 إلى دَهْلَك (١) ، ففعل به ذلك . والبُلْس بضمين : جمع بلاس بكسر الموحدة (٢) ،
 وهى غرائر كبار من مُسوح يجعل فيها التبن يشهر عليها من يُسكل به ،
 وينادى عليه . ومن دعائهم « أرانيك الله على البُلْس » وكان الأحوص يقول ،
 وهو يطاق به :

ما من مصيبة نسكبة أمني بها إلا تعظمني وترفع شاني
 إني إذا خفي اللئام رأيتني كالشمس لا تخفى بكل مكان
 إني على ما قد ترون محسّد أني على البغضاء والشنآن
 أصبحت للأنصار فيما ناهم خلفاً وفي الشراء من حسان
 وأقام الأحوص منفياً بدَهْلَك إلى أن ولي عمر بن عبد العزيز ، فكتب
 إليه الأحوص يستأذنه في القدوم ، وسأله الأنصار أيضاً أن يُقدمه إلى المدينة ،
 فقال لهم : من القائل :

فما هو إلا أن أراها فجاءة فأبته حتى لا أكاد أجيب
 قالوا : الأحوص . قال : فمن الذي يقول :
 أدور ولولا أن أرى أم جعفر بآياتكم ما درت حيث أدور

(١) دهلک : جزيرة بين بلاد اليمن والحبشة ، ضيقة حرجة حارة ،
 كان بنو أمية إذا سخطوا على أحد نفوه إليها . وعينها الأستاذ أمين واصف
 فى الفهرست بأنها تجاه مصوع الآن .

(٢) كتب الميمنى : « أظن البلاس معرب بلاس بالفارسية بمعنى الحصير .
 ثم وجدته والحمد لله فى خروم معرب الجواليقى التى سدها ولیم سبيتا فى
 المجلة الألمانية ٣٣ : ٢٠٨ - ٢٢٤ ولفظه : من كلام فارس للمسح بلاس
 وجمعه بلس هكذا تقول العرب . . الخ » .

قالوا : الأحوص . قال : فمن الذى يقول :

سَيَبْقَى لَهَا فِي مَضْمَرِ الْقَلْبِ وَالْحَشَا سِرِيرَةٌ حُبٌّ يَوْمَ تَبْلَى السَّرَائِرُ

قالوا : الأحوص . قال : فمن الذى يقول :

اللَّهُ بَيْنِي وَبَيْنَ قِيَمِهَا يَفِرُّ مِنِّي بِهَا وَأَتَّبِعُ (١)

قالوا : الأحوص . قال : لا جَرَمَ ما رددته ما كان لى سلطان !

قال أبو عبيدة : كان سبب نفي الأحوص أن شهدوا شهوداً عليه أنه قال :

لا أبالي أَىِّ الثلاثة أكون ناكحاً أو منكوحاً أو زانياً (٢) . وكان مشهوراً بالأبنة وانضاف إلى ذلك أنه دخل يوماً على سُكينة بنت الحسين رضى الله عنهما ، فأذن المؤذن فلما قال : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فخرت سُكينة برسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الأحوص :

فَخَرْتُ وَأَتَمْتُ فَقُلْتُ : ذَرِينِي لَيْسَ جَهْلٌ أَتَيْتُهُ بِبَدِيعِ
فَأَنَا ابْنُ الَّذِي حَمَتَ لَحْمَهُ الدَّبِيرُ قَتِيلًا لِلْحَيَانِ يَوْمَ رَجِيعِ (٣)
غَسَلْتُ خَالِيَ الْمَلَائِكَةِ الْأَبْرَارِ مَيْتًا ، طَوْبِي لَهُ مِنْ صَرِيعِ
وكان وفد الأحوص على الوليد بن عبد الملك ممتدحاً له فأنزله منزلاً وأمر

(١) ط : « وأتبعه » ، تحريف . فانه ثانياً بيتين فى الأغاني ٤ :
٤٨ أولهما :

كَأَنَّ لَبْنِي صَبِيرَ غَادِيَةٍ أَوْ دَمِيَّةَ زَيْنَتْ بِهَا الْبَيْعِ

(٢) فى الأغاني ٤ : ٤٣ عن أبى عبيدة « شهدوا عليه أنه قال :
إذا أخذت صريرى « دراهمى » لم أبال أَىِّ الثلاث لقيت » .

(٣) كذا فى ش مع أثر تصحيح . وفى ط والأغاني : « قَتِيلُ
الْحَيَانِ » . وفى الأغاني أيضاً : « يوم الرجيع » . والرجيع : ماء لهذيل
بناحية الحجاز .

بمطبخة تمال عليه^(١) . وكان قد نزل على الوليدِ شبيبُ بن عبد الله بن عمرو بن العاص ؛ وكان الأحوص يرأود وُصفاءَ للوليد خبازين^(٢) ، يريدون أن يفعلوا به الفاحشة ؛ وكان شبيب قد غضب على مولاه ونحاه ، فلما خاف الأحوص أن يفتضح بمراودته الغلمان اندس لمولى شبيب بذلك فقال : ادخل على أمير المؤمنين فاذا كر له أن شبيباً يرأودك عن نفسك . ففعل المولى ، فالتفت الوليد إلى شبيب فقال : ما يقول هذا ؟ فقال : لكلامه نبأ يا أمير المؤمنين ، فاشدد به يدك يصدُفك . فشدد عليه فقال : أمرني الأحوص بذلك . فقال قيسُ الخبازين : إن الأحوص يرأود غلمانك عن أنفسهم . فأرسل به الوليد إلى ابن حزم وإلى المدينة وأمره أن يجلبه مائة ، ويصب على رأسه زيتاً ، [ويقيمه على البُلس]^(٣) ففعل به كما ذكرنا .

٢٣٤

ولم يزل الأحوص بداهلك حتى مات عمر بن عبد العزيز وتولى يزيد بن عبد الملك . فبينما يزيد وجارية ذات يوم تغنيه بعض شعر الأحوص فقال لها : من يقول هذا الشعر ؟ قالت : لا أدري . فأرسل إلى ابن شهاب الزهري وسأله ؛ فأخبره أن قائله الأحوص . قال : وما فعل ؟ قال : طال حبسه بداهلك . فأمر بتخليه سبيله ووهب له أربعمائة دينار .

وعن ابن الأعرابي : أن الأحوص كانت له جارية تسمى « بشرة » وكانت تحبه ويحبها . فقدم بها دمشق ، فحذرت الموت وبكت^(٤) فقال الأحوص :

(١) ش : « بمطبخه تمال عليه » . وفي الأغاني : « بمطبخه أن يمال

عليه » .

(٢) انظر حواشي الحيوان ٥ : ٤٥٧

(٣) تكلمة من الأغاني ٤ : ٤٤ كما يقتضيه السياق

(٤) في الأغاني : « فحضره الموت وبكت » .

ما لجديد الموتِ يا بشرَ لذة وكلُّ جديد تستلذ طرائفه
ثم مات ، فجزعت عليه جزعاً شديداً ، ولم تزل تبكي عليه وتندبه حتى
شبهت شهقةً وماتت . ودُفنت إلى جنبه .

(تمة)

لم يذكر الأمدى في المؤلف والمختلف من اسمه (أحوص) غير هذا .
وذكر (الأحوص) بانحاء المعجمة وقال : هو زيد^(١) بن عمرو بن قيس
اليربوعي التميمي ، وهو شاعر فارس . وأورد له شعراً جيداً يفتخر به .

* * *

وأشده بعده ، وهو الشاهد السادس والثمانون (٢) :

٨٦ (قَعِيدِكَ أَنْ لَا تَسْمِعَنِي مَلَامَةً وَلَا تَنْكِي قُرْحَ الْفَوَادِ فَيَسْجَعًا)
على أن (قعيدك الله) وعمرك الله « أكثر ما يستعملان في القسم السؤالى
فيكون جوابهما ما فيه الطلب كالأمر والنهي . وأن هنا زائدة » .
قال أبو حيان في الارتشاف : ويجيء بعد — قعد وقعيدك الاستفهام
وأن . ولم يقيدها بكونها زائدة أو مصدرية أو غيرهما . ومثال الاستفهام ، قال
الأزهري : قالت قُريبة الأعرابية :

قَعِيدِكَ عَمَرَ اللَّهِ يَا ابْنَةَ مَالِكِ أَلَمْ تَعْلَمِينَا نَعْمَ مَاوَى الْمُحْصَبِ
ولم أسمع بيتاً جُمع فيه بين العمر والقعيد إلا هذا . انتهى .

(١) ط : « يزيد » صوابه فى ش والمؤتلف ٤٩
(٢) انظر أيضاً الخزانة ٢ : ٢١٤ وجمع الهوامع ٢ : ٤٥ والمنصف
١ : ٢٠٦ والفضليات ٢٦٩ .

وبقى على أبي حيان أن يقول : و « اللام » . روى أبو عبيد قعيدك لتفعلن ، و « لا النافية » كما يأتي في كلام الجوهري .

قال ابن الحاجب في الإيضاح : وقعدك الله عند سيويه مثل عمر ك الله يجعله بمعنى فعل مقدر معناه : سأله أن يكون حفيظك ؛ وإن لم يتكلم به . كأنه قيل حفظتك الله ، من قوله تعالى : « عَنِ اليمينِ وَعَنِ الشمالِ قعيدٌ » (١) أى حافظ . ووضح ذلك في عمر ك الله لاستعمال فعله . وإذا تحقق أن معنى قعدك الله معنى الفعل المقدر المذكور ، وضح أيضاً [أن] قعيدك الله بمعناه وفيه أيضاً معنى السؤال ، كعمر ك الله .

وقال ابن خلف : يريد سيويه بقوله : « قعدك الله يجرى هذا المجرى ، أن فعل المصادر قد يترك ويكون بمنزلة ما استعمل الفعل فيه ، فقعدك بمنزلة قولك : وصفك الله بالثبات وأنه لا يزول (٢) . يريد سألتك بوصفك الله بالثبات ثم حذف الفعل والباء . ولا يستعمل فيه الفعل ولا الباء ؛ وهو مصدر لا يتصرف ، أى لا يستعمل في غير هذا الموضع من الكلام ، ولا يستعمل إلا مضافاً . انتهى

وقال أبو اسحاق إبراهيم النجيري (٣) في كتاب أيمان العرب : معنى قعدك الله وقعيدك الله : أخصب الله بلادك حتى تكون مقبلاً فيها قاعداً غير منتجع . وقال الجوهري « وقولهم : قعيدك لا آتيك ، وقعيدك الله لا آتيك وقعدك الله وقعدك الله بالفتح والكسر : يمين للعرب . وهى مصادر استعملت منصوبة بفعل مضمر ، والمعنى : بصاحبك الذى هو صاحب كل

(١) الآية ١٧ فى سورة « ق »

(٢) ط : « وان لاتزول » ، صوابه فى ش

(٣) ط : « البحري » ، صوابه فى ش . وقد طبع كتابه فى المطبعة

السلفية سنة ١٣٤٣ بتحقيق محب الدين الخطيب

نجوى ؛ كما يقال : نشدتك الله . زاد عليه صاحب العباب : وقال أبو عبيد :
 عليا مضر تقول : قعيدك لتفعلن كذا ، يعني أنهم يحلفونه بأبيه ، قال :
 القعيد : الأب .

وأنكر صاحب القاموس كونها للقسم فقال : « قعيدك الله وقعيدك
 بالكسر استعطاف لا قسم » ، بدليل أنه لم يجىء جواب القسم . وهذا
 مخالف للجمهور ؛ فإن قوله (لا تسمعي) جواب لقوله (قعيدك) ، وكذا :
 لا آتيك ، فيما نقله الجوهري . قال صاحب البسيط : ويدل على القسم قولهم :
 قعدك الله لأفعلن . وروى فقهك^(١) بفتح القاف وكسرها . والمفعول الثاني
 محذوف أى قعدك^(٢) الله . والكاف مكسورة لأنه خطاب مع امرأة كما يأتي
 بيانه . وجملة (لا تنكئي) لا محل لها من الإعراب ، كجملة المطفوف عليها ؛
 يقال نكأت القرحة ، بالهمز : إذا قشرتها ؛ ونكيت في العدو بلا همز .
 والقرح كالجرح وزناً ومعنى . وقوله (فيجما) منصوب بأن مضمرة بعد الفاء ،
 في جواب النهي الثاني . قال ابن الأنباري : أهل الحجاز يقولون : وجع يوجع
 ووجل يوجل ، يُقرون الواو على حالها إذا سكنت وافتتح ما قبلها ، وهي أجود
 اللغات ؛ وبعض قيس يقول : وجل ياجل ووجع ياجع ؛ وبنو تميم يقول :
 وجع ييجع ، وهي شر اللغات ؛ لأن الكسر من الياء والياء يقوم مقام
 كسرتين ، فكهوا أن يكسروا لِثَقُلَ الكسر فيها . وقال الفراء : إنما كسر
 ليتقن اللفظ فيها واللفظ بأخواتها ؛ وذلك أن بعض العرب يقول : أنا إيجل
 وأنت تيجل ونحن نيجل ؛ فلو قالوا هو يوجل كانت الياء قد خالفت أخواتها .
 وهذا البيت من قصيدة مشهورة مشروحة في المفضليات وغيرها ، لمتنم

(١) ط : « قعدك » ، صوابه في ش

(٢) ط : « قعيدك » .

ابن نُورَة الصحابي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، يرثي بها أخاه مالك بن نُورَة . وقبل هذا البيت ثمانية أبيات متصلة به وهي :

قصيدة
الشاهد

(تقول ابنةُ العُمريِّ مالِكٌ بَعْدَما أراكَ حديثاً ناعِمَ البالِ أفرَعَا)

ابنةُ العُمريِّ : زوجته . والحديث : القريب . والأفرَع : الكثير شعر الرأس — تقول له : مالك اليوم متغيراً بعد أن كنت منذ قريب ناعماً البال أفرع .

(فقلتُ لها : طولُ الأُسى ، إذ سألَتني وَلَوَعةُ حزنٍ تتركُ الوجَهَ أسفَما)

الأُسى : الحزن . والتاء من سألَتني مكسورة . والألَوَعة : الحُرقة . والسُفعة بالضم : سواد يضرب إلى الحمرة .

(وفقدُ بني أمٍّ تداعوا فلم أكنُ خِلافَهُمُ أن أَسْتَكِينَ وأُضرَعَا)

فَقَدُ : معطوف على طول الأُسى . وتَداعوا : تفرقوا ودعاً بعضهم بعضاً . وخِلافَهُمُ : بَعْدَهُم وخلفهم . يقول : لست وإن أصابني حزنٌ بِمُسْتَكِينٍ ولا خاضع فيشمت به الأعداء .

٢٣٦ (ولكنني أمضى على ذاك مُقَدِّمًا إِذا بَعْضُ مَنْ يَلْقَى الحُرُوبَ تَكَمُّكُما^(١))

التكَمُّكُ : التأخر عن الحروب من الجبن والتهيب .

(وغَيرَني ما غالَ قَيسًا ومالِكا وعَمراً وجَزَماً بالمشَقِّ المَعَا)

غال : أهلك . وقيس وعمر ورجلان من بني يربوع ؛ وَجَزَء هو ابن سعد الرياحي ؛ وهؤلاء قتلهم الأسود بن المنذر يوم المشَقِّ . ويعني بمالك أخاه . و « لَلمَشَقِّ » بالثين المعجمة والقاف على زنة اسم المفعول : قصر

(١) ط : « من يلق » صوابه في ش والمفضليات

بالبَحْرَيْنِ ، وقيل : مدينة هَجَرَ . وقوله : أَلْمَا ، أى أُلْعِ بهم الموت ، ومعناه ذهب بهم ؛ وقال الكسائي : أراد معاً فزاد أَل .

(وما غَالَ نَدَمَانِيْ يَزِيدَ ، وَلِيَتْنِيْ تَمَلُّيْهُ بِالْأَهْلِ وَالْمَالِ أَجْمَا)
النَّدَمَانُ بالفتح هو النديم ، وكان يزيد ابن عمه ونديمه .

(وإِنِّي وَإِنْ هَازَلْتَنِيْ قَدْ أَصَابَنِيْ مِنْ الْبَثِّ مَا يُبْكِي الْحَزِينَ الْمَفْجَعَا)
يقول : نزل بي ما يغلب الصبر والتجلد حتى يحمل صاحبه على البكاء ، وأنا مع ذلك أتجلد .

(ولستُ إِذَا مَا أَحْدَثَ الدَّهْرُ نَكْبَةً وَرُزْءًا بَرْوَارِ الْقَرَائِبِ أَخْضَعَا)
يقول : إِذَا أَصَابَتْنِيْ مُصِيبَةٌ لَمْ آتْ قَرَائِبِيْ خَاضِعًا لَهَا حَاجَةً مِّنِيْ إِلَيْهِمْ ، وَلَكِنِّيْ أَصْبِرُ وَأَعِيفُ مَعَ الْفَقْرِ .

وبعده : قَعِيدُكَ أَنْ لَا تَسْمَعَنِيْ مَلَامَةً . . البيت

متمم بن نويرة (متمم) هو ابن نويرة بن جحرة « بالجيم » ابن شداد بن عبيد بن ثعلبة ابن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن ميم .

وكان متمم من الصحابة رضى الله عنهم . وأخوه مالك يقال له « فارس ذى الحمار » بكسر الخاء المعجمة وذو الحمار فرسه .

قال ابن السَّيِّد في شرح كامل المبرد : قولهم فَنِّيْ وَلَا كَيْلَاكَ ! هو مالك ابن نويرة سَيِّدُ بَنِي يَرْبُوع قَتَلَهُ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ .

ورأيت رسالة لأبي رياش أحمد بن أبي هاشم القيسى تتضمن قصة قتل خالد بن الوليد لمالك بن نويرة ؛ قال :

كان مالك بن نويرة قد أسلم قبل وفاة النبي صلى الله عليه وسلم وتصدق ،

وكان عَرِيفَ ثعلبة بن يربوع ؛ فقبض النبي صلى الله عليه وسلم وإبل الصدقة برَحْرَحان ، وهو ماء دُوَيْن بطن نخل ، فجمع مالكُ جمعاً نحواً من ثلاثين فأغار عليها فاقطع منها ثلاثمائة ؛ فلما قدم بلادَ بني تميم لأمه الأقرع بن حابس ابن عِقال بن محمد بن سفيان بن مُحاشع بن دارم ؛ وضرار بن القعقاع بن معبد ابن زُرارة بن عُدس بن زيد بن عبد الله بن دارم ؛ وبلغ مالكا أنهما يمشيان به في بني تميم ، فقال مالك - يعنهما ويدعو على ما بقي من إبل الصدقة - :

أَرَانِي اللَّهُ بِالنَّعَمِ الْمُنْدَى بِرُقَّة رَحْرَحَانَ وَقَدْ أَرَانِي
أَنْ قَرَّتْ عَيُونٌ فَاسْتَفِئْتُ غَنَائِمٍ قَدْ يَجُودُ بِهَا بَنَانِي
حَوَيْتُ جَمِيعَهَا بِالسَّيْفِ صَلْنَا وَلَمْ تُرْعَدْ يَدَايَ وَلَا جَنَانِي
تَمْشَى يَا ابْنَ عَوْذَةَ فِي تَمِيمٍ وَصَاحِبَكَ الْأَقْرِعَ تَلْحِيَانِي ١١
أَلَمْ أَكُ نَارَ رَابِئَةٍ تَلْظِي فَتَنْتَقِيَا أَذَى وَتَرْهَبَانِي ١٢
فَقُلْ لَابِنِ الْمَذَبِّ يَغْضُ طَرْفًا عَلَى قَطْعِ الْمَذَلَّةِ وَالْهُوَانِ

وعَوْذَةُ : أم ضرار بن القعقاع وهي مُعَاذَةُ بنت ضرار بن عمرو الضبيّ .
وَالْمَذَبَّةُ : أم الأقرع بن حابس .

٢٣٧ فلما قام أبو بكر وبلغه قول مالك بعث إليه خالد بن الوليد ، وأمره أن لا يأتي الناس إلا عند صلاة الغداة ؛ فمن سمع فيهم مؤذناً كف عنهم ، ومن لم يسمع فيهم مؤذناً استحلتهم ؛ وعزم عليه ليقتلن مالكا إن أخذه . فأقبل خالد بن الوليد حتى هبط جَوَّ البعوضة ، وبه بنو يربوع ، فبات

(١) ط : « رائبة » ش : « رأيته » ، صوابه ما أثبت . وفي الحيوان ٤ : ٤٧٤ « ونار أخرى وهي النار التي كانوا إذا أرادوا حرباً وتوقعوا جيشاً عظيماً ، وأرادوا الاجتماع ، أوقدوا ليللاً على جبلهم نار ليلبلغ الخبر أصحابهم » . وقد سماها الثعالبي في ثمار القلوب ٤٦١ « نار الانذار » .

عندهم ولا يخافونه ، فرّ على بنى رياح فوجد شيخاً منهم يقال له مسعود ابن وضام ، يقول :

وَحَجَّةٌ أَتَبَعْتُهَا بِحَجَّةٍ وَهَدِيَّةٌ أَهْدَيْتُهَا لِلْأَبْطَحِ
فمضى عن رياح حتّى مرّ بينى غُدانة وبنى ثعلبة فلم يسمع فيهم مؤذناً فحمل عليهم ؛ فثار الناس ولا يدرون ما يبتهم ، فلما رأوا الفُرسانَ والجيش قالوا : من أنتم ؟ قالوا : نحن المسلمون . قال مالك : ونحن للمسلمون ! فلم ينته المسلمون لذلك ووضعوا فيهم السيف وقُتلت غُدانة أشدّ القتل وقُتلت ثعلبة ، وأُعجل مالك عن لبس السلاح ، وإن أمرأته ليلي بنت سينان بن ربيعة بن حنظلة قامت دونه عُرْيانة ودخل القُبّة وقامت دونه ؛ ولبس مالك أداثته ثم خرج فنادى : يا آل عبيد . فلم يجبه أحد غير بنى بهان^(١) فانهم صدّقوا معه يومئذ وطلّعوا من جوّ البعوضة وبلغوا ذات اللذاق — وهى أكمة بينها وبين الجوّ ميلانٍ أو قدرُ ميل ونصف — ففرّعوا من القوم ، غير مالك وغير بقية من ولد حبش بن عبيد بن ثعلبة ، وكان عدّة من أصيب مع مالك خمسة وأربعين رجلاً من بنى بهان . ثم إن خالد بن الوليد قال : يا ابن نويرة هلمّ إلى الإسلام قال مالك : وتمطينى ماذا ؟ قال : ذِمّة الله وذِمّة رسوله ، وذِمّة أبى بكر ، وذِمّة خالد بن الوليد فأقبل مالك وأعطاه يديه ، وعلى خالد تلك العُرْمَة من أبى بكر . قال : يا مالك ، إني فانتك . قال : لا تقتلنى ، قال : لا أستطيع غير ذلك ؛ قال : فأت مالا تستطيع إلا إياه . قدّمه إلى الناس قهيبوا قتله ، وقال المهاجرون : أقتل رجلاً مسلماً ؟ ! غير ضرار بن الأزور الأسدى^(٢) من بنى كُوز ، فإنه قام قتله . فقال متمم ابن نويرة يذكر غدره بمالك :

(١) من قبائلهم . وفى القاموس : « وبهان كقطام : امرأة » .

(٢) وكذا فى الكامل ٧٦١ والاصابة ٧٦٩٠ والأغانى ١٤ : ٦٦ .

وفى شرح الفضليات ٥٢٦ . ضرار بن الأسود الأزدي ، .

نعم القَتِيلُ إِذَا الرِّيحُ تَحَدَّتْ فَوْقَ الْكَثِيفِ قَتِيلَكَ: ابْنُ الْأَزْوَْرِ (١)
أَدْعُوهُ بِاللَّهِ ثُمَّ قَتْلُهُ ؟ ! لَوْ هُوَ دَعَاكَ بِذِمَّةٍ لَمْ يَغْدِرْ
وَلَنَعِمَ حَشْوُ الدَّرْعِ يَوْمَ لِقَائِهِ وَلَنَعِمَ مَأْوَى الطَّارِقِ الْمَتَوَّرِ
لَا يَلْبَسُ الْفَحْشَاءَ تَحْتَ ثِيَابِهِ صَعْبُ مَقَادَتِهِ عَفِيفُ الْمِزْرِ

فلما فرغ خالد منهم أقبل المنهال بن عصمة الرياحي في ناس من بني رياح
يدفنون قتلى بني ثعلبة وبني غداة ، ومع المنهال بردان من يَمَنَةٍ . فكانوا
إذا مروا على رجل يعرفونه قالوا : كَفَنُ هَذَا يَامْنَهَالُ فِيهِمَا ؛ فيقول : لا ،
حتى أ كفن فيهما الجُفُولَ مَالَكًا (وهو الكثير الشعر ، وكان يلقب
بذلك لكثرة شعره) وذلك في يومٍ شديد الريح فجعلوا لا يقدرّون على ذلك .
ثم رفعت الريحُ شعرَه من أقصى القوم فمرّفه فجاءه فكفّنه . فذلك قول متمم
في أول القصيدة :

لَعَمْرِي وَمَا دَهْرِي بِنَائِينَ مَالِكٌ وَلَا جَزَعٌ مِمَّا أَصَابَ فَأَوْجَعَا
لَقَدْ كَفَنَ الْمِنهَالُ تَحْتَ رِدَائِهِ فَتَى غَيْرَ مِبطَانِ الْعِشِيَّاتِ أَرْوَعَا
أَلَمْ يَأْتِ أَخْبَارُ الْحُلِّ سَرَاتِنَا فَيَغْضَبَ مِنْهَا كُلُّ مَنْ كَانَ مَوْجَعَا
الْحُلِّ : رجل من بني ثعلبة ، مرّ بمالك مقتولا فتعاه كأنه شامت ، فذمّه
متمم وأخذ خالد بن الوليد ليلى بنت منان امرأة مالك ، وابنها جراد بن
مالك ، فأقدمهما للمدينة ، ودخلها وقد غرز سهمين في عمامته ، فكان عمر
غضب حين رأى السهمين فقام فأتى عليّا فقال : إِنَّ فِي حَقِّ اللَّهِ أَنْ يَقَادَ هَذَا
بِمَالِكٍ ؛ قَتَلَ رَجُلًا مُسْلِمًا ثُمَّ نَزَا عَلَى امْرَأَتِهِ كَمَا يَنْزُو الْحَارُ . ثم قاما فأتيا طلحة ،
فتابعوا على ذلك . فقال أبو بكر : سِيفُ سَلَهَ اللَّهِ لَا أكونَ أَوَّلَ مَنْ أَعْمَدَهُ ،
أَكِلْ أَمْرَهُ إِلَى اللَّهِ .

فلما قام عُمر بالأمر وفد عليه متمم فاستعداه على خالد . فقال : لا أرد شيئاً صنعه أبو بكر . فقال متمم : قد كنت تزعم أن لو كنت مكان أبي بكر أقدمته به ! فقال عمر : لو كنت ذلك اليوم بمكانى اليوم لفعلت ، ولكنى لا أرد شيئاً أمضاه أبو بكر ، ورد عليه ليل وابنها جرادا .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والثمانون (١) :

٨٧ * أيها المنكحُ الثريا سُهَيْلاً عَمْرَكَ اللهُ كَيْفَ يَلْتَقِيَانِ !
 هى شامية إذا ما استقلتُ وسهيلُ إذا استقلَّ يَمَانِي *
 على أن (عمر ك الله) يستعمل فى القسم السؤالى ، ويكون جوابه ما فيه الطلب ، وهو هنا جملة (كيف يلتقيان) فإن الاستفهام طلب الفهم ، وهو هنا تعجيبى * . خلافاً للجوهري فى هذا فإنه زعم أن (عمر ك الله) هنا فى غير القسم .
 وهذان البيتان من قصيدة لعمر بن أبى ربيعة .
 و (المنكح) : اسم فاعل من أنكحه أى زوجه . و (استقلَّ) ارتفع .
 و (الثريا) هى بنت [على بن (٢)] عبد الله بن الحارث بن أمية الأصغر ^{الثريا} وهم العبلات .

وكانت الثريا وأختها عائشة اعتقنا الغريص المغني ، واسمه عبد الملك ، ويكنى أبا يزيد ، كذا قال المبرد فى الكامل . قال ابن السيد فى شرحه :
 والعبلات هم بنو أمية الأصغر بن عبد شمس - وبنو عبد شمس : أمية ، [وعبد أمية (٣)] ، ونو قل أبناء عبد شمس - نسبوا إلى أمهم عبلة بنت

(١) انظر ابن يعيش ٩ : ٩١ وابن الشجرى ١ : ٣٤٩ والوفيات ٣٧٨ : ١ وملحقات ديوان عمر ٤٩٥ وجمهرة ابن حزم ٧٦ .

(٢) التكملة من ش .

(٣) التكملة من ط وجمهرة ابن حزم ٧٤

عبيد بن جادل بن قيس بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم . وهى من البراجم .

ورأيت فى كتب اللهو لابن جردابة ^(١) أن كنيته أبو زيد ، وقال : هو من مولدى البربر يضرب العود ، أخذ الغناء عن ابن سريج ثم حسده فطرده ، وكان جميلا ، وربته الثريا وعلمته النوح بالمرأى على من قتله يزيد ابن معاوية يوم الحرة .

وقيل إن الثريا بنت عبد الله بن الحارث بن أمية الأصغر .

وذكر الزبير بن بكار أنها الثريا بنت عبد الله بن محمد بن عبد الله بن الحارث بن أمية الأصغر ، وأنها أخت محمد بن عبد الله المعروف بأبي جراب العبلى ^(٢) الذى قتله داود بن على ؛ كذا فى الغرر والدرر للشريف ^(٣) .

وأما « سهيل » فهو سهيل بن عبد الرحمن بن عوف الزهرى . وكنيته سهيل أبو الأبيض . وأمه بنت يزيد بن سلامة ذى فائش الحميرى . تزوج الثريا ونقلها إلى مصر . فقال عمر بن أبى ربيعة يضرب لها المثل بالكوكبين . فكان يشبب بها ، وقال فيها أشعارا . وكانت تصيف فى الطائف ، فكان عمر يغدو بفرسه كل غداة فيسائل الذين يحملون الفأكة عن أخبارها ، فسأل بعضهم يوما ؛ فقال : لا أعلم خبرا غير أنى سمعت عند رحيلنا صوتا وصياحا على امرأة من قريش اسمها اسم نجم ذهب عنى اسمه . قال عمر : الثريا ؟ قال : نعم . ٢٣٩ وكان قد بلغه أنها عليلة ، فركض فرسه من أقرب الطريق حتى انتهى إليها

(١) لم يرد ذكره الا فى هذا الموضع .

(٢) النسبة الى العبلات عبلى بالفتح ، وبالتحريك عن ابن ماكولا : كما فى القاموس .

(٣) امالى المرتضى ١ : ٣٤٦ - ٣٤٧ .

وهي تُشرف من ثنيةٍ ؛ فوجدتها سليمةً ومعها أختها ، فأخبرها الخبر فضحكت
وقالت : أنا والله امرتهم لأخبر ما عندك !

ولما تزوج عمر هجرته الثريا وغضبت عليه فقال :
قال لي صاحبي ليعلم ما بي : أُنحِبَ القَتولَ أختَ الرِّبابِ^(١)
قلتُ : وجدى بها كوجدك بالما ، إذا ما مُنعتَ بردَ الشرابِ
منَ رسولى إلى الثريا فإني ضِقتُ ذرعا بهجرها والكتابِ
ثم تزوجها سهيل المذكور وحملها إلى مصر ، وكان عمر غائبا ، فلما
بلغه قال :

(أيها الطارقُ الذى قد عنانى بعد ما نام سامرُ الرُّكبانِ
زارَ من نازحٍ بغير دليل يتخطى إلى حتى أتانى^(٢))
إلى أن قال : أيها المنكح الثريا سهيلا .. البيتين
وزعم بعضهم أن سهيلا هو ابن عبد العزيز بن مروان . والصحيح الأول .
ثم سار إلى المدينة وكتب إليها :

كُتِبَتْ إِيْلِكَ مِنْ بَلَدِي كِتَابٌ مُؤَلَّهٌ كَمِيدٍ
كُتِبَ وَاكْفِ الْعَيْنَيْنِ بِالْحَسْرَاتِ مُنْفَرِدٍ^(٣)
يُؤَرِّقُهُ لَهَيْبُ الشَوْقِ بَيْنَ السَّحْرِ وَالْكَبَدِ
فِيْمَسْكُ قَلْبِهِ يَدٌ وَيَمْسَحُ عَيْنَهُ يَدٌ^(٤)
فلما قرأته بكت بكاء شديداً ثم تمثلت :

-
- (١) ط : « أُنحِبَ البتول » .
(٢) ط : « راد من نازح » صوابه فى ش
(٣) ط : « بالحسرة » صوابه فى ش والديوان والأغاني ١ : ٩٠
(٤) فى النسختين : « ويمسح عينه » ، صوابه من الديوان والأغاني

بنفسى مَنْ لا يستقلّ بنفسه ومنْ هو، إن لم يرحم الله، ضائع
وكتبْتُ إليه تقول :

أتانى كتابٌ لم ير الناسُ مثله أُبينَ بكافورٍ ومِسكِ وعنبرٍ^(١)
فقرطاسه قُوْهيّةٌ ورباطه بعقد من الياقوت صافٍ وجوهر^(٢)
وفى صدره : مَنى إليك تحيةٌ لقد طال تَهَيّأى بكم وتذكرى
وعنوانه : مِنْ مستهَامٍ فؤاده إلى هائمٍ صَبَّ من الحزن مُسرِعٍ

روى أن الثريا وعدته ليلة أن تزوره ؛ فجاءت في الوقت الذى وعدته
فيه ، فصادفت أخاه الحارث بن ربيعة قد طرقة وأقام عنده ووجه به في حاجة
ونام مكانه وغطى وجهه بثوبه ، فلم يشعر إلا وقد ألفت نفسها عليه قبله !
فانتبه وجعل يقول : اغربنى عني فلست بالفاسق ، أخزا كما الله ! فانصرفت .
ورجع عمر فأخبره الحارث بذلك ، فأغتمَّ على ما قامه منها وقال : والله لا تمسك
النار أبدا وقد ألفت نفسها عليك ! فقال : عليك وعليها لعنة الله .

وحكم له^(٣) بين « الثريا » و « سهيل » تورية لطيفة ؛ فإن الثريا يحتمل
للرأة المذكورة وهو للمعنى البعيد للورى عنه وهو المراد ، ويحتمل ثريا السماء
وهو للمعنى القريب المورى به . وسهيل يحتمل الرجل المذكور وهو للمعنى البعيد
للورى عنه وهو المراد ، ويحتمل النجم المعروف بسهيل . فتمكن للشاعر أن
ورى بالنجيين عن الشخصين ليلبغ من الإنكار على من جمع بينهما ما أراد .
وهذه أحسن تورية وقعت في شعر المتقدمين .

(١) الأغاني ١ : ٩١ : « أمد بكافور »

(٢) فى النسختين : « خاف وجوهر » ، صوابه من الأغاني ثم قال

أبو الفرج : « وهذا الخبر عندي مصنوع ، وشعره مضعف يدل على ذلك ،

ولكننى ذكرته كما وقع الى »

(٣) كذا . ولعل معناه اتفق له تورية محكمة لطيفة .

وفي شرح بديعة العميان لابن جابر : لا يقال إن التورية في الثريا مرشحة بقوله شامية ، إذ ليست من لوازم المورى به ، ولا مبينة ، إذ ليست من لوازم المورى ، إذ المرأة شامية الدار والنجم أيضاً شامى فاشتركا في ذلك ، ولا يكون الترشيح والتبيين إلاً بلازم خاصي . وكذلك التورية في سهيل ؛ لا يقال إنها مرشحة ولا مبينة بيمان ، إذ هو صفة مشتركة بينهما ، لأن سهيلاً الذي هو رجل يمان كسهيل الذي هو النجم . وسبب هذين : أن سهيلاً المذكور تزوج الثريا المذكورة وكان بينهما بون بعيد في الخلق : كانت الثريا مشهورة في زمانها بالحسن والجمال ، وكان سهيل قبيح المنظر ، وهذا مراده بقوله : عمرك الله كيف يلتقيان ، أى كيف يلتقيان مع تفاوت ما بينهما في الحسن والقبح ، انتهى .

عمر بن أبي ربيعة و (عمر) هو عمر بن عبد الله - كناه به رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان في الجاهلية يسمى بحيرا بفتح الموحدة وكسر المهمل - ابن أبي ربيعة ، واسمه حذيفة ، وكان يلقب بذي الرحين ، ابن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم^(١) المخزومي .

ويكنى عمرُ أبا الخطاب . وأبو جهل بن هشام بن المغيرة [ابن^(٢)] عم أبيه . وأم عمر بن الخطاب حنمة بنت هاشم بن المغيرة^(٣) بنت عم أبيه . وإخوته عبد الله وعبد الرحمن والحارث بنو عبد الله .

(١) في النسختين : « عمرو بن مخزوم » ، وهو تحريف يقع في كثير من الكتب والمخطوطات . وإنما هو « عمر » ، كما في جمهرة ابن حزم ١٤١ - ١٤٢ ونسب قريش ٢٩٩ والاشتقاق ٩٩ ، ١٠١ .
(٢) التكملة من ش .

(٣) ط : « بنت هشام بن المغيرة » وكذا في المعارف ٧٨ صوابه في ش مع أثر تصحيح وجمهرة ابن حزم ١٤٤ وابن أبي الحديد ٤ : ٢٩٦

وكان عبد الرحمن أخوه تزوج أم كلثوم بنت أبي بكر الصديق بعد طلعه
وولدت له . وأعقب الحارث . ولا عقب لعمر ، وكانت أمه نصرانية ، وهي
أم إخوته .

ولم يكن في قريش أشعر من عمر . وهو كثير الغزل والنوادر والمجون
يقال : من أراد رقة الغزل فعليه بشعر عمر بن أبي ربيعة .

ولد ليلة الأربعاء لأربع بقين من ذى الحجة سنة ثلاث وعشرين ، وهي
الليلة التي مات فيها عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فسَمِيَ باسمه .

قال ابن قتيبة : « كان عمر فاسقاً يتعرّض لنساء الحاجّ ويشبّب بهنّ .
فنفاه عمر بن عبد العزيز إلى دهّلك . ثم غزا في البحر فأحرقت السفينة
التي كان فيها [فاحترق^(١)] هو ومن كان معه . »

وفي الأغاني بسنده أنّه نظر في الطواف امرأة شريفة ، فكلّمها فلم
تجبه ، فقال :

الريحُ تسحبُ أذيالاً وتشرُّها ياليتني كنتُ ممن تسحب الريحُ
في أبيات . فلما بلغتْها جزعت جزعاً شديداً . فقيل لها : اذكريه لزوجك
واشكيه . قالت : والله ما أشكوه إلا لله ، اللهم إن كان نوّه باسمي ظالماً فاجعله
طعاماً للريح . فعدا يوماً على فرس فهبّت ريح ، فنزل فاستتر بشجرة فمصفت
الريح فخدشه غصن منها ، فمات من ذلك .

وكان ذلك سنة ثلاث وتسعين ، وقد قارب السبعين أو جاوزها . وقيل
عاش ثمانين سنة . وترجمته في الأغاني طويلة .

* * *

(١) التكملة من ش والشعراء ٥٣٦

وأُشْد بعده : ﴿ فَأَيْنَمَا هِيَ إِقْبَالٌ وَإِدْبَارٌ ﴾
تقدم شرحه في الشاهد السبعين^(١) في باب المبتدأ^(٢)

* * *

وأُشْد بعده ، وهو الشاهد الثامن والثمانون ، وهو من شواهد سيبويه^(٣) :

٢٤١

٨٨ (عَجَبْتُ لِنَتِكَ قَضِيَّةً ، وإقامتي فيكم على تلك القضية أعجبُ)
على أنهم يرفعون بعض المصادر المنصوبة بعد حذف عاملها لزيادة المبالغة
في الدوام . بين الشارح وجه رفعه على الخبرية .

وكذلك أورد سيبويه بأنه على إضمار مبتدأ أى أمرى عجب . وقال
الأعلم وتبعه ابن خلف : يجوز أن يكون مرفوعاً بالابتداء وإن كان نكرة
لوقوعه موقع المنصوب ؛ ويتضمن من الوقوع موقع الفعل ما يتضمن المنصوب
فيستغنى عن الخبر ، لأنه كالفعل والفاعل ، فكأنه قال : أعجب لتلك
القضية . أو خبره لتلك . وهذا هو المعهود في المصادر المنصوبة : إذا رُفِعَتْ
جعلت مبتدأ وجعل متعلقها خبراً مثل الحمد لله والسلام عليك لتكون
في معنى الأصل ، أعنى الجملة الفعلية لا تزيد عليها إلا بالدلالة على الثبات ،
وقد يجعل غير متعلقها خبراً كقوله تعالى : « فصبرٌ جميل » أى أحسن من
غيره . وقضية منصوب على التمييز للنوع الذى أشار إليه بتلك ؛ ويجوز أن
يكون منصوباً على الحال ، قال أبو علي : كأنه قال : اعجبوا لتلك الفعلة

(١) في النسختين : « الثامن والستين » ، وهو سهو .

(٢) أنظر ص ٤٣١ من الجزء الأول

(٣) وهو من شواهد سيبويه ، ساقط من ش . وانظر سيبويه

١ : ١٦٦ وابن يعيش ١ : ١١٤ والهمع ١ : ١٩١ والعيني ٢ : ٣٤٠

قضية . وقضية هنا بمعنى مقضية . وروى : (عجباً) بالنصب على أنه مصدر نائب عن أعجب .

واعلم أن الشارح المحقق حقق هنا أن المصدر المنسوب بعد حذف عامله يفيد الدوام ، وإذا رفع وجعل خبراً أفاد زيادة وهي المبالغة في الدوام . وهذا مناقضٌ لكلامه في باب المبتدأ في « سلام عليك » من أن النصب بعد حذف الفعل يدلّ على الحدوث ، فمدلّ إلى الرفع للدلالة على الدوام !

قال الدماميني في شرح التسهيل : « الحق ما قاله الرضى في باب المفعول المطلق ، بخلاف ما قاله في المبتدأ فإنه غير مرضى » .

أقول : لو عكس القضية لكان أظهر ، فإنه مع النصب الصريح كيف يفيد الدوام ، مع أن الجملة فعلية ، والتزام الحذف لا ينفيه ، كما في الظرفية الواقعة خبراً إذا قدر المتعلق فعلاً مع أن الجملة اسمية ، ومع هذا فلم يجهلوا للدوام الثبوتى ! فإن ادعى أن العامل مضارع أو اسم فاعل ، وأن كلاهما محمول على الاستمرار التجددى لا الدوامى ، وردّ عليه أن هذا يحصل مع الذكر ، فتخصيص الحذف به مما لا داعية إليه ، مع أن هذا ليس مراداً له ، بل مراده حصول الاستمرار الثبوتى مع النصب .

وكلام الشارح هنا مخالف لكلام علماء المعانى ، قال السيد في شرح المفتاح : إن الاسم كالم مثلاً يدلّ على ثبوت العلم لمن حكم به عليه ، وليس فيه تعرض لاقتراحه بزمان وحدوثه فيه ولا لدوامه . نعم لما كان اسم الفاعل جارياً على الفعل جاز أن يُقصد به الحدوث بمعونة القرائن كما في ضائق ، ويجوز أن يقصد به الدوام أيضاً في مقام المدح والمبالغة ، وكذا حكم اسم المفعول ، وأما الصفة المشبهة فلا يقصد بها إلا مجرد الثبوت وضعاً ، أو الدوام

باقتضاء المقام . والجملة الاسمية إذا كان خبرها اسماً فقد يقصد بها الدوام والاستمرار الثبوتى بمعونة القرائن ؛ وإذا كان خبرها مضارعاً فقد يفيد استمراراً تجددياً ، وهذه الإفادة أيضاً بمعونة القرائن كما فى : « اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ » (١) لكن هذا الاستمرار التجددى مستفاد من المضارع فى الحقيقة ، وفائدة الجملة الاسمية ها هنا تقوى الحكم ، فليس كل جملة اسمية مفيدة للدوام ، فإنَّ قولك : زيد قام ، يفيد تجدد القيام « اهـ .

٢٤٢

فقول الشارح هنا « إنما وجب حذف الفعل لأن المقصود من مثل هذا الحصر أو التكرير وصفُ الشيء بدوام حصول الفعل منه ولزومه له ، ووضع الفعل على الحدوث والتجدد الخ » مشكك ؛ لأنه هنا جملة اسمية خبرها فعل مضارع أو اسم فاعل دالٌّ على الحدوث لعمله ، فهى للاستمرار التجددى لا الدوامى ؛ وحينئذ لا فرق بين ذكر العامل وحذفه ؛ لأن التقدير : ما زيد إلا يسير سيراً ، وزيد يسير سيراً ، فكيف جمل الغرض من هذا الحصر أو التكرير وصف الشيء بدوام حصول الفعل منه ولزومه له مع أن الجملة اسمية خبرها مضارع ؟

فإن أجيب : بأن الجملة إنما أفادت مع الحصر أو التكرير الدوام الثبوتى للزوم حذف العامل ، وردَّ عليه الجملة الاسمية التى خبرها ظرفية إذا قدر المتعلقة فيها فعلاً ، فإنها لا تفيد الدوام الثبوتى مع لزوم حذف العامل .

فإن أجيب : بأن الدالَّ على الدوام الثبوتى إنما هو الحصر أو التكرير لا الجملة الإسمية التى قدر خبرها فعلاً ، كما يدل عليه قوله بعد ذلك « لم يكن

(١) الآية ١٥ من سورة البقرة .

فيه معنى الحصر المفيد للدوام ، ورد عليه أن كلامهم مطلق لم يقيد بهذا القيد .

وقول الشارح : « وإن كان يستعمل المضارع في بعض المواضع للدوام » لا يخلو عن بحث ، فإن ظاهره أن الدوام الذي يفيد المضارع ثبوتى لا تجددى ، إلا أن يقال : مراده مطلق الدوام ، وإن كان مختلفاً ، وهذا لا يناسب أول كلامه . وقوله : « وذلك لمشايبته لاسم الفاعل » إن حل اسم الفاعل على العامل فدوامه تجددى لا ثبوتى ، وإن حل على غير العامل فهو يفيد الاستمرار الدوامى لا التجددى بالقرينة ، والحل عليه لا يناسب ، لأن المضارع لا يفيد ذلك بل يفيد الاستمرار التجددى . وقوله « فلما كان المراد التنصيص على الدوام واللزوم لم يستعمل العامل أصلاً » ، يريد أنه قد علم أن الدال للدوام عنده هو الحصر أو التكرير ، فالتزم حذف ما دلالة تنافى ذلك وهو العامل ، لأنه : إما فعل وهو موضوع للتجدد ، واستعماله فى الدوام إذا كان مضارعاً ليس وضعياً بل بالقرائن ، فنظرنا إلى أصل الوضع والتزمنا حذفه — وفيه أن المحذوف كالثابت ، كما يدل عليه كلامهم فى متعلق الظرف الواقع خبراً إذا قدر بالفعل . وقوله « أو اسم فاعل وهو مع العمل كالفعل » أى للتجدد فلا يفيد الاستمرار وضعاً وإن استعمل فيه بمعونة القرائن ؛ وفيه أيضاً أن المحذوف كالثابت ، وعمله إنما ينافى حمله على الاستمرار الثبوتى إذا كان عاملاً فى المفعول ، أما عمله فى الظرف أو فى المفعول المطلق كما هنا فلا ينافى إفادته للدوام الثبوتى ، وأما إذا عمل فى المفعول به فإنه يفيد الاستمرار التجددى .

آيات الشاهد

وبيت الشاهد من آيات سبعة أولها :

(يا جُنْدَبَ أَخْبِرْنِي وَلَسْتَ بِمُخْبِرِي وَأَخُوكَ ناصِحُكَ الَّذِي لَا يَكْذِبُ

هل في القضية أن إذا استغنيتم وأمنتم فأنا البعيد الأجنب
 وإذا الشدائد بالشدائد مرة أشجكم فأنا المحب الأقرب
 وإذا تكون كريمة أدعى لها وإذا يحاس الحيس يدعى جذب
 ولجندب سهل البلاد وعذبها ولي الملاح وخبتن المجذب
 عجب لتلك قضية وإقامتي البيت
 هذا وجدكم الصقار بعينه لا أم لي إن كان ذاك ولا أب !

وهذا الشعر لضمرة [بن ضمرة] (١) بن جابر بن قطن بن نهشل بن دارم شاعر جاهلي. ويقال : إن ضمرة كان اسمه شقة فسماه النعمان ضمرة بن ضمرة. وكان يبرأ أمه ويخدمها ، وكانت مع ذلك تؤثر أخا له يقال له « جذب » ، فقال هذا الشعر. هكذا رواه ابن هشام [اللخمي] في شرح أبيات الجمل. ورواه بعضهم : (يا ضمّر أخبرني) وقال : إن قاتله ضمرة. وهو خطأ. ونسبه أبو ريش لتمام بن مرة أخى جساس بن مرة قاتل كليب. وزعم ابن الأعرابي : أنه قيل قبل الإسلام بخمسمائة سنة. وفي شرح أبيات سيبويه : أنه لبعض مذحج ، وقال السيرافي : لزراعة الباهلي (٢). وقال الأمدى في المؤلف والمختلف : هو لهسي بن أحر ، من بني الحارث بن مرة بن عبد مناة بن كنانة بن خزيمة ، جاهلي. وأنشدوا له : (يا ضمّر أخبرني) — وهني : مصغر هن ، وأصله هنيو فأبدلت الواو ياء وأدغمت في الياء لسبقها بالسكون .

ورواه أبو محمد الأعرابي عن أبي الندى : أنه لعمر بن الغوث بن طيء ، وأنشدوا له : (يا طيُّ أخبرني ولست بكاذب)

(١) الزيادة عن : ش .

(٢) في النسختين : « لزراعة » ، بالقاف ، والتصحيح للميمنى .

قال : أكتبنا^(١) أبو الندى قال : « ينّا طيء جالس ذات يوم مع ولده بالجبلين : أجا وسلمى إذ أقبل رجل من بقايا جديس ممتدّ اتّخلق كاد يسدّ الأفق طولاً ويفرعهم باعاً ، وإذا هو الأسود بن عفّار^(٢) الجديسى ، وكان نجبا من حسان تبع يوم اليمامة^(٣) فلحق بالجبلين ، فقال لطيء : من أدخلكم بلادى وأورثكم عن آبائى ؟ أخرجوا عنها ، وإلا أضربوا^(٤) بيننا وبينكم وقتاً تقتل فيه ، فأينما غلب استحقّ البلد ، فاتعدّا لوقت ، فقال طيء لجندب ابن خارقة بن سعد بن فطرة بن طيء - وأمه جديلة بنت سبيع بن عمرو من حمير وبها يعرفونهم جديلة [طيء^(٥)] وكان طيء لها مؤثرا - فقال لجندب : قاتل عن مكرمك . فقالت أمه الله^(٦) لتتركنّ بئيك وتعرضنّ ابنى للقتل ! فقال طيء : ويحك ، إنما خصصته بذلك . فأبت . فقال طيء لعمرو بن الغوث ابن طيء : عليك يا عمرو الرجل فقاتله . قال عمرو : لا أفعل . وقال هذه الأبيات ، وهو أول من قال الشعر فى طيء بعد طيء فقال طيء : يا بنيّ إنها أكرم دار فى العرب . فقال عمرو : لن أفعل إلا على شرط أن لا يكون لبنى جديلة فى الجبلين نصيب . فقال له طيء : لك شرطك . فأقبل الأسود بن عفّار^(٧)

(١) ش : « أنبأنا » مع أثر تصحيح ظاهر .

(٢) ط : « غفار » بالغين المعجمة ، صوابه فى ش ونوادير المخطوطات

١١٨ : ٢

(٣) الذى فى ياقوت : « وكان نجبا من حسان تبع اليمامة » .

والقصة وردت بمعجمه فى رسم (أجا)

(٤) كذا . والوجه « فاضربوا »

(٥) التكملة من ياقوت . وفى العرب جديلة آخر أبو قبيلة ، وهو

جديلة بن أسد بن ربيعة . تلك امرأة وهذا رجل

(٦) أى والله . وهذه هى الهمزة الناقبة عن واو القسم ، كما فى

حديث : الله الذى لا اله غيره ، وكقول الحجاج فى الحسن البصرى :

« الله ليقومن عبد من العبيد فيقولن كذا وكذا » . انظر الأساليب الانشائية

لعبد السلام هارون ص ١٤٧ والهمع ٢ : ٣٩ . وفى ياقوت : « والله » .

(٧) كذا فى ش . وفى ط : « غفار » .

ومعه قوسٌ من حديد ونُشَاب من حديد ، فقال : يا عمرو إن شئتَ صارعتك ، وإن شئتَ ناضلتك . وإلاّ سأيفتك . فقال عمرو : الصراع أحبُّ إليّ فأكسر قوسك لأكسرها أيضا ونصطريح . وكانت مع عمرو بن الغوث قوسٌ موصولة بزرافين^(١) إذا شاء شدّها وإذا شاء خلعاها ؛ فأهوى بها عمرو فانفتحت الزرافينُ ، واعترض الأسود بقوسه ونشابه فكسرها فلما رأى عمرو ذلك أخذ قوسه فركبها وأوترها وناداه : يا أسود ، استعن بقوسك فالرمي أحبُّ إليّ . فقال الأسود : خدعتني . فقال عمرو : « الحرب خدعة » ، فصارت مثلا . فرماه عمرو فطلق قلبه ، وخلّص الجبلان لطبيّء ، فنزلها بنو الغوث^(٢) ، ونزلت جديلة السهل منهما^(٣) . اهـ .

٢٤٤

وروى (أمن السوية) أى من العدل . والأجنب بالجم والنون : الغريب ، والبعيد ؛ وروى (الأخيب) أى الخائب وأشجّكم : أحزنّكم ، من الشجى وهو الحزن ، وفعله من باب تعب ، وأشجاه : أحزنه . والحيس بفتح المهملة كَبَن وأقيط وسمن وتمر ، يصنع منه طعام . والملاح بكسر الميم : جمع مَلِيح ، يقال قَلِيب مَلِيح أى ماؤه ملح . واتَّخبت بفتح المعجمة وسكون الموحدة : المطمئن من الأرض فيه رمل . والمجذب اسم فاعل من الجذب بفتح الجيم وسكون المهملة : تقيض الخصب بكسر المعجمة . وقوله :

(هذا وجدّكم الصغارُ بعينه . . . البيت)

(١) جمع زرفين ، بكسر الزاي وضمها ، وهى الحلقة . وفى الحديث : « كانت درع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات زرافين ، إذا علقت بزرافينها سترت ، وإذا أرسلت مست الأرض » .

(٢) فى النسختين : « فنزلها » والوجه ما أثبت من ياقوت

(٣) فى النسختين : « منها » ، والتصحيح من ياقوت . وقد نقد ياقوت القصة فى أربعة أمور ، فانظره فى رسم (أجا) .

هو من شواهد س وغيره . والشاهد في رفع الاسم الثاني مع فتح الأول . وذلك إما على إلغاء الثانية ورفع تاليها بالعطف على محل الأولى مع اسمها ، وعلى هذا نخبرها واحد ؛ وإما على تقدير لا الثانية معتداً بها عاملة عمل ليس ، فيكون لكلٍّ من الأولى والثانية خبر يخصها ، لأن خبر الأولى مرفوع وخبر الثانية منصوب .

وهذا مبتدأ ، وخبره الصَّغَارُ بفتح الصاد بمعنى الذلّ . وقوله : وجدكم ، جملة قسميّة معترضة بين المبتدأ والخبر . قال اللخميّ : وأجد هُنا : أبو الأب ، والجد أيضاً : البخت والسعد والعظمة . ويروى : (هذا لعمركم) . وقوله : بعينه ، تأكيد للصَّغَار ، وزيدت الباء كما يقال جاء زيد بعينه ؛ وقيل : حال مؤكدة أى هذا الصغار حقاً . وقال اللخميّ : وبعينه حالٌ من الصَّغَار والعامل فيه ما في (ها) من معنى التنبيه ، أو ما في (ذا) من معنى الإشارة . وذلك : فاعلٌ كان إذ هي تامة ؛ ويجوز أن تكون ناقصة وخبرها محذوف ؛ أى إن كان ذاك مرضياً ، ولا بدّ على الوجه الأول من حذف مضاف ، أى إن كان رضاء ذاك ، ليصحّ المعنى ، لأنه إنما اشترط أنه لا يرضى بذلك الخسف الذي يُطلب منه ؛ وجملة الشرط معترضة بين المعطوف والمعطوف عليه ، وسدّ ما قبل الشرط مسدّ الجواب ، أى إن كان ذلك انتفيت من أمي وأبي . والمشار إليه باسم الإشارة في الموضعين الفعل الذي فعلوه به .

* * *

وأُشَدّ بعده ، وهو الشاهد التاسع والثمانون ، وهو من أبيات س^(١) :

٨٩ (فيها ازدهافُ أيّما ازدهافِ)

(١) سيبويه ١ : ١٨٢ . وانظر اللسان (زهف) وديوان رؤبة

على أنه نصب (أيما) على المصدر أو الحال ، مع أنه لم يذكر صاحب الاسم ولا الموصوف ؛ وهو في غاية الضعف ، والوجه الإتيان في مثله ، وهو رفعه صفة لازدهاف ، لكنّه حمله على المعنى ، لأنه إذا قال فيها ازدهاف فكأنه قال : تزدهف أيما ازدهاف .

قال سيديويه : « فإن قلت : له صوتُ أيما صوت ، أو مثل صوت الحمار ، أوله صوتٌ صوتاً حسناً جاز ؛ زعم ذلك الخليل . ويقوى ذلك أن يونس وعيسى زعما أن رؤبة كان ينشد هذا البيت نصبا » اهـ .

وزعم الجرمي أن نصبه على إضمار تزدهف ، قال : ولا يجوز نصبه بازدهاف ، لأن المصدر لا يعمل في المصدر .

وهذا البيت من أرجوزة طويلة تزيد على ثمانين بيتاً لرؤبة بن العجاج ، يعاتب بها أباه ، منها :

أرجوزة
الشاهد

(إنك لم تُنصف أبا الجحافِ وكان يرضى منك بالإنصافِ
وهو عليك واسع العطفِ غاديك بالنفع وأنت جافِ
عنه ، ولا يخفى الذي تجافى كيف تلومه على الإلطافِ
وأنت لو مُلكتَ بالإتلافِ شبتَ له شوباً من الذعافِ
وهو لأعدائك ذو قِرافِ لا تُعجِّلني الحتفَ ذا الإتلافِ
والدهر إنَّ الدهر ذو ازدلافِ بالمرء ذو عطفٍ وذو انصرافِ)
إلى أن قال :

٢٤٥

(وإن تشكيت من الإسخافِ لم أرَ عطفاً من أبٍ عَطافِ
فليتَ حظي من جَدَاك الضافِ والنفع أن تتركني كفافِ
ليست قُوى حلي بالضعافِ لولا توقُّى على الإشرافِ)

أَقْحَمَنِي فِي النَّفْنَفِ النَّفْنَفِ فِي مِثْلِ مَهْوِيْ هُوَّةِ الْوَصَافِ
قَوْلُكَ أَقْوَالًا مَعَ التَّحْلَافِ فِيهِ ازْدَهَافُ أَيَّمَا ازْدَهَافِ
وَاللَّهُ بَيْنَ الْقَلْبِ وَالْأَضْعَافِ

أَبُو الْجَحَافِ بَفَتْحِ الْجِيمِ وَتَشْدِيدِ الْحَاءِ الْمَهْمَلَةِ : كُنْيَةُ رُؤْبَةِ . وَالْعِطَافِ
بِكسر العين : الرِّدَاءُ ، مَأْخُوذٌ مِنَ الْعُطْفِ وَهُوَ الْمِيلُ وَالْحُبَّةُ . وَغَادِيكَ : مِنْ
الْعُدُوَّةِ وَهُوَ مِنْ أَوَّلِ النَّهَارِ إِلَى الزَّوَالِ ؛ يُقَالُ غَدَا عَلَيْهِ غَدَوًا وَغَدُوًّا بِالضَّمِّ :
إِذَا بَكَرَ ؛ وَغَادَاهُ : بَاكَرَهُ . وَالْجَفْوُ : الِارْتِفَاعُ ، وَالتَّبَاعُدُ ، وَتَقْيِضُ الْوَصْلِ .
وَالِإِلَاطَافِ بِكسر الهمزة : الْبَرُّ ، يُقَالُ أَلْطَفَهُ بِكَذَا أَيْ بَرَّهُ . وَمُلِّكَتِ بِالْبِنَاءِ
لِلْمَفْعُولِ وَتَشْدِيدِ اللَّامِ . وَالشُّوبُ : الْخُلُطُ . وَالدُّعَافُ بضم الذال المعجمة :
السَّمُّ ، وَقِيلَ سَمٌّ سَاعَةً . وَالْقِرَافُ ، بِكسر القاف : الْمَقَارِبَةُ . وَضَمِيرٌ هُوَ الْإِتْلَافُ
أَيْ إِتْلَافِي مَقْرَبٌ لِلْإِعْدَاءِ إِلَيْكَ . وَالْإِزْدِلَافُ : الْإِقْتِرَابُ ، فِي الْحَدِيثِ
« ازْدَلِفُوا إِلَى اللَّهِ بِرَكْعَتَيْنِ » أَيْ تَقَرَّبُوا ، وَأَصْلُ الزُّلْفَةِ الْمَنْزِلَةُ وَالْحُظُوتَةُ .
وَقَوْلُهُ بِالْمَرْءِ ، مُتَعَلِّقٌ بِالْإِزْدِلَافِ وَالْعُطْفِ : الْإِقْبَالُ . وَالْإِنْصِرَافُ : الْإِدْبَارُ .
وَالِإِسْخَافُ بِكسر الهمزة وَبَعْدَ السَّيْنِ الْمَهْمَلَةِ خَاءٌ مَعْجَمَةٌ : رِقَّةٌ الْعَيْشِ . وَسَخْفَةٌ
الْجُوعُ بِالْفَتْحِ : رِقَّتُهُ وَهَزَالُهُ وَالْعُطْفُ : الشَّقَّةُ وَالْعِطَافُ مِبَالِغَةٌ عَاطِفٌ ،
وَالْجَدَى بِفَتْحِ الْجِيمِ وَالْقَصْرِ : الْجَدْوَى ، وَهِيَ الْعَطْيَةُ وَالضَّافِي بِالْمَعْجَمَةِ : الْكَثِيرُ ،
مِنْ ضَفَا الْمَالُ : إِذَا كَثُرَ ؛ أَوْ بِمَعْنَى السَّابِغِ ، يُقَالُ ثَوْبٌ ضَافٌ مِنْ ضَفَا الشَّيْءُ
يُضْفُو ضَفْوًا . وَقَوْلُهُ : وَالنَّفْعُ ، بِالْجَرِّ عِطْفًا عَلَى جَدَاكَ ، وَرَوَى بِدَلِهِ (وَالْفَضْلُ) .
وَقَوْلُهُ : أَنْ تَتَرَكَّنِي كِفَافٌ ، خَبَرِيَّتٌ وَأُورِدَهُ ابْنُ هِشَامٍ فِي الْمَغْنَى عَلَى أَنَّ فِعَالَ
بِنَاؤُهُ عَلَى الْكُسْرِ مَشْهُورٌ فِي الْمَعَارِفِ كَحَدَامٍ لَشَبَّهٍ بِتَزَالِ ، وَقَدْ جَاءَ فِي غَيْرِ
الْمَعَارِفِ وَمِنْهُ هَذَا ، وَالْأَصْلُ كَافًا فَهُوَ حَالٌ أَوْ تَرَكَ كِفَافٌ فَمَصْدَرًا هـ . وَقَوْلُ
الصَّغَانِي فِي الْعِبَابِ : كِفَافٌ فِي هَذَا الْبَيْتِ هُوَ مِنْ قَوْلِهِمْ دَعْنِي كِفَافٌ أَيْ كُفَّ

عنى وأكفُ عنك ، أى تنجو رأساً برأساً هـ ، وعليه فهو اسم فعل قد جاء على بابهِ . والقوى : جمع قوّة ، وهى إحدى طاقات الجبل . والضعاف : جمع ضعيف . والتوقى : التخوّف ، وأصله جعل النفس فى وقاية مما يُخاف . والوقاية : فرط الصيانة ، وقيل حفظ الشيء مما يؤذيه ويضرّه . والإشراف بكسر الهمزة : النفقة ، كذا فى العباب ، أى أنى جلد غير عاجز عن الاكتساب لولا أنى ملازم على خدمتك وحالف على تعظيمك . وأقحنى : أدخلنى ، يقال قحّم فلان بنفسه فى كذا : إذا دخل فيه من روية ، وفاعله هو « قولك » الآتى . والنفنف بنونين كجعفر : المهوى بين جبلين ، وصقّع الجبل الذى كأنه جدارٌ مبنىّ مستويّ والنفناف بمعناه ، جعل وصفاً له بمعنى الصعب والشديد . وقوله فى مثل مهوى الخ ، بدل من قوله فى النفنف . والمهوى ومثله المهواة بمعنى المسقط : اسم مكان من هوى بالفتح يهوى بالكسر هُويّاً بضم الهاء وكسر الواو وتشديد الياء ، ويقال لما بين الجبلين ونحوه أيضاً مهوى ، والهوة بضم بضم الهاء وتشديد الواو : الوهدة العميقة . و « الوصّاف » بفتح الواو وتشديد الصاد المهملة : رجل من سادات العرب اسمه مالك بن عامر بن كعب بن سعد ابن ضبيعة بن عجل بن لجيم ، وسمّى الوصّافَ لحديث له (١) ، قال أبو محمد الأعرابي : هوة الوصّاف فى شعر رؤية . دحل بالحزن لبني الوصّاف من بني عجل ، وهوة الوصّاف مثلٌ فى العرب يستعملونه فى الداء على الإنسان ، يقال كبّه الله فى هوة ابن الوصّاف : وقولك : فاعل أقحنى . وأقوالا : جمع قول بمعنى القول . والتّحلاف بفتح التاء : مصدر بمعنى الحلف ، يقول : إن أقوالك الكاذبة المؤكدة بالآيمان الباطلة غرّتنى حتّى أوقعتنى فى الشدائد والمهلك . وقوله : فيه ، أى فى قولك ، أو فى التحلاف ، وروى (فيها) أى فى الأقوال .

٢٤٦

(١) انظر تعليل تسميته بذلك فى الاشتقاق ٣٤٥

في العباب : وازدهفه : استخفه ، وفيه ازدهاف أى استعجال وتحمم ، زاد في القاموس : « وتزيد في الكلام » ، يريد أن كلامه يستخف العقول . وأى هذه الدالة على معنى الكلام ، وإذا وقعت بعد النكرة كانت صفة لها ، وبعد المعرفة كانت حالاً منها ؛ لكنها نُصبت هنا على المصدرية ، ويمجوز رفعها على الوصفية ، وما زائدة . والله مبتدأ والظرف خبره . والأضعاف : أعضاء الجسد جمع ضعف بالكسر . أى إن الله عالم بما في الضمائر ولا يخفى عليه ما تضره لى .

والسبب في عتاب رؤية أباه : مارواه الأصمى قال : قال رؤية : خرجت مع أبى نريد (١) سليمان بن عبد الملك ، فلما سرنا بعض الطريق (٢) قال لى . أبوك راجز (٣) وأنت مفحم . قلت . أفأقول ؟ قال : نعم . فقلت أرجوزة (٤) . فلما سمعها قال لى . اسكت فض الله فاك . فلما وصلنا إلى سليمان أنشدته أرجوزتى ، فأمر له بعشرة آلاف درهم ، فلما خرجنا من عنده قلت له : أتسكتنى وتنشده أرجوزتى ؟ فقال : اسكت ويلك ! فإني أرجز الناس . فالتست منه أن يعطينى نصيباً مما أخذه بشمرى ، فأبى فتنابدته (٥) فقال .

لظالما أجرى أبو الجحاف لبيشة بعيدة الأطراف
يأتى على الأهلين والألأف سرهفته ماشئت من سرهاف
حتى إذا ما أض ذا أعراف كالكوذن المشدود بالإكاف

(١) فى النسختين : « يريد » . وفى شرح شواهد المغنى ٣٢٣ : « أريد » .

(٢) عند السيوطى : « فلما صرنا ببعض الطريق »

(٣) بعده فى السيوطى : « وجدك راجز » .

(٤) هى أرجوزة :

كم قد حسرنا من علاة عنس
كما فى السيوطى .

(٥) ط : « فتنابدته » ، صوابه فى ش والسيوطى

قال : الذى عندك لى صرافٍ مِن غير ما كسب ولا احترافٍ
فأجبتة بهذه الأرجوزة .

وفى كتاب (مناقب الشبان وتقديهم على ذوى الأسنان (١)) كان رؤية
يرعى إبل أبيه حتى بلغ ، وهو لا يقرض الشعر ، فتزوج أبوه امرأة تسمى
عقرب ، فعادت رؤية ، وكانت تقسم إبله على أولادها الصغار ، فقال رؤية :
ما هم بأحقّ مني لها ! إني لأقاتل عنها السنين وأنتجع [بها (٢)] الغيث .
فقال عقرب للعجاج أسمعُ هذا وأنت حتى أفكيف بنا بعدك ؟ فخرج
فزيره وصاح به وقال له : اتبع إبلك ، ثم قال :

٢٤٧

لطالما أجرى أبو الجحّاف في فرقة طويلة التجاف
لما رآني أُرِعتُ أطرافي استعجلَ الدهر وفيه كافي
يخترم الإلف مع الألف

في أبيات . فأنشده رؤية يجيبه :

إنك لم تنصف أبا الجحّاف وكان يرضى منك بالإنصاف
وهو عليك دائم التعطف

هكذا روى هذين الوجهين السيوطي في شرح شواهد المغني .

وقوله « لطالما أجرى أبو الجحّاف » أجرى : أرسل جرياً بفتح الجيم

(١) لم يرد في غير هذا الموضع من الحزانة ، وذكره السيوطي
مرة أخرى في شرح شواهد المغني ٢٧٢ ولم يذكر مؤلفه كذلك وقال :
« وهو كتاب ذكر مؤلفه في خطبته انه ألفه للخليفة جعفر المقتدر ، لانه
تولى الخلافة وسنه ثلاث عشرة سنة ، ولم يل الخلافة قبله أصغر سنا
منه » . وقد ولي المقتدر الخلافة سنة ٢٩٥ وخلع سنة ٢٩٦ ثم عاد الى
الخلافة وظل بها الى أن خلع ثانية سنة ٣١٧ . فالكتاب قديم كما رأيت ،
وهو مجهول مؤلفه .

(٢) التكملة من شرح شواهد المغني للسيوطي ٣٢٤ . وقد نقل
البغدادي منه هذا النص وسابقه كما سيصرح بذلك

وتشديد الياء - وهو الرسول ، والأجير ، والوكيل - ومفعوله محذوف أى أجرائى ، يقول طالما استخدمنى فى صفه . والهيئة : التهيؤ ، يقال هاء للأمر يهاء ويهسى : إذا أخذ له هيئة كتهيأ له ، وهىأه تهيئة : أصلحه . والالآف بضم الهمزة وتشديد اللام : جمع آلف كمال جمع عامل والسرهفة : نعمة الغذاء بفتح النون ، يقال سرهفت الصبي وسرعفته : إذا أحسنتَ غذاءه ، والسرهاد بالكسر . وروى : سر عافته ماشئت من سر عاف .

وأض بمعنى صار . والأعراف : جمع عُرف الفرس . والكودن : الفرس المحجين ، والبرذون ، والبغل . والإكاف : البرذعة . وهذه صفات ذم له ، يريد أنه حتى صار رجلاً ذا لحية وصراف : اسم فعل أمر بمعنى اصرف .

وقوله فى الوجه الثانى :

استعجلَ الدهرَ وفيه كفى

كقول الآخر :

* تعينُ علىَّ الدهرَ والدهرُ مُكْتَفٍ *

وقول كسرى : « إذا أدبر الدهرُ عن قوم كفى عدوهم (١) » .
وترجمة رؤية تقدمت فى الشاهد الخامس أوّل الكتاب (٢) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التسعون ، وهو من شواهد سيبويه (٣) :

(١) هذه المقارنة لصاحب كتاب « مناقب الشبان » ولم يعزها اليه

البغدادى .

(٢) انظر ص ٨٩ من الجزء الاول فى أقسام التنوين .

(٣) سيبويه ١ : ١٩٠ . وانظر أيضا الخزانة ٤ : ١٥ وابن يعيش

١ : ١١٦ والأغانى ١٨ : ١٩٥ ، ١٩٦ والعقد ٤ : ٣٦٣

٩٠ (إِنِّي لَأَمْنَحُكَ الصُّدُودَ وَإِنِّي قَسَمًا إِلَيْكَ مَعَ الصُّدُودِ لِأَمِيلَ)

على أن (قَسَمًا) تأكيد للحاصل من الكلام السابق بسبب إن واللام ،
يعنى أن قَسَمًا تأكيد لما في قوله : وإِنِّي مع الصدود لِأَمِيلَ إِلَيْكَ : من معنى
القسم ، لما فيه من التحقيق والتأكيد من إن ولام التأكيد ، فلما كان
في الجملة منهما تحقيق والقسم أيضاً تحقيق صار كأنه قال : أقسم قسماً .

وقال ابن خلف : الشاهد فيه أنه جعل قسماً تأكيداً لقوله : وإِنِّي إِلَيْكَ
لَأَمِيلَ ، وقوله وإِنِّي إِلَيْكَ لِأَمِيلُ جوابُ قسم ، فجعل قسماً تأكيداً لما هو
قسم . وروى أبو الحسن : (أصبحت أَمْنَحُكَ) كأنه قال : أصبحت أَمْنَحُكَ
الصدود ووالله إِنِّي إِلَيْكَ لِأَمِيلَ . وهم يحذفون اليين وهم يريدونها ويقون
جوابها هـ .

وفيه نظر من وجهين : الأول أن الجملة ليست جواب قسم محذوف .
والثاني : أن المؤكِّد لا يحذف .

وجعل ابن السراج في الأصول التوكيد من جهة الاعتراض فقال :
« قوله قَسَمًا اعتراض ، وجملة هذا الذي يحىء معترضاً إنما يكون تأكيداً
للشئ أو لدفعه ، لأنه بمنزلة الصفة في الفائدة يوضح عن الشئ ويؤكدده » .

٢٤٨

وقال ابن جني في إعراب الحماسة : « انتصاب قسم ، لا يخلو أن يكون
بما تقدم من قوله إِنِّي لَأَمْنَحُكَ الصُّدُودَ ، أو من جملة إِنِّي إِلَيْكَ لِأَمِيلَ .
ولا يجوز الأول من حيث كان في ذلك الحكم ، لجواز الفصل بين اسم إن
وخبرها بعمول جملة أخرى أُجْنِيَّ عَنْهَا ؛ فثبت بذلك أنه من الجملة الثانية
وأنه منصوب بفعل محذوف دلّ عليه قوله : وإِنِّي إِلَيْكَ لِأَمِيلَ ، أى أقسم

قسماً ، وأضر هذا الفعل ، وإنما سبق الجزء الأول من الجملة الثانية وهو اسم إن ؛ وهذا واضح « اهـ .

وهذا البيت من قصيدة للأخوص الأنصارى ، يمدح بها عمر بن قصيدة الشاهد عبد العزيز الأموى . وأولها :

(يا بيتَ عاتكةَ الذي أتَعَزَّلُ حَذَرَ العِدَا وبه الفؤادُ موَكَّلُ
إني لأمنحك الصدودَ وإننى البيت
ولقد نزلتَ من الفؤاد بمنزِلٍ ما كان غيرُك والأمانةُ يَنزِلُ
ولقد شكوتُ إليك بعضَ صَبَابتى ولَمَّا كُتِمْتُ من الصبابة أطولُ (١)
هل عيشنا بك فى زمانك راجعُ فلقد تَفَحَّشَ بعدك التملُّ
فصدتُ عنك وما صدتُ لِبَغِضَةٍ أخشى مَقالةَ كاشحٍ لا يَفْعُلُ (٢)
ولو أن ما عَاجَلْتُ لَينَ فؤادِهِ فقساً استَليَنَ به للان الجندلُ
ولئن صدتُ لأنتِ ، لولا رِقبتى أشهى من اللأى أزورُ وأدخلُ
وتنجبى بيتَ الحبيب أحبه أرضى البغيض به حديثُ مُعْضَلُ

وقال فى آخرها يخاطب عمر بن عبد العزيز رحمه الله :

(وأراك تفعل ما تقول ، وبعضهم مَذِقُ الحديثِ يقول ما لا يفْعُلُ
وأرى المدينةَ حين كنتَ أميرَها أَمِنَ البرى بها ونام الأعزلُ)
وهذا آخر القصيدة .

(١) فى النسختين : « ولقد كتبت » ، والتصحيح للاستاذ الميمنى ،

ولم يرد البيت فى قصيدته بالأغاني ١٨ : ١٩٦

(٢) فى الأغاني : « لا يعقل » .

وعاتكة هي بنت يزيد بن معاوية^(١) وكانت ممن يشبب بها من النساء .
 وقوله : أتعزل ، بالعين المهملة أى أتجنبه وأكون عنه بمعزل . وقوله : وبه
 الفؤاد موكل من وكلته بأمر كذا : فوضته إليه . وقوله : إني لأمنحك
 الصدود . . إلخ ، يريد أنه يظهر هجر هذا البيت ومن فيه وهو محب لهم
 خوفا من أعدائه . والواو فى قوله : والأمانة ، واو القسم . وتفحش : من
 فحش الشيء فحشا مثل قبح قبحاً وزناً ومعنى . والمتعلل اسم مفعول من تعلل
 بالشيء : إذا تلهى به ، وعلة بالشيء إذا ألهاه به كما يعمل الصبي بشيء من
 الطعام عن اللبن ، يقال فلان يعمل نفسه بتعلة . وجلة قوله : أخشى مقالة
 كاشح ، استئناف بىأنى . ويغفل من باب نصر ينصر .

وقوله : ولو أن ما عالجت . . إلخ ، ضمير فؤاده عائد للكاشح - وهذا
 البيت من أبيات معنى اللبيب^(٢) - وهو بنقل فتحة الألف إلى واو لو ، وما :
 موصولة اسم أن ، وعالجت صلة والعائد محذوف أى به ، وجلة استلین بالبناء
 للمفعول خبر لأن ، والجنل نائب الفاعل ، ولان جواب لو وفاعله ضمير
 الجنل ، وقسا : عطف على الصلة بالفاء وهو خالٍ عن الربط لأن ضميره عائد
 إلى الفؤاد ، ولما كان فى الفاء معنى السببية اكفى من الجملتين بضمير واحد
 وهو المجرور المحذوف ، وحذفت به الأولى من الصلة اكتفاء به الثانية ،
 وهو محل الشاهد فى المعنى .

٢٤٩

(١) وفى الأغاني أنها عاتكة بنت عبد الله بن يزيد بن معاوية .
 وفى الوفيات فى ترجمة الربيع بن يونس أنها عاتكة بنت عبد الله بن يزيد
 ابن معاوية بن [أبى سفيان الأموى . وكذا فى الأغاني ١٨ : ١٩٨ وفيه
 أيضا أن عاتكة التى ينسب بها ليست عاتكة بنت عبد الله بن يزيد بن
 معاوية ، وإنما هو رجل كان ينزل قرى بين الأشراف ، كنى عنها بعاتكة .
 (٢) انظر شرح شواهد المعنى ٢٨١

وقوله لولا رِقْبَتِي ، هو بكسر الراء اسم من المراقبة بمعنى الخوف .

والبيت الأول قد عرّض به بعض المديّنين لأبي جعفر المنصور ، قال المديّني (١) : لما حجّ المنصور قال للربيع : أبغني قتيّ من أهل المدينة أديباً ظريفاً عالماً بقديم ديارها ورسوم آثارها ، فقد بعد عهدي بديار قومي وأريدُ الوقوفَ عليها . فالتمس له الربيع قتيّ أعلمَ الناس بالمدينة ، وأفهمهم بظريف الأخبار وشريف الأشعار ، فمجب به المنصور ، وكان يسايرهُ أحسن مسaire ، ومحاضره أزين محاضرة ، ولا يتدنه بخطاب ، إلّا على وجه الجواب . فإذا سأله أتى بأوضح دلالة ، وأفصح مقالة . فاعجب به المنصور غاية الإعجاب وقال للربيع : ادفع إليه عشرة آلاف درهم . وكان الفتى مُملقاً مضطراً - فتشاغل الربيع عن القضاء ، واضطرته الحاجة إلى الاقتضاء ، وقيل قال له الربيع : لا بدّ من معاودته وإن أحببتَ دفعتُ إليك سلفاً من عندي حتّى أعاودَه فيما أمرَ لك . فأبقى ذلك حتّى إذا كان في بعض الليالي قال عند منصرفه مبتدئاً : وهذه الدارُ يا أمير المؤمنين دارُ عاتكة التي يقول فيها الأحوص :

* يا بيت عاتكة الذي أتعرّول *

ثم سكت فأنكر المنصور هذا من حاله ، وفكّر في أمره فعرض الشعر على نفسه فإذا فيه :

وأراك تفعل ما تقول ، وبعضهم مَذِقُ الحديث يقول . لا يفعلُ

فقال للربيع : أدفعتُ للرجل ما أمرنا له به ؟ قال : لا ، يا أمير المؤمنين . قال : فليُدفعْ إليه مضاعفاً .

(١) انظر الأغاني ١٨ : ٢٠٠ وجمع الجواهر ٧٠ والسمط ٢٥٩

وهذا أحسن إفهام من الفتى وأحسن فهمٍ من المنصور . ولم يسمع في التعريض بألف منه .

ولقول الأحوص سببٌ ذكره عبد الله بن عبيدة بن عمّار بن ياسر^(١) قال : خرجتُ أنا والأحوص بن محمد ، مع عبد الله بن الحسن بن الحسن ابن علي بن أبي طالب رضى الله عنه إلى الحج ؛ فلما كنا بقَدِيد^(٢) قلنا لعبد الله ابن الحسن : لو أرسلت إلى سليمان بن أبي دُبَاكِيل الخزاعي فأنشدنا من رقيق شعره فأرسل إليه . فأنشدنا قصيدة له يقول فيها :

(يا بَيْتَ خنساء الذى أتجنّب	ذهبَ الزمانُ وحبّها لا يذهبُ)
أصبحتُ أُنمّنك الصّدود وإننى	قسماً إليك مع الصّدود لأجنبُ
مالى أحنّ إلى جمالك قرّبتُ ^(٣)	وأصدّعتك وأنت مَنى أقربُ
لله درّك ! هل لديك مُعَوّل	لننمّ أم هل لودّك مُطلب !
فلقد رأيتك قبل ذاك وإننى	لموكل بهواك لو يُستجَنّب ^(٤)
إذن نحن فى الزمن الرخى ^(٥) وأنتم	متجاوزون كلامكم لا يرقب ^(٦)
تبكى الحمامة شجوهاً فيهيّجنى	ويروح عازبٌ همى المتأوّب ^(٧)
وتهبُّ سارية الرياح من أرضكم	فأرى البلاد بها تطلّ وتجنّب ^(٨)

(١) انظر جمع الجواهر للحصرى ٧١ - ٧٢ والأغاني ١٨ : ١٩٥ .

(٢) قديد ، بهيئة التصغير : موضع قرب مكة

(٣) ط : « قرّبه » ، صوابه فى ش والأغاني وجمع الجواهر .

(٤) فى النسختين : « لو متجنّب » ، وأثبت ما فى جمع الجواهر وفى الأغاني : « أو يتقرب » .

(٥) فى الأغاني : « الزمن الرخاء » . وفى الجمع « الرخى »

(٦) فى النسختين : « متجاوزون » صوابه فى الأغاني وجمع الجواهر . وفى الأغاني : « طلائع لا يرقب » وفى جمع الجواهر : « كلاهما » .

(٧) أى فيهيّجنى بكاءها ، وفى الأغاني والجمع : « فتهيّجنى »

(٨) فى النسختين : « يطل » صوابه فى الجمع والأغاني وتجنّب :

تصيبها الجنوب ، وهى رياح معها مطر كما فى الأزمنة ٢ : ٨٣ . وفى

النسختين « يجنب » تحريف . وفى الأغاني والجمع : « وتخصب » .

٢٥٠

وأرى السَّمِيَّةَ بِاسْمِكُمْ فَيَزِيدُنِي شَوْقًا إِلَيْكَ سَمِيكَِ الْمَتَغَرَّبِ
وأرى الصَّدِيقَ يُوَدُّكُمْ فَأُوَدُّهُ إِنَّ كَانَ يَنْسَبُ مِنْكَ أَوْ يَنْسَبُ^(١)
وَأَخْلَقُ الْوَاشِينَ فِيكَ تَجْمَلًا وَهُمْ عَلَى ذَوِوِ ضَعْفَانِ دُؤْبٌ^(٢)
ثُمَّ اتَّخَذْتَهُمْ عَلَى وَلِيَجَةً حَتَّى غَضِبْتُ وَمِثْلَ ذَلِكَ يُغَضِبُ

فلما كان من قابل حجَّ أبو بكر بن عبد العزيز ؛ فلما مرَّ بالمدينة دخل عليه الأحوص بن محمد فاستصحبه ، ففعل . فلما خرج الأحوص قال له بعض من عنده : ما تريد بنفسك ؟ تقدّم الشام بالأحوص وفيها من ينفُسك من بنى أبيك ، وهو من السَّفَه على ما علمت ! فلما رجع أبو بكر من الحجَّ دخل عليه الأحوص منتعِزًا ما وعده من الصَّحْبَةِ . فدعا له بمائة دينار وأثواب ، وقال : يا خال إني نظرت فيما ضمنت لك من الصَّحَابَةِ ، فكرهت أن أهجُم بك على أمير المؤمنين . فقال الأحوص : لا حاجة لي بعطيتك ، ولكني سُبِعت عندك^(٣) . ثم خرج فأرسل عمر بن عبد العزيز إلى الأحوص وهو أمير المدينة ؛ فلما دخل عليه أعطاه مائة دينار وكساه ثيابًا ، ثم قال : يا خال هب لي عرض أخى^(٤) . قال : هو لك . ثم خرج الأحوص وهو يقول في عروض قصيدة سليمان المذكورة ، يمدح عمر بن عبد العزيز :

يَا بَيْتَ عَاتِكَةِ الَّذِي أَتَعَزَّلُ حَذَرَ الْعِدَا وَبِهِ الْفُؤَادُ مَوْكَلُ

(١) وكذا في جمع الجواهر . وفي الأغاني : « أولا ينسب » .

(٢) في الأغاني وجمع الجواهر : « وأحالف الواشين »

(٣) سَبَّحَهُ : انتقصه وعابه . وفي ط : « شُبِعت » صوابه في ش . وفي جمع الجواهر : « سُبِعت عندك » وضبطت فيه بضم السين . وفي الأغاني : « لا ولكن قد سُبِقت عندك » .

(٤) وكذا في جمع الجواهر . وفي الأغاني ١٨ : ١٩٦ : « يا أخى هب لي عرض أبى بكر » .

حتى انتهى إلى قوله :

فسموتَ عن أخلاقهم فتركهم -لنداك ، إن الحازمَ المتوكلُ
ووعدتني في حاجتي فصدقني ووفيت إذ كذبوا الحديث وبدلوا
ولقد بدأت أريد ودَّ معاشر وعدوا مواعداً أخلفت إذ حصّلوا
حتى إذا رجع اليقين مطامعي يأساً ، وأخلفني الذين أوّملُ
زائلتُ ماصنعوا إليك برحلة عَجَلُ ، وعندك منهم المتحولُ^(١)
وأراك تفعلُ ما تقولُ ، وبعضهم مذيق الحديث يقول مالا يفعل

فقال له عمر بن عبد العزيز : ما أراك أعفيتني مما استغفيتك !

والأحوص^(٢) وإن أغار على قصيدة سليمان ، فقد أربى عليه
في الإحسان ، وكان كما قال ابن المرزبان وقد أنشد لابن المعتز قصيدته
في مناقضة ابن طَباطِبا العَلوى التى أولها :

دَعُوا الأسدَ تَكُنْ غَابِهَا ولا تَدْخُلُوا بين أنيابه
وقال : أخذه من قول بعض العباسيين المتقدمين :

دعوا الأسدَ تَكُنْ أغيالها ولا تَقْرَبُوها وأشباهها
ولكنه أخذه ساجاً ، وردّه عاجاً . وغلّ قطيفة ، وردّ درياجا .

والمذيق بكسر الذال المعجمة : من يخلط بكلامه كذباً ، من مذقت اللبن
والشراب من باب قتل : إذا مزجته وخلطته .

عائكة بنت يزيد و (عائكة بنت يزيد) المذكورة هي زوجة عبد الملك بن مروان ، وكان

(١) الأغاني : « عنهم متحول » . وفي الجمع : « عنهم المتحول »

(٢) هذا الكلام التالى من جمع الجواهر أيضاً ولم يرد فى الأغاني .

وأورده المصرى أيضاً فى زهر الآداب ٧٧٩

شديد المحبة لها ، فغاضبته فى بعض الأمور وسدت الباب الذى بينها وبينه ، فساءه ذلك وتعاظمه وشكاه إلى من يأنس به من خاصته ؛ فقال له عمر بن بلال الأسدى : إن أنا أرضيتها لك حتى ترضى فما الثواب ؟ قال : حُكْمُكَ . فأتى إلى بابها وقد مَرَّق ثوبه وسوَّده ، فاستأذن عليها وقال : الأمر الذى أتيْتُ فيه (١) عظيم ؛ فأدخل لوقته فرمى بنفسه وبكى . فقالت : مالك يا عم ؟ قال : لى ولدان هما من المبرَّة والإحسان إلىَّ فى غاية ، وقد عدا أحدهما على أخيه فقتله وفجئنى به ، فاحتسبته وقلت : يبق لى ولد أتسلى به ؛ فأخذه أمير المؤمنين وقال : لا بد من القود ، وإلا فالناس يجترئون على القتل ! وهو قاتله إلا أن يغينى الله بك ، ففتحت الباب ودخلت على عبد الملك وأكبت على البساط تقبله وتقول : يا أمير المؤمنين ، قد تعلم فضلَ عمر بن بلال ، وقد عزمت على قتل ابنه فشغفنى فيه . قال عبد الملك : ما كنت بالذى أفعل : فأقبلت فى الضراعة والخضوع حتى وعدھا العفو عنه — وصلح ما بينهما ووفى لعمر بما وعده به .

كلُّ هذا من (كتاب الجواهر فى الملح والنوادر) تأليف أبى إسحاق إبراهيم بن على المعروف بالحصرى صاحب زهر الآداب .

وترجمة الأحوص تقدمت فى الشاهد الخامس والثمانين (٢)

* * *

وأنشد بعده — وهو الشاهد الحادى والتسعون — قول أبى طالب عم النبي صلى الله عليه وسلم (٣) :

(١) فى جمع الجواهر : « الذى جئت فيه »

(٢) أنظر ما سبق فى ص ١٥ وما بعدها من هذا الجزء .

(٣) ديوانه ورقة ٤ نسخة الشنقيطى .

٩١ (إِذْنٌ لَا تَبْعَنَاهُ عَلَى كُلِّ حَالَةٍ مِنْ الدَّهْرِ جِدًّا غَيْرَ قَوْلِ التَّهَازُلِ)

على أَنَّ المصدر المؤكد لغيره يكون في الحقيقة مؤكداً لنفسه ، لأنه إمام مع صريح القول كقوله تعالى : (ذَلِكَ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ) ، أو ما هو في معنى القول كما في هذا البيت ، فإن قوله (جِدًّا) مصدر مؤكد لما يحتمل غيره ، فإنَّ قوله (اتبعناه) يحتمل أن يكون قاله على سبيل الجِدِّ وهو المفهوم من اللفظ ، وأن يكون قاله على طريق الهزل وهو احتمال عقلي . فأكد المعنى الأول بما هو في معنى القول ، لأنه أراد به : قولاً جِدًّا ، والقرينة عليه ما بعده ، فإنَّ قول التهازل يقابل قول الجِدِّ ، فكان الأولى أن يقول : قول جِدًّا بالإضافة ليناسب ما بعده ، فيكون لما حذف المضاف أعرب المضاف إليه بإعرابه .

و (غير) بالنصب صفة لقوله جِدًّا ، ولا تضر بالإضافة إلى المعرفة فإنها متمكنة في الإيهام لا تتعرَّف . وزعم ابن السراج أنَّ غيراً إذا وقعت بين ضدين كما هنا اكتسبت التعريف من الإضافة . ويردُّه قوله تعالى (نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلْ) وإن زعم أنها في مثل هذا بدل ، يردُّه أن غيراً وضعت للوصف ، والبدل بالوصف ضعيف . و (التهازل) بمعنى الهزل ، فإنَّ تفاعل قد يأتي بمعنى فعل ، كتوانيت بمعنى ونيت ، لكنَّه أبلغ من المجرد . وقوله : (إِذْنٌ لَا تَبْعَنَاهُ) جواب قسم في بيت قبله وهو :

(فَوَاللَّهِ لَوْلَا أَنْ أَجِءَ بِسُبَّةٍ تَجِرُ عَلَى أَشْيَاخِنَا فِي الْقَبَائِلِ)

والضمير المنصوب في اتبعناه راجع للنبي صلى الله عليه وسلم . وروى (لَكُنَّا اتبعناه) . والسُّبَّة بضم السين ، يقال صار عليه هذا الأمر سُبَّة

أى عاراً يُسب به . وتُجرّ : بفتح الجيم [مضارعُ جرّ^(١)] ، من جرّ عليهم جريرة أى جنى عليهم جناية . وفى بمعنى بين .

٢٥٢

والبيتان من قصيدة طويلة تزيد على مائة بيت لأبى طالب عاذ فيها بحرم مكة وبمكانه منها ، وتودّد فيها إلى اشراف قومه ، وأخبر قريشاً أنه غير مُسلمٍ محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم لأحدٍ أبداً حتّى يهلك دونه ؛ ومدحه فيها أيضاً . وقالها فى الشّعب لما اعتزل مع بنى هاشم وبنى عبد المطلب^(٢) قريشاً .

وسبب دخوله الشّعب : أن كفار قريش اتفق رأيهم على قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا : قد أفسد أبناءنا ونساءنا . فقالوا لقومه : خذوا مِنّا ديةً مضاعفةً ، ويقتله رجل من غير قريش ، وتريجوننا وتريجون أنفسكم ! فأبى بنو هاشم من ذلك ، وظاهرهم بنو عبد المطلب . فاجتمع المشركون من قريش على منابذتهم وإخراجهم من مكة إلى الشّعب . فلما دخلوا الشعب أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان بمكة من المؤمنين أن يخرجوا إلى أرض الحبشة ، وكانت متجراً لقريش ؛ وكان يُثنى على النجاشى بأنّه لا يُظلم عنده أحد . فانطلق عامّة من آمن بالله ورسوله إلى الحبشة ، ودخل بنو هاشم وبنو عبد المطلب الشّعب مؤمنهم وكافهم : فالؤمن ديناً ، والكافرُ حمية . فلما عرفت قريش أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد منعه قومه ، أجمعوا على أن لا يبايعوه ولا يدخلوا إليهم شيئاً من الرّق^(٣) ، وقطعوا عنهم الأسواق ، ولم يتركوا

(١) التكملة من ط

(٢) فى حواشى ش بخط ناسخها : « قوله بنو عبد المطلب كذا فى جميع النسخ التى وقفنا عليها ، والصواب بنو المطلب بدون عبد ، لأن بنى عبد المطلب من بنى هاشم وأما بنو المطلب فليسوا من بنى هاشم لأن المطلب أخو هاشم »

(٣) الرّفق ، بالكسر ، والمرفق كمنبر ومجلس ومقعد : ما يستعان به .

طعاماً ولا إداماً إلاّ بادروا إليه واشتروه ، ولا ينا كحوم ولا يقبلوا منهم صلحاً أبداً ، ولا تأخذهم بهم رافة حتّى يسلموا رسول الله صلى الله عليه وسلم للقتل ، وكتبوا بذلك صحيفةً وعلّقوها في الكعبة ، وتنادوا على العمل بما فيها من ذلك ثلاث سنين . فاشتدّ البلاء على بنى هاشم ومن معهم ، فأجمعوا على تقض ماتعاهدوا عليه من الغدروا البراءة ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي طالب : يا عمّ ، إنّ ربّي قد سلّط الأرضة على صحيفة قريش فليحسّها ، إلاّ ما كان اسماً لله فأبقته . قال : أربك أخبرك بهذا ؟ قال : نعم قال : فوالله ما يدخل عليك أحد ! ثم خرج إلى قريش فقال : يا معشر قريش ، إنّ ابن أخى أخبرنى ولم يكذبنى أن هذه الصحيفة التى فى أيديكم قد بعث الله عليها دابةً فليحس ما فيها فإن كان كما يقول فأفيقوا ، فلا والله لا نسلمه حتى نموت ، وإن كان يقول باطلاً دفعناه إليكم . فقالوا : قد رضينا . ففتحوا الصحيفة فوجدوها كما أخبر به ﷺ ، وقالوا : هذا سحر ابن أخيك ! وزادهم ذلك بغياً وعدواناً . فقال أبو طالب : يا معشر قريش ، علّامٌ نحصر ونحبس ؟ وقد بان الأمر وتبين أنكم أهل الظلم والقطيعة ! ثم دخل هو وأصحابه بين أستار الكعبة وقال : اللهم انصرنا على من ظلمنا وقطع أرحامنا واستحلّ ما يحرم عليه منّا . ثم انصرف إلى الشعب وقال هذه القصيدة . قال ابن كثير^(١) : هى قصيدة بليغة جداً ، لا يستطيع أن يقولها إلا من نسبت إليه ، وهى أخل من المعلقة السبع وأبلغ فى تأدية المعنى .

وقد أحببت أن أورد هنا منتخباً مشروحةً بشرح يوفى المعنى ، محبة فى النبي ﷺ ، وهى هذه^(٢) :

(١) البداية والنهاية ٣ : ٥٧ .

(٢) القصيدة فى أول ديوانه نسخة الشنقيطى والسيرة ١٧٢ والروض الأنف ١ : ١٧٣ وابن كثير فى البداية والنهاية ٣ : ٥٣ . فيها يقول ابن سلام فى الطبقات ٢٠٤ : « وكان أبو طالب شاعراً جيد الكلام ، وأبرع ما قال قصيدته التى مدح فيها النبى صلى الله عليه وسلم ، وهى =

(خليلى ما أذنى لأول عاذل بصغواء فى حق ولا عند باطل)

بصغواء : خبر ما النافية وهى حجازية ولذا زيدت الباء . والصغواء : الميل .
وأصغيت إلى فلان : إذا ملت بسمعك نحوه . ولأول عاذل : متعلق بصغواء
وفى حق متعلق بعاذل ، أى لا أمل بأذنى لأول عاذل فى الحق ، وإنما قيد
العاذل بالأول لأنه إذا لم يقبل عذل العاذل الأول فمن باب أولى أن لا يقبل
عذل العاذل الثانى ، فإن النفس إذا كانت خالية الذهن فى الغالب أن يستقر
فيها أول ما يرد عليها .

(خليلى إن رأى ليس بشركة ولا نهنة عند الأمور البلبال)

أراد أن رأى الجيد يكون بمشاركة العقلاء ، فإن لم يتشاركوا : بأن كانوا
متباغضين لم ينتج شيئا - والرأى ما لم يتخمر فى العقول كان فطيرا . والنهنة
بنونين وهاءين كجعفر : المضى والنير الشفاف الذى يظهر الأشياء على جليتها ؟
وأصله الثوب الرقيق النسج ، ومن شأنه أن لا يمنع النظر إلى ما وراءه ، وهو
معطوف على شركة . والبلبال إما جمع بلبلة بفتح الباءين ، أو جمع بلبال
بفتحهما ، وهما بمعنى الهم ووساوس الصدر ، كزلازل جمع زلزلة وزلازل
بالفتح ، وهو إما على حذف مضاف أى ذات البلبال ، أو إنها بدل
من الأمور .

(ولما رأيت القوم لاودّ عندهم وقد قطعوا كل العرى والوسائل

= وَأَيُّضُ يُسْتَسْقَى الْعَامُ بَوَجْهِهِ رَبِيعُ الْيَتَامَى عِصْمَةٌ لِلْأَرْامِلِ
وقد زيد فيها وطولت . رأيت فى كتاب كتبه يوسف بن سعد صاحبنا ، منذ
أكثر من مائة سنة ؛ وقد علمت أن قد زاد الناس فيها فلا أدري أين منتهاها .
وسألنى الأصمعى عنها فقلت : صحيحة جيدة . قال : أتدري أين منتهاها ؟
قلت : لا أدري .

ونص ابن سلام محرف غير معقول ، أن يصاحب من ألف كتابا منذ
أكثر من مائة سنة ، ولعل صوابه « وهى أكثر من مائة بيت » .

أراد بالقوم كفارَ قريش . والعرا : جمع عُروة ، وهي معروفة ، وأراد بها هنا ما يُتَمَسَّك به من العهود مجازاً مرسلًا . والوسائل : جمع وسيلة وهي ما يتقرب به .

(وقد صارحونا بالعداوة والأذى ' وقد طأوعوا أمر العدو المزايل)
 صارحونا : كاشفونا بالعداوة صريحًا - والصراحة وإن كانت لازمة لكنها لما نقلت إلى باب المفاعلة تعدت . والمزايل : اسم فاعل من زايله مُزَايَلَةٌ وزِيَالًا : فارقَه وباینَه - وإنما يكون العدو مفارقًا إذا صرح بالعداوة فلا تمكّن العشرة . ومن قال : المزايل : المعالج ، وظنه من المزاولة لم يُصِب .
 (وقد حالفوا قومًا علينا أظنه ' يعصون غيظًا خلفنا بالأنامل)

حالفوا قومًا : مثل صارحونا في أنه كان لازماً وتعدى إلى المفعول بنقله إلى باب المفاعلة . والتحالف : التعاهد والتعاقد على أن يكون الأمر واحداً في النصرة والحماية ، وبينهما حلف أى عهد ، والحليف : المعاهد . وعلينا متعلق بحالفوا . والأظنه جمع ظنين ، وهو الرجل المتهم ، والظنه بالكسر . التهمة ، والجمع الظنن - يقال منه أظنه وأظنه : بالطاء والظاء إذا اتهمه . قال الشاطبي في شرح الألفية : « أفعلة قياس في كل اسم مذكر رباعى فيه مدة ثلاثة ، فهذه أربعة أوصاف معتبرة ، فإن كان صفة لم يجمع قياساً على أفعلة ، فإن جاء عليه فمحفوظ لا يقاس عليه ، قالوا في شحيح . أشحّة ، وفي ظنين : أظنه . قال تعالى : (أشحّة عليكم) وقال أبو طالب . . » (وأنشد هذا البيت) .

(صبرت لهم نفسى بسمراء سمحة وأبيض عصب من تراث المقاول)
 الصبر : الحبس . والسمراء : القناة . والسمحة : الدنة اللينة التي تسمح بالهز والانعطاف . والأبيض : السيف . والعصب : القاطع . والمقاول : جمع

٢٥٤

مَقُولُ بِكسر الميم : الرئيس ، وهو دون الملك ؛ كذا فى المصباح عن ابن
الأنبارى . وقال السُّهَيْلى فى الروض الأنف : أراد بالمقاول آباءه ، شبههم
بالمولوك ولم يكونوا ملوكاً ولا كان فيهم ملك ، بدليل حديث أبى سفيان حين
قال له هِرَقْلُ : هل كان فى آباءه من ملك ؟ فقال : لا . ويحتمل أن يكون هذا
السيف من هِبات الملوك لأبيه ؛ فقد وهب ابنُ ذى يَزَنَ لعبد المطلب هِباتٍ
جزيلةً حين وفد عليه مع قريش يهنئونه بظفره بالحبشة ، وذلك بعد مولد رسول
الله صلى الله عليه وسلم بعامين .

(وأحضرتُ عند البيت رَهْطِي وإِخْوَتِي وأمسكتُ من أَثوابه بالوصلائل)
الوصلائل : ثياب مخططة يمانية كان البيت يكسئ بها .

(قِيامًا معًا مستقبِلينَ رِتاجَه لَدَى حَيْثُ يَقْضَى حِلْفُهُ كُلُّ نَافِلٍ (١))
الرتاج : الباب العظيم ، وهو مفعول مستقبلين . والنافل : فاعل من النافلة
وهو التطوع .

(أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ مِنْ كُلِّ طَاعِنٍ عَلَيْنَا بِسوءٍ أَوْ مُلْحٍ بِيَاظِهِ)
وَمِنْ كَاشِحٍ يَسْعَى لَنَا بِمَعْيِبَةٍ وَمِنْ مُلْحِقٍ فِي الدِّينِ مَا لَمْ نَحَاوِلِ ()
ملحٌ : اسم فاعل من ألحَّ على الشيء : إذا أقبل عليه مواظباً . والمعيبة :
العيب والنقيصة . ونحاول : نريد .

(وَثَوْرٍ وَمَنْ أَرَسَى ثَبِيرًا مَكَانَهُ وَرَاقٍ لَبِزٍ فِي حِرَاءٍ وَنَازِلٍ)
ثور : معطوف على ربِّ الناس . وهو وثبِير وحِرَاء ، جبال بمكة .
والبرِّ : خلاف الإثم . وهو رواية ابن إسحاق وغيره ، وروى ابن هشام :

(١) فى النسختين : «خلفه» ، صوابه فى الديوان والسيرة

(ليرقى) (١) وهو خطأ ، لأن الراق لا يرقى . وإنما هو لبرّ أى فى طلب برّ . أقسم بطالب البرّ بصعوده فى حراء للتعبّد فيه وبالنزول منه .

(وبالبيتِ حقّ البيت من بطن مكّة وبالله ، إنّ الله ليس بغافلٍ وبالْحِجَرِ الْأَسْوَدِ إِذْ يَمْسَحُونَهُ إِذَا اكْتَفَوْهُ بِالضُّحَى وَالْأَصَائِلِ)

قال السهيلي : « وقوله بالحجر الأسود فيه زحاف يسمى الكفّ ، وهو حذف النون من مفاعيلن ، وهو بعد الواو من الأسود . والأصائل : جمع أصيلة ، والأصل : جمع أصيل ، وذلك لأن فاعل جمع فعيلة . والأصيلة : لغة معروفة فى الأصيل » انتهى . وهو ما بعد صلاة العصر إلى الغروب .

(وموطىء إبراهيم فى الصّخر رطبةً على قدميه حافياً غير ناعِلٍ)
موطىء إبراهيم عليه السلام : هو موضع قدمه حين غسلت كَنَتَهُ رأسه وهو راكب ، فاعتمد بقدمه على الصخرة حين أمال رأسه ليغسل — وكانت سارة قد أخذت عليه عهداً حين استأذنها فى أن يطالع ما تركه بمكّة ، فخاف لها أنه لا ينزل عن دابّته ولا يزيد على السلام واستطلاع الحال غيرةً من سارة عليه من هاجر ، فحين اعتمد على الصخرة ألقى الله فيها أثر قدمه آية . قال تعالى : (فيه آياتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ) . أى منها مقام إبراهيم . ومن جعل مقام إبراهيم بدلاً من آيات قال : المقام ، جمع مقامة . وقيل بل هو أثر قدمه حين رفع القواعد من البيت وهو قائم عليه .

(وأشواطٍ بين المروتين إلى الصفا وما فيهما من صورة وتماثيل)
هو جمع تماثيل ، وأصله تماثيل ، فحذف الياء .

(١) يعنى : « وراق ليرقى فى » بدل « وراق لبر فى » . وانظر السيرة ١٧٣ .

٢٥٥

(وَمَنْ حَتَّ بَيْتَ اللَّهِ مِنْ كُلِّ رَاكِبٍ ، وَمِنْ كُلِّ ذِي نَذْرٍ ، وَمِنْ كُلِّ رَاجِلٍ)
 فهل بعد هذا من معاذٍ لمأذٍ وهل من مُعِيدٍ يَتَّقِي اللَّهَ عَادِلٍ)
 المعاذ بالفتح : اسم مكان من عاذ فلان بكذا ، إذا لجأ إليه واعتصم به .
 والمعيد : اسم فاعل من أعاده بالله أى عصمه به . وعادل : صفة معيد ، بمعنى
 غير جائر .

(يُطَاعُ بِنَا الْعِدَا ، وَوُدُّوا لَوْ أَنَّا تُسَدُّ بِنَا أَبْوَابُ تَرْكٍ وَكَابُلٍ)
 العدا بضم العين وكسرها : اسم جمع للعدو ضد الصديق ، وروى (الأعدا)
 وهو جمع عدو . وتُسَدُّ بنا أى علينا . والترك وكابل بضم الباء : صنفان من
 العجم .

(كَذَبْتُمْ وَبَيْتَ اللَّهِ تَرَكْتُمْ مَكَّةَ وَنَظَعْنَ إِلَّا أَمْرُكُمْ فِي بِلَابِلٍ)
 أى والله لا تترك مكة ولا نظعن منها ، لكن أَمْرُكُمْ فى هموم ووساوس
 صدر . وروى : (فى ثلاث) بالثناة الفوقية ، جمع تَلْتَلَةٍ ، وهو الاضطراب
 والحركة .

(كَذَبْتُمْ وَبَيْتَ اللَّهِ نُبْزَى مُحَمَّدًا وَلَمَّا نَظَاعُنْ دُونَهُ وَنُضَالٍ)
 الواو للقسم ، ونُبْزَى جواب القسم على تقدير لا النافية ، فإنها يجوز
 حذفها فى الجواب كقوله تعالى : « تَاللَّهِ تَفْتَوُ » أى لا تفتؤ . ونُبْزَى بالبناء
 للمفعول ، أى نُغْلَبُ ونُقَهَّرَ عليه ، يقال أبزى فلان بفلان إذا غلبه وقهره ،
 كذا فى الصحاح . فهو بالباء والزاي المنقوطة . ومُحَمَّدًا منصوب بنزع الباء .
 ولَمَّا : نافية جازمة ، والجملة المنفية حال من نائب فاعل نُبْزَى . والظمن يكون
 بالرحم ، والنضال يكون بالسهم .

(وَنُسْلُهُ حَتَّى نَصْرَعُ حَوْلَهُ وَنَذَهْلَ عَنْ أُنْبَائِنَا وَالْحَلَالِ)

ونسلمه بالرفع معطوف على نُزِيْ ، أى لا نسلمه ، من أسلمه بمعنى سلمه
لفلان ، أو من أسلمه بمعنى خذله . ونصرّع ونُدْهَلْ بالبناء للمفعول . والحلائل :
جمع حَليلة وهى الزوجة .

قال ابن هشام فى الميرة : قال عُبيدة بن الحارث بن المطلب (١) لَمَّا
أصيب فى قطع رجله يوم بدر : أَمَّا وَاللّٰهُ لَوْ أَدْرَكَ أَبَا طَالِبٍ هَذَا الْيَوْمَ لَعَلِمْتُ أَنِّى
أَحَقُّ بِمَا قَالَ مِنْهُ حَيْثُ يَقُولُ :

كَذَبْتُمْ وَبَيْتَ اللَّهِ نُزِيْ مُحَمَّدًا البيت وما بعده

وَيَنْهَضَ قَوْمٌ فِي الْحَدِيدِ إِلَيْكُمْ نهوض الروايا تحت ذات الصلاصل)
وينهض بفتح الياء وهو منصوب معطوفا على نصرّع ، والنهوض
فى الحديد عبارة عن لبسه واستعماله فى الحرب . والروايا : جمع راوية ، وهو
البعير أو البغل أو الحمار الذى يستقى عليه . وذات الصلاصل هى المزايدة التى
ينقل فيها الماء ، وتسميها العامة الراوية ، والصلاصل : جمع صُلْصُلَة بضم الصادين
وهى بَقِيَّةُ الماء فى الإداوة . يريد : أن الرجال — مثقلين بالحديد — كالجمال
التي تحمل المياه مثقلة ، شَبَّهَ قَعْقَعَةَ الْحَدِيدِ بِصُلْصُلَةِ الْمَاءِ فى المزايدات .

(وَحَتَّى نَرَى ذَا الضَّغْنِ يَرْكَبُ رَدْعَهُ مِنْ الطَّعْنِ فِعْلَ الْأَنْكَبِ الْمُحَامِلِ)
نرى بالنون من رؤية العين . والضَّغْنُ بالكسر الحقد . وجملة يركب
حال من مفعول نرى ، يقال للقتيل . رَكِبَ رَدْعَهُ : إِذْ خَرَّ لَوْجُهُ عَلَى دَمِهِ .
وَالرَّدْعُ بفتح الراء وسكون الدال : اللَّطْخُ وَالْأَثَرُ مِنَ الدَّمِ وَالزَّعْفَرَانِ . ومن

(١) ط : « ابن الحارث بن عبد المطلب » ، صوابه فى ش . وانظر
السيرة ٥٢٦ - ٥٢٧ . وقد ضبطه ابن دريد فى الاشتقاق ٨٣ بأنه تصغير
عبدة ، أى هو يضم العين

الطعن متعلق بتركب . والأنكب : المائل إلى جهة ، وأراد كفعل الأنكب ،
فى الصحاح : « والنكب أى بفتحتين : داء يأخذ الإبل فى مناكبها فتظلم منه
وتمشى منحرفة ، يقال نكب البعير بالكسر ينكب نكباً فهو أنكب .
وهو من صفة المتناول الجائر . والمتحامل بالمهمله : الجائر والظالم .

(وإنا لعمرُ الله إن جدَّ ما أرى لتلتبسُن أسيفنا بالأمائل)

عمر الله مبتدأ والخبر محذوف أى قسى ، وجمله لتلتبسُن جواب
القسم ، والجملة القسمية خبر إن . وقوله إن جدَّ إن شرطية ، وجدَّ بمعنى لجَّ
ودام وعظم ، وما مؤصلة ، وأرى من رؤية البصر ، والمفعول محذوف وهو
العائد ، وجواب الشرط محذوف وجوباً لسدَّ جواب القسم محله . والالتباس :
الاختلاط والملابسة ، والنون الخفيفة للتوكيد ، وأسيفنا فاعل تلتبس .
والأمائل : الأشراف ، جمع أمثل . والمعنى إن دام هذا العناد الذى أراه تنلُ
سيوفنا أشرافكم .

(بكفى قى مثل الشهاب سميدع أخى ثقة حامي الحقيقة باسل)

بكفى : تنبيه كفى ، والباء متعلقة بقوله تلتبس — وقد حقق الله
ما تفرسه أبو طالب يوم بدر . وقوله : مثل الشهاب ، يريد أنه شجاع
لا يقاومه أحدٌ فى الحرب ، كأنه شعله نار يحرق من يقرب منه . والسميدع
بفتح السين ؛ وضئها خطأ ، وفتح الدال المهملة وإعجامها لا أصل له ، خلافاً
لصاحب القاموس ؛ ومعناه السيد الموطأ الأكناف .

قال المبرد فى أول الكامل^(١) : « معنى موطأ الأكناف : أن ناحيته

(١) الكامل ص ٣ ليسبك .

يتمكن فيها صاحبها^(١) غير مؤذٍ ولا ناب به موضعه . والتوطئة : التذليل والتمهيد ، يقال دابة وطىء افتى ، وهو الذى لا يحرك راكبه فى مسيره ؛ وفراش وطىء ، إذا كان وثيراً لا يؤذى جنب النائم عليه .

قال أبو العباس : حدثني العباس بن الفرّج الرياشي قال : حدثني الأصمعي قال : قيل لأعرابي ، وهو المنتجع بن زبهان : ما السميع ؟ فقال : السيد الموطأ الأكناف . وتأويل الأكناف : الجوانب ، يقال فى المثل : فلان فى كنف فلان كما يقال فلان فى ظل فلان وفى ذرا فلان^(٢) وفى حيز فلان . انتهى .

والثقة : مصدر وثقت به أثق بكسرهما : إذا ائتمنته . والأخ يستعمل بمعنى الملازم والمداوم . والحقيقة : ما يحقّ على الرجل أن يحميه . والبازل : الشجيع الشديد الذى يمنع أن يأخذه أحدٌ فى الحرب ؛ والمصدر البسالة ، وفعله بسل بالضم . وأراد بصاحب هذه الصفات الفاضلة محمداً صلى الله عليه وسلم . (وما ترك قوم لا أباً لك سيداً يحوط الذمار غير ذرب مؤا كل)

ما استفهامية تعجبية مبتدأ عندسيبويه وترك خبر المبتدأ ، وعندالأخفش بالعكس . وقوله : لا أباً لك ، يستعمل كناية عن اللدح والذم ، ووجه الأول : أن يرادنى نظير المدح بنفى أبيه ، ووجه الثانى : أن يراد أنه مجهول النسب ، والمعنيان محتملان هنا . والسيد من السيادة وهو المجد والشرف . وحاطه يحوطه حوطاً . رعاه وفى الصحاح : « وقولهم فلان حامى الذمار ، أى إذا ذمير غضب حمى ، وفلان أمنع ذماراً من فلان . ويقال الذمار : ما وراء الرجل مما يحقّ عليه أن يحميه ، لأنهم قالوا : حامى الذمار كما قالوا حامى الحقيقة .

(١) فى النسختين : « صاحبه » ، والصواب من الكامل .

(٢) بين هذا وتاليه فى الكامل : « وفى ناحية فلان » .

٢٥٧

وسمى ذماراً لأنه يجب على أهله التذمر له ، ومثبت حقيقة لأنه يحقّ على أهلها الدفع عنها . وظلّ يتذمر على فلان : إذا تنكّر له وأوعده . والذّرْب بفتح الذال المعجمة وكسر الراء ، لكنّه سكّنه هنا ، وهو الفاحش البذىّ اللسان . والمواكِل : اسم فاعل من واكلت فلاناً مواكلة : إذا اتّكلت عليه واتّكل هو عليك ، ورجل وَّكَل بفتحين ، ووُكِّلَ كَهْمزة ، وتُكِّلَ ، أى عاجز يكلّ أمره إلى غيره ويتكل عليه .

(وأبيضٌ يُستسقى النّامُ بوجهه رِمالَ التّياميْ عصمةً للأراملِ)

أبيض : معطوف على سيّد المنسوب بالمصدر قبله ، وهو من عطف الصفات التى موصوفها واحد ؛ هكذا أعربه الزركشىّ فى نكته على البخارىّ المسمّى بالتفتيح لألفاظ الجامع الصحيح ، وقال : لا يجوز غير هذا . وتبعه ابن حجر فى فتح البارى ؛ وكذلك الدمامينىّ فى تعليق المصابيح على الجامع الصحيح ، وفى حاشيته على معنى اللبيب أيضاً . وزعم ابن هشام فى المغنى : أن أبيض مجرور بربّ مقدرة وأنها للتقليل . والصواب الأوّل ؛ فإنّ المعنى ليس على التنكير ، بل الموصوف بهذا الوصف واحدٌ معلوم . والأبيض هنا بمعنى الكريم . قال السمين فى عمدة الحفاظ : عبّر عن الكرم بالبياض ، فيقال : له عندى يدبيضاء أى معروف ؛ وأورد هذا البيت . والبياض أشرف الألوان ، وهو أصلها إذ هو قابل لجميعها ، وقد كنى به عن الشّورور والبشر ، وبالسّواد عن النّم . ولما كان البياض أفضلَ الألوان قالوا : البياض أفضل ، والسواد أهول ، والحمة أجمل ، والصفرة أشكل .

ويستسقى بالبناء للمفعول ؛ والجملة صنة أبيض . والشّمال : العباد والملجأ والمطعم والمغنى والكافى . والعصمة : ما يعتصم به ويتمسك ، قال الزركشىّ : يجوز فيها النصب والرفع . والأرامل جمع أرملة وهى التى لا زوج لها ،

لافتقارها إلى من ينفق عليها ؛ وأصله من أرملَ الرجل : إذا نفد زاده وافتقر ، فهو مرمل ، وجاء أرملُ على غير قياس . قال الأزهرى : لا يقال للمرأة أرملة إلا إذا كانت فقيرة ، فإن كانت موسرة فليست بأرملة ؛ والجمع أرامل ، حتى قيل رجل أرمل إذا لم يكن له زوج . قال ابن الأنبارى : وهو قليل ؛ لأنه لا يذهب ^(١) بقتل امرأته ، لأنها لم تكن قيمة عليه . وقال ابن السكيت : الأرامل : المساكين ، رجلاً كانوا أو نساء .

قال السهيلي في الروض الأنف ^(٢) : « فإن قيل : كيف قال أبو طالب : وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ، ولم يره قط استسقى به ، إنما كانت استسقاءاته عليه الصلاة والسلام بالمدينة في سفر وحضر ، وفيها شوهده ما كان من سرعة إجابة الله له ؟ فالجواب : أن أبا طالب قد شاهد من ذلك في حياة عبد المطلب مادله على ما قال » انتهى .

ورده بعضهم ^(٣) بأن قضية الاستسقاء متكررة ؛ إذ واقعة أبي طالب كان الاستسقاء به عند الكعبة ، وواقعة عبد المطلب كان أولها أنهم أمروا باستلام الركن ثم بصمودهم جبل أبي قبيس ليدعوا عبد المطلب ومعه النبي صلى الله عليه وسلم ويؤمن القوم ؛ فسقوا به .

قال ابن هشام في السيرة : « حدثني من أثق به قال : أقحط أهل المدينة فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فشكوا ذلك إليه ، فصعد رسول الله

(١) ش : « لأنه يذهب » ، صوابه في ط واللسان (رمل ٣١٧) حيث نقل نص ابن الأنبارى . وفيه : « لأن الرجل لا يذهب زاده بموت امرأته إذا لم تكن قيمة عليه » .

(٢) الروض ١ : ١٧٩

(٣) هو ابن حجر الهيتمي المتوفى سنة ٩٧٣ . انظر شرحه للهمزية بعد فراغه من تفسير قول البوصيرى :

وإذا حلت الهداية قلباً .. نشطت في العبادة الأعضاء

٢٥٨

صلى الله عليه وسلم المنبر فاستسقى ، فمالبث أن جاء من المطر ما أتاه أهل الضواحي يشكون منه الغرق ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم حوالينا ولا علينا ! فانجاب السحابُ عن المدينة فصار حوالينا كالإِ كليل ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لو أدرك أبو طالب هذا اليوم لسره . فقال له بعض أصحابه (وهو على رضى الله عنه) : كأنك أردت يارسول الله قوله :

وَأَبْيَضَ يُسْتَسْقَى الْغَمَامُ بِوَجْهِهِ . . البيت

قال أجل ! انتهى .

وبتصديق النبي صلى الله عليه وسلم كونَ هذا البيت لأبى طالب — وعليه اتفق أهل السير — سقط ما أورده الدِّميرى في شرح المنهاج في باب الاستسقاء عن الطبرانى وابن سعد : أن عبد المطلب استسقى بالنبي صلى الله عليه وسلم فسقوا ، ولذلك يقول عبد المطلب فيه يمدحه .

وَأَبْيَضَ يُسْتَسْقَى الْغَمَامُ بِوَجْهِهِ . . البيت

قال ابن حجر الهيتمى في شرح الهزمية : « وسبب غلط الدِّميرى في نسبة هذا البيت لعبد المطلب : أن رُقِيقَةً (براء مضمومة وقافين) بنت أبي صيفى بن هاشم ^(١) ، وهى التى سمعت الهاتف فى النوم أوفى اليقظة — لما تابعت على قريش سنونَ أهلكتهم — يصرخ : يا معشر قريش ، إن هذا النبى المبعوث قد أظلتكم أيامه ، فخيَّلا بالحيا والخصب . ثم أمرهم بأن يستسقوا به ، وذكر كيفية يطول ذكرها . فلما ذكرت الرواية فى القصّة أنشأت تمدح النبى صلى الله عليه وسلم بأبيات آخرها :

(١) فى النسختين : « هشام » تحريف ، صوابه فى شرح الهزمية

وجمهرة ابن حزم ١٤ وسيرة ابن سيد الناس ١ : ٣٩ .

مبارك الأمر يُستسقى الغمامُ به مافي الأنام له عِدل ولا خطر^(١)
 فإنَّ الدَّميرى لما رأى هذا البيت في رواية قصة عبد المطلب التي رواها
 الطبراني - وهو يشبه بيتَ أبي طالب إذ في كلِّ استسقاء الغمام به - توهمَ
 أن بيتَ أبي طالب لعبد المطلب . وإنما هو لُقيقة المذكورة . والحكم عليه بأنه
 عين البيت المنسوب لأبي طالب ليس كذلك ، بل شتان ما بينهما . فتأمل
 هذا المحل فإنه مهم . وقد اغترَّ بكلام الدميرى من لا خبرة له بالسير انتهى .
 (يلوذ به الهلاكُ من آل هاشم فهمُ عنده في رَحمة وفواضل)
 يلوذ صفة أخرى لموصوفٍ سيد . والهلاكُ : الفقراء والصعاليك الذين
 يتتابون الناس طلباً لمعرفتهم من سوء الحال ! وهو جمع هالك ، قال جميل :
 أبيتُ مع الهلاك ضيفاً لأهلها وأهل قريب موسعون ذوو فضل
 وقال زياد بن حمّل :

ترى الأراذل والهلاكُ تتبعهُ يَسْتَنّ منه عليهم وإيلُ رذمُ
 (جَزَى الله عنا عبدَ شمس ونوفلاً عقوبةً شرِّ عاجلاً غير آجل)
 نوفل هو ابن خُوَيْلِد بن أَسَد بن عبد العزَّى بن قُصَيّ ، وهو ابن العدوية ،
 وكان من شياطين قريش ، قتله علي بن أبي طالب يوم بدر .

(١) قبله ، كما في سيرة ابن سيد الناس :

بشيبة الحمد أسقى الله بلدتنا وقد فقدنا الحيا واجلوز المطر
 فجاد بالماء جوني له سبل دان فعاشت به الأنعام والشجر
 منا من الله بالميمون طائره وخير من بشرت يوما به مضر
 وكان عبد المطلب قد خرج للاستقاء معه رسول الله صلى الله عليه
 وسلم وهو غلام .

(بميزان قسط لا يخس شعيرة^(١) له شاهد من نفسه غير عائل)

بميزان متعلق بجزى الله . والقسط بالكسر : العدل . وخس يخس من باب ضرب : إذا نقص وخفّ وزنه فلم يعادل ما يقابله . وله أى للميزان ، شاهد أى لسان من نفسه^(٢) ، أى من نفس القسط ، غير عائل صفة شاهد أى غير مائل ، يقال عال الميزان يعول : إذا مال ؛ كذا فى العباب وأنشد هذا البيت كذا :

بميزان صدق لا يغفل شعيرة له شاهد البيت^(٣)

(ونحن الصميم من ذؤابة هاشم وآل قصي فى الخطوب اوائل)

الصميم : الخالص من كل شيء . والذؤابة : الجماعة العالية ، وأصله انخصلت من شعر الرأس .

(وكلّ صديق وابن أخت نعمة لعمري ، وجدنا غيبة غير طائل)

الغيب بالكسر : العاقبة . ويقال هذا الأمر لا طائل فيه ، إذا لم يكن فيه غناء ومزية ، مأخوذ من الطول بمعنى الفضل .

(سوى أن رهطاً من كلاب بن مرة برأى إلينا من معة خاذل)

قال السهيلي : « يقال قوم برأ بالضم وبرأ بالفتح وبرأ بالكسر : فأما برأ بالكسر فجمع برىء مثل كريم وكرام ، وأما برأ فصدر مثل سلام ، والهزمة فيه وفى الذى قبله لام الفعل ، ويقال رجل برأ ورجل برأ ، وإذا كسرتها أو ضمنت لم يجز إلا فى الجمع ، وأما برأ بضم الباء فالأصل فيه برأء

(١) فى الديوان : « لا يغيب شعيرة » . وفى حواشيه : أنها فى رواية « يحص » وفى الروض الأنف ١ : ١٧٨ : « يخس شعيرة ، أى ينقص . والخسيس : الناقص من كل شيء . ويروى فى غير السيرة : « يحص بالصاد المهملة ، من حص الشعر ، إذا أذهب » .

(٢) ط : « أى ميزان من نفسه » ، صوابه فى ش

(٣) يغفل ، من الغلول ، وهو الاختلاس . وفى ط : « يقل » محرف .

مثل كرماء واستنقلوا اجتماع الهمزتين فحذفوا الأولى ، وكان وزنه فُعَلَاء فلما حذفوا التي هي لام الفعل صار وزنه فُعَاء وانصرف لأنه أشبه فعلا . والمعقَّة بفتح الميم : مصدر بمعنى العقوق .

(ونعم ابنُ أختِ القوم غير مكذَّب زهيرٌ حساماً مفرداً من حائل) قال ابن هشام في السيرة : « زهير هو ابن أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله ابن عمر بن مخزوم ^(١) ، وأمه : عاتكة بنت عبد المطلب » انتهى .

زهير هو المخصوص بالمدح مبتدأ ، وجملة نعم ابن أخت القوم هو الخبر ، وغير مكذَّب بالنصب حال من فاعل نعم وهو ابن . ومكذَّب : على صيغة اسم المفعول ، يقال كذَّبته بالتشديد : إذا نسبته إلى الكذب ووجدته كاذباً ، أى هو صادق في مودته لم يُلَفْ كاذباً فيها . والحسام : السيف القاطع ، وهو منصوب على المدح بفعل محذوف أى يشبه الحسام المسلول في اللضاء . ورواه العيني في شرح شواهد الألفية : (حسامٌ مفردٌ) برفعهما وقال : «حسام صفة زهير، وقوله مفرد من حائل صفة للحسام» وهذا على تقدير صحة الرواية خبطُ عشواء ؛ فإن زهيراً علماً وحساماً نكرة ! والمفرد : المجرد . والحائل : جمع حِالة وهي علاقة السيف ، مثل المحمل بكسر الميم ، هذا قول الخليل ، وقال الأصمى : حائل السيف لا واحد لها من لفظها ، وإنما واحدها محمل كذا في العباب .

وهذا البيت استشهد به شراح الألفية على أن فاعل « نِعَم » مظهر مضاف إلى ما أضيف إلى المَعْرِف باللام .

(أشَمُّ ، من الشُّمِّ البهليل يَنْتَى إلى حسبٍ في حومة المجد فاضل)

(١) في النسختين : « عمرو بن مخزوم » ، وانظر ما أسلفت من التحقيق في ص ٢٧٢ طبعة أولى .

الشم : ارتفاع فى قسبة الأنف مع استواء أعلاه ، وهذا مما يُمدح به ، وهو أشم من قوم شمّ والبهليل : جمع بهلول بالضم ، قال الصاغاني : والبهلول من الرجال : الضحاك ، وقال ابن عبيد : هو الحيّ الكريم . وينتعى : ينتسب . وفاضل بالضاد المعجمة صفة حسب .

(لعمري ، لقد كُلفتُ وجداً بأحمدٍ وإخوته دأبُ الحبِّ الموصلِ)

٢٦٠

كُلفتُ بالبناء للمفعول والتشديد : مبالغة كلفت به كلفاً من باب تعب : إذا أحببته وأولمت به ؛ ووجداً أى كلفَ وجد ، يقال وجدت به وجداً : إذا حزنت عليه . وبأحمد متعلق بكُلفت ؛ وهو اسم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم — ويجوز أن يكون من كلفته الأمر فتكلفه ، مثل حملته فتحمله وزنا ومعنى مع مشقة ، فوجداً مفعوله الثانى ؛ وبدون التضعيف متعدّ لواحد ، يقال كلفت الأمر من باب تعب : حملته على مشقة . وأراد بإخوته أولاده جعفرًا وعقيلًا وعليًا رضى الله عنهم ؛ فإن أبا طالب كان عمّ النبي صلى الله عليه وسلم ، والعمّ أب فأولاده إخوة النبي صلى الله عليه وسلم . ودأب مصدر منصوب بفعله المحذوف أى ودأبت دأب الحبِّ ، يقال فلان دأب فى عمله : إذا جدّ وتعب .

(فلا زالَ فى الدنيا جَمالاً لأهلها وزيناً لمن ولّاه دَبَّ المشاكِر)

الدَّبّ : الدفع ؛ والمشاكل : جمع مُشكلة .

(فمن مثله فى الناس ! أى مؤمِّل إذا قاسه الحكماء عند التفاضل)

« أى » هى الدالة على الكمال ، خبر مبتدأ محذوف أى هو ؛ والمؤمِّل الذى يُرجى لكل خير : والتفاضل بالضاد المعجمة ، وهو التغالب بالفضل .

(حلیمٌ رشيدٌ عادلٌ غيرُ طائشٍ يُوالى إلهماً ليس عنه بغافل)

أى هو حليم . والطَّيش : التزق والخفّة : ويوالى إلها أى يتخذها ولياً ، وهو فعل بمعنى فاعل . من وليه : إذا قام به . ومنه : (الله وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا) .

(فَأَيَّدَهُ رَبُّ الْعِبَادِ بِنَصْرِهِ وَأَظْهَرَ دِينًا حَقَّهُ غَيْرِ نَاصِلٍ)
الحقّ : خلاف الباطل ، وهو مصدر حقّ الشئ من باب ضرب وقتل :
إذا وجب وثبت . والناصل : الزائل المضمحّل ، يقال فصل السهم : إذا خرج منه النصل ؛ ونصل الشعر ينصل نصولاً : زال عنه الخضاب .

(فَوَاللَّهِ ، لَوْلَا أَنْ أُجِئْتُ بِسُبَّةٍ تُجَرُّ عَلَى أَشْيَاخِنَا فِي الْقِبَائِلِ
لَكُنَّا اتَّبَعْنَاهُ عَلَى كُلِّ حَالَةٍ مِنَ الدَّهْرِ جِدًّا غَيْرِ قَوْلِ التَّهَازُلِ)
تقدّم شرحهما أولاً^(١)

(لَقَدْ عَلِمُوا أَنْ ابْنَنَا لَا مَكْدَبَ لَدَيْنَا وَلَا يُعْنَى بِقَوْلِ الْأَبَاطِلِ)
فى النهاية : « يقال عُنيّت بحاجتك أعني بها فأنانا بها معنى ، وعُنيّت بها فأنانا عانٍ ، والأول أكثر ، أى اهتممت بها واشتغلت » انتهى . وهو من باب تعب .

(فَأَصْبَحَ فِينَا أَحْمَدُ فِي أَرْوَمَةٍ يَقْصُرُ عَنْهَا سَوْرَةُ الْمَتَاوَلِ)
تنوين أحمد للضرورة . والأرومة بفتح الهززة وضم الراء المهملة : الأصل .
والسورة بالضم : المنزلة ، وبفتح السين السطوة والاعتداء . والمتناول من الطول بالفتح ، وهو الفضل ، وهذا بالنسبة إلى المنزلة ؛ أو من تناول عليه : إذا قهره وغلبه ، وهذا بالنسبة إلى السطوة .

(١) انظر ما سبق فى ص ٥٦ من هذا الجزء

(حَدِثْتُ بِنَفْسِي دُونَهُ وَحِمِيَّتِهِ وَدَافَعْتُ عَنْهُ بِالذُّرَا وَالْكَلَالِ كُلِّ)

٢٦١

حَدَّثَ عَلَيْهِ كَفَرَحَ وَتَحَدَّبَ عَلَيْهِ أَيْضاً بِمَعْنَى تَعَطَّفَ عَلَيْهِ ، وَحَقِيقَتُهُ جَعَلَ
نَفْسَهُ كَالْأَحَدِ بِالْإِنْخَاءِ أَمَامَهُ لِيَتَلَقَّى عَنْهُ مَا يُؤْذِيهِ . وَدُونَهُ أَمَامَهُ . وَالذُّرَا
بِالضَّمِّ : أَعَالَى الشَّيْءِ ، جَمْعُ ذُرْوَةٍ بِكَسْرِ الذَّالِ وَضَمِّهَا . وَالْكَلَالُ كُلِّ : جَمْعُ
كُلِّ كَجَعْفَرٍ ، بِمَعْنَى الصِّدْرِ .

(تَبْيِيهِ)

رواية هذه القصيدة كما سطرت نقلتها من سيرة الشامي^(١) ، ورواها
ابن هشام في السيرة أزيد من ثمانين بيتاً^(٢) ، ومطلعها عنده :
ولما رأيت القوم لاودّ فيهم وقد قطعوا سُلَّ العُرى والوسائل
ولم يذكروا البيتَيْن الأولَيْن مطلع القصيدة في رواية الشامي ، ولا تعرض
لها السَّهيلي بشيء .

أبو طالب

و (أبو طالب) هو عم النبي صلى الله عليه وسلم وناصره . ولد قبل النبي
صلى الله عليه وسلم بخمس وثلاثين سنة . ولما مات عبد المطلب وصى بالنبي
صلى الله عليه وسلم إليه ، فكفله وأحسن تربيته ؛ وسافر به إلى الشام وهو
شاب ؛ ولما بُعث صلى الله عليه وسلم قام بنصرته وذب عنه من عاداه ،
ومدحه عدة مدائح .

واسمه عبد مناف على المشهور ، واشتهر بكنيته ؛ وقيل : اسمه عمران ،

(١) هو محمد بن علي بن يوسف الشافعي الشامي المتوفى سنة

٦٠٠ . انظر كشف الظنون ٢ : ٣٩

(٢) وفي رواية أبي هفان لديوانه ١٠٩ بيتاً .

وقيل : شَيْبَة . قال الواقدي : وتوفي أبو طالب في النصف من شوال في السنة العاشرة من النبوة ، وهو ابن بضع وثمانين سنة .

واختلف في إسلامه ، قال ابن حجر : رأيتُ لعلّ بن حمزة البصري جزءاً جمع فيه شعر أبي طالب ، وزعم أنه كان مسلماً ومات على الإسلام ، وأن الحشوية تزعم أنه مات كافراً ، واستبدل لدعواه بما لا دلالة فيه . انتهى .

ومن شعره قوله :

ودعوتني وزعمت أنك صادقٌ ولقد صدقتَ وكنتَ قبلُ أميناً
ولقد علمتُ بأنَّ دين محمد من خير أديان البرية دينا
ومن شعره الذي قاله وهو في الشعب :

ألا أبلغا عني على ذاتِ بيننا لؤياً وخُصماً من لؤيِّ بني كعبِ
ألم تعلموا أنا وجدنا محمداً نبياً كموسى خُطّ في أول الكتبِ
وأنَّ عليه في العباد مودَّةً وخيرَ فيمن خصّه الله بالحبِّ^(١)
وهي قصيدة جيّدة على هذا الأسلوب .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثاني والتسعون^(٢) :

(١) كذا في النسختين . وفي السيرة والروض الأنف ١ : ٢٢١ :
« ولا خير ممن خصه الله بالحب » . وقد أفاض السهيلي في تخريج البيت على هذه الرواية

(٢) ابن يعيش ١ : ١١٦ والأغانى ١٤ : ٤٠ ، ٤١ والحماسة ٨٧٥
بشرح المرزوقي ، ومعجم البلدان (راوند) ومعجم ما استعجم (خزاقي)
وشرح الشريشي للمقامات ٢ : ١٨٧ وسيرة ابن سيد الناس ١ : ٧٢
وفتوح البلدان للبلاذري ٤٥٤

٩٢

﴿ أَجَدَّ كَمَا لَا تَقْضِيَانِ كَرَا كَمَا ﴾

على أن (جَدَّ كَمَا) ليس مصدرًا مؤكَّدًا لقوله : (لا تقضيان) بل هو إمَّا منصوب بنزع الخافض ، وإمَّا حال ، وإمَّا مصدرٌ حذف عامله وجوبا .

أما كونه ليس مؤكَّدًا لمضمون الجملة بعده فاشيئين : الأول : أن قوله أَجَدَّ كَمَا لو جعل مؤكَّدًا لمضمون ما بعده لكان مؤكَّدًا لمضمون المفرد وهو الفعل فقط ، لا لمضمون الجملة ، كما بيَّنه الشارح . والثاني : أنه إنمَّا يكون المصدر مؤكَّدًا لغيره إذا أكَّد معني القول الذي هو مضمون الجملة ، ولا يجوز أن يقدَّر أَجَدَّ كَمَا أقول لا تقضيان ، لفساد المعنى ؛ لأن القول من المتكلم ، وعدم القضاء من المخاطب .

٢٦٢

وأما كونه منصوبا بنزع الخافض فلاَّنه في معني ' حَقًّا ' ، وهو على تقدير في ، وجدَّك وحقًا متقاربان معني ، فلاَّ نسب تقاربهما في الإعراب أيضا .
وأما كونه حالا فمعناه : لا تقضيان كَرَا كَمَا جادَّين ، فعامل الحال الفعل الذي بعدها ، وصاحبها ضمير التثنية .

وأما الثالث فهو مؤكَّد لنفسه ؛ لأنه أكَّد مضمون المفرد لا مضمون الجملة ، لأنه أكَّد الفعل بدون الفاعل ، والفعل يدلَّ وحده على الحدث والزمان . هذا محصل كلامه . والحالية لا تطرَّد في كل موضع ، ولهذا ذهب الإمام المرزوقي في شرح فصيح ثعلب ، إلى أن انتصاب أَجَدَّ كَمَا إمَّا بنزع الخافض وإمَّا بفعله المحذوف .

والمفهوم من كلام ابن جنى على هذا البيت في إعراب الحماسة : أن أَجَدَّ كَمَا منصوب بفعله المحذوف . لكنَّ جملة جملة لا تقضيان حالا غيرُ جيِّد ، لأنها مقيدة وجَدَّ كما قيدَ لها ، والمقيد هو أصل الكلام . ثم جوابه عن إيراد

على جملة الجملة حالا أنها مصدرّة بعلم الاستقبال ، بأن الشاعر أراد امتداد الحال فلما لاحظ حال الاستمرار والاستقبال أتى بلا ، غير صحيح ؛ فإن لا ليست للاستقبال على الصحيح ، والمضارع المنقث بها يقع حالا نحو : (ما لكم لا ترجون لله وقارا) . وقد تعسف أيضاً في نحو « أجذك لا تفعل » بأنه على إرادة استمرار حكاية الحال الممتدة فيما مضى .

قال أبو حيان في الارتشاف : ولا تفعل عند أبي على حال أو على إضمار أن نخذف أن وارفع الفعل .

واعلم أن صنيع الشارح المحقق ، فيه رد لمن جعل — كابن الحاجب — أجذك لا تفعل كذا ، من قبيل المصدر المؤكد لغيره ، قال ابن الحاجب في الإيضاح : « أصله لا تفعل كذا جداً ، لأن الذي ينبغى الفعل عنه يجوز أن يكون بجدته ويجوز أن يكون من غير جدّة فإذا قال : جداً فقد ذكر أحد المحتملين ؛ ثم أدخلوا همزة الاستفهام إيذاناً بأن الأمر ينبغى أن يكون كذلك ، على سبيل التقرير ؛ فقدّم المصدر من أجل همزة الاستفهام فصار : أجذك لا تفعل ، ثم لما كان معناه تقرير أن يكون الأمر على وفق ما أخبر صار في معنى تأكيد كلام المتكلم ، فيتكلم به من يقصد إلى التأكيد وإن كان ما تقدم هو الأصل الجارى على قياس لغتهم . ويجوز أن يكون معنى أجذك في مثله : أتفعله جداً منك ، على سبيل الإنكار لفعله جداً ، ثم نهاه عنه أو أخبر عنه بأنه لا يفعل ، فيكون أجذك تأكيداً لجملة مقدرة دلّ سياق الكلام عليها . وما يدلّ على أنهم يقولون أفعله جداً قول أبي طالب :

إذن لاتبعناه على كل حالة . . البيت »

هذا كلامه . وقوله « ثم نهاه عنه » يفهم منه أن أجذك يقع بعدها النهى ،

وكذا قول بعضهم ، أَجِدَّكَ هل تفعل كذا ، يفهم منه أن الاستفهام يقع بعده .
وقد قال الشارح المحقق : إن أَجِدَّكَ لا يستعمل إلا مع النفي . ولم أر هذا
التقييد لغيره ، وظاهره : سواء كان النافي لا أو ما أو لن ؛ كقوله :

أَجِدَّكَ لَنْ تَرَى بِشُعْلِبَاتٍ وَلَا بَيْدَانَ نَاجِيَةً ذَمُولاً^(١)
أو لم ، كقول الأعشى :

أَجِدَّكَ لَمْ تَقْتَضِ لَيْلَةً فَتَرَقَّهَا مَعَ رُقَادِهَا

٢٦٣

فَإِنْ قُلْتَ : قد وقع بعدها الاستفهام في هذا البيت الذي أورده ثعلب
في فصيحه وهو :

أَجِدَّكَ مَا لَعِينِكَ لَا تَنَامُ كَأَنَّ جَفُونَهَا فِيهَا كِلَامُ

قلتُ : النفي الذي يقع بعد أَجِدَّكَ موجود وهو قوله لَا تَنَامُ ؛ والاستفهام
الثاني سؤال عن علة عدم نوم عينه ، ومثله قول كعب بن مالك الصحابي
رضي الله عنه في غزوة الطائف :

أَجِدَّهُمْ أَلَيْسَ لَهُمْ نَصِيحٌ مِنَ الْأَقْوَامِ كَانَ لَنَا عَرِيفًا^(٢)

يُخْبِرُهُمْ بِأَنَا قَدْ جَعَلْنَا عِتَاقَ الْخَيْلِ وَالْبُخْتِ الطُّرُوفَا^(٣)

وفي الارتشاف : ولا يستعمل أَجِدَّكَ إلا مضافا ، وغالبا بعده لا أو لم
أو لن . وفي النهاية لابن الخباز قال الأعشى :

(١) للمرار بن سعيد الفقي كما يفهم من اللسان (نشخ ٣٣٩) .
وأُنشدة ثعلب في مجالسه ١٥٩ وياقوت في (ثعلبات) بدون نسبة .
وئعيلبات وبيدان : موضعان .

(٢) ش : « من الا ٠٠٠ » ، وتكملة « الاقوام » من ط والسيرة ٨٧٠
وفيها أيضا : « بنا عريفا » .

(٣) في السيرة : « والنجب الطرؤفا »

* أَجَدَّكَ وَدَّعْتَ الدُّمَى 'والولائد' (١) *

وَدَّعْتَ مَوْجِبٌ ، وَجَاءَ مَعَ لَا كَثِيرًا . ١ هـ

وقد ذكر صاحب الصحاح وغيره : أن أَجَدَّكَ يجوز في جيمه الكسر والفتح ، لكن الكسر هو الفصحح ، ولهذا قال ثعلب في فصيحه : وما أُنَاكَ أَجَدَّكَ فكسور وما أُنَاكَ وَجَدَّكَ فمفتوح (٢) . وهو من الجِدِّ ضد الهزل ، وأصله من الجِدِّ في الأمر بمعنى الاجتهاد فيه ، لأنَّ المازل لا يبذل الاجتهاد في شيء . وأغرب صاحب القاموس حيث جعله من جادَهُ بمعنى حاققه ، ثم قال « وَأَجَدَّكَ لَا تَفْعَلْ ، لَا يَقَالُ إِلَّا مُضَافًا ، وَإِذَا كَسَرَ اسْتَحْلَفَهُ بِحَقِيقَتِهِ ، وَإِذَا فَتَحَ اسْتَحْلَفَهُ بِبُخْتِهِ » انتهى . وهذا شيء انفرد به ، وكأنه جنح لما ذهب إليه الشَّوْبِين حيث زعم أن فيه معنى القسم ، ولذلك قدَّم .

وهذا المصراع من شعر لُقْصَ بن ساعدة . وهو :

(خَلِيلِيْ هُبَا طَالَمَا قَدْ رَقَدْتَمَا « أَجَدَّكُمَا لَا تَقْضِيَانِ كِرَاكُمَا »
أَلَمْ تَعْلَمَا أَنِّي بَسْمَعَانِ مَفْرَدًا وَمَالِي فِيهِ مِنْ خَلِيلٍ سِوَاكَمَا
مَقِيمٌ عَلَى قَبْرِيْكَمَا لَسْتُ بَارِحًا طَوَالَ اللَّيَالِي أَوْ يَجِيبُ صَدَاكَمَا
أَبْكِيْكَمَا طَوَلَ الْحَيَاةِ ، وَمَا الَّذِي يَرُدُّ عَلَى ذِي لَوْعَةٍ أَنْ يَبْكََاكَمَا
كَأَنَّكُمَا ، وَالْمَوْتَ أَقْرَبُ غَائِبٌ (٣) بِرُوحِي فِي قَبْرِيْكَمَا قَدْ أَتَاكَمَا

(١) ط : « والولائد » ، صوابه في ش والديوان ٤٨ . وعجزه :

وَأَصْبَحْتَ بَعْدَ الْجُورِ فِيْهِنَّ قَاصِدًا *

(٢) نص الجوهري : « قَالَ ثَعْلَبُ : مَا أُنَاكَ فِي الشَّعْرِ مِنْ قَوْلِكَ

أَجَدَّكَ فَهُوَ بِالْكَسْرِ ، فَذَا أُنَاكَ بِالْوَاوِ وَجَدَّكَ فَهُوَ مَفْتُوحٌ » .

(٣) في الأغاني وشرح المقامات : « أَقْرَبُ غَايَةً » .

أَمِنْ طُولِ نَوْمٍ لَا تَجِيبَانِ دَاعِيَا كَأَنَّ الَّذِي يَسْقِي الْعُقَارَ سَقَا كَمَا !

فَلَوْ جُعِلَتْ نَفْسٌ لِنَفْسٍ وَقَايَةً لَجُدْتُ بِنَفْسِي أَنْ تَكُونَ فِدَا كَمَا !

في سيرة ابن سيّد الناس بسنده إلى ابن عباس في حديث الجارود ابن عبد الله لما قدم مؤمناً بالنبي صلى الله عليه وسلم وسأله النبي صلى الله عليه وسلم عن قس بن ساعدة ، والحديث طويل ، إلى أن قال ابن عباس : وقام رجل أشدق أجش الصوت فقال : لقد رأيت من قس عجبا : خرجت أطلب بعيرا لي حتى إذا غمس الليل وكاد الصبح أن يتنفس ، هتف بي هاتف يقول :

يَا أَيُّهَا الرَّاقِدُ فِي اللَّيْلِ الْأَحْمَرِّ قَدْ بَعَثَ اللَّهُ نَبِيًّا فِي الْحَرَمِ

مِنْ هَاشِمٍ أَهْلُ الْوَقَارِ وَالْكَرَمِ يَجْلُو دُجَنَاتِ اللَّيَالِي وَالْبَهَمِ

قال : فأدرت طرفي فما رأيت [له ^(١)] شخصا ، فأنشأت أقول :

٢٦٤

يَا أَيُّهَا الْهَاتِفُ فِي دُجَى الظُّلَمِ ^(٢) أَهْلًا وَسَهْلًا بِكَ مِنْ طَيْفِ أَلَمِ

بَيْنَ هَذَاكَ اللَّهُ ، فِي لَحْنِ السَّكِيمِ مَنْ الَّذِي تَدْعُو إِلَيْهِ تَقْتَنِمِ

فإذا أنا بنحنحة وقائل يقول : ظهر النور ، وبطل الزور ، وبعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم بالحبور ؛ صاحب النجيب الأحمر ، والتاج والمغفر ، والوجه الأزهر ، والحاجب الأقر ، والطرف الأهور ؛ صاحب قول شهادة أن لا إله إلا الله ؛ فذاك محمد المبعوث إلى الأسود والأحمر ، أهل المدر والوير . ثم أنشأ يقول :

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَخْلُقِ الْخَلْقَ عَبَثَ

(١) التكملة من مخطوطة عيون الأثر لابن سيّد الناس رقم ١٧٦

تاريخ بدار الكتب وفي المطبوعة من عيون الأثر كما هنا .

(٢) الذي في سيرة ابن سيّد الناس : « داجي الظلم »

(٦) خزانة الأدب ج ٢

وَلَمْ يُخَلِّنا سُدَى مِنْ بَعْدِ عَيْسى وَكَثُرَتْ
أَرْسَلْ فِينَا أَحْمَدًا خَيْرَ نَبِيٍّ قَدْ بُعِثَ
صَلَّى عَلَيْهِ اللهُ مَا حَجَّ لَهُ رَكْبٌ وَحَثَّ

قال : ولاح الصباحُ فإذا أنا بالفنيق ، يشقشق إلى النوق ؛ فملكت
خطامه وعلوت سنامه ؛ حتى إذا لَبِ قُتْزْتُ في روضة خِصْرَة ؛ فإذا أنا بقُصَّ
ابن ساعدة في ظل شجرة ، وبیده قضيبٌ من أراكٍ ينكُت به الأرض
وهو يقول :

يَا نَاعَى الْمَوْتِ وَالْأَمْوَاتُ فِي جَدَثٍ عَلَيْهِمْ مِنْ بَقَايَا بَرْزُهُمْ خِرْقُ
دَعْمُهُمْ ، فَإِنْ لَمْ يَوْمًا يُصَاحُ بِهِمْ فَهُمْ إِذَا اتَّبَهُوا مِنْ نَوْمِهِمْ فَرِقُوا
حَتَّى يَعُودُوا لِلْحَالِ غَيْرِ حَالِهِمْ^(١) خَلَقًا جَدِيدًا كَمَا مِنْ قَبْلِهِ خُلِقُوا
مِنْهُمْ عِرَاءٌ ، وَمِنْهُمْ فِي ثِيَابِهِمْ : مِنْهَا الْجَدِيدُ وَمِنْهَا الْمُنْهَجُ الْخَلْقُ

قال : فدنوتُ منه فسَلَّمْتُ عليه فردَّ عليَّ السلام ؛ وإذا [أنا^(٢)] بعين
خرارة في أرض خواراة ؛ ومسجد بين قبرين ، وأسدين عظيمين يلوزان به ؛
وإذا بأحدهما قد سبق الآخر إلى الماء فتبعه الآخر يطلب الماء . فضربه
بالقضيب الذي في يده وقال : ارجعْ نِكَلْتِكَ أَمَك ! حَتَّى يَشْرَبَ الَّذِي وَرَدَ
قَبْلَكَ ؛ فَرَجَعَ ثُمَّ وَرَدَ بَعْدَهُ . فَقُلْتُ لَهُ : مَا هَذَانِ الْقَبْرَانِ ؟ قَالَ : هَذَانِ قَبْرَا
أَخَوَيْنِ كَانَا لِي ، يَعْبُدَانِ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ مَعِيَ فِي هَذَا الْمَكَانِ لَا يَشْرِكُنِ بِاللَّهِ
عَزَّ وَجَلَّ شَيْئًا ، فَأَدْرَكَهُمَا الْمَوْتُ فَقَبْرَتَهُمَا ، وَهَا أَنَا بَيْنَ قَبْرَيْهِمَا حَتَّى أَلْحَقَ
بِهِمَا ! ثُمَّ نَظَرْتُ إِلَيْهِمَا وَجَمَلُ يَقُول :

(١) في عيون الأثر : « بحال غير حالهم »

(٢) من عيون الأثر .

خَلِيلِي هُبَا طَالَمَا قَدْ رَقَدْتَمَا أَجِدْكَ كَمَا لَا تَقْضِيَانِ كَرَاكُمَا

... الأبيات السابقة : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : رحم الله قسًا ! إني أرجو أن يبعثه الله أمةً وحده . انتهى .

الأمة : الشخص المنفرد بدين ، أى يُبعث واحدًا يقوم مقام جماعة .
والأجش : الغليظ الصوت . وعَسَسَ الليل : أدبر ؛ ويأتى بمعنى أقبل ، فهو ضد . والأحم : الأسود . والدُّجْنَةُ بضمتين وتشديد النون : الظلمة ، وكذلك البُهْمَة وجمعها بَهْمٌ . ولحن القول ، قال الأزهرى : هو كالعنوان والعلامة تشير بها فيفطن المخاطب لفرضك . والنجيب : الكريم من الإبل .
والحاجب الأقر : أراد أنه مفروق ما بين الحاجبين فيكون أبلغ نيرًا .
والفنيق : الفحل المكرم من الإبل الذى لا يُركب ولا يُهان لكرامته .
ويشقق : يهدر بشقيقته . ولغِبَ : تعب . والعين الخمرارة : الغزيرة النّبع ، من الخمر وهو صوت الماء . والأرض الخوار : اللينة السهلة ، من خار يخور : إذا ضعف .

٢٦٥

وهبًا : أمر مسند إلى ضمير الخليلين ، من الهبّ ، يقال هبّ من نومه من باب قتل : إذا استيقظ . وطالما : قال التبريزى فى شرح الحماسة : إن جعلت ما مصدرية كتبت منفصلة ، وإن جعلت كافة فتصلة . والرقود : النوم فى ليل أو نهار ، وخصّه بعضهم بنوم الليل ؛ والأوّل هو الحقّ ، ويشهد له المطابقة فى قوله تعالى : (وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ) قال المُفسّرون : إذا رأيتهم حسبّتهم أيقاظًا لأن أعينهم مفتحة وهم نيام . وتقضيان : من قضيت وطرى : إذا بلغتْه ونيلته . والكرى : النوم ؛ قالوا : أوّل النوم النعاس ، والوسن ثقل النعاس ، ثم الترنيق وهو مخالطة النعاس للعين ،

ثم الكَرَى والغَمَض وهو أن يكون الإنسان بين النَّائم واليقظان ، ثم الهجوع ، وهو النوم الغريق .

وسَمْعَان بفتح السين . موضع . وبارحاً بالموحدة والمهملّة : فاعل من برح الشيء يبرح من باب تعب براحاً : إذا زال من مكانه . وطوال الليالي بفتح الطاء بمعنى الطُول بضمها ، وهو منصوب على الظرفية ؛ يقال : لا أكله طوال الدهر وطول الدهر ؛ وهما بمعنى ؛ يريد إننى مقيم أبداً . وأوبعنى إلى ، أو بمعنى إلا ، ويجيب منصوب بأن بعدها . والصدى هنا بمعنى ما يبقى من الميت فى قبره ، ومنه قول النّسر بن تولى الصحابي رضى الله عنه :

أعاذل ، إنْ يُصبح صدأى بقفرة بعيداً نآنى صاحبي وقريبي
ترى أنْ ما أبقيتْ لم أكُ ربّه وأنّ الذى أنفقتْ كان نصيبي

وله معانٍ آخر : أحدها ذكر البوم ؛ ثانيها : حُشوة الرأس ، يقال لذلك الهامة والصدى ، وتأويل ذلك عند العرب فى الجاهلية : أنّ الرجل كان عندهم إذا قُتل فلم يدرك به الثأر ، أنه يخرج من رأسه طائر كالبومة وهى الهامة والذكر الصدى — فيصبح على قبره : اسقونى اسقونى ! فإن قُتل قاتله كفّ ذلك الطائر . قال :

يا عمرو إن لا تدع شتى ومنقَصي أضربك حتى تقول الهامة اسقونى^(١)

ثالثها : ما يرجع عليك من الصوت إذا كنت بمَنَسع من الأرض أو بقرب جبل . رابعها : بمعنى العطش ، مصدر صدى يصدى — والصدأ بالهمزة : صدأ الحديد وما أشبهه ، كذا فى الكامل للمبرد .

(١) لذى الاصبع العدواني فى المفضليات ١٦٠ . ويروى : « حيث

تقول الهامة »

وأبكيكما ، قال الأصمى : بكيت الرجل وبكيت بالتشديد ، كلاهما إذا بكيت عليه . وما اسم استفهام مبتدأ ، والذي خبره ، أو بالعكس ؛ والمعنى : أى شئ الذى يردّ البكاء على ذى اللوعة ؟ وهى الحُرقة . وروى (ذى عولة) وهى رفع الصوت بالبكاء بمعنى العويل . أن بكاكما : بفتح الهمزة مصدرية ومؤوّلا فاعل يردّ ؛ وروى بكسر الهمزة ، فهى شرطية والجواب مدلول عليه بأبكيكما ، وفاعل يردّ ضمير مفهوم من أبكيكما وهو البكاء ، ويجوز أن يكون دلّ عليه قوله أن بكاكما . وقوله كأنكما الخ . كأنّ هنا للتقريب ، وجملة قد أتاكما خبر كأنّ ، وفاعل أنى ضمير الموت ، والظرفان متعلقان به ، وجملة والموت أقرب غائب ، اعتراضية . والعقار بالضم : الحمر .

٢٦٦

والفِدَى بكسر الفاء وفتحها وبالقصر : مصدر فداء من الأسر يفديه : إذا استنقذه بمال ، واسم ذلك المال الفدية وهو عِوَضُ الأسير ؛ وأما الفداء بالكسر والمدّ فمصدر فاديته مفاداة وفداء : أخذت فديته وأطلقتها ؛ وقال المبرد : المفاداة : أن تدفع رجلاً وتأخذ رجلاً ، والفدى : أن تشتريه ، وقيل هما واحد .

(تنبيه)

أورد أبو تمام فى الحماسة هذه الأبيات على غير هذا النمط وقال :
ذكروا ان رجلين من بنى أسد خرجا إلى أصهبان ، فأخيا بها دهقاناً
فى موضع يقال له راوند ، فمات أحدهما وبقى الآخر والدهقان ينادمان قبره
ويشربان كأسين ويعصبان على قبره كأساً ؛ فمات الدهقان فسكر الأسد
ينادم قبريهما ويشرب قدحاً ويصب على قبريهما قدحين ، ويترنم بهذا الشعر :

خليلي هبّا طالبا قد رقدتما البيت
 ألم تعلم ما لي براوند كلها ولا بخزاق من صديق سواكما ؟
 أصبّ على قبريكما من مُدّامة فالّا تنالاها تروّ جُناكما
 أقيم على قبريكما البيت
 وأبكيكما حتى المات وما الذي البيت
 جرى النوم بين الجلد والحم منكما كأنكما ساقى عُقار سقاكما

وروى الأصهباني في الأغاني بسنده إلى يعقوب بن السكيت ، أن هذا الشعر لميسى بن قدامة الأسديّ ، قدّم قاشان وله نديمان ، فأتا فكان يجلس عند قبريهما وهما براوند بموضع يقال له خزاق ، فيشرب ويصبّ على القبرين حتى يقضى وطره ثم ينصرف ، وينشد وهو يشرب - وروى ما رواه أبو تمام^(١) ، وزاد عليه .

«تحمّل من يبغى القُفول وغادروا»^(٢) أخالكما أشجاء ما قد شجاكما
 وأيّ أخ يجفو أخاً بعد موته فليست الذي من بعد موت جفاكما
 أناديكما كيما تحببا وتنطقا وليس مجاباً صوته من دعاكما
 قضيتُ بآني لا محالة هالكٌ وأنى سيعروني الذي قد عراكما

وروى الأصهباني أيضاً بسنده إلى عبد الله بن صالح البجلي^(٣) أنه قال :

(١) فيه نظر ، فان هناك تخالفا في الرواية وعدد الأبيات . انظر الأغاني ١٤ : ٤١

(٢) ط : « العقول » ، صوابه في ش . وفي الأغاني : « من يهوى العقول » .

(٣) وكذا في ش . وفي الأغاني عن البلاذري : « عبد الله بن صالح ابن مسلم العجلي » . ونحوه في فتوح البلدان للبلاذري ٤٥٤

بلغني أن ثلاثة نفرٍ من أهل الكوفة كانوا في الجيش الذي وجهه الحجاج إلى الديلم ، وكانوا يتنادمون ولا يخالطون غيرهم ، وإلّهم لعلّ ذلك إذ مات أحدهم ، فدفنه صاحبه ، فكانا يشربان عند قبره فإذا بلغه الكأسُ هراقها^(١) على قبره وبكى . ثم إن الثاني مات فدفنه الباقي إلى جنب صاحبه ؛ وكان يجلس عند قبريها فيشرب ويصبّ كأسين عليهما ويبكى ويقول ثم ذكر الأبيات التي تقدم ذكرها ، وقال مكان (براوند) : (بقزوين^(٢)) . قال : وقبورهم هناك تعرف بقبور الندماء .

قال الأصهباني : وذكر العتي عن أبيه أن الشعر للحزين بن الحارث أحد بني عامر بن صعصعة ؛ وكان أحد نديميه من بني أسد ، والآخر من بني حنيفة فلما مات أحدهما كان يشرب ويصبّ على قبره ويقول :

لا تُصَرِّدْ هامةً من كأسِها وأسقِ الحمرَ وإن كان قبرُ
كان حُرّاً ، فهو فيمن هو كلُّ عودٍ ذى شُوب ينكسرُ

٢٦٧

ثم مات الآخر فكان يشرب على قبريها ويقول :

خليلى هباً طالما قدر قدتما . . الأبيات

وأما أبو عبيد في معجم ما استعجم ، وياقوت في معجم البلدان ، فقد نسبوا هذه الأبيات للأسديّ وذكرها حكايته كأبي تمام ؛ ثم قال ياقوت : وقال بعضهم : إن هذا الشعر لقسّ بن ساعدة في خليلين له كانا وماتا . وقال آخرون

(١) ط : « هرق » ش « هرقا » ، صوابهما في الأغاني وفتوح

البلدان

(٢) في النسختين : « وقال : خراق مكان براوند بقزوين » صوابه من الأغاني ومن صنيع البلاذري

هذا الشعر لنصر بن غالب يرثى به أوس بن خالد [وأنسا^(١)] ، وزاد في الأبيات ونقص ؛ وهذه روايته بعد البيت الأول :

أَجِدُّكَ مَا تَرِثِيَانِ لِمَوْجَعٍ حَزِينٍ عَلَى قَبْرِيكَمَا قَدْ رَثَا كَمَا
جَرَى النُّومُ بَيْنَ الْعِظَمِ وَالْجِلْدِ مِنْكُمْ الْبَيْتِ
أَلَمْ تَعْلَمَا مَا لِي بِرَاوَنْدٍ كُلُّهَا الْبَيْتِ
أَصْبَبْتُ عَلَى قَبْرِيكَمَا مِنْ مُدَامَةٍ فَلَا تَذُوقَاهَا تَرَوْنَا كَمَا
أَلَمْ تَرْحَمَانِي أَنِّي صَرْتُ مَفْرَدًا وَأَنْتَى مُشْتَاقٌ إِلَيَّ أَنْ أَرَا كَمَا
فَإِنْ كُنْتُمْ لَا تَسْمَعَانِ فَمَا الَّذِي خَلِيلِي ، عَنْ سَمْعِ الدَّعَاءِ نَهَا كَمَا
أَقِيمْ عَلَى قَبْرِيكَمَا لَسْتُ بِأَوْحَا الْبَيْتِ
وَأُبْكِيكَمَا طَوْلَ الْحَيَاةِ وَمَا الَّذِي الْبَيْتِ

قال ياقوت « راوند : بليدة قرب قاشان وأصفهان ، قال حمزة : أصلها رهاوند ، ومنها الخير المضاعف . قال بعضهم : وراوند مدينة بالموصل قديمة بناها راوند الأكبر بن بيوراسف^(٢) الضحاك » . انتهى .

وخزاق بضم الخاء وبالزاي^(٣) المعجمتين وآخره قاف : موضع في سواد أصفهان . كذا في المعجم لأبي عبيد ، وأنشد هذا البيت . ورأيت في هامشه بخط من يوثق به : خزاق اسم قرية من قرى راوند من أعمال أصفهان . والجلنا بضم الجيم وبالثاء المثناة : جمع جنوة مثناة الجيم ، وهي الحجارة المجموعة ،

(١) التكملة من ياقوت

(٢) ط : « هراسف » ش : « شراسف » . قال الميمنى : « والصواب

كما في معجم البلدان : « بيوراسف ، وأصله بالفارسية بيور أنسب »

(٣) في النسختين : « والزاي » ، والتصحيح لاحمد تيمور .

والجسد . والدَّهْقَانُ معرَّب دِهْجَان^(١) ومعناه رئيس القرية ؛ وفي القاموس : الدهقان بالكسر والضم زعيم فلاحي العجم ، ورئيس الإقليم ، معرَّب . وقوله « أَلَمْ تَعْلَمَا مَالِي .. الْح » ما : نافية ، قال ابن جنى في إعراب الحماسة : « استعملها بعد العلم وهي مقتضية لمفعولها لما دخلها من معنى القسم ، فكأنه قال : والله مالي يراوند من صديق غيركما وجاز استعمال العلم في موضع القسم من حيث كانا مثبِّتين مؤكِّدين » انتهى .

وقس (قس بن ساعدة) إيادي بكسر الهمزة ، وإياد : حى من معد بن عدنان . قال الذهبي : قس بن ساعدة أورده ابن شاهين وعبدان في الصحابة . وكذلك قال ابن حجر في الإصابة : ذكره أبو علي بن السكن وابن شاهين وعبدان المروزي وأبو موسى في الصحابة ، وصرح ابن السكن بأنه مات قبل البعثة .

وفي سيرة ابن سيّد الناس^(٢) بسنده إلى ابن عباس قال : قدم الجارود ابن عبد الله ، وكان سيّدا في قومه على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : والذي بعثك بالحق لقد وجدتُ صفتك في الإنجيل ، ولقد بشر بك ابنُ البتول ؛ فأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأنتَ محمد رسول الله . قال : فأمن الجارود وآمن من قومه كلُّ سيّد . فسرّ النبي صلى الله عليه وسلم بهم ، وقال : يا جارود ، هل في جماعة وفد عبد القيس من يعرف لنا قسّا ؟ قالوا : كلنا نعرفه يا رسول الله ، وأنا من بين [يدي^(٣)] القوم كنت أقفو أثره ،

(١) أصله بالفارسية « دِهْكَان » بالكاف الفارسية كما في معجم

استبجناس ٥٤٩

(٢) سيرة ابن سيّد الناس ١ : ٦٩

(٣) التكملة من سيرة ابن سيّد الناس

كان من أسباط العرب^(١) فصيحاً ، عمر سبعمائة سنة ، أدرك من الحواريين
سمعان ، فهو أول من تأله من العرب - أى تعبد - كأني أنظر إليه يقسم
بالرب الذى هو له ليبلغن الكتاب أجله وليوفين كل عامل عمله ؛
ثم أنشأ يقول :

هاج للقلب من جواه اذكارُ و ليالٍ خلاهنَّ نهارُ
في أبيات آخرها :

والذى قد ذكرتُ دلّ على الله نفوساً لها هدى واعتبار
فقال النبي صلى الله عليه وسلم : على رسلك يا جارود ، فلست أنساه
بسوق عكاظ على جهل أورق ، وهو يتكلم بكلام ما أظن أنى أحفظه . فقال
أبو بكر رضى الله عنه : يا رسول الله ، فإني أحفظه : كنت حاضراً ذلك اليوم
بسوق عكاظ فقال في خطبته : يا أيها الناس اسمعوا وعوا ، فإذا وعيتم فانتفعوا ،
إنه من عاش مات ، ومن مات فات ، وكل ما هو آت آت . . إلى آخر
ما أورده من الوعظ . انتهى .

والذى فى كتاب المعمرين لأبى حاتم السجستاني : عاش قس بن ساعدة
ثلاثمائة وثمانين سنة وقد أدرك نبينا صلى الله عليه وسلم ، وسمع النبي صلى الله
عليه وسلم ؛ وهو أول من آمن بالبعث من أهل الجاهلية ، وأول من توكأ
على عصا ، وأول من قال أمّا بعد . وكان من حكماء العرب وهو أول من كتب
[من فلان^(٢)] إلى فلان ابن فلان .

وقال المرزبانى : « ذكر كثير من أهل العلم أنه عاش ستمائة سنة » .

(١) جمع سبط ، وهو الحسن القد .

(٢) التكملة من ش والمعمرين ٦٩ .

وذكر الجاحظ في البيان والتبيين^(١) قساً وقومه وقال : إن له وقومه فضيلة ليست لأحد من العرب ؛ لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم روى كلامه وموقفه على جملة بعكاظ وموعظته . . وعجب من حسن كلامه وأظهر تصويبه . وهذا شرف تعجز عنه الأماني ، وتنقطع دونه الآمال . وإنما وفق الله ذلك لقس لا يحتاجه للتوحيد ؛ ولإظهاره الإخلاص ، وإيمانه بالبعث ومن ثم كان قس خطيب العرب قاطبة .

وفي نسبه خلاف . قيل : قس بن ساعدة بن خدافة بن زفر^(٢) (وقيل : خدافة بن زهر) بن إياد بن نزار . وقيل : هو قس بن ساعدة بن عمرو ابن عدى بن مالك بن ايدعان بن النمر بن وائلة بن الطشان^(٣) بن عوذ بن مناة ابن يقدم بن أفصى بن دُعَمَى بن إياد . وقيل : هو ابن ساعدة بن عمرو بن شمر ابن عدى بن مالك والله أعلم^(٤) .

* * *

وأنشد بعده :

(أَحَقَّا بَنِي أَبْنَاءِ سَلَمَى بْنِ جَنْدَلٍ تَهْدُدُكُمْ إِيَّايَ وَنُطَّ الْمَجَالِسِ)

(١) هذا النقل تبع فيه البغدادى ما ذكره ابن حجر فى الإصابة فى ترجمة (قس) حرفا بحرف . وهو متصرف فيه كثيرا . انظر البيان ٥٢ : ١

(٢) هذا النسب من المعمرين . وفى الإصابة : « بن جذامة بن زفر » .

(٣) وهذا النسب من الأغاني ، وفيها : « وائلة بن الطمشان بن زيد مناة بن تهدم » . الخ

(٤) فى الاشتقاق ١٦٩ : « وإياد قدم خروجهم من اليمن فصاروا الى السواد ، فألقت عليهم الفرس فى الغارة فدخلوا الروم فتنصروا وجهل الناس أنسابهم » .

على أن (حقاً) ظرف منصوب بتقدير (فى)

وتقدم شرحه فى الشاهد الرابع والستين من باب المبتدأ (١).

* * *

وأشبهه ، وهو الشاهد الثالث والتسعون ، وهو من شواهد سيبويه (٢):

٩٣ (دَعَوْتُ لِمَا نَابَنِي مِسَوْرًا فَلَبَّيْ ؛ فَلَبَّيْ يَدَى مِسَوْرٍ)

على أن (لَبَّيْكَ) مثنى عند سيبويه لا مفرد كدعى قلبت ألفها ياء
لما أضيفت إلى المضمر ، خلافاً ليونس ، بدليل بقاء يائها مضافة إلى الظاهر
كما فى هذا البيت .

أما الأول فقد قال أبو حيان فى الارتشاف : ذهب الخليل وسيبويه
والجمهور إلى أن لَبَّيْكَ تنية لبّ . وحكى سيبويه عن بعض العرب لبّ على أنه
مفرد لَبَّيْكَ غير أنه مبنى على الكسر كأمس ، وعلّق لقلة تمكّنه ، ونصبه
نصب المصدر كأنه قال : إجابةً . وزعم ابن مالك أنه اسم فعل . وهو فاسد
لإضافته ؛ ويضاف إلى الظاهر تقول : لَبَّيْ زَيْد ، وإلى ضمير الغائب قالوا :
لَبَّيْه . ودعوى الشذوذ فيهما باطلة . انتهى .

٢٦٩

وهذا مخالف لما قاله ابن هشام فى المغنى : أن شرط مجرور لَبَّيْ وسعدى
وحناتى (٣) ضمير الخطاب ، وشذّ :

(١) أنظر ما مضى ص ٤٠١ من الجزء الأول

(٢) سيبويه ١ : ٧٦ . وأنظر العينى ٣ : ٣٨١ وابن الشجرى

١ : ١١٩ وشرح شواهد المغنى للسيوطى ٣٠٧ واللسان (لب ٢٢٧)

(٣) ش مع أثر تصحيح : « وحنانا » ، وليس بشىء .

دعوني فيآلبي إذا هدرت لهم شقاشق أقوام فأسكتها بدري^(١)

لعدم الإضافة^(٢)، ونحو :

* لقلت لبيّه لمن يدعوني *

لإضافته إلى ضمير الغيبة ، كما شذّ إضافته إلى الظاهر في قوله :

* فليّ فليّ يدى مسور *

وأما (الثاني) فهو اسم مفرد مقصور عند يونس . قال ابن جني في سرّ الصناعة : « أصله عنده لببٌ ووزنه فعللٌ ، ولا يجوز أن تحمله على فعللّ لقلة فعلل في الكلام وكثرة فعلل ، فقلبت الباء التي هي اللام الثانية من لبب ياء هرباً من التضعيف ، فصار ليّ ، ثم أبدل الياء ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها فصارت لبآ ثم إنها لما وصلت بالكاف في لببيك وبالهاء في لبيّه قلبت الألف ياء ، كما قلبت في على ولدى إذا وصلت بالضمير ، ووجه الشبه بينهما : أنه اسم ليس له تصرف غير من الأسماء ، لأنه لا يكون إلّا منصوباً

(١) جعلت في ش مع أثر تصحيح « هدرى » ، وهما روايتان . ومن عجب أن الشنقيطي في نسخته من شرح شواهد المغنى للبغدادى ٢ : ٨٨١ نسخة دار الكتب رقم ٢ نحو ش يصححها أيضاً بهذا الرسم مع أن البغدادى يقول في تفسيرها هناك : « وبدري : مبادري ومسارعتي لأدفع عنهم » .

(٢) أقول : فيه نظر ، فإن الذى يفهم من سياق كلام ابن هشام أن ذلك شاذ لإضافته إلى ضمير المتكلم ، كما أن البيت الآتى شاذ لإضافته إلى ضمير الغيبة ، وهما خلاف ضمير الخطاب . وقد صرح الأمير وكذا الدسوقي في حاشيتيهما على المغنى بأنه مضاف إلى ياء المتكلم . وقال الدسوقي : الذال ساكنة ، ووقعت في النسخ « اذا » بفتح الذال . فصدر البيت عندهما هكذا :

* دعوني فيآلبي إذ هدرت لهم *

ولا يكون إلا مضافاً ، كما أنَّ إليك وعليك ولديك لا تكون إلا منصوبة
 المواضع ملازمة للإضافة ؛ فقلبوا ألفه ياء فقالوا : لبيك^(١) كما قالوا : عليك .
 ونظير هذا كلا وكلنا في قلب ألفهما ياء متى اتصلت بضمير وكانت في موضع
 نصب أو جر ، ولم يقلبوا الألف في موضع الرفع ياء لأنهما بعداً برفعهما
 عن شبه عليك ولديك ، إذ كان لا حظاً لهنّ في الرفع . واحتجّ سيديوه
 على يونس فقال : لو كانت ياء إليك بمنزلة ياء عليك ولديك لوجب متى أضيقنا
 إلى المظهر أن تقرأها ألفاً ، فليّ في هذا البيت بالياء مع إضافته إلى المظهر دلالة
 على أنه اسم مثني .

وأجاب ابن جني في المحتسب : بأن من العرب من يبدل ألف المقصور
 في الوقف ياء فيقول : هذه عصي ورأيت حُبلى ؛ ومنهم من يبدلها واواً فيه
 أيضاً فيقول : هذه عصو وحُبّو ، وفي الوصل أيضاً نحو هذه حُبْلُو ياقتي ،
 ومنه قراءة الحسن : (يَوْمَ يَدْعُو كُلُّ أَنَسٍ) بضم الياء وفتح العين .
 وعلى هذا التخريج يسقط قول سيديوه عن يونس . قال أبو علي : يمكن يونس
 أن يقول : إنه أجرى الوصل مجرى الوقف ، فكما يقول في الوقف : عصي وقتي ،
 كذلك قال : فليّ ، ثم وصل على ذلك . هذا ما قاله أبو علي . وعليه يقال :
 كيف يحسن تقدير الوقف على المضاف دون المضاف إليه ؟ وجوابه أن ذلك
 قد جاء ، أنشد أبو زيد :

* ضَخْمٌ نِجَارِي طَيْبٌ غُنْصُرِي *

أراد غنصرى ، فنقل الراء لنية الوقف ثم أطلق ياء الإضافة من بعد .

(١) في النسختين : « اليك » ، صوابه من سر الصناعة مخطوطة
 دار الكتب ١٢٠ لغة

وإذا جاز هذا التوهم مع أن المضاف إليه مضمر ، والمضمر المجرور لا يجوز
تصوّر انفصاله ، فجوازه مع المظهر أولى ، من حيث كان المظهر أقوى
من المضمر . ومثله قوله :

* ياليتها قد خرجت من فمه *

أراد : من فمه ، ثم نوى الوقف على الميم فنقلها على حدّ قولهم في الوقف :
هذا خالد وهو يحمل ، ثم أضاف على ذلك . ويروى : من فم بضم الميم أيضا ،
وفيه أكثر من هذا . انتهى .

٢٧٠

فوزن لبّيك عندهما^(١) فعليّك ، وعند يونس فعَلَلَك .

واعلم أن الشارح جوّز أن يكون أصل لبّيك إمّا « إلباين » [حذف^(٢)]
منه [الزوائد وإمّا من لبّ بالمكان بمعنى أقام ، فلا حذف . وينبغي أن يكون
المأخوذ منه هذا ، فإنه لا تكلف فيه ، وفعله ووصفه ثابت ، أما الفعل فقد
روى الفضل بن سلمة في الفاخر : أنه يقال : لبّ بالمكان : إذا أقام فيه .
وأنشد قول الراجز :

* لبّ بأرض ماتخطّاها الغنم^(٣) *

وأما الوصف فقد قال صاحب الصحاح : ورجل لبّ أى لازم
للأمر ، وأنشد :

* لبّا بأعجاز المطى لاحقا *

(١) يعنى الحليل وسيبويه .

(٢) هاتان من ط ، وقد سقطتا من ش دون تبيين .

(٣) الشطر فى اللسان (لبب ٢٢٧ س ٥) والفاخر ٤ بدون نسبة

ورجل لبيب مثل لبّ قال :

فقلت لها فِئى إِيكَ فَإِنِّى حرامٌ وإِنِّى بعد ذاك لبيب^(١)

وقيل : هو بمعنى مُكَبِّ بالفتح ، من التلبية و : حرام بمعنى مُحَرَّم ، و : بعد ذاك أى مع ذاك . وقيل : إنه مأخوذ من قولهم : دارى تَلْبُ دارك أى تقابلها ؛ فيكون معناه : اتجأى إِيكَ وإِقْبالى عليك . حكاهما المفضل فى الفاخر ، وأسند أولهما إلى الخليل عن أبي عبيد . وقيل : معناه إخلاصك ، من قولهم : حسبُ لُبَاب .

واختلف فى « كاف » لَبَّيْكَ ، فقال أبو حيان فى الارتشاف : وهى فى لبيك وسعديك وحنانيك الواقع موقع الذى هو خبر ، فى موضع المفعول ؛ وفى دواليك وهذا ذيك وحنانيك إذا وقعت موقع الطلب ، فى موضع الفاعل . وذهب الأعلام إلى أن السكاف حرف خطاب فلا موضع لها من الإعراب . وحذفت النون لشبه الإضافة . ويجوز استعمال لَبَّيْكَ وحده ، وأما سعديك فلا يستعمل إلا تابعا للَبَّيْكَ . انتهى .

وقوله فى البيت (فَلَبَّيْ) هو فعل ماض ، من التلبية ، وفاعله الضمير العائد إلى (مِسُور) قال الشارح المحقق « وأما قولهم : لَبَّيْ يَلْبِي فهو مشتق من لَبَّيْكَ ، لأن معنى لَبَّيْ : قال لبيك ، كما أن معنى سَبَّحَ وسَلَّمَ وبَسَّلَ : قال سبحان الله ، وسلام عليك ، وبسم الله » .

وهذا مأخوذ من سر الصناعة لابن جنِّي فإنه قال : « فأما حقيقة لَبَّيْت عند أهل الصنعة فليس أصلُ يائه باء ؛ وإنما الياء فى لَبَّيْت هى الياء فى قولهم :

(١) للمضرب بن كعب ، أو المخبل السعدى . اللسان (لبيب ٢٢٦)

وأما القالى ٢ : ١٧١ وشروح سقط الزند ١١٤٣

لبيك وسعديك ، اشتقوا من الصّوت فعلا مجمعا من حروفه ؛ كما قالوا من سبحان الله : سبّحت ، أى قلت سبحان الله ؛ ومن لا إله إلا الله : هلّت ، ومن لا حول ولا قوّة إلا بالله : [حو قلت و^(١)] حولّقت ؛ ومن بسم الله : بسملت ؛ ومن هلم - وهو مركب من ها ولم عندنا وهل وأمّ عند البغداديين - فقالوا : هلممت . وكتب إلى أبو عليّ فى شيء سأله عنه قال : قال بعضهم : سألتك حاجة فلا ليّت لي ، أى قلت لي : لا ، وسألتك حاجة فلو ليّت لي ، أى قلت لي : لولا ، وقالوا : بأبأ الصبيّ أباه أى قال له بابا . وكذلك اشتقوا أيضا لبيّت من لفظ لبيك فجاءوا فى لبيّت بالياء التى للتنية .

ثم قال ابن جنى : « وقولُ من قال : إن لبيّت بالحج إنما هو من قولنا ألَبّ بالمكان ، إلى قول يونس أقربُ منه إلى قول سيبويه . ألا ترى أن الياء فى لبيّك عند يونس^(٢) إنما هى بدل من الألف المبدلة من الياء المبدلة من الباء الثالثة فى لبّ . انتهى .

وعندى أن التلبية من مادة معتلة غير مادة المضاعف ؛ ونظائره كثيرة مثل صرّ وصرّى ؛ فإنّ لبّي غير منحصر معناه فى قال لبيّك ، بل يأتى بمعنى أقام ، ولازم مثل ألَبّ بالمكان ، قال طُفيل الغنوى ، أنشده المفضل فى الفاخر :

رددن حصينا من عدى ورهطه وتيم تلبيّ فى العروج وتحلب^(٣)
أى تلازمها وقيم بها .

(١) التكملة من سر الصناعة

(٢) ط : « عند سيبويه » ، وأثبت ما فى ش

(٣) الفاخر ص ٤ . والعروج : جمع عرج بالفتح ، للقطيع من

الابل

وقوله (لما نابني) اللام للتعليل . وأستشهد به صاحب الكشف
على أن اللام في قوله تعالى : (يَدْعُوكُمْ لِيَغْفَرَ لَكُمْ^(١)) تعليلية كما في هذا
البيت . و (مِسُورَ) بكسر الميم : اسم رجل . والفاء الأولى عطفت جملة لبي
على جملة دعوت ؛ والثانية سببية ومدخولها جملة دعائية ؛ يقول : دعوتُ
مِسُوراً لدفع ما نابني فأجابني ، أجب الله دعاه !

قال الشاطبي في شرح الألفية : روى في بعض الأحاديث عن النبي
صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إذا دعا أحدكم أخاه فقال لبيك فلا تقولنَّ
لبي يديك ، وليقل أجابك الله بما تحب » . وهذا يشعر بأن عادة العرب
إذا دعت فأجبت بلبيك أن تقول : لبي يديك ؛ فهي عليه الصلاة والسلام
عن هذا القول وعوض منه كلاماً حسناً .

وقال الأعمى : « يقول : دعوت مِسُوراً لدفع نائبة نابتنى فأجابني بالعتاء
فيها وكفاني مؤثتها . وكأنه سأله في دية . وإنما لبي يديه لأنها الدافعتان إليه
ما سأله منه ؛ فخصهما بالتلبية لذلك » .

وهذا البيت من الأبيات الحسين التي لا يُعرف لها قائل . وقريب منه
هذا البيت وهو :

دعوت قتي أجلب قتي دعاه بلبيبه أشم شمردلي^(٢)

* * *

وأُتشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والتسعون ، وهو من أبيات س^(٣) :

(١) الآية ١٠ من سورة ابراهيم .

(٢) ط : « شمردلي » صوابه قتي ش والحماسة ١٨١٧ بشرح

المرزوقي . والشمر دلي : الطويل .

(٣) سيبويه ١ : ١٧٥ . وانظر العيني ٣ : ٤٠١ والخصائص ٣ :

٤٥ والهمسج ١ : ١٨٩ والخصائص ١٣ : ٢٣٢ وابن يعيش ١ : ١١٩

ومجالس ثعلب ١٥٧ .

٩٤ (إِذَا شُقَّ بُرْدٌ شُقٌّ بِالْبُرْدِ مِثْلُهُ دَوَالِيكَ حَتَّى كُلُّنَا غَيْرُ لَابِسٍ^(١))

على أن (دواليك) منصوب بماعل محذوف .

قال : يقال دواليك أى تداول الأمر^(٢) دَوَالَيْنِ ؛ ظاهره أن دواليك بدل من فعل الأمر . وليس كذلك كما يعلم مما سيأتى .

اعلم أن دوالين مثنى دوال ؛ والدوال بالكسر : مصدر داوت الشيء مداولة ودوالاً ، وبالفتح : اسم مصدر . ورؤى بالوجهين ما أنشده أبو زيد فى نواتره^(٣) لضباب بن سبيع بن عوف الخنظلى :

جَزَوْنِي بِمَا رَبَّيْتَهُمْ وَحَمَلْتَهُمْ كَذَلِكَ مَا أَنْ الْخَطُوبَ دَوَالُ

والتداول : حصول الشيء فى يد هذا تارة وفى يد ذاك أخرى ؛ والاسم الدولة بفتح الدال وضمتها ، ومنهم من يقول : الدولة بالضم فى المال وبالفتح فى الحرب ؛ ودالت الأيام مثل دارت وزناً ومعنى . و (دواليك) معناه مداولة بعد مداولة ؛ وثمى لأنه فعل اثنين . قال الشاطبى : ولا تجوز إضافته إلى الظاهر ، لا تقول : دوالى زيد . وقال الأعمى : الكاف للخطاب ولذلك لم يتعرف بها ما قبلها .

وأنشده سيبويه هذا البيت على أن دواليك مصدر وضع موضع الحال .

(١) أغفل هذا الشاهد فى طبعة شرح الرضى للكافية سنة ١٢٧٥ . انظر ١ : ١١٤ س ٦ وتختلف الرواية فى قافيته ، فيروى أيضاً : « ليس للبرد لابس » كما عند سيبويه وغيره فيكون رويه مرفوعاً .

(٢) ط ٠ « تدول » مع تشديد الواو ، وفى ش : « تدول » من غير شد ، وأثبت ما فى شرح الرضى ١ : ١١٤

(٣) النوادر ص ١١٥

ودلّ قوله : إذا شُقَّ برد ، على الفعل الذى نصبَ دوايك ، أى نشقهما متداولين ، بإظهار فعل له ولها يعمل فى دوايك . وروى :
(إذا شُقَّ بردُ شُقَّ بالبرد بُرُقِع)

يعنى أنه يشقّ برقعها وهى تشقّ برده . ومعناه : أن العرب يزعمون أنّ المتحابين إذا شقّ كل واحد منهما ثوبَ صاحبه دامت مودتهما ولم تنفسد^(١) . وقال أبو عبيدة : كان من شأن العرب إذا تجالسوا مع الفتيات للتغزل أن يتعابثوا بشقّ الثياب لشدة المعالجة عن إبداء المحاسن . وقيل : إنما يفعلون ذلك ليدكر كل واحد منهما صاحبه به . وقال العيني : كانت عادة العرب فى الجاهلية أن يلبس كل واحد من الزوجين بُرد الآخر ، ثم يتداولان على تخريقه حتى لا يبقى فيه لبس ، طلباً لتأكيد المودة . وقال الجوهري : يزعم النساء إذا شقّ أحد الزوجين عند البضاع شيئاً من ثوب صاحبه دام الود بينهما ، وإلا تهاجرا .

٢٧٢

و (شُقَّ) فى الموضعين بالبناء للمفعول ، وبردٌ ومثله : نائباً الفاعل ، والباء للمقابلة . والبرد : الثوب من أى شئ كان ، وقال أبو حاتم : لا يقال له برد حتى يكون فيه وُشْي ، فإن كان من صوف فهو بُردة . وحتى ابتدائية وكلنا مبتدأ ، وغير لا بس خبره . وروى العيني : (ليس للبرد لا بس) كصاحب الصحاح . وهو غير صحيح ، فإن القوافى مجرورة . وأثبت صاحب الصحاح (هذاذك) موضع (دوايك)^(٢) والصواب ما ذكرنا . وأنشده سيبويه أيضاً كصاحب الصحاح ، فيكون فيه إقواء .

(١) انظر لشق الثياب ما ورد فى صبح الأعشى ١ : ٤٠٧ ونهاية الأرب ٣ : ١٢٦ وابن أبى الحديد ٤ : ٤٤١ .
(٢) وذلك فى مادة (هذذ) . ورواه أخرى فى (دول) برواية سيبويه .

وهذا البيت من قصيدة لسُحَيمَ عبدِ بنى الحُصَحاس . وأولها :
 (كَأَنَّ الصُّبِيرِيَّاتِ يَوْمَ لَقِينَا ظِلَاءَ حَنْتَ أَعْنَأَقَهَا لِلْمَكَائِسِ أَيْبَاتِ الشَّامِدِ
 وَهُنَّ بَنَاتُ الْقَوْمِ إِنْ يَشْعُرُوا بِنَا
 يَكُنُّ فِي ثِيَابِ الْقَوْمِ إِحْدَى الدَّهَارِسِ)^(١)

وقبل البيت الشاهد :

(فكم قد شققنا من رداء منيرٍ على طفلةٍ ممكورة غير عانس)
 قال ابن السيد : أراد بالصُّبِيرِيَّاتِ نساء بنى صُبيرة بن يربوع^(٢) . وحنت :
 أُمِيت . والمكائس : جمع مَكْنَسٍ بمعنى الكناس ، وهو موضع الظباء
 في الشجر يكتنّ فيه ويستتر ، وكَنَسَ الظبي يَكْنِسُ بالكسر . والدَّهَارِسُ
 بفتح الدال : الدواهي ، جمع دَهْرَسٍ كجَمْرٍ ، والدَّهَارِسُ جمع الجمع . والرداء
 المنيرُ : الذي له نيرٌ بالكسر ، وهو علم الثوب . وجارية طفلة بفتح الطاء
 أى ناعمة . والمناسب لقوله غير عانس أن يكون طفلة بكسر الطاء . والممكورة :
 المطوية الخلق من النساء ، يقال : امرأة ممكورة الساقين أى جدلاء مفتولة .
 وقال ابن السيد : الممكورة : الطويلة الخلق . والانس بالنون ، في الصحاح :
 « عَنَسَتِ الْجَارِيَةُ تَعْنُسُ عَنُوسًا وَعِنَاسًا فَهِيَ عَانِسٌ ، وَذَلِكَ إِذَا طَالَ مَكْنُهَا
 فِي مَنَازِلِ أَهْلِهَا »^(٣) بعد إدراكها حتى خرجت من عداد الأَبْكَارِ ، وهذا
 ما لم تزوج فإن تزوجت مرة فلا يقال عَنَسَتْ . يقول : إِذَا شَقَّ هَؤُلَاءِ

(١) ط : « ثبات » ، صوابه في ش . وفي الديوان ١٥ والعيني :
 « يَكُنُّ فِي بَنَاتِ الْقَوْمِ » وفي أمالي الزجاجي ١٣١ :
 « يَكُنُّ بَنَاتُ الْقَوْمِ »

(٢) في النسختين : « صُبيرة » ، صوابه في الاشتقاق ٢٢١ وجمهرة
 أنساب العرب ٢٢٤ والعيني .

(٣) في الصحاح : « منزل أهلها »

النساء اللاتي يلعبن معي بُردى شققت أنا أيضا أرديتهن وبراقهن حتى نَمرى
جميعا . ومثل هذا قول رجل من بني أسد :
كَأَنَّ ثِيَابِي نَازَعَتْ شَوْكَ عُرْفُطٍ

تَرَى الثَّوْبَ لَمْ يَخْلُقْ وَقَدْ شَقَّ جَانِبُهُ

ترجمة سحيم

و (سُحَيْمُ عَبْدُ بَنِي الْحَسْحَاسِ) من المخضرمين : قد أدرك الجاهلية
والإسلام . ولا يعرف له صُحبة . وكان أسودَ شديدَ السواد . وبنو الحسحاس ،
قال ابن هشام في السيرة : هم من بني أسد بن خزيمة ؛ والحسحاس بمهمات
هو ابن نفثة بن سعد بن عمرو بن مالك بن ثعلبة بن دودان بن أسد بن خزيمة
ابن مدركة بن إلياس . ومن شعر سحيم :

إِنْ كُنْتُ عَبْدًا فَنَفْسِي حُرَّةٌ كَرَمًا أَوْ أَسْوَدَ اللَّوْنِ إِنِّي أَيْضُ الْخُلُقِ
وله القصيدة المشهورة التي مطلعها (وهو من شواهد معنى اللبيب) :

٢٧٣

عُمَيْرَةٌ وَدُعْ إِنْ تَجَبَّزْتَ غَادِيَا كَفَى الشَّيْبُ وَالْإِسْلَامُ لِلرَّءِ نَاهِيَا
قال المبرِّد في الكامل : « وكان عبد بني الحسحاس يرتضخ لُكنةً
حبشيةً ، فلما أنشد عمرَ بن الخطاب رضى الله عنه هذا المطلع قال له عمر :
لو كنت قد دمت الإسلام على الشيب لأجزتك . فقال سُحَيْم : ما سَعَرْتَ —
يريد ما سَعَرْتَ » .

وفي الأغاني للأصبهاني من طريق أبي عبيدة قال : كان سحيم أسود
أعجباً أدرك النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد تَمَثَّلَ النبي صلى الله عليه وسلم
من شعره ^(١) روى المَرزُبَانِيُّ في ترجمته ، والدينَوَرِيُّ في المجالسة ، من طريق

(١) النص في الأغاني ٢٠ : ٢ : « ويقال انه تمثل بكلمات من شعره

غير موزونة » . لكن البغدادى تابع ابن حجر في الاصابة .

على بن زيد عن الحسن رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :
 كفى بالإسلام والشيب للمرء ناهيا ؛ فقال له أبو بكر رضى الله عنه إنما
 قال الشاعر :

* كفى الشيب والإسلام للمرء ناهيا *

فأعادها النبي صلى الله عليه وسلم كالأول فقال أبو بكر : أشهد إنك
 لرسول الله ، (وما علمناه الشعرَ وما ينبتنى له) . وقال عمر بن شبة : قدم
 سُحيم بعد ذلك على عمر بن الخطاب فأنشده هذه القصيدة ، فقال له عمر :
 لو قدمت الإسلام لأجزتك .

وقتل سُحيم في خلافة عثمان : قال ابن حجر في الإصابة : يُقال : إن سبب
 قتله أن امرأة من بنى الحسحاس أسرها بعض اليهود واستخصها لنفسه وجعلها
 في حصن له ، فبلغ ذلك سحيمًا فأخذته الغيرة فما زال يتحيل له حتى تسور على
 اليهودي حصنه فقتله ، وخلص المرأة فأوصلها إلى قومها ؛ فلقيته يومًا فقالت
 له : يا سُحيم ، والله لو ددت أني قدرت على مكافأتك على تخلصي من اليهودي !
 فقال لها : والله إنك لقادرة على ذلك - عرض لها بنفسها - فاستحييت
 وذهبت ، ثم لقيته مرة أخرى فعرض لها بذلك فأطاعته ؛ فهورها وطفق
 يتغزل فيها ، ففطنوا له فقتلوه خشية العار .

وقال ابن حبيب : أنشد رسول الله صلى الله عليه وسلم قول سُحيم
 عبد بنى الحسحاس :

الحمد لله حمدًا لا اقطاع له فليس إحسانه عنا بمقطوع
 فقال : أحسنَ وصدق ، وإن الله يشكر مثل هذا ، ولئن سدد وقارب
 إنه لمن أهل الجنة . انتهى .

وقال اللخميّ في شرح شواهد الجمل : « اسم عبد بنى الحسحاس سُحيم ، وقيل اسمه حية ، ومولاه جندل بن معبد من بنى الحسحاس . وكان سُحيم حبشياً أعجميّ اللسان ، ينشد الشعر ثم يقول : أَهْشَنْدُ^(١) والله ، يريد أحسنت والله . وكان عبد الله بن أبي ربيعة قد اشتراه وكتب إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه : إني قد ابتعتُ لك غلاماً شاعراً حبشياً . فكتب إليه عثمان : لا حاجة لي به فاردده ، فإنما قصارى أهل العبد الشاعر إن شبع أن يشبّب بنسائهم وإن جاع أن يهجوهم . فردّه عبد الله ، فاشتراه أبو معبد فكان كما قال عثمان ، رضي الله تعالى عنه : شبّب ببنته عميرة وأخفش وشهرها . فخرقه بالنار . فن ذلك قوله فيها :

أَلِكْنِي إِلَيْهَا عَمَرَكَ اللَّهُ يَاقَتِي بَايَةَ مَا جَاءَتْ إِلَيْنَا تَهَادِيَا
وَبِنَا ، وَسَادَانَا إِلَى عَلَجَانَةٍ وَحِقْفَ تَهَادَاهُ الرِّيحُ تَهَادِيَا
وَهَبْتَ شِمَالُ آخَرَ اللَّيْلِ قُرَّةً وَلَا ثَوْبَ إِلَّا بُرْدُهَا وَرِدَائِيَا
تُوسِدُنِي كَفَاً وَتَتْنِي بِمِعْصَمٍ عَلَى وَتَحْوِي رِجْلَهَا مِنْ وَرَائِيَا^(٢)
فَازَالَ بَرْدِي طَيِّباً مِنْ ثِيَابِهَا إِلَى الْحَوْلِ حَتَّى أَنْهَجَ الْبَرْدُ بِأَلْيَا

٢٧٤

انتهى . أَلِكْنِي إِلَيْهَا : معناه أبلغ رسالتى إليها . والألوك : الرسالة .
وعَلَجَانَةٍ : شجرة معروفة . وَالْحِقْفُ : ما تراكم من الرمل . والقُرَّة بالضم :
البرد . وَأَنْهَجَ : أخلق .

وذكر محمد بن حبيب في كتاب من قُتل من الشعراء^(٣) : أن سحياً كان

(١) هذا ما فى ش واضحاً . وفى ط : « أهسنت » .

(٢) وكذا فى ديوانه ٢٠ وحماسة ابن الشجرى ١٦٠ . وفى السمت ٧٢١ : « وتحنو رجليها » .

(٣) انظره فى نوادر المخطوطات ٢ : ٢٧٢

صاحب تغزل ، فاتهمه مولاه بابنته ، فجلس له في مكانٍ إذا رعى سحيم قال فيه (١) . فلما اضطجع تنفّس الصُّعداء ثم قال :

يَا ذِكْرَةَ مَالِكٍ فِي الْحَاضِرِ تَذَكُّرُهَا وَأَنْتِ فِي السَّادِرِ
مِنْ كُلِّ بَيْضَاءٍ لَهَا كَعُشْبٌ مِثْلُ سَنَامِ الرَّبِيعِ الْمَائِرِ (٢)
فقال له سيده — وظهر من موضعه الذي كان كمن فيه — : مَالِكُ ؟
فلجلج في منطقته . فلما رجع وهمّ على قتله خرجت إليه صاحبتة فخدّته
وأخبرته بما يراذُ به ، فقام ينفضُ بُرده ويعفئ أثره . فلما انطلقَ به ليُقتل
ضحكت امرأة كان بينه وبينها شيء (٣) فقال :

إِنْ تَضْحَكِي مِنِّي فَيَارُبُّ لَيْلَةٍ تَرَكْتُكِ فِيهَا كَالْقَبَاءِ الْمَفْرَجِ
فَلَمَّا قَدِمْتُ لِيُقْتَلَ قَالَ :

شُدُّوا وَثَاقَ الْعَبْدِ لَا يَغْلِبُكُمْ
فَلَقَدْ تَحَدَّرَ مِنْ جَبِينِ فَتَاتِكُمْ
إِنَّ الْحَيَاةَ مِنَ الْمَمَاتِ قَرِيبٌ (٤)
عَرَّقْتُ عَلَى ظَهْرِ الْفَرَّاشِ وَطِيبٌ (٥)
فقتل . انتهى .

(تمة)

قال ابن السيد في شرح شواهد الجمل ، وتبعه ابن خلف : إن سحياً مصغر
أسحم وهو الأسود تصغير ترخيم ، ويجوز أن يكون مصغر سحم وهو ضرب

(١) من القيلولة ، وهو نوم القائلة .

(٢) ط : « لها كفل » ، صوابه في ش ونوادر المخطوطات . والرابع :

الفصيل ينتج في الربيع . والمائر : المضطرب من كثرة شحمه .

(٣) في نوادر المخطوطات : « كان بينه وبينها هوى شماته »

(٤) في نوادر المخطوطات : « لا يفلتكم » ، وهو الوجه .

(٥) في النوادر وقوات الوفيات ١ : ٢١٣ : « رطيب »

من النبات ؛ والأول أجود ؛ لأنه كان عبداً أسود . وأما الحسحاس فالأشبه أن يكون اسماً مرتجلاً مشتقاً من قولهم : حسحستُ الشَّواءَ : إذا أزلتَ عنه الجِرَ والرماد ، وقد يمكن أن يكون منقولاً ؛ لأنهم قالوا : ذو الحسحاس ، لموضع بعينه انتهى . قال في الصحاح : والحسحاس : الرجل الجواد ؛ قال الراجز :

* حَبَّةُ الْأُبْرَامِ لِلْحَسْحَاسِ *

فهو قطعاً منقول منه . وقوله : من حسحست الشَّواءَ .. الخ قال في الصحاح « وحسست اللحم وحسسته بمعنى : إذا جعلته على الجِر .. وحسست النار : إذا رددتها بالمصاعلي خبزة الملة أو الشَّواء من نواحيه لينضج . ومن كلامهم : قالت الخبزة : « لولا الحس ما باليت بالدس » . فكلامه لا يوافق شيئاً من هذا ، فتأمل .

* * *

وأشده بعده ، وهو الشاهد الخامس والتسعون وهو من أبيات سيبويه (١) :

٩٥ (ضرباً هَذَا ذِيكَ وَطَعْنًا وَخُضًا)

على أن (هَذَا ذِيكَ) بمعنى أسرع إسرائين ، أى ضرباً يقال فيه هَذَا ذِيكَ . أراد أن هَذَا ذِيكَ بمعنى أسرع ، وأنه بدلٌ من فعل الأمر . ولا يخفى أنه بدل من هَذَا ، وهو في جميع تصرفاته معناه السَّريعة في القطع لا السرعة مطلقاً ، بل حكم الأحيائي في نواته أن هَذَا : القطع نفسه . وأشده هذا البيت . وكذلك صاحب القاموس ، قال : هَذَا ذِيكَ : قطعاً بعد قطع .

(١) سيبويه ١ : ١٧٥ . وانظر العيني ٣ : ٣٩٩ وابن يعيش ١ : ١١٩ والهمع ١ : ١٨٩ ومجالس تملب ١٥٧ وأمالى الزجاجي ١٣٢ واللسان (هَذَا ٥٤) والمخصص ٦ : ٨٨ ، ١٣/١٠٣ : ٢٣٣ وديوان العجاج ٥٤

وهذا ذيك ليس بدلاً من فعل الأمر حتى يُحتاج إلى تقدير القول ليصح وقوعه وصفاً لما قبله ، بل معناه ضرباً يهْدُ هذا بعد هذَّ ، أى قطعاً سريعاً بعد قطع سريع ، فهو صفة بدون إضمار القول ؛ والأنسب يَهْدُ به هذا ، بالخطاب ليظهر كونه مضافاً لفاعله .

وجوز شراح أبيات سيبويه وأبيات الجمل أن يكون بدلاً من قوله ضرباً ، وأن يكون حالاً منه على ضعف .

وقال ابن هشام اللخمي : وقيل : إن هذا ذيك منصوب بإضمار فعل من لفظه ، وذلك الفعل في موضع نصب على الصفة للضرب ، وذلك الضرب منصوب بإضمار فعل من لفظه ؛ كأنه قال : تضربهم ضرباً يهْدُ اللحم هذا بعد هذَّ ، أو تطعنهم طعناً وخضاً يردُّ دماءهم في أجوافهم . وقال ابن السيد : معنى ضرباً هذا ذيك : ضرباً يَهْدُك هذا بعد هذَّ . وهذا عكس المعنى المراد ، كأنه ظن أن المصدر مضاف لمفعوله ؛ وليس كذلك .

وهذا البيت من أرجوزة للعجاج مدح بها الحجاج بن يوسف الثقفي ، عامله الله بما يستحقه ، وذكر فيها ابن الأشعث وأصحابه . وقبلة :

(تجزيمهم بالظعن فرضاً فرضاً وتارة يلقون قرضاً قرضاً
حتى تقضى الأجل المنقضى ضرباً هذا ذيك وطعناً وخضاً
يمضى إلى عاصي العروق النخضاً)

وفيهما يقول :

(جاءوا مُحِلِّينَ فلاقوا حَمْضاً طَائِغِينَ لَا يَزْجُرُ بَعْضُ بَعْضاً)

قوله : تجزيمهم ، الخطاب للحجاج ، والضمير للمنصوب لابن الأشعث

وأصحابه ؛ متعدّ لمفعولين^(١) ، يقال : جَزَاهُ اللهُ خيراً . والظن يكون بالرحم ، وفعله من باب قتل . والفرض بالفاء : الحرّ في الشيء ؛ والثاني تأكيد للأول . والقرض بالقاف : القطم . وتُقَضَّى بالبناء للفاعل والخطاب أيضا ، يقال قَضَى حاجته بالتشديد كقضى بالنخيف : أى أتمّها . والمنقَض : الساقط ، يقال اقضَّ الجدار أى سقط ، واقضَّ الطائر : هوى في طيرانه . أى يجازيهم إلى أن يتم أجلهم للمنقض عليهم اقتضاض الطير على صيده .

وقوله : (ضرباً هذاذك) ، ضرباً إما منصوب بفعل محذوف أى تضربهم ضرباً والجملة حال من فاعل تُقَضَّى ؛ ويجوز أن يكون منصوباً بنزع الخافض أى بضرب . و (الوَخْض) بفتح الواو وسكون الخاء للمعجمة : مصدر وخضه بمعنى طعنه من غير أن ينفذ من جوفه . يريد : إنك تضرب أعناقهم وتطن في أجوافهم . ويُمَضَى من الإمضاء ، يقال أمضيت الأمر : إذا أفقذته ؛ ومفعوله النحض ، وهو بفتح النون وسكون الهملة ، وهو اللحم . وعاصى العروق أى العروق العاصية . فى الصحاح : العاصى : العِرق الذى لا يرقأ . ومُخْلِن : اسم فاعل من أخل إذا طلب الخلة بضم الخاء ، وهى من النبات ما هو حلو . والخفض بفتح الهملة وسكون الميم : ما ملح وأمر من النبات كالآثل والطرفاء .

وترجمة المعجّاج قد تقدّمت فى الشاهد الحادى والعشرين^(٢) .

* * *

(١) ش : « والجزاء الا أنه متعد لمفعولين » .

(٢) كذا . والصواب أنها فى الشاهد الخامس مع ترجمة ابنه

رؤبة . انظر ص ٨٩ من الجزء الأول .

وأُتشد بعده ، وهو الشاهد السادس والتسعون^(١) :

٩٦ (جاءوا بمَذْقٍ هل رأيت الذئبَ قَطُّ)

٢٧٦

على أن قولهم : (هل رأيت . . الخ) وقعت صفة مَذْقٍ بتقدير القول ،
يعنى أن الجملة التى تقع صفة شرطها أن تكون خبرية ؛ لأنها فى المعنى كالخبر
عن الموصوف ؛ فجملة هل رأيت . . الخ ظاهرها أنها وقعت صفة لمذق مع أنها
استفهامية ، والاستفهام قسم من الإنشاء . فأجاب بأن التحقيق أنها معمولة
للصفة المحذوفة ، أى بمذق مقول فيه : هل رأيت ، أو يقول فيه من رآه هذا
القول ونحوه .

وهذا البيت قد كرّر الشارح إنشاده فى هذا الكتاب ؛ فقد أوردّه
فى النعت ، وفى الموصول مرتين ، وفى أفعال القلوب ، وفى الحروف المشبهة
بالفعل . ورواه الدينورى فى النبات ، وابن قتيبة فى أبيات المعاني ، والزجاجى
وابن الشجرى فى أماليهما :

* جاءوا بضَيح هل رأيت الذئبَ قَطُّ *

وقال الدينورى : نزل هذا الشاعر بقوم فقرّوه ضيحاء ، وهو اللب
الذى قد أكثر عليه من الماء .

وقال ابن جنى فى المحتسب : د قوله هل رأيت الخ : جملة استفهامية إلا أنها
فى موضع وصف الضيح حملاً على معناها دون لفظها ؛ لأن الصفة ضرب

(١) العينى ٤ : ٦١ والانصاف ١١٥ والهمع ٢ : ١١٧ وشرح شواهد

المغنى للسيوطى ٢١٤ والمعاني الكبير ٢٠٤ ، ٣٩٩ والكامل ١٨ هـ وأمال

الزجاجى ٢٣٧ وابن الشجرى ٢ : ١٤٩

من الخبر، فكأنه قال : بضيق يشبه لون الذئب : والضيق هو اللبن المخلوط بالماء ، فهو يضرب إلى الخضرة والطلسة « انتهى .

وأورده صاحب الكشف عند قوله تعالى : (وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا)^(١) ، على أن لا تصيب صفة لفتنة على إرادة القول كهذا البيت . و (المذق) : اللبن المزوج بالماء ، وهو يشبه لون الذئب لأن فيه غبرة وكدورة ، وأصله مصدر مذقت اللبن : إذا مزجته بالماء . و (قط) استعملت هنا مع الاستفهام مع أنها لا تستعمل إلا مع الماضي المنفي ، لأن الاستفهام أخو النفي في أكثر الأحكام . لكن قال ابن مالك : قد ترد قط في الإثبات . واستشهد له بما وقع في حديث البخاري في قوله : « قصرنا الصلاة في السفر مع النبي صلى الله عليه وسلم أكثر ما كنا قط » . وأما قوله : جاءوا بمذق هل رأيت الذئب قط ، فلا شاهد فيه ، لأن الاستفهام أخو النفي . وهذا مما خفي على كثير من النحاة . انتهى .

وتبعه الكرماني عليه في شرح هذا الحديث .

قال المبرِّد في السكامل : « العرب تختصر التشبيه ، وربما أوأمت به إيماء ، قال أحد الرُّجَّاز :

(بتنا بحسَّانٍ ومِعْزَاهُ يَطُ^(٢)) مازلتُ أَسْعَى بينهم وألتبطُ
حتَّى إذا كاد الظالمُ يَخْتَلِطُ جاؤا بمذق هل رأيت الذئب قط)

يقول : في لون الذئب . واللبن إذا اختلط بالماء ضرب إلى الغبرة « انتهى .

(١) الآية ٢٥ من سورة الأنفال .

(٢) كذا في النسختين : « يَطُ » وهي صحيحة على القول بأن ألف

« معزى » ، للحاق . وفي اللسان : « وقال الفراء : المعزى مؤنثة ، وبعضهم ذكرها » . والرواية الغالبة : « تَطُ » .

وبتنا : ماضٍ من المبيت ؛ في المصباح : بات بموضع كذا أى صار به سواء كان في ليل أو نهار ، وبات يفعل كذا : إذا فعله ليلاً ، ولا يقال بمعنى نام . وحسّان : اسم رجل ، ينصرف إن أخذ من الحسن ، ولا ينصرف إن كان من الحسن بالتشديد . والمعزى من الغنم خلاف الضأن ، وهو اسم جنس ، وكذلك المعز ، والواحد ما عَزَ ، والأنثى ما عَزَتْ وهى المعز . قال سيبويه : « ألف معزى للإلحاق بدرهم لا للتأنيث ، فهو متونٌ مصروف بدليل تصغيره على معيز ، فلو كانت للتأنيث لم يقلبوها ياء كما لم يقلبوها في حبيل » ، وهو مضاف إلى ضمير حسّان . ويثطّ : مضارع أطّ أى صوّت جوفه من الجوع ، والمصدر الأطيظ ، كذا في الصحاح ، ويأتى بمعنى تصويت الرجل والإبل من ثقل أحمالها ؛ وعليه اقتصر العيني ، ولا مناسبة له هنا . ورؤى بعده بيتان زيادة في بعض الروايات وهما :

* يَلْسُ أُذُنَهُ وَحِينًا يَمْتَخِطُ ^(١) *

يقال : امتخط وتمخّط أى استنثر ، وربما قالوا : امتخط ما في يده : نزع واختلبه ، كذا في الصحاح .

* فِي تَمَكَّنٍ مِنْهُ كَثِيرٍ وَأَقِطَ *

متعلق بقوله يمتخط . والسمن بسكون الميم ، وفتحها هنا للضرورة . والأقِط : قال الأزهرى : اللبن المخيض يُطْبَخُ ثم يترك حتى يَمُصْلَ ؛ وهذا يدلّ على خُسْته ودنسه .

(مازلت أَسْعَى بينهم والتبِطُ)

(١) فى شرح شواهد المغنى : « تلحس أذنيه وحيناً تمتخط » .

أعاد الضمير من بينهم إلى حسان باعتبار حيّه وقبيلته ؛ وأسعى' بينهم
 أى أتردد إليهم ؛ وألتبط : أعدو ، يقال التبط البعير : إذا عدا وضرب
 بقوائمه الأرض ؛ وتلبط : اضطجع وتمرغ . وروى بدله : و (أخبطُ)
 أى أسأل معروفهم من غير وسيلة ؛ وهذا يدل على كمال شحهم حيث كان
 ضيفاً عندهم لم يشعوه مع أنه يعرض لمعرفهم .

(حتى إذا كاد الظلام يختلط)

غاية لقوله أسعى' وألتبط . وكاد : قرب . وروى :

* حتى إذا جنّ الظلام واختلط *

يريد ستر الظلام كل شيء . وصفهم بالشح وعدم إكرامهم الضيف ؛
 وبأنهم لم يأتوا بما أتوا به إلا بعد سعى ومضى جانب من الليل ،
 ثم لم يأتوا إلا بلبنٍ أكثره ماء .

وهذا الرجز لم ينسبه أحد من الرواة إلى قائله . وقيل : قائله العجاج
 والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والتسعون ، وهو من شواهد سيبويه (١) :

٩٧ (قالت : حنان ، ما أتى بك ههنا

أذو نسبٍ أم أنت بالحي عارفُ)

(١) سيبويه ١ : ١٧١ وعجزه في ١ : ١٧٥ . وانظر العيني ١ :

٣٥٩ وابن يعيش ١ : ١١٨ والهمع ١ : ١٨٩

على أن (لبّيك ودواليك) ونحوهما ، مصادر لم تستعمل إلا للتكرير ، بخلاف (حنانك) فإنه يستعمل حنان : يريد أن حنانك لا يلزم أن يكون للتكرير ، بل قد يكون له وقد لا يكون ، بل قد استعمل مفرداً كما في هذا البيت . ويزاد عليه (دواليك) أيضاً فإنه لا يلزم ، وقد استعمل مفردة كما تقدم قريباً^(١) .

و (الحنان) الرحمة ، وهو مصدر حنَّ يحنُّ بالكسر حناناً وتحنُّ عليه : ترحمٌ ؛ والعرب تقول : حنانك ياربّ ، وحنانك بمعنى واحد أى رحمتك ، كذا في الصحاح . وقال ابن هشام في شرح الشواهد تبعاً للفارسي في التذكرة القصريّة : والأصل أحنن عليك تحنناً ، ثم حذف الفعل وزائد المصدر فصار حناناً . انتهى : وهذا تكلف مع وجود حنَّ يحنّ .

وأنشده سيبويه على أن حناناً خير مبتدأ محذوف ، أى شأني حنان . والأصل أحنّ حناناً فحذف الفعل ورفع المصدر على الخبرية لتفيد الجملة الاسمية الدوام : و (ما) استفهامية مبتدأ ، وجملة (أتى بك) خبره : ثم سألته عن علّة مجيئه : هل هو نسب يئنه وبين قومها ، أو لمعرفة يئنه وبينهم ؟ والمعنى : لأى شيء جئت إلى هنا ؛ ألك قرابة جئت إليهم ، أم لك معرفة بالحق ؟ والصواب (تقول) موضع (فقلت) .

وهذا البيت من جملة أبيات اللندرن بن درهم الكلبي ، ذكرها أبو محمد أبيات الشاهد الأعرابي في فرحة الأديب ، وياقوت في معجم البلدان عن أبي الندى ، وهى :
(سقى روضة المثرى عناً وأهلها رُكّامُ سرى من آخر الليل رادفَ
أمن حبٍّ أمّ الأشيمين وذكرها فؤادك معمودٌ له أو مقارف^(٢))

(١) انظر الشاهد ٩٤ ص ٩٩ من هذا الجزء

(٢) فى معجم البلدان (روضة المثرى) : « وجبها » مكان « وذكرها » ولعل صواب هذه : « وجبها » .

نَمِيَّتْهَا حَتَّى نَمِيَتْ أَنْ أَرَى مِنْ الْوَجْدِ كَلْبًا لِلْوَكَيْعِينَ آلفٌ^(١)
 أَقُولُ وَمَالِي حَاجَةٌ فِي تَرَدَدِي سِوَاهَا بِأَهْلِ الرُّوضِ هَلْ أَنْتَ عَاطِفٌ^(٢)
 وَأَحْدَثُ عَهْدٍ مِنْ أُمِيَّةِ نَظَرَةٍ عَلَى جَانِبِ الْعِلْيَاءِ إِذْ أَنَا وَاقِفٌ^(٣)
 تَقُولُ : حَنَانٌ مَا أَتَى بِكَ هُنَا أَذُو نَسَبٍ أَمْ أَنْتَ بِالْحَيِّ عَارِفٌ^(٤)
 فَقُلْتُ لَهَا : ذُو حَاجَةٍ وَمُسْلِمٌ فَصَمُّ عَلَيْنَا الْمَازِقُ الْمُتَضَايِفُ^(٥)
 قَالَ يَاقُوتُ : رَوْضَةُ الْمَثَرِيِّ بِالنَّاءِ الْمُثَلَّثَةِ وَيُرْوَى بِالْمَثْنَاءِ . وَأَرَادَ بِالْوَكَيْعِينَ :
 الْوَكَيْعَ بْنَ الطُّفَيْلِ الْكَلْبِيَّ وَابْنَهُ . انْتَهَى .

والظاهر أن المَثَرِيَّ اسم رجل أضيفت الروضة إليه لكونه كان صاحبها ؛
 وهو اسم مفعول من قولهم : ثرى الله القومَ أى كثَّروهم ، فالأصل مَثْرُوءٌ
 قلبت الواو ياءً وأدغمت عملاً بالقاعدة . وأهلها : معطوف على روضة . وركامُ :
 فاعل سقى ، وهو بضم الراء السحاب المتراكم بعضها على بعض . والرافد
 نعت ، ومعناه الراكب خلف الشيء ؛ يريد : سحائب مترادفة بعضها
 خلف بعض . وجملة سرى . الخ نعت لركام وصف بها قبل الوصف بالمفرد
 وقوله أمن حب ، الهمة للاستفهام . والأشيمين : مثني أشيم ، وهو الذى به
 شامة . والمعمود : السقيم ، يقال عمدته المرض أى فدحه ، ورجل معمود
 وعميد أى هداه العشق . ولَه : أى للحب والمقارب : المتقارب ،

(١) فى معجم البلدان بعده : « وكيع بن أبى طفيل الكلبى وابنه »
 وهذا تفسير للوكيعين ، على سبيل التغليب .

(٢) فى النسختين : « بأهل الارض » ، صوابه فى معجم البلدان
 وفرحة الأديب ، مخطوطة دار الكتب رقم ٤٤٢١ وهى بخط البغدادى
 وفى المعجم : « حاجة هى تردنى » ، وكذلك هى فى إحدى روايتى فرحة
 الأديب .

(٣) البيت محرف تحريفا شديدا فى معجم البلدان .

(٤) فى فرحة الأديب ومعجم البلدان : « فقلت أنا ذو حاجة ومسلم
 فضم » .

يقال : قارفه أى قاربه . وآلف : اسم فاعل من أَلِفَ يَأْلِفُ أَلْفَةً ، مبتدأ ،
للوَكِيمين خبره ، والجملة صفة كلب . وقوله هل أنت عاطف مقول أقول ،
وهو خطاب لصاحبه يطلب منه العطف فى الذهاب إلى حيثها معه . وأحدث عهد
أى أقرب ما أعهد وأحفظه ، وهو مبتدأ ونظرة خبره . والعلياء بفتح العين :
موضع ، وكل مكان عال مشرف . والمسلم ، من التسليم بمعنى التحية . وصمَّ
بالبناء للمفعول أى سدَّ علينا ، من الصَّم وهو انسداد الأذن ، وصمَّ القارورة
أى سدَّها وأصمَّها : جعل لها صمًا بالكسر وهو ما يسدُّ به فيها . والمأزق بالهمز
كجلس : المضيق ، من أزق بالزاي المعجمة والقاف كفرح وضرب أَرْقا
وأَرْقا^(١) : ضاق . والمتضايِف : المجتمع الذى أضيف بعضه على بعض .

ومن نسب البيت الشاهد للمنذر بن درهم الكلبي ، ابنُ خلف والزخشرى
فى شرح أبيات سيبويه وفى الكشف ، استشهد به على أن حنانا فى قوله تعالى
(وَحَنَانًا مِّنْ لَّدُنَّا^(٢)) بمعنى الرحمة . وذَكَرَ معه البيت الذى قبله .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والتسعون :

٩٨ (أَرْضًا وَذُؤْبَانُ الْخُطُوبُ تَمْوُسُنِي^(٣))

على أن (رِضًا) مصدر حذف فعله وجوباً للتويخ ، والأصل : أَرْضِيْ
رضاً فالهمزة للإنكار التويخى ، وهو يقتضى أن ما بعدها واقع وفاعله ملوم ،
والواو واو الحال . و (الذُؤْبَان) : جمع ذئب جمع كثرة ؛ و (الخطوب)

(١) فى النسختين : « وأزوقا » ، صوابه من القاموس .

(٢) الآية ١٣ من سورة مريم .

(٣) لم أجد له مرجعاً .

جمع خَطَب بالفتح ، وهو الأمر الشديد ينزل على الإنسان ؛ والإضافة من قبيل
لجئن الماء ، أى المصائب التى كالذئاب . و (تنوشنى) مضارع ناشه نَوْشاً ،
أى تناله وتصيبه . وجملة تنوشنى خبر المبتدأ الذى هو ذؤبان . والجملة الاسمية
حال من فاعل الفعل المحذوف .

* * *

وأنشد بعده وهو الشاهد التاسع والتسعون ، وهو من شواهد سيبويه (١) .

٢٧٩

٩٩ (فَاها لِفَيْكَ)

وهو قطعة من بيت وهو :

(فقلت له : فَاها لِفَيْكَ ، فَاها قَلوصُ امرئٍ قَارِيكَ ما أنتَ حاذِرُهُ)

على أن (فَاها لِفَيْكَ) وضع موضع المصدر ، والأصل فوها لفيك ؛ فلما
صارت الجملة بمعنى المصدر أى أصابته داهية ، أعرب الجزء الأول بإعراب
المصدر فصار فَاها لِفَيْكَ . وقيل فَاها منصوب بفعل محذوف أى جعل الله
فا الداهية إلى فيك . ولهذا الوجه أنشده سيبويه . قال الأعلم : « الشاهد فيه
وله فَاها لِفَيْكَ أى فم الداهية ، ونصبه على إضمار فعل ، والتقدير : ألصق
الله فَاها لِفَيْكَ وجعل فَاها لِفَيْكَ . ووضع موضع دهاك الله فلذلك لزم النصب
لأنه بدل من اللفظ بالفعل فجرى فى النصب مجرى المصدر . وخصّ الفم فى هذا
دون سائر الأعضاء ، لأن أكثر المتألف يكون منه بما يؤكل أو يشرب
من السموم . ويقال : معناه فم الخلية لفيك ، فمعناه على هذا خبيك الله » .

(١) سيبويه ١ : ١٥٩ . وانظر نوادر أبى زيد ١٨٩ ، ١٩٠ وابن

يعيش ١ : ١٢٢ والقالى ١ : ٢٣٦ والسمط ٥٣٩

ومثله لأبي زيد في نوادره ، قال : « وإذا أراد الرجل أن يدعو على رجل قال : فاها لفيك [أى لك الخيبة (١)] » . قال الأخفش فيما كتبه على نوادره : « والذي أختره ما فسره الأصمعي وأبو عبيدة فإنها قالا : معني قولم فاها لفيك : ألقى الله فاهاً لفيك ، يعنون الداهية والهلكة » .

والأول تقدير سيبويه ، وكلاهما صحيح .

وقوله : (فقلت له) أى لهوأس ، وهو الأسد . وقوله (فإنها) أى راحلتى و (القلوص) : الناقة الشابة . وعني ' بامرى ' نفسه . وقوله (قاريك . . الخ) أى يجعل موضع قرارك وما يقوم لك مقام القرى ما أنت حاذره من الموت ، أى ليس لك قرى عندى غير القتل ، مثل قوله تعالى : (فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ) .

وقيل : يفسر فاها لفيك : أن الشاعر لما غشى الأسد ضربه ضربة واحدة فعض التراب فقال له : فاها لفيك يعنى فم الأرض .

قال سيبويه : والدليل على أنه يريد بقوله فاها فم الداهية قول عامر ابن جوين الطائي :

وداهية من دواهي المنون يحسبها الناس لا قاهلاً
دفعت سناً برقها إذ ببت (٢) وكنت على الجهد حمالاً

ومعنى لا قاهلاً : لا مدخل إلى معاناتها (٣) والتداوى منها ، أى هي داهية مشكلة والمنون : الموت . وفا : منصوب بلا ، واللام مقحمة والخبر محذوف

(١) التكملة من النوادر ١٨٩ . وبدونها لا يتضح معنى المثلية

(٢) ط : « رفعت » ، صوابه فى ش

(٣) ط : « معاياتها » ، صوابه فى ش

أى فى الدنيا أو فىا يعلمه الناس . والسنا هو الضوء ، يريد : أنه دفع شرها
والتهاب نارها حين أقبلت ، وكان هو حمال ثقلها .

أبيات الشاعر

والبيت الشاهد من أبيات أولها :

(تَحَسَّبَ هَوَاسٌ وَأَيَقَنَ أَنِّي بها مفتدي من واحدٍ لا أظمره
ظَلَلْنَا مَعًا جَارِينَ نَجْتَرِسُ الثَّأْيَ يسأرنى ، من خنله ، وأسأره)
فقلت له فاتها لفيك البيت

تَحَسَّبَ بمعنى حَسِبَ بالتخفيف ، وقيل : هو بمعنى تَحَسَّسَ ، يقال : فلان
يَتَحَسَّسُ الأخبار أى يَتَجَسَّسُ ، وقيل : تَحَسَّبَ فى معنى حَسِبْتَهُ فَتَحَسَّبَ
مثل كَفَيْتَهُ فَا كَتَفَى ؛ قال النحاس : معنى تَحَسَّبَ ا كَتَفَى . وكذلك قال
الأخفش فيما كتبه على نواذر أبى زيد عن المبرد أنه قال : معنى تَحَسَّبَ
ا كَتَفَى ، من قولك حَسَبَكَ ، كقوله تعالى : (عَطَاءٌ حِسَابًا) أى كافيًا .
وتقول العرب : ما أَحَسَبَكَ فهو لى مُحَسَّب ، أى ما كفاك فهو لى كاف .
والهواس : الأسد . سُمِّيَ هَوَاسًا لأنه يهُوسُ الفريسة أى يدقها ، والهوس :
اللق الخفى ؛ وقيل : الهواس : الذى يَطَأُ وَطْئًا خَفِيًّا حَتَّى لَا يَشْرَبُهُ .

٢٨٠

قال السيرافى : معناه : أنه عَرَضَ الأسدُ لناقاة هذا الشاعر ؛ فحكى
عن الأسد أنه توهم أننى أدع الناقاة وأفتدى بها من لقاء الأسد ولا أظمره
ولا أقاتله ولا أريد معه عِمْرَات الحرب . والرواية : (تَحَسَّبَ هَوَاسٌ وَأَقْبَلَ) ،
وروى أيضا (من صاحب لا أظمره) أى أغور عليه ويغور على . وروى :
(لا أناظره) . والثأى بالثلاثة والهمز على وزن التثنية : انخرم والفتق . والخلل :
المكر والخذاع .

وهذه الأبيات ، قال الجرمي : هي لأبي سِدْرَةَ الأعرابي . وقال أبو زيد في نواته : إنها لرجل من بني الهُجيم . وهما شيء واحد ، قال أبو محمد الأعرابي في فُرحة الأديب : « أبو سدره هو سحيم بن الأعرف من بني الهُجيم ابن عمرو بن نعيم . وله مقطعات مليحة ^(١) منها قوله (في حسان بن سعيد عامل الحجاج على البحرين) :

إلى حسانٍ من أكتاف نجد رحلنا العيسَ تَفُخُ في بُراها
نَعْدُ قِراةً ونَعْدُ صِهراً ويسعد بالقِراة مَنْ رعاها ^(٢)
فما جِئناكَ من عُدْمٍ ولكنْ يَهْشَ إلى الإمارة مَنْ رجاها
وأيا ما أُنيتَ فإنْ نفسى تَعْدُ صلاحَ نفسِكَ من غناها »

قال ابن قتيبة في كتاب الشعراء . وفيه وفي قبيلته يقول جرير :

وبنو الهُجيم قبيلة مذمومة صُفِرُ اللَّحَى متشابهو الألوان ^(٣)
لو يسمعون بأكلة أو شربة بُهْمَانُ أصبح جمعهم بُهْمَانُ
يريد : أنهم يوقدون البعر فتصفر لحاهم بدخانه .

وهو شاعر إسلامي من معاصري جرير والفرزدق .

(١) في فُرحة الأديب : « وله مقطعات مليحة في كتاب بني الهُجيم ، » .

(٢) ورد بعده في النسختين :

وأيا ما فعلت فإن نفسى تعد صلاحَ نفسِكَ من غناها
وهو تكرار البيت الرابع مع شيء من التغيير ، وأثبت ما في فُرحة الأديب والشعراء ٦٢٥

(٣) في الشعراء : « حصى اللحى ، » . والأحص : المنجرد الشعر

المفعول به

أنشد فيه وهو الشاهد الموفى المائة ، وهو من أبيات سيبويه^(١) :

١٠٠ (فَوَاعِدِيهِ سَرَحْتِي مَالِكٍ أَوْ الرُّبَا بَيْنَهُمَا أَسْهَلَا)

على أن (أسهل) مفعول لفعل محذوف ، وهو صفة وموصوفه محذوف أيضا ، أى قولى : اثنت مكانا أسهل .

هذا البيت لعمر بن أبي ربيعة . ويفهم من تقدير الشارح : أن عشيقته أرسلت إليه امرأة تعين له موضع الملاقاة ، وأمرتها أن تواعده أحد هذين الموضعين . وكذلك قال ابن خلف : المعنى أنها قالت لأمتها : واعدية الليلة أن يقصد السرحتين ويلتمس مكانا سهلاً يقرب من ذلك الموضع ، لأنها إذا علوا الرُّبَا عُرِفَ مكانهما وشنع أمرهما . لكن المفهوم من كلام الأعلام : أنه هو الذى أرسل إليها امرأة ، فإنه قال : نصب أسهل بإضمار فعل دل عليه ما قبله ، لأنه لما قال فواعديه سرحتى مالك أو الربا بينهما ، علم أنه مزعج لها داعٍ إلى إتيان أحدهما . فكأنه قال : اثنتي أسهل الأمرين عليك .

٢٨١

وكذلك قل النحاس عن المبرد أن التقدير : وأثنى أسهل المواضع ؛ لأنه لما قال : فواعديه ، أزعجها ، فكأنه قال : اقصدى به أسهل المواضع . والصواب الأول كما يعلم من البيت الذى بعده - ويأتى قريبا - وقدّر المحذوف بعضهم من لفظ المذكور ، أى واعدية مكانا أسهل . والمعنى قريب .

(١) سيبويه ١ : ١٤٣ . وانظر ابن الشجرى ١ : ٣٤٤ وديوان

عمر بن أبى ربيعة ٣٤١

و (أسهل) : أفعل تفضيل من السهولة ضد الحزونة ؛ وقد سهل بالضم .
وتقدير الشارح كابن خلف أسهل من باب حذف المفضل عليه أى أسهل
منها ، أصوب من تقدير غيره المضاف إليه أى أسهل الأمرين أو أسهل
المواضع . قال ابن خلف : ويجوز أسهل أن يُعني ' به سهلاً كما يقال : رجل
أوجلٌ ووجل ، وأحقّ وحقّ ، إن أراد أنه يكون وصفاً من السهولة ؛ فجىء
أفعل بمعنى فِعل وصفاً بآبه السماع ولم يسمع ؛ وإن أراد أنه من السهل تقيض
الجليل فلم يُسمع إلاّ مكان سهل وأرض سهلة . ثم قال : « وقد قيل إنه يجوز
أن يكون أسهل اسماً لموضع بعينه » .

أقول : قد فتشت كتب اللغة وكتب أسماء الأما كن كعجم ما استعجم ،
ومعجم البلدان ، فلم أجده ذكراً فيها .

والمواعدة : مفاعلة من الطرفين ؛ ووعد يتعدّى بنفسه إلى واحد ،
وإلى ثان بالباء ، وقد تحذف فينصب بنزع الخافض ؛ والفعل إذا كان متعدّياً
إلى واحد فينقله إلى باب المفاعلة يتعدّى إلى اثنين ، فالضمير في واعديه مفعول
أول و (سرحتي مالك) المفعول الثاني بتقدير مضاف ، أى مكان سرحتي
مالك . وليس سرحتي مالك اسم مكان بل هما شجرتان لمالك . والسَّرحة :
واحد السرح ، وهو كل شجر عظيم لا شوك له . والرُّبا : جمع ربوة بتثنية
الراء ، وهو المكان المرتفع عما حوله ؛ وكانت الربا بين السرحتين .

وروى الأصبهاني في الأغاني^(١) البيت هكذا :

« سَلَى عَدِيهِ سَرَحَتِي مَالِكْ أَوْ الرُّبَا دُونَهَا مَنَزَلَا »

فعلية فلا شاهد فيه ، ومنزلاً إما بدل من الربأ أو حال منه ، وسلمى منادى .
وبعد هذا البيت :

(إن جاء فليأت على بغلةٍ إني أخاف المهر أن يصهلًا)

وترجمة عمر بن أبي ربيعة قدمت في الشاهد السابع والثمانين (١) .

* * *

وأشد بعده ، وهو الشاهد الحادى بعد المائة :

١٠١ (كَلَّا طَرَفِي قَصْدِ الْأُمُورِ ذَمِيمٌ)

على أن (القصد) فى الأمر خلاف القصور والإفراط ، فإنه يقال : قصد فى الأمر قصدا : توسط ، وطلب الأشد ولم يجاوز الحد . فالقصد فى الأمور له طرفان : أحدهما : القصر والتقصير ، وهما بمعنى التوائى فيه حتى يضيع ويفوت ؛ وكذلك الفرط والتفريط ، فإنه يقال : فرط فى الأمر فرطاً من باب نصر ، وفرط تفريطاً ؛ وأما القصور فهو مصدر قصرت عن الشيء من باب قعد : إذا عجزت عنه ، وليس هذا من التفريط فى شيء . والطرف الآخر : الإفراط وهو مصدر أفرط فى الأمر : إذا أسرف وجاوز فيه الحد . فكان ينبغى للشارح أن يقول : خلاف القصر أو التقصير والإفراط ، أو يقول : خلاف الفرط أو التفريط والإفراط . والذميم بالمعجمة : المذموم .

٢٨٢

وهذا المصرع عجز بيت ، وقبله :

أبيات الشاهد (عليك بأوساط الأمور فإنها طريقٌ إلى نهج الصواب قويمٌ

ولا تكُ فيها مفرطاً أو مفرطاً كلا طرفى قصدِ الأمور ذميمٌ

وهذا نظم للحديث ، وهو : « الجاهلُ إمّا مُفَرِّطٌ أو مُفَرِّطٌ » .

ولا أعلمُ قائلَ هذين البيتين ولا رأيتهما إلاّ فى كتاب العباب فى شرح أبيات الآداب (وكتاب الآداب : تأليف ابن سناء الملك بن شمس الخلافة ، وهو من كتب الأدب ، وقد اشتمل على أبيات ومصاريح كثيرة لغالب الشعراء للتقدمين والمتأخرين تنيف على ألقى بيت . وقد نسب كل بيت ومصرع فيه إلى قائله ، مع تنمة الشعر حسنُ بن صالح العدوى النبتي ، وسقى تأليفه : العباب فى شرح أبيات الآداب) وكان المصراع الشاهد فى الأصل ، وكلّه بالمصاريح الثلاثة صاحب العباب . وقد ضمّنه أيضاً الإمام الخطابى فى تنفة له وهى :

فسامحْ ولا تستوفِ حقك كلّهُ وأبقِ فلم يستقصِ قطُّ كريمُ
ولا تنقلْ فى شئٍ من الأمور واقتصدْ « كلا طرفى قصدِ الأمور ذميمٌ »

(الخطابى) هو الإمام أبو سليمان حمد^(١) بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب ، ترجمة الخطابى من ولد زيد بن الخطّاب أخى عمر بن الخطّاب ، صاحبُ كتاب معالم السنن وشرح البخارى وغير ذلك . وكان صديق أبى منصور الثعالبي ؛ وأورده فى كتاب يتيمة الدهر وأنشد له تفتّاحيّة . وولد فى سنة تسع عشرة وثلثمائة ومات فى مدينة بُست فى رباط على شاطئ هِنْد مند^(٢) يوم السبت السادس

(١) فى النسختين : « أحمد » . قال الميمنى : « وقد كثر هذا الغلط عند كل من ترجم له كالسمعاني ٢٠٣ واليتمية ٤ : ٢٣١ . والصواب فى اسمه حمد بسكون الميم . راجع معجم الأدباء . وكان فى ذلك العصر من اسمه حمد . وترى فى أبى العلاء وما اليه ص ١٦٢ ترجمة ابن فورجه ، وهو محمد بن حمد » .

(٢) ط : « هيرمند » ، صوابه فى ش مع اثر تصحيح ، ومن معجم البلدان والقاموس . وهندمند نهر تقع عليه مدينة بُست .

عشر من ربيع الآخر سنة ست وثمانين وثلاثمائة ، وأنشد له الثعالبي
في اليتيمة :

وما غربة الإنسان في شقة النوى ولكنها والله في عدم الشكل
وإني غريبٌ بين بُست وأهلها وإن كان فيها أسرتي وبها أهلي
وأنشد له أيضاً^(١) :

وليس اغترابي في سجستان أننى عَدِمْتُ بها الإخوان والدار والأهلا^(٢)
ولكنني مالى بها مُشاكل ، وإنَّ الغريب الفرد من يعدم الشكلا
وأنشد أيضاً :

شرُّ السباع العوادي دونه وَزَرُ ، والناسُ شرُّهم ما دونه وَزَرُ
كم معشر سلموا لم يؤذهم سبْعُ وما نرى بشراً لم يُؤذِهِ بشرُ
وأنشد أيضاً :

مادمتَ حياً فدارِ الناسَ كلَّهمُ فإنما أنت في دار المدارة
من يدِرِ دارى : ومن لم يدِرِ سوفَ يَرى
عما قليل نديماً للندامات

وللثعالبي فيه :

أبا سليمان ، سِرْ في الأرض أو فاقِمِ فأنت عندي دنا مشواك أو شطنا
ما أنتَ غيرى فأخشى أن يفارقتي قرّبت روحك بل روحي فأنت أنا

(١) هذا سهو من البغدادى ، فان الذى فى اليتيمة : « وقد أخذ

هذا المعنى عمر بن أبى عمر السجزى فقال « . وأنشد البيتين التاليين

(٢) فى النسختين « . غربت » ، صوابه من اليتيمة .

قال السُّلَمِيُّ: أنشدني أبو منصور الثعالبي بنيسابور للخطابي^(١)، بقوله
في الثعالبي :

قلبي رهينٌ بنيسابورَ عند أخٍ ما مثله حين تُستَقْرَى البلادُ أخُ
له صحائفُ أخلاقٍ مهذبةٍ : منها التقى والثَّهَى والحلمُ تنتسخ^(٢)

* * *

وأنشد بعده، وهو الشاهد الثاني بعد المائة، وهو من شواهد س^(٣) :

١٠٢ (جَارِي، لَا تَسْتَنْكِرِي عَذِيرِي)

(سِيرِي وَإِشْفَاقِي عَلَى بَعِيرِي)

على أن (العذير) هنا بمعنى الحال التي يُحاولها المرءُ يُعَذِّرُ عليها، وقد بين
بقوله : سِيرِي وَإِشْفَاقِي، الحال التي ينبغي أن يُعَذِّرَ فيها ولا يَلَامَ عليها .

ومثله لابن الشجريّ في أماليه فإنه قال : « العذير : الأمر الذي يحاوله
الإنسان فيُعَذِّرُ فيه . أي لا تستنكري ما أحاوله معذوراً فيه . وقد فسره
بالييت الثاني » اهـ ؛ وعليه فعذيري مفعول تستنكري، وسيري : عطف
بيان له أو بدل منه أو خبر مبتدأ محذوف أي هو سيري . الخ . ويجوز أن
يكون عذيري مبتدأ خبره سيري الخ - كما قال ابن الحاجب في الإيضاح -
وعلى هذا فمفعول تستنكري محذوف .

(١) الحق أن البيتين التالين لأبي الفتح البستي يقولهما في الثعالبي،
كما في اليتيمة ٤ : ٢١٩ في ترجمة أبي الفتح . والذي أحدث هذا
الخلط أن كلا من أبي الفتح والخطابي بستي .

(٢) اليتيمة : منها الحجا والعلی والظرف تنتسخ .

(٣) سيبويه ١ : ٣٢٥ ، ٣٣٠ والعيني ٤ : ٢٧٧ وابن الشجري

٢ : ٨٨ وابن يعيش ٢ : ١٦ ، ٢٠ واللسان (شقر أو عذر ٢٢٢)

قال الزجاج : العذير : الحال . وذلك أنَّ العَجَّاج كان يصلح حِلْسًا لجملة ، فأنكرته وهزئت منه ؛ فقال لها هذا . قال علي بن سليمان الأخفش : العذير : الصَّوت . كأنه كان يِرْجُزُ في عمله بحِلْسِه فأنكرت عليه ذلك ، أي لا تستنكري صوتي ورفعته بالحديث ، لأنِّي قد كبرت . والحِلْسُ للبعير ، وهو كساء رقيق يكون تحت البرذعة ، وهو بكسر المهملة وسكون اللام .

وأُشْدَ سيبويه البيت الأول على أنَّ (جاري) منادى مرخم . قال الأعلم : الشاهد فيه حذف حرف النداء ضرورة من قوله جاري ، وهو اسم منكور قبل النداء لا يتعرَّف إلا بحرف النداء ^(١) . وإنما يطرد الحذف في المعارف . وردَّ المبرِّدُ على سيبويه جعله الجارية نكرة ، وهو يشير إلى جارية بعينها فقد صارت معرفة بالإشارة . ولم يذهب سيبويه إلى ما تأولَه المبرِّدُ عليه : من أنه نكرة بعد النداء ؛ وإنما أراد أنه اسم شائع في الجنس قبل النداء وهو نكرة وكيف يتأول عليه الغلط في مثل هذا ، وسيبويه قد فرق بين ما كان مقصودا بالنداء من أسماء الأجناس وبين ما لم يُقصد قصده ؛ وهذا من التعسف الشديد والاعتراض القبيح ، اهـ .

وقوله (سيري) هو مصدر سار يسير ، يكون بالليل والنهار ؛ ويستعمل لازماً ومتعدياً ، يقال سار البعير وسيرته ^(٢) ويفهم من كلام أبي عبيد القاسم بن سلام في أمثاله ومن كلام الأعلم ، أنه فعل أمر وصرح به غيره فإثما قالاً : ومعنى الشعر : ياجارية سيري ولا تستنكري عذيري وإشفاقي . ويردُّه الرواية الأخرى وهي (سعيي وإشفاقي) كما نقلها الصاغاني وغيره . و (الإشفاقي) :

(١) في النسختين : « لا يتعرف الا عرف النداء » ، صوابه من الشنتمري .

(٢) في النسختين : « وسيرته » ، والوجه ما أثبت . وفي اللسان : « وسار دابته سيراً وسيرة ومساراً ومسيراً »

مصدر أشعقت عليه : إذا حنوت وعطفت عليه ، وأشعقت من كذا : حذرت منه . وقوله (على بعيرى) متعلق بأحد المصدرين على التنازع . .

وهذان البيتان^(١) من رجز للعجاج وبعده :

(وكثرة الحديث عن شقورى)

(مع ألبلا ولائح القتير)

٢٨٤

في الصحاح : « الشقور الحاجة ، وعن الأصمعي بفتح الشين ، قال أبو عبيد : الأول أصح لأن الشقور بالضم بمعنى الأمور الالاصقة بالقلب المهمة له ، الواحدة شقْر » اهـ . وفي أمثال أبي عبيد أفضيت إليه بشقورى^(٢) أى أخبرته بأمرى وأطلعته على ما أسره من غيره : وقال الزبيدي فى لحن العامة : الشقور : مذهب الرجل وباطن أمره . وألبلا بفتح الجيم والقصر : انحسار الشعر من مقدم الرأس يكون خِلقةً ويكون من كبر . والقتير ، بفتح القاف : الشيب .

قال أبو عبيدة : معناه : لاتستكرى حالى من الهرم بإجارية ، ولا كثرة ما أحدث به من الأسرار . وذلك من أحوال الشيوخ المسان وتهاثر الهرمى . وترجمة العجاج تقدمت فى الشاهد الحادى والعشرين^(٣) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث بعد المائة^(٤) :

(١) يعنى الشطرين ، وكثيرا ما يطلق البيت على الشطر من مشطور الرجز والسريع والمنسرح .

(٢) ط : « أنصيت اليه » ، صوابه فى ش .

(٣) الصواب أنه الشاهد الخامس . انظر ص ٨٩ من الجزء الأول

(٤) أيضا الحزاة ٤ : ٢٩٠ وابن يعيش ٢ : ٣٩ وديوان ذى الرمة

١٠٣ (وإن تعتذر بالخل من ذى ضروعها
إلى الضيف، يجرّح في عراقيبها نصلي)
على أنه حذف مفعول (يجرح) لتضمّنه معنى يؤثر بالجرّح.

وكذلك جعله ابن هشام في معنى اللبيب من باب التضمين، قال: فإنه
ضمّن معنى يعث أو يفسد، فإنّ العيث لازم يتعدّى يني، يقال عاث الذئب
في الغنم أى أفسد، وكذلك الإفساد؛ قال الله تعالى: (لا تُفْسِدُوا
في الأرض (١)).

وأنشده صاحب الكشف عند قوله تعالى: (لَأَرْبِنَنَّ لَهُم (٢)) على أن
أربن متعديّ نزل منزلة اللازم لإرادة الحقيقة. قال الطيّبي: أى يعث الجرح
في عراقيبها نصلي، جعل لازماً ثم عدّى كما يعدّى اللازم مبالغة.

أبيات الشاهد وهذا البيت من أواخر قصيدة لذي الرمة عدّة أبياتها ستة وثلاثون بيتاً،
شُيِّب فيها بحى ووَصَف فيها القفار وناقته. إلى أن قال:

(أعاذلُ عُوجي من لسانك عن عدلى فاكل من بهوى رشادى على شكلى
فألام يوماً من أخٍ، وهو صادق، إخاى ولا اعتلت على ضيفها إبلى
إذا كان فيها الرسل لم تأتِ دونه فصالى، ولو كانت عجافاً، ولا أهلى
وإن تعتذر بالخل من ذى ضروعها البيت)

وبعد أربعة أبيات وهى آخر القصيدة.

فقوله: أعاذل، الهزرة للنداء وعاذل منادى مرّخ عاذلة. قال الأصمعيّ

(١) الآية ١١ من سورة البقرة .

(٢) الآية ٣٩ من سورة الحجر .

في شرح ديوانه : « عوجى من لسانك » أى كُنْى ، ولفظ عوجى على الحقيقة اعطنى . والشكل : الضرب ؛ يقول ما كل من يهوى ذلك منى على طريقتى وعلى مذهبي .

وقوله : فما لام يوماً من أخ ، من زائدة وأخ فاعل لأم ؛ والإخاء بكسر الهزة : الأخوة . قال الأصمى : اعتلت ، أطلق اللفظ على الإبل ، والمعنى على أصحابها ؛ يقول : لم أبخل فأعترت إلى الضيف .

وقوله : إذا كان فيها الرّسل ، ضمير فيها للإبل ، وضمير دونه للرّسل ؛ قال الأصمى : الرّسل : اللبن حلوه وحامضه ، وخائره ورقيقه ؛ يقول : لا أسقى فصالى وأدع ضيفى ، ولو كانت عجافاً مهازيل . يقال : عجف الدابة وأعجفه صاحبه ، وعجفت نفسى عن كذا : إذا صرقتها . وقوله : وإن تعتر بالحل ، قال الأصمى : اعتذارها للضيف : أن لا يرى فيها محتلباً من شدة الجذب والزمان ، فإذا كانت كذلك عقرتها . اهـ

و (المحل) : انقطاع المطر ويُبْس الأرض من الكلا ، وهو مصدر محيل البلد من باب تعب . والمراد بذى ضرعها : اللبن ، كما يقال ذو بطونها ، والمراد : الولد . قال الطيّب : « المعنى إن اعتذرت بقلة اللبن ، بسبب القحط ، إلى الضيف أعقرها لتكون هى عوض اللبن » اهـ . والعقر : ضرب البعير بالسيف على قوائمه ، لا يطلق العقر فى غير القوائم ؛ وربما قيل عقره : إذا نحره . و (العراقيب) : جمع عُرقوب ، فى الصحاح : « عُرقوب الدابة فى رجلها بمنزلة الركبة فى يدها ، قال الأصمى : كل ذى أربع عرقوباه فى رجله وركبته فى يديه . وعرقبت الدابة قطعت عرقوبها . والعرقوب من الإنسان : العصب الغليظ الموتر فوق العقب » . و (النصل) : حديدة السيف والسكين ، والنصل كقنفذ : نفسه .

وترجمة ذى الرمة تقدّمت فى الشاهد الثامن (١).

* * *

النادى

أنشد فيه ، وهو الشاهد الرابع بعد المائة ، وهو من أبيات سيبويه (٢) :

١٠٤ (يا بُؤْسَ للجهلِ ضَرَّاراً لِأَقْوَامِ)

على أن المبرد أجاز أن ينصب عاملُ النادى 'الحال' ، نحو : يا زيدُ قائماً ، إذا ناديته فى حال قيامه . قال : ومنه يا بُؤْسَ للجهلِ . . الخ . والظاهر أن عامله بُؤْسَ الذى هو بمعنى الشدة ، وهو مضاف إلى صاحب الحال ، أعنى الجهل تقديراً لزيادة اللام .

أقول : مَنْ جعل عامل الحال النداء جعل الحال من المضاف ؛ وفيه مناسبة جيّدة ، فإنّ الجهل ضارٌّ وبُؤْسُهُ ضَرَّارٌ ، وَمَنْ جعل ضَرَّاراً حالاً من المضاف إليه جعل العامل المضاف . ومَنْ جعله من المضاف إليه الأعم ، قال : « ونصب ضَرَّاراً على الحال من الجهل » . وإنما كان يرد هذا الاستظهار على المبرد لو جعل ضَرَّاراً حالاً من المضاف إليه .

وقد أجاز ابن جنى فى قوله « بُقْرَى » من قول الحملى :

* أَلْهَفَا بُقْرَى سَحْبِلٍ حِينَ أَجْلَبْتَ (٣) *

(١) انظر ما سبق فى الجزء الأول ص ١٠٦

(٢) سيبويه ١ : ٣٤٦ . وانظر ابن الشجرى ٢ : ٨٠ ، ٨٣

والانصاف ٣٣٠ وابن يعيش ٣ : ٥/٦٨ : ١٠٤ والهمع ١ : ٧٣ وديوان النابغة ٧١

(٣) لجعفر بن علبة الحارثى فى الحماسة ٤٤ بشرح المرزوقى .

وعجزه :

* علينا الولايا والعدو المباسل *

الوجهين ، قال : « يجوز أن تجعل بقرى حالا من لهن^(١) ؛ وأن يكون من الألف في لهن^(٢) ، وذلك أنها ياء ضمير المتكلم فأبدلت ألفاً تخفيفاً فيكون معنى هذا : تلهفت وأنا بقرى أى كائنات هناك ، كما أن معنى الأول لو أنثته : يالهنفى كائنة في ذلك الموضع . فيكون بقرى في هذا الأخير حالا من المنادى المضاف كقوله :

* يا يؤس للجهل ضراراً لأقوام *

أى يا يؤس للجهل ، أى أدعوه ضراراً . وإذا جعلته حالا من الياء المنقلبة ألفاً كان العامل نفس اللف ، كقولك يا قيامى ضاحكاً ؛ تدعو القيام ، أى هذا من أوقاتك ، اهـ .

وقد قرّر ابن الأنبارى مذهب المبرد في الإنصاف فقال : « حكى ابن السراج عن المبرد أنه قال : قلت للمازنى : ما أنكرت من الحال للدعوى ؟ قال : لم أنكر منه شيئاً ، إلا أن العرب لم تدع على شريطة ، فإنهم لا يقولون يا زيد راكباً ، أى ندعوك في هذه الحالة ونمسك عن دعائك ماشياً ، لأنه^(٢) إذا قال يا زيد فقد وقع الدعاء على كل حال . قلت : فإن احتاج إليه راكباً ولم يحتج إليه في غير هذه الحالة ؟ فقال : ألسن تقول يا زيد دعاء حقاً ؟ فقلت : بلى ! فقال : علام تحمل المصدر ؟ قلت : لأن قولى يا زيد كقولى أدعوزيداً ، فكأنى قلت : أدعوا دعاء حقاً . فقال : لا أرى بأساً بأن تقول على هذا يا زيد راكباً فالزم القياس . قال المبرد : ووجدت أنا تصديقاً لهذا قول النابغة :

(١) ش : « أن تجعل الياء حالا من لهنفى ، صوابه فى ط .

(٢) ط : ونمسك عن دعائك ماشيناً الا أنه ، ش : « ماشياً

الا أنه ، . صوابه من الانصاف .

يا بؤس للجهل ضرّاراً لأقوام . ٤ اهـ

وقال اللخميّ في شرح أبيات الجمل : و (يا بؤس) منادى مضاف معناه التعجّب ، أى ما أبأس الجهل وما أضرّه للناس ؟ و (ضرّاراً) حال من الجهل أو نصب على القطع على مذهب الكوفيين ، ونظيره عندهم : (والهدىّ معكوفاً^(١)) واللام فى لأقوام زائدة ؛ قال المبرّد : هذه اللام تزداد فى المفعول على معنى زيادتها فى الإضافة ، يقولون : هذا ضاربٌ زيداً ، وهذا ضاربٌ لزيد ، لأنّها لا تغير معنى الإضافة .

وأورد سيبويه هذا المصراع لكون اللام مقحمة بين المتضافين وتقدّم الكلام عليها فى الشاهد التاسع والسبعين^(٢) .

وهو عجز وصدره :

(قالت بنو عامرٍ خالوا بنى أسدٍ)

خالوا : تاركوا ، يقال خالى يُخالى مخالاةً وخلاءً ، كما يقال تارك يتارك ، ويقال للمرأة المطلقة « خلية » من هذا ، وخليت النبت : إذا قطعت .

وهذا البيت مطلع أبيات عدتها ثلاثة عشر بيتاً للناطقة الديباني ، قالها لزُرعة بن عمرو العامري : حين بعث بنو عامر إلى حصن بن حذيفة بن بدر وإلى عُيينة بن حصن الديبانيّين : أن اقطعوا ما بينكم وبين بنى أسد من الحلف ، وألحقوهم بكنانة بن خزيمه بنى عمهم ونحالفكم ، فنحن بنو أيبكم .

(١) الآية ٢٥ من سورة الفتح .

(٢) صوابه « فى الشاهد الحادى والثمانين » وانظر ص ٤٧٣ من

فلما هم عينة بذلك قالت لهم بنو ذبيان : أخرجوا من فيكم من الخلفاء ونُخرج من فينا ! فأبوا من ذلك .

فحكى النابغة قولَ بنى عامر . يقول : إن الجبل يضرّ الأقوام ويدعوهم إلى سفاهة الأحلام ؛ أى إن بنى عامر جهّال ، يأمرونا بترك هؤلاء الذين قد أحسنوا عنا الدفاع ، وكثر بهم الانتفاع .

وبعد هذا البيت :

(يا أبى البلاء فلا نبغى بهم بدلاً ولا نريد خلاء بعد إحكام أبيات الشاهد
فصّالحونا جميعاً إن بدا لكم ولا تقولوا : لنا أمثالها عام
إنى لأخشى عليكم أن يكون لكم من أجل بغضائهم يوم كآيام
تبدو كواكبهُ والشمس طالعة لا التور نور ولا الإظلام إظلام)

وعام : منادى مرتحم عامر . وقافية البيت الخامس مرفوعة وما عداها مجرور ، وهو عيب يسمى 'إقواء' . روى المرزبانى فى الموشح^(١) بسنده عن محمد بن سلام قال : « لم يقو أحد من الطبقة الأولى ولا من أشباههم إلا النابغة فى بيتين : قوله :

أمن آل مية رائح أو مُغتدى عجلان ذا زادٍ وغير مزودٍ
زعم البوارح أن رحلتنا غداً وبذاك خبرنا الغداف الأسود
وقوله :

سقط النصف ولم ترُد إسقاطه فتناولته واتقننا باليد
بمخضبٍ رخصٍ كأنّ بنانه غمّ ، يكاد من اللطافة يُعقد

- العنم : نبت أحمر يُصبغ به - فقدم المدينة فِعِيبَ ذلك عليه فلم يَأْبَهُ له ،
حتى أسمعوه إِيَّاهُ في غناء - وأهل القرى ألطفُ نظراً من أهل البدو ، وكانوا
يكتسبون جوارِيهم عند أهل الكتاب - فقيل للجارية : إذا صرتِ إلى قوله :
يعقد ، والأسود ، فرتلي . فلما قالت : الغدافُ الأسودُ ويعقدُ وباليدِ ، علم
فاتته ولم يُعَدِّ فيه . وقال : قدمتُ الحجازَ وفي شعري ضِيعَةٌ ، ورحلت عنها
وأنا أشعر الناس . وفي رواية أخرى أنه أصلح الأول بقوله : وبذاك تنعابُ
الغدافُ الأسودُ ، اهـ .

ويزاد عليه ما ذكرناه هنا فيكون قد أقوى في ثلاثة مواضع .
وقوله : يَأْبَى البلاءُ فما نبغى الخ ، يقول : يَأْبَى علينا أن نخالِهم^(١) ما بلونا
من نصحتهم ، ولا نريد خِلاءَ أى متاركةً ، بهم : بيني وأسد ، بعد إحكام
الأمر بينهم .
وقوله : تبدو كواكبهُ والشمس طالعة الخ ، رأيت في ديوانه المصراع
الثاني كذا :

* نوراً بنور وإظلاماً بإظلام *

قال شارحه : روى الأصمعيّ :

* لا النورُ نورٌ ولا الإظلامُ إظلامٌ^(٢) *

يقول : هو يوم شديد تظلم الشمس من شدته فتبدو كواكبهُ . وقوله :
لا النور نور : لا كنوره نورٌ إن ظُفِرَ ولا كظلمته إن ظُفِرَ به . وقوله : نوراً
بنور كأنه قال : نور مع نور ، يريد بريق البَيض والسيوف ، ونور الشمس

(١) ط : « نخالفهم » ، صوابه في ش

(٢) ط : « لا نور نور ولا اظلام اظلام » ، صوابه في ش مع أثر تصحيح .

إذا أصاب البَيضُ صار نوراً مع نور . وقال ابن نصر : قوله : لا النور نور ، يريدُ أن نور هذا اليوم ليس من نور الشمس ، إنما هو من نور السلاح وبريقه ؛ ولا إظلام هذا اليوم من ظلمة الليل ، إنما ظلمته من كثرة الغبار . وقال : أراد بقوله : تبدو كواكبه ، شَبَهَ بريقَ البَيض وما ظهر من السلاح بالكواكب . وعلى هذا فلا إقواء .

و (النابعة) اسمه زياد بن معاوية . وينتهي نسبه إلى سعد بن ذبيان النابغة الديلمي ابن بغيض ، وكنيته أبو أمانة وأبو عقرب ، بابنتين كانتاه .

وهو أحد شعراء الجاهلية وأحد فحولهم ، عدّه الجعفيّ في الطبقة الأولى بعد امرئ القيس . ومُتَّى النابغة لقوله :

* فقد نَبَغْتُ لَنَا مِنْهُمْ شَتُونُ *

وقيل : لأنّه لم يقل الشعر حتّى صار رجلاً . وقيل : هو مشتق من نَبَغَت الحماة : إذا تَغَنَّت . وحكى ابن ولّاد أنه يقال : نبغ الماء ونبغ بالشعر . فكأنّه أراد أن له مادّة من الشعر لا تنقطع كادّة الماء النابغ . قال ابن قتيبة في طبقات الشعراء : ونبغ بالشعر بعد ما احتنك ، وهلك قبل أن يُهْتَر (١) . وهو أحد الأشراف الذين تمحّض الشعر منهم (٢) ؛ وهو أحسنهم ديباجة شعر ، وأكثرهم رونق كلام ، وأجزلم بيتا . كأنّ شعره كلامٌ ليس فيه تكلف . قال الأصمى : سألت بشاراً عن أشعر الناس ، فقال : أجمع أهل البصرة على امرئ القيس وطرفة ، وأهل الكوفة على بشر بن أبي خازم والأعشى ، وأهل الحجاز

(١) احتنك : أحكمته التجارب لتقدم سنه . وأهتر : ذهب عقله .

أراد أن مدة قوله الشعر كانت قصيرة .

(٢) هذه العبارة لم ترد في الشعر والشعراء .

على النابغة وزهير ، وأهل الشام على جرير والفرزدق والأخطل . ومات النابغة في الجاهلية في زمن النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يبعث .
والآيات الدالية من قصيدة وصف بها المتجردة امرأة النعمان بن المنذر ، وكان النابغة من خواصه وندمائه وأهل أنسه ، فرأى زوجته المتجردة يوماً وغشيها أمرٌ سقط نصيفها^(١) واستترت يدها وذراعها . وذكر في هذه القصيدة أموراً عجيبية منها في صفة فرجها . ثم أنشدها النابغة مرةً بن سعيد القريني فأنشدها مرةً النعمان ، فامتلاً غضباً وأوعد النابغة وتهدده . فهرب منه إلى ملوك غسان بالشام .

وقيل : إن الذي من أجله هرب النابغة : انه كان هو والمنخل اليشكري نديمين للنعمان ، وكان النعمان دميماً قبيح المنظر ، وكان المنخل من أجل العرب ، وكان يرمى بالمتجردة ، وتكلمت العرب أن ابني النعمان منها كانا منه . فقال النعمان للنابغة : يا أبا أمامة ، صف المتجردة في شعرك . فقال تلك القصيدة ، ووصفها فيها ووصف بطنها وفرجها وأردافها . فلحقت المنخل من ذلك غيرة ، فقال للنعمان : ما يستطيع أن يقول هذا الشعر إلا من جرّب ! فوقر ذلك في نفس النعمان . فبلغ النابغة فخافه فهرب إلى ملوك غسان ، ونزل بعمره ابن الحارث الأصغر فمدحه ومدح أخاه ؛ ولم يزل مقيماً مع عمرو حتى مات وملك أخوه النعمان ، فصار معه إلى أن استعطف النعمان بن المنذر فعاد إليه .

ومما قاله في ملوك غسان ما أنشده ابن قتيبة في كتاب الشعراء عن الشعبي أنه قال : دخلت على عبد الملك ، وعنده رجل لا أعرفه ، فالتفت إليه عبد الملك فقال : من أشعر الناس ؟ قال : أنا ! فأظلم ما بيني وبينه ، فقلت :

من هذا يا أمير المؤمنين ؟ فتعجب عبد الملك من عجلتي فقال : هذا الأخطل ! قلت : أشعر منه الذي يقول :

هذا غلامٌ حسنٌ وجهه مُستَقْبِلُ الخَيْرِ سَرِيعُ التَّمامِ
للحارثِ الأكبر والحارث الأصغر والأعرج خير الأنامِ
ثم لهند ولهندٍ ، وقد يَتَجع في الرَوَاضِ ماء الغمامِ
سِتَّةَ آبَاءٍ هُمُ ما هُمُ^(١) هُمُ خير مَنْ يشرب صفو المدامِ

فقال الأخطل : صدق يا أمير المؤمنين ، النابغة أشعر مني . فقال لى عبد الملك : ما تقول في النابغة ؟ قلت : قد فضله عمر بن الخطاب على الشعراء غير مرة ، خرج وببابه وفد غطفان ، فقال : أى شعرائكم الذى يقول :
حلفتُ فلم أتركْ لنفسك رِيبةً وليس وراء الله للمرء مطلبُ ؟
قالوا : النابغة . قال : فأى شعرائكم الذى يقول :

فإنك كالليل الذى هو مدركى وإن خلتُ أن المنتأى عنك واسع ؟
قالوا : النابغة . قال : هذا أشعر شعرائكم !

وله القصائد « الاعتذاريات » المشهورة إلى النعمان بن المنذر ، لم يقل أحد مثلاً . منها قوله :

تَبَيَّنْتُ أن أبا قابوسَ أوعَدَنى ولا قرارَ على زارٍ من الأسدِ

(١) ط : « ستة آبائهم ماهم » وأثبت ما فى ش . قال اليمنى :
« وكذا فى مقدمة جمهرة الأشعار : ستة ، ولكنى أرى الصواب : خمسة ،
كما فى ديوانه نسخة شيفر وملحق أشعار الستة والأغاني ٩ : ١٦٢ .
وأرى أن تقرأ :

* خسة آبائهم ماهم *

ولو نونت خمسة اختل الوزن . وفى الشعراء ١٠٩ : « ستة
آبائهم ماهم » .

وتمثل به الحجاج بن يوسف حين سخط عليه عبد الملك بن مروان .
ومما يتمثل به من شعره :
فلو كفى اليمينُ بفتك خونا لأفردتُ اليمينُ من الشمالِ
أخذه المنقبُ العبدىَّ فقال :
« فلو أنى تخالفنى شمالى خلافتك ما وصلتُ بها يمينى »
وقوله :

غملتني ذنبَ امرئٍ وتركته كذى العُرْى كوى غيره وهو راتع^(١)
أخذه الكيت فقال :
« ولا أكوى الصحاحَ براتعاتٍ بهن العُرْى قبلى ما كوينى »

(تتمة)

٢٨٩

من اسم النابغة

ذكر الأمدى فى المؤلف والمختلف من يقال له النابغة ثمانية : أولهم هذا
والثانى : النابغة الجعدى الصحابى . والثالث : نابغة بنى الديان الحارثى .
والرابع : النابغة الشيبانى . والخامس : النابغة الغنوى . والسادس : النابغة
العدوانى . والسابع « النابغة الذبياني » أيضا وهو نابغة بنى قتال بن يربوع .
والثامن : النابغة التغلبى ، واسمه الحارث^(٢) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس بعد المائة^(٣) :

(١) ط : « فحملتنا » وأثبت ما فى ش . والرواية : « لحملتني »
وفى شرح الوزير أبى بكر : « لكلفتني » .

(٢) فى المؤلف ١٩٣ : « واسمه الحارث بن عدوان ، أحد بنى زيد
ابن عمرو بن غنم بن تغلب » .

(٣) العينى ٤ : ٢٣٢ وابن يمشى ١ : ١٢٧ ، ١٣٠ وأمالى ابن
الشجرى ٢ : ٧٩ ونوادر أبى زيد ١٦٣ والانصاف ٣٢٥ ، ٦٨٢ والهمع
١ : ١٧٤

١٠٥ (يا أبحر بن أبحر يا أتنا أنت الذى طَلَقْتَ عامَ جُعنا)
على أن المضمر لو وقع منادى جاز نظراً إلى المظهر^(١)، فإن المظهر
بصورة الرفع، والضمير ضمير رفع.

قال ابن الأنبارى فى مسائل الخلاف تقلا عن البصريين « بأن^(٢) المفرد
المعرفة إنما بنى لأنه أشبه كاف الخطاب، وكاف الخطاب مبتية، فكذلك
ما أشبهها ووجه الشبه بينهما من ثلاثة أوجه: الخطاب، والتعريف، والإفراد.
ومنها من قال: إنما بنى لأنه وقع موقع اسم الخطاب، لأن الأصل فى قولك
يا زيد: أن تقول: يا إياك، أو يا أنت، لأنَّ المنادى لما كان مخاطباً كان
ينبغي أن يُستغنى عن اسمه ويُؤتى باسم الخطاب، فيقال: يا إياك أو يا أنت،
كما قال:

(يا مراً يا ابن واقع يا أتنا)

فلما وقع الاسم المنادى موقع اسم الخطاب وجب أن يكون مبتياً كما أنَّ
اسم الخطاب مبتى.

وظاهر كلام الشارح المحقق أن نداء الضمير مطرد، وأنه لا فرق بين
نداء الضمير المرفوع والضمير المنصوب.

قال ابن الحاجب فى الإيضاح: نداء المضمر شاذ. وقد قيل إنه على
تقدير: يا هذا أنت، ويا هذا إياك أعنى.

(١) نص الرضى ١: ١٢٠: « وان وقع المضمر منادى جاز: يا أنت
(يريد أن يأتى ضمير رفع) نظرا الى المظهر، قال: يا أبحر... »
النخ. ثم قال: « وجاز: يا إياك (يريد أن يأتى ضمير نصب) نظرا الى
كونه مفعولا. فتأمل عبارة البغدادي وما سيأتى من كلامه.

(٢) كذا فى النسختين. وفى الانصاف: « وأما البصريون فاحتجوا
بأن قالوا: إنما قلنا انه مبنى وان كان يجب فى الأصل أن يكون معرباً
لأنه أشبه كاف الخطاب. »

وقال أبو حيان في تذكرته : « وأما يا أننا فشاذاً ، لأن الموضع موضع نصب وأنت ضمير رفع ، فحقه أن لا يجوز كما لا يجوز في إياك ؛ لكن بعض العرب قد جعل بعض الضمائر نائباً عن غيره ، كقولهم : رأيته أنت ، بمعنى رأيته إياك ؛ فتاب ضمير الرفع عن ضمير النصب ، وكذلك قالوا : يا أننا ، والأصل يا إياك . وقد يقال : إن « يا » في يا أنت حرف تنبيه ، وأنت مبتدأ وأنت الثانية تأكيد لفظي ، والخبر هو الموصول ؛ وهذا أولى من ادعاء نداء المضمر بصورة المرفوع وجعله شاذاً . وقال ابن عصفور : ولا ينادى المضمر إلا نادراً ، والأسماء كلها تنادى إلا المضمرات ؛ أما ضمير الغيبة وضمير المتكلم فهما مناقضان لحرف النداء ، لأن حرف النداء يقتضى الخطاب ؛ ولم يجمع بين حرف النداء والضمير المخاطب لأن أحدهما يغنى عن الآخر ، فلم يجمع بينهما إلا في الشعر مثل قوله :

يا أقرع بن حابس يا أننا أنت الذى الخ

فمنهم من جعل ياتنبيها ، وجعل أنت مبتدأ ، وأنت الثانى إما تأكيداً أو مبتدأً أو فصلاً أو بدلاً هـ . ودل كلامه على أن العرب لاتنادى ضمير المتكلم فلا تقول : يا أنا ، ولا ضمير الغائب فلا تقول : يا إياه ولا يا هو ، فكلام جهلة الصوفية في نداء الله تعالى : يا هو ، ليس جاريّاً على كلام العرب ، هـ كلام أبي حيان .

وهذان البيتان من أرجوزة لسالم بن دارة ، وقد حرّف البيت الأول على أوجه كما رأيت . وصوابه :

(يا مرّ يا ابن واقع يا أننا)

ورواه العيني كرواية الشارح ، وزعم أن قائله الأحوص . وهو وهم ، إنما

قوله نثر لا نظم : وهو أنه لما وفد مع أبيه على معاوية خطب ، فوثب أبوه ليخطب فكفّه وقال : يا إياك قد كفيته .

ومنشأ الوهم : أن النحويين قد ذكروا هذا البيت عقب قول الأحوص مع قولهم (وكقوله) ، فظن أن الضمير للأحوص .

وقد صحّفه أبو عبد الله بن الأعرابي أيضا في نوادره ، ورواه :

* يا قرّ يا ابنَ واقع يا أنتا *

نّبّه على تصحيحه أبو محمد الأسود الأعرابي فيما كتبه على نوادره وسمّاه « ضالة الأديب » فقال : صحّف أبو عبد الله في اسم من قيل فيه هذا الرجز فقال : ياقر ، وإنما هو يامرّ ، وهو مرة بن واقع أحد بني عبد مناف بن قزارة . وقوله : (أنت الذى طلّقت) ، كان القياس طلّق ، ليعود إلى الموصول ضمير الغائب . قال ابن جني : هذا كلام العرب الفصيح ؛ وقد جاء أيضا الحمل على المعنى دون اللفظ كهذا البيت .

وكان من قصة سالم بن دارة ومُرّة بن واقع الفزارى : أن قِرْفَة^(١) أحد بنى عبد مناف نثّلَ حَسِيًّا بزُهّان ، فاستعان بسالم وبمرّة - واسم الحسى معلق - فرجز سالم وهو يخرج عن مرة المسناة^(٢) :

أُنزِلنى قِرْفَة فى معلق أتُرك حبلى مرة وأُرتقى
عن مرّة بن واقع واستقى^(٣)

(١) ط : « قِرْقَة » ، صوابه فى ش وانظر الأغاني ٢١ : ٥١ وقولهم فى المثل : « أَمْنَع من أم قِرْقَة » .

(٢) ط : « المياه » ، صوابه فى ش مع أثر تصحيح ، يقال سنا الدلو ونحوها : جرها من البئر وانتزعها .

(٣) الأبيات فى معجم البلدان (معلق) محرفة تحريفا شديدا .

ثم قال :

ولا يزال قائلٌ : أينُ ابنُ دُلوكة عن حدِّ الضُّروس واللبِّين^(١)
فغضبُ مُرّةٍ من ذلك ؛ وكان عند مُرّةٍ امرأةٌ من بني بدر بن عمرو ،
فأسنت مُرّةً فطلّقها (وأهل البادية أفعلُ شئاً لذلك) ، فلما أحيا أراد رجعتها
فأبت ؛ وكان مُرّةٌ يحسب أن له عليها رجعةً ، وأنه إنّما فاكها ، فاحتملت
إلى أهلها ، ثم إن مُرّةً حجّ في أرْ كُوب من بني فزارة حجاج ، وخرج سالم
في أرْ كُوب من بني عبد الله بن غطفان حجاج ، فاصطحبوا ، فنزل مُرّةٌ يسوق
بالقوم فقال يرتجز :

لو أن بنت الأكرم البدرى رأت شحوبى ورأت بدرى
وهنّ خوصٌ شبه القسي يلفها لفّ حصي الأني^(٢)
أروّع سقاء على الطوى

ثم نزل سالم يسوق بالقوم ، وقد كانا تضاغنا ، فرجز :

(يا مرّ يا ابن واقع يا أننا أنت الذى طلّقت عامُ جُمتنا
فضّمها البدرى إذ طلّقتنا حتى إذا اصطبحت واغتبتنا
أصبحت مرتدّا لما تركنا أردت أن تُرجعها ، كذبنا
أودى بنو بدر بها ، وأننا^(٣) تُقسّم وسط القوم : ما فارقنا

(١) الرجز منسوب في اللسان (ضرس ٤٢٥) الى ابن ميادة
برواية : « أما يزال » . وكذا رواه في (لبن ٢٥٩) لكن بنسبته الى
سالم بن دارة ، ثم قال : « وقيل لابن ميادة » . وهو في اصلاح المنطق
١٩٠ بدون نسبة برواية اللسان .

(٢) ط : « يلفها لفي » ، صوابه في ش :

(٣) من الأول ، وهو البطء ، كما في التبريزي ١ : ٣٦٧ عند

انشاد الرجز .

قد أحسن الله وقد أسأنا فأدُّ رزقها الذى أكلنا)
انتهى ما أورده الأسود الأعرابي .

وقوله : نثَل حِسِيَا بَزُهُان ، يقال نثَلت البئر نَثْلًا وانتثلتها : إذا
استخرجت ترابها ، وهو النثيلة بالنون والثاء المثلثة . والحِسي بكسر الحاء
وسكون السين المهملتين : ما تَنَشَّطُ الأرضُ من الرمل^(١) فإذا صار إلى صلابة
أَمْسَكَته ، فتحفر عنه الرمل فتستخرجه ؛ وجمعه الأحساء . وزُهُان بضم الزاء
المعجمة^(٢) وسكون الهاء : وادٍ لبني فزارة متصل بالرقم - بفتح الراء والقاف -
وهو موضع بالحجاز قريب من وادى القرى ، كانت فيه وقعة لطفان
على عامر . كذا فى معجم ما استعجم لأبى عبيد البكرى .

وقوله : أبنُ أبنُ ، هو فعل أمر من الإبانة وهو الإبعاد . والضُّروس ،
قال فى الصحاح : بضم الضاد : الحجارة التى طويت بها البئر . وأنشد هذا
الشعر ؛ وبئر مضروسة وضريس أى مطوية بالحجارة .

وقوله : فأسنَّتْ مَرَّةً ، أى أصابه السنة ، وهى القحط والجذب . وقوله :
فلما أحيا ، فى الصحاح : قال أبو عمرو : أحيا القوم : إذا حسنت حال
مواشيهم . فإن أردت أنفسهم قلت : حيوا . ثم قال : وأحيا القوم أى صاروا
فى الحيا ، وهو الخصب ، والحيا مقصور : المطر والخصب اه . وهو بالخاء
المهملة وبمدها ياء آخر الحروف . وقوله فأكبها أى مازحها ، والمفاكحة : المازحة .
وقوله : البدرى ، منسوب إلى بنى بدر بن عمرو . ولو للتغنى لأجواب لها .
والشُحوب : مصدر شَحَبَ جسمه بالفتح يشحُب بالضم : إذا تغيَّر . وقوله :

(١) ط : « ما تَنَشَّطه » ، صوابه فى ش والصحاح واللسان .
والمراد ما تشربه الأرض الرملية من الماء .
(٢) ضبطه ياقوت بالضم وبالفتح أيضا .

بذريّ أي إلى المفرقة ؛ ويقال تفرقت إبله شذر بذر ، بفتح الشين والباء وكسرها وما بعدها مفتوح : إذا تفرقت في كل وجه . وقوله : وهنّ خوص : أي غائرات العيون ، جمع أخوص وخوصاء ، والفعل خوص بالكسر أي غارت عينه . ويلقها : يضمها ويجمعها . والآتي بفتح الهمزة وكسر المثناة الفوقية ، قال في الصحاح « وأتيت للماء تأتيه وتأتي أي سهلت سبيله ليخرج إلى موضع ؛ والآتي : الجبول يؤتيه الرجل إلى أرضه ، وهو فاعل ؛ يقال : جاءنا سيل آتيّ وأتاوى : إذا جاءك ولم يصيبك مطره » . وقوله أروع ، هو فاعل يلقيها ؛ ومعناه : السيد الذي يروعك بجماله وجلاله . وسقاء : مبالغة ساق . والطوى : البئر المطوية ، أي المبنية بالحجارة .

وقوله : أصبحت مرتدّا . أي راجعا ، والارتداد : الرجوع . وأودى بها : ذهب بها : وقوله : فادّ رزقها ، أي أعط صداقها الذي تغلبت عليه وأكلته .

سالم بن دارة و (سالم بن دارة) هو سالم بن مسافع بن عقبة بن يربوع بن كعب ابن عدى بن جشم بن عوف بن بهثة بن عبد الله بن غطفان .

ودارة : لقب أمه ، واسمها سقاء^(١) ، كانت أختة : أصابها زيد الخليل من بعض غطفان وهي حبلى (وهي من بني أسد) فوهبها زيد الخليل لزهير ابن أبي سلمى . فربما نسب سالم بن دارة إلى زيد الخليل . كذا في كتاب أسماء الشعراء المنسوبين إلى أمهاتهم تأليف أحمد بن أبي سهل بن عاصم الحلواني ، ومن خطّه قلت .

وقال التبريزي في شرح الحماة : ودارة هو يربوع ، وإنما سمي دارة

(١) كذا بالقاف في النسختين .

لأن رجلاً من بني الصارد بن مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان ، يقال له : كعب ، قتل ابن عمَّ ليربوع بن كعب يقال له : درص ، فقتل يربوع كعباً بابن عمه وأخذ ابنة كعب ، ثم أرسلها فأنت قومها فنعت أباه كعباً ؛ فقالوا : من قتله ؟ قالت : غلام كأن وجهه دائرة القمر ، من بني جُشم بن عوف بن بهثة . فسُمِّيَ بذلك ونسب إليه سالم . ٥١ .

ومثله في الأغاني . والصحيح الأول ، ويدل له قول سالم :

أنا ابنُ دائرةٍ معروفًا بها نسي وهل بدارة ، يا للناس ، من عار !
وسالم : شاعر مخضرم : قد أدرَك الجاهلية والإسلام . وكان رجلاً هجاء وبسببه قتل .

٢٩٢

قال التبريزي قطلا عن أبي ريش . وكان الذي هاج قتله : أنه كان مرة بن واقع من وجوه بني فزارة ، وكانت عنده امرأة من أشراف بني فزارة ، ففكا كهنه امرأته ذات ليلة فطلقها البتة واحتملت إلى أهلها - ومرة يظن أنه قادر على ردّها إذا شاء - حتى أتى لذلك عامٌ وهما كذلك . ثم خطبها حمل بن القليب الفزاري ، ورجل آخر من بني فزارة يقال له علي ، وخطبها ابن دائرة . فبلغ ذلك مرة ، فأراد أن يراجعها فأبت عليه واختارت علياً . فركب مرة بن واقع إلى معاوية - وقيل إلى عثمان - فقال : إن الأعراب أهل جفاء ، وإني قد قلت كلمة بيني وبين امرأتى لم أرد ما تبليغ ، فتزوجت رجلاً ؛ وإنما أتيتك مباحراً قبل أن يني بها ؛ فامنع لي امرأتى . فقال معاوية : لقد ذكرت امرأة صغيرة في أمر عظيم^(١) لا سبيل لك عليها .

(١) أغفل البغدادى جملة يكون الكلام بها واضحاً ، وهى كما فى

١ : ٣٦٧ : « أمر الله عظيم ، وامراتك أمرها صغير » .

ففرّق بينهما معاوية ، وهو يومئذ على الشام عاملاً لعثمان ، فقال سالم في ذلك قبل أن يقدم مرة عند معاوية والقوم ينتظرونه :

يا ليت مرة يأتينا فيجعلها خيراً البناء ويجزى منها الجازى

فجاء مرة وقد ابتنى بها على : فغضب على سالم وجعل يشتمه حتى قال : أيها العبد من محوالة ، ما أنت و ذكر نساءنا ؟ ! (ومحوالة بنو عبد الله بن غطفان ، وكان يقال لهم بنو عبد العزى ، فوفدوا على النبي صلى الله عليه وسلم فقال : من أنتم ؟ فقالوا : نحن بنو عبد العزى فقال صلى الله عليه وسلم : بل أنتم بنو عبد الله ! فسّمّتهم العرب محوالة) فقال سالم بن دارة : مهلاً يامرّة ، فإنى لم أفعل تأييداً (كأنه أراد لم آت بأيدة) وما بى بأس ، ولا ذنب لى ؛ وإنما مزحت . فأبى مرة إلا شتمه . فقال سالم ، وقد غضب :

* يامرّ يا ابن واقع يا أننا *

أوقع « يا » على المنادى المحذوف كأنه قال : يامرّة أنت . وقد ادعى قوم أن أنت يجوز نداؤها . ولا ينبغي أن يعدل عن الوجه الأول . . . ثم ذكر الأبيات السابقة وقال :

ثم تواعدا أن يلتقيا ، وعظم في صدور بنى فزارة قول سالم ، فأغضوا على ذلك . ثم تواقف^(١) ابن واقع وسالم على رهان ، وفيهم يومئذ ابن بيشة^(٢) . أحد بنى عبد مناف بن عقيل ، فقال سالم لجميع بنى فزارة : إني أحمد الله كهدهم وبعدكم ، واستمهدكم من مرة . فقال مرة : والله لا أزال أهجوك ما بل ريقى لسانى . وجاءت بنو فزارة بامرأة من بنى غراب ترجز يقال لها : غاضرة . فلما رآها سالم نهق كما ينهق الحمار ثم قال :

(١) وكذا فى التبريزى ١ : ٣٦٨ . وفى ش : « توافق » .

(٢) وكذا فى التبريزى . وجعلها الشنقيطى فى نسخته : « بشينة » .

قد سبني بنو الغراب الأحمر^(١) جُبِنًا وجهلاً ، وتمنوا منكري
كل عجز منهم ومُصير غاصر ، أدى رِشوتي لا تغدري
وأبشري بعزب مصدر شراب ألبان الخلايا ، مقفر
يحمل عرداً كالوظيف الأعجبر وفيشة متى ترها تشفري^(٢)
حرء كالنورج فوق الأندر قلب أحياناً حاليق الحر
معقِد مشعر مسير^(٣) كأنما أحسن جيش المنذر
إن تمنى قعوك أمتع محوري لقعو أخرى كعنب مدور
(النورج : شيء يذوق به أهل الشام حبهم) : فلما قالها سالم ألهها الاستماع
الرد عليه ؛ ثم لوى دِرْعها فكشف عنها ، فحجز الناس بينها وافترقوا ،
ولا بن دارة الظفر . وعم بنى فزارة بالهجاء لما أعانت عليه بنو غراب^(٤) ،
وقال يهجو مرة بن واقع الفزاري^(٥) :

حدبداً بدبداً منك الآن استمعوا أنشدكم يا ولدان
إن بنى فزارة بن ذبيان قد طرقت ناقهم يا إنسان
مشياً أعجب بخلق الرحمن^(٦) غلبتم الناس بأكل الجردان
كل مثل كالعمود جوفان وسرق الجار ونيك البعران

- (١) التبريزي : « يقول الغربيان تكون بقعا وسودا وأنتم بنو غراب
أحمر ، ينسبهم الى الأعاجم ، لأن الحمرة فيهم أكثر » .
(٢) فى حواشى ش بخط ناسخها : « شفرت المرأة تشفر اذا قربت
شهوتها » . وعند التبريزي : « تسفري » .
(٣) ش : « مقعر مسعر مسير » .
(٤) ط : « بنو غراب » ، صوابه فى ش والتبريزي .
(٥) ط : « المرني » ، صوابه فى ش .
(٦) التبريزي : « المشيا : المقبح الوجه » . ط : « مشيا » ، صوابه
فى ش .

(حديدبا : كلمة جاء بها فى معنى التعجب مما هو فيه . وأصلها لعبة يلعب بها الصبيان - ويختلف فى لفظها ، فبعضهم يقول حديدبا بباءين ، وبعضهم يقول : حندنبا ، ومنهم من يقول حديدبا - يقول : اجتمعوا يا صبية لتلعبوا هذه اللعبة . وإنما غرضه أن يعجب الناس مما هو فيه ، ويعلمهم أنه فى أمر كلعب الصبيان) .

وقال قصيدةً طويلةً فى هجوم ، منها :
 بلغ فزارة أتى لن أسألها حتى ينك زميلٌ أم دينارٍ
 (هى أم زميل وكانت تكنى أم دينار) خلف زميل بن أبيير ، أحد بنى عبد الله بن عبد مناف : أن لا يأكل لحماً ولا يغسل رأسه ولا يأتى امرأة حتى يقتله . فالتقى زميل وابن دارة منحدرٌ إلى الكوفة ، وزميل يريد البادية : فقال له سالم : لا أبالك؟ ألم يأن لك أن تحلَّ يمينك^(١)؟ فقال له زميل : إنى أعتذر إليك ، والله ما فى القوم حديدة إلا أن يكون مخيطاً . فافترقا . وسار سالم حتى قدم على أخيه بالكوفة فكث غير بعيد ، ثم لحق بقومه بالبادية ، ثم ورد المدينة ، ثم خرج منها فلقى زميلاً عشاءً ، وزميل داخل المدينة ، فكلّمه وناداه وقال . . ألا تحلَّ يمينك؟ ثم انطلق واتبعه زميل وغشيه بالسيف ، فدفع الراحلة ، وأدركه زميل فضربه فأصاب مؤخرة الرجل وحذا عضده ذباب السيف حذيةً أوضحت ، ورجع إلى المدينة يتداوى بها . فزعوا أن بسرة بنت عيينة بن أساء - ويقال إنها بنت منظور بن زبّان ، وكانت تحت عثمان بن عفان - دسّت إلى الطبيب سمّاً فى دوائه فمات ، وقال قبل موته :

أبلغ أبا سالم عني مُغلّةً فلا تكوننّ أدنى القوم للعارِ
 لا تأخذنّ مائةً منهم مجلّةً ، واضرب بسيفك منظور بن سيارِ

(١) ط : « يمينى » صوابه فى ش . . والذى حلف هو زميل .

وقال الناس لما قُتل : قد محّوا عن أنفسهم . وفي ذلك يقول الكمي
ابن معروف :

فلا تُكثروا فيها الضَّجَّاجَ فَإِنَّهُ مَحَا السَّيْفُ مَا قَالَ ابْنُ دَارَةَ أَجْمَعَا
انتهى ما أورده التبريزي .

وقال محمد بن حبيب ، في كتاب المغتالين من الأشراف في الجاهلية
والإسلام^(١) : إن سالم بن دارَةَ هجَازِمْ بَنَ أَبِيهِ ، وهو ابنُ أُمِّ دِينَارَ ،
فَقَالَ فِي قَصِيدَةٍ لَهُ طَوِيلَةٌ :

أَلَى ابْنِ دَارَةَ جَهْدًا لَا يَصِلُ الْحَكْمُ حَتَّى يَنْيِكَ زَمِيلُ أُمِّ دِينَارِ

٢٩٤

وحكى الحكاية كما ذكرتُ . إلى أن قال : ثم إن زميلاً قدم المدينة
فَقَضَى حَوَائِجَهُ ، حَتَّى إِذَا صَدَرَ عَنِ الشُّقْرَةِ^(٢) سَمِعَ رَجُلًا يَتَغَنَّى بِشِعْرِ ، فَعَرَفَ
زُمَيْلَ صَوْتِ سَالِمَ ، فَأَقْبَلَ إِلَيْهِ فَضْرِبَهُ ضَرْبَتَيْنِ وَعَقَرَ بَعِيرَهُ . فُحْمِلَ سَالِمٌ إِلَى
عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ ، فَدَفَعَهُ إِلَى طَبِيبٍ نَصْرَانِيٍّ ، حَتَّى إِذَا بَرَأَ وَالتَّامَتْ كُلُّوْمُهُ
دَخَلَ النَّصْرَانِيَّةَ ، وَإِذَا سَالِمٌ يُشَامِعُ امْرَأَتَهُ^(٣) فَاحْتَقَنَهَا عَلَيْهِ^(٤) فَقَالَ لَهُ النَّصْرَانِيُّ :
إِنِّي لَأَرَى عَظْمًا نَاتِئًا ، فَهَلْ لَكَ أَنْ أَجْعَلَ عَلَيْهِ دَوَاءً حَتَّى يَسْقُطَ ؟ قَالَ : نَعَمْ ،
فَافْعَلْ . فَسَمَّهُ فَمَاتَ . وَيُقَالُ : إِنَّ أُمَّ الْبَنِينَ بَنَتْ عَيْنَةَ بَنِ حَصْنِ الْفَزَارِيِّ ،
وَكَانَتْ عِنْدَ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ ، جَعَلَتْ لِلطَّبِيبِ جُعْلًا حَتَّى سَمَّهُ فَمَاتَ . ١ هـ .

(١) نشرته محققاً في نوادر المخطوطات ٢ : ١٠١ - ٢٧٨ . وهذا
النص في ص ١٥٦ - ١٥٧ .

(٢) الشقرة ، بالضم : قرية على طريق المدينة . معجم ما استعجم
٧٤٩ .

(٣) في النسختين : « وإذا سالم مع امرأته » ، صوابه في كتاب ابن
حبيب . شامعها : لاعبها وضاحكها .

(٤) في كتاب ابن حبيب : « فاحتقنها عليه » .

وافتحز زميل بقتله وقال :

أنا زميل قاتل ابن دارّة وغاسل المخزاة عن فزارة^(١)

* * *

وأشد بعده ، وهو الشاهد السادس بعد المائة ، وهو من شواهد س^(٢) :

١٠٦ (سَلَامُ اللَّهِ يَا مَطْرُ عَلَيْهَا وليس عليك يا مَطْرُ السَلَامُ)

على أنه إذا اضطرّ إلى تنوين المنادى المضموم اقصر على القدر المضطرّ إليه من التنوين . والقدر المضطرّ إليه هو النون الساكنة ؛ فألحقت وأبقيت حركة ما قبلها على حالها ، إذ لا ضرورة إلى تغييرها ، فإنها تندفع بزيادة النون . وهذا مذهب سيبويه والخليل والمازني . قال النحاس والأخفش المجاشعي في المعالجة : وحجتهم أنه بمنزلة مرفوع ما لا ينصرف ، فلحقه التنوين على لفظه .

واختار الزجاجي في أماليه هذا المذهب ؛ لكنه ردّ الحجة فقال : الاسم العلم المنادى المفرد مبنى على الضم ، لمضارعه عند الخليل وأصحابه للأصوات ، وعند غيره لوقوعه موقع الضمير ، فإذا لحقه [التنوين^(٣)] في ضرورة الشعر فالعلة التي من أجلها بُنِيَ قائمةً بعده فيه ؛ فينوّن على لفظه ، لأننا قد رأينا من المبنيات ما هو منوّن نحو إليه وغاي وما أشبه ذلك . وليس بمنزلة ما لا ينصرف لأن ما لا ينصرف أصله الصرف ، وكثير من العرب لا يمتنع من صرف شيء في ضرورة [شعري^(٤)] ولا غيره إلا « أفعل منك » ، فإذا

(١) ط : « أبا زميل » ، صوابه في ش والتبريزي ١ : ٣٧٢ . ولزميل

ترجمة في الإصابة ٢٩٧٣

(٢) سيبويه ١ : ٣١٣ . والعيني ١ : ١٠٨ / ٤ : ٢١١ والانصاف

٣١١ وابن السجري ١ : ٣٤١ ومجالس ثعلب ٩٢ ، ٢٣٩ ، ٥٤٢ ، والهمع ٢ :

٨٠ وأمالي الزجاجي ٨١ وشرح شواهد المغنى ١٦٠ والأغاني ١٤ : ٦١ ، ٦٢ .

(٣) التكملة من أمالي الزجاجي

نَوْنٌ فَإِنَّمَا يَرُدُّ إِلَى أَصْلِهِ ، والمفرد المنادى العلم لم ينطق به منصوباً منوْناً قط في غير ضرورة شعر . فهذا بيِّن واضح . اهـ

وتبعه اللخميّ في أبيات الجمل ، ونقل هذا الكلام بعينه .

قال النحاس : وحكى سيبويه عن عيسى بن عمر (يا مطراً) بالنصب ؛ وكذلك رواه الأخفش في المعاية وقال : نصب مطراً لأنه نكرة . وهذا ليس بشيء . قال المبرد : أما أبو عمرو وعيسى ويونس والجرميّ فيختارون النصب ، وحجّتهم أنهم ردّوه إلى الأصل ؛ لأنّ أصل النداء النصب كما ترده الإضافة إلى النصب ، قال : وهو عندي أحسن لرّدّه التنوين إلى أصله كما في النكرة .

وهذا البيت من قصيدة للأحوص الأنصاري ، وبعبده :

(فلا غفرَ الإلهُ لمنكحها ذنوبهمُ وإنْ صلّوا وصاموا أبيات الشاهد
 كأنّ المالكين نكاحَ سَلَمَى غداةً نكاحها مطرٌ ، نيامُ
 فلو لم ينكحوا إلّا كَفِينًا لكان كَفِينُها الملكُ الهُمامُ ٢٩٥
 فإنْ يكن النكاحُ أحلَّ شيء فإنْ نكاحها مطراً حرامُ
 فطلّقها فلستَ لها بكفءٍ وإلّا يعلُ مفِرّك الحسامُ !)

في الأغاني بسنده إلى محمد بن ثابت بن إبراهيم بن خلاد الأنصاري قال :

قَدِمَ الأحوص البصرة ؛ فخطب إلى رجل من بني تميم ابنته ، وذكر له نسبه ، فقال : هات لي شاهداً يشهد أنك ابن حمي الدبر وأزوجك . فجاءه بمن شهد له على ذلك . فزوجه إياها ، وشرطت عليه أن لا يمنعها من أحد من أهلها . فخرج بها إلى المدينة ، وكانت أختها عند رجل من بني تميم قريباً من طريقهم ، فقالت له : اعد لي بي إلى أختي . ففعل ، فذبحت لهم وأكرمتهم ،

وكانت من أحسن الناس ، وكان زوجها في إبله فقالت زوجة الأحوص له : أقم حتى يأتي . فلما أمسوا راح مع إبله ورعاه^(١) وراحت غنمه فراح من ذلك شيء كثير^(٢) ، وكان يسمى مطراً . فلما رآه الأحوص ازدراه واقتحمته عينه ، وكان شيخاً دميماً ، فقالت له زوجته : قم إلى سلفك فسلم عليه . فقال الأحوص وأشار إلى أخت زوجته بإصبعه :

سلام الله يا مطر عليها الأبيات

وأشار إلى مطر بإصبعه ، فوثب إليه مطرٌ وبنوه ، وكاد الأمر يتفاقم حتى حُجز بينهم . انتهى

وقال الزجاجي في أماليه الوسطى ، وتبعه اللخمي : كان الأحوص يهوى أخت امرأته ويكتم ذلك وينسب فيها ولا يفصح ؛ فتزوجها مطر فغلبه الأمر وقال هذا الشعر^(٣) . وبعضهم لما لم يقف على منشأ الشعر قال : مطر اسم رجل وكان دميماً أقبح الناس ، وكانت امرأته من أجل النساء وأحسنهن وكانت تريد فراقه ولا يرضى مطر بذلك فأنشد الأحوص هذه القصيدة يصف فيها أحوالها . هذا كلامه .

قوله : غداة نكاحها الخ ، الغداة : الضحوة ، وأراد مطلق الوقت . ونكاحها : مصدر مضاف لمفعوله ؛ ومطر : فاعل المصدر ، وهو هنا بمعنى التزوج والعقد في الموضعين ؛ ونيام : خبر كأن ، وروى بدله :

(١) في النسختين : « راجع إبله ورعاه » ، صوابه من الأغاني .
والتصحيح هنا جد قريب .

(٢) الأغاني : « فراح من ذلك أمر كثير » .

(٣) في الأمالي : « قبله الأمر وقال هذا الشعر » . والكلام بعد هذا ليس في الأمالي

* غداة يَعْرَمُ مطرٌ نيام *

مضارعُ عَرَمَ من باب قتل عُرَّة بالضم ، وهو الفضيحة والقذر والجرب^(١) ، يقال: فلان عُرَّة كما يقال قذر للبالغة .

وقوله : فلو لم ينكحوا .. الخ هو مضارع أنكحت الرجل المرأة ؛ فهو متمتعٌ لمفعولين بالهمزة ، والمفعول الأول ضمير سلمي محذوف ؛ والكفى على وزن فاعيل بمعنى الكفء والمائل ، ويقال الكَفْوُ أيضاً على وزن فَعُول .

وقوله : أحلَّ شيء ، هو منصوب خبر يكن ، وهو أفعل تفضيل من الحلال ضدَّ الحرام ؛ وروى الزجاجي (أحلَّ شيئاً) ، بنصب شيء ، فيكون أحلَّ فعلاً ماضياً ؛ وقوله : فإن نكاحها مطراً ، يروى برفع مطر ونصبه وجرة : فالرفع على أنه فاعل المصدر وهو نكاحها فيكون مضافاً إلى مفعوله ، والنصب على أنه مفعول المصدر فيكون مضافاً إلى فاعله ، والجر على أنه مضاف إليه ووقع الفصل بين المتضايقين بضمير الفاعل أو المفعول . وقد أورد ابن هشام هذا البيت في شرح الألفية شاهداً لهذا .

وقوله : وإلاَّ يعلُ مفرقك .. الخ أى وإن لم تطلقها . وهذا البيت شاهد للنُّحاة في إطراد حذف الشرط في مثله . والمفرق بفتح الميم وكسر الراء : الموضع الذى ينفرق فيه الشعر من الرأس ، وأراد به هنا الرأس . وترجمة الأحوص تقدمت في الشاهد الخامس والثمانين^(٢) .

* * *

(١) ط : « والحرب » ، صوابه فى ش

(٢) انظر ص ١٦ من هذا الجزء .

وأُشَدُّ بَعْدَهُ ، وَهُوَ الشَّاهِدُ السَّابِعُ بَعْدَ الْمِائَةِ : (١) .

١٠٧ (يَا لِّلْكَهُولِ وَلِلشُّبَّانِ الْعَجَبِ)

عَلَى أَنَّ لَامَ الْمُسْتَغَاثِ إِنِّ عَطَفْتُ بِغَيْرِ يَا كَسَرَتْ ، فَلَامَ لِلشُّبَّانِ مَكْسُورَةٌ ،
وَالْقِيَاسُ فَتَحَهَا ؛ وَجَازَ الْكُسْرَ لَعَدَمِ اللَّبْسِ . وَهَذَا عَجْزٌ وَصَدْرُهُ :

(يَبْكِيكَ نَاءٌ بَعِيدُ الدَّارِ مُقْتَرَبُ)

يُقَالُ بِكَيْتِهِ : بِمَعْنَى يَبْكِي عَلَى . وَالنَّائِي : أَرَادَ بِهِ بَعِيدَ النَّسَبِ . وَبَعِيدُ
الدَّارِ وَصَفُ نَاءٍ ، وَلَا تَضُرُّ الْإِضَافَةُ إِلَى الْمَعْرِفَةِ لِأَنَّهَا فِي نِيَةِ الْإِنْفِصَالِ لِأَنَّ الدَّارَ
فَاعِلَةٌ فِي الْمَعْنَى .

يَقُولُ : يَبْكِي عَلَيْكَ الْغَرِيبُ ، وَيَسِرُّ بِمَوْتِكَ الْقَرِيبُ ، وَهُوَ أَحَدُ الْأَعَاجِيبِ .
وَالْكَهُولُ : جَمْعُ كَهْلٍ . وَالشُّبَّانُ : جَمْعُ شَابٍّ ؛ قَالَ ابْنُ حَيِّبٍ . زَمَانُ
الْغُلُومِ سَبْعَ عَشْرَةِ سَنَةٍ ، مِنْذُ يُولَدُ إِلَى أَنْ يَسْتَكْمِلَهَا ، ثُمَّ زَمَانُ الشَّبَابِ سَبْعَ
عَشْرَةِ سَنَةٍ إِلَى أَنْ يَسْتَكْمِلَ أَرْبَعًا وَثَلَاثِينَ ؛ ثُمَّ هُوَ كَهْلٌ سَبْعَ عَشْرَةِ سَنَةٍ إِلَى أَنْ
يَسْتَكْمِلَ إِحْدَى وَخَمْسِينَ سَنَةٍ ؛ ثُمَّ هُوَ شَيْخٌ إِلَى أَنْ يَمُوتَ .
وَهَذَا الْبَيْتُ مِنْ شَوَاهِدِ جَمَلِ الزَّجَاجِيِّ وَغَيْرِهِ . وَلَمْ يَنْسِبْهُ أَحَدٌ إِلَى قَائِلِهِ .

* * *

وَأُشَدُّ بَعْدَهُ ، وَهُوَ الشَّاهِدُ الثَّامِنُ بَعْدَ الْمِائَةِ ، وَهُوَ مِنْ أُبَيَّاتِ سَيَّبُوهِ (٢) :

١٠٨ (يَا لِعَطَافِنَا وَيا لِرِيَّاحِ)

عَلَى أَنَّ اللَّامَ فِي الْمَعْطُوفِ فُتِحَتْ كَلَامُ الْمَعْطُوفِ عَلَيْهِ ، لِإِعَادَةِ يَا . وَبَعْدَهُ :

(١) الْعَيْنِيُّ ٤ : ٢٥٧ وَالْهَمْعُ ١ : ١٨٠ وَالْأَشْمُونِيُّ ٣ : ١٦٥

(٢) سَيَّبُوهِ ١ : ٣١٩ . وَانْظُرِ الْعَيْنِيُّ ٤ : ٢٦٨ وَابْنُ يَعِيشَ ١ : ١٢٨ ،

١٣١ وَالْهَمْعُ ١ : ١٨٠ وَالْأَشْمُونِيُّ ٣ : ١٦٥

(وَأَبِي الْحَشْرَجِ الْفَقِي النَّفَّاحِ)

فَأَبِي الْحَشْرَجِ مَعْطُوفٌ عَلَى يَا لَعَطَانَا . وَعَطَّافٌ وَرِيَّاحٌ وَأَبُو الْحَشْرَجِ :
أَعْلَامُ رِجَالٍ . وَالنَّفَّاحُ : الْكَثِيرُ النَّفْحِ أَيْ الْعَطِيَّةِ : وَقَبْلَهُ :

يَا لَقَوْمِي ، مَنْ لِلْعَلَا وَالْمَسَاعِي يَا لَقَوْمِي ، مَنْ لِلْنَدَى وَالسَّامِحِ

الْمَسَاعِي : جَمْعُ مَسَاعَةٍ فِي الْكُرْمِ وَالْجُودِ .

رَأَيْ هَذَا الشَّاعِرَ رِجَالًا مِنْ قَوْمِهِ وَقَالَ : لَمْ يَبْقَ لِلْعَلَا وَالْمَسَاعِي مَنْ يَقُومُ
بِهَا بَعْدَهُمْ .

وهذا من الشواهد الخمسين التي لم يُعرف لها قائل .

* * *

وَأُنْشِدْ بَعْدَهُ ، وَهُوَ الشَّاهِدُ التَّاسِعُ بَعْدَ الْمِائَةِ :

١٠٩ (فِيَا اللَّهَ مِنْ أَلَمِ الْفِرَاقِ)

عَلَى أَنَّ الْمُسْتَغَاثَ لَهُ قَدْ يَجْرُ بِمَنْ كَمَا يَجْرُ بِاللَّامِ .

قَالَ الدِّمَاسِيُّ فِي شَرْحِ التَّسْهِيلِ : وَاعْلَمْ أَنَّ قَوْلَنَا الْمُسْتَغَاثَ مِنْ أَجَلِهِ
أَعْمٌ مِنْ أَنْ يَرَادَ الْمُسْتَنْصَرُ لَهُ وَالْمُسْتَنْصَرُ عَلَيْهِ ؛ إِذْ كُلُّ مِنْهُمَا وَقَعَتِ الْاسْتِغَاثَةُ
بِهِ لِأَجَلِهِ أَيْ بِسَبَبِهِ ؛ فَإِذَا كَانَ الْمُسْتَغَاثُ مِنْ أَجَلِهِ مِنَ النَّوعِ الْأَوَّلِ لَا يَجُوزُ جَرُّهُ
بَيْنَ أَلْبَتَةٍ بَلْ يَجْرُ بِاللَّامِ ؛ وَإِذَا كَانَ مِنَ النَّوعِ الثَّانِي جَازَ الْوُجْهَانِ ، فَإِنْ جَرَّ
بِمَنْ وَجِبَ تَعْلِيلُهَا بِفَعْلِ التَّخْلِيصِ أَوْ الْإِنْصَافِ ، وَإِنْ جَرَّ بِاللَّامِ فَهِيَ لِلتَّعْلِيلِ ،
وَتَعْلُقُ بِالْفِعْلِ أَوْ الْأِسْمِ . ١٠٩ هـ

وهذا المصراع من شعر لعُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ الْحُرِّ الْجُعْفِيِّ ، رَأَى بِهِ الْحُسَيْنَ بْنَ
عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا . وَأَوَّلُهُ :

أبيات الشاهد

(يا لك حسرة ، مادمت حياً تردّد بين حلقى والترّاق
 حسيناً حين يطلبُ بذلَ نصرى^(١) على أهل العداوة والشتاق
 ٢٩٧ ولو أنّي أواسيه بنفسى لنلت كرامةً يومَ التلاق
 مع ابن المصطفى ، نفسى فِداه ! فيا لله من ألم الفراق
 غداة يقولُ لى بالقصر قولاً : أتركنا وتزعم بانطلاق
 فلو فلق التلهّف قلبَ حىّ لهمّ اليومَ قلبى بانفلاق !
 فقد فاز الألى نصروا حسيناً وخاب الآخرون أولو النفاق)

قوله : يا لك حسرة ، هذا مخروم ؛ والخرم : إسقاط أول الوتد . لك
 بكسر الكاف : ضمير مفسر لقوله حسرة . وتردّد : مضارع محذوف من أوله
 التاء . وحسيناً منصوب باذكر محذوفاً .

وقوله : * فيا لله من ألم الفراق *

روى بدله : * فولى ثم ودّع بالفراق *

وعليه فلا شاهد فيه .

قال أبو سعيد السكّرى فى كتاب اللصوص بسنده إلى أبى مخنف لوط
 ابن يحيى بن سعيد الأزدي^(٢) قال :

كان من حديث عبيد الله بن الحرّ : أنّه كان شهد القادسية مع خاليه :
 زهير ومرثد : أبى قيس بن مشجعة . وكان شجاعاً لا يعطى الأمراء طاعة ؛
 ثم صار مع معاوية فكان يكرمه ، وكان ينتاب عبيد الله أصحاب له ، فبلغ
 ذلك معاوية فبعث إليه فدعاه ؛ فلما دخل عليه قال : يا ابن الحرّ ، ماهذه

(١) فى مقتل أبى مخنف لوط ص ٢٩ : « نصر مثلى » .

(٢) أبو مخنف لوط بن يحيى أخبارى تالف لا يوثق به ، قال ابن
 عدى : شيعى محترق ، روى عن جابر الجعفى ومجالد ، وروى عنه المدائنى
 وعبد الرحمن بن مفراء . مات قبل السبعين ومائة . لسان الميزان ٤ : ٤٩٢
 والفهرست ١٣٦

الجماعة التي بلغني أنها ببابك؟ قال: أولئك بطائى، أقيهم وأتقى بهم، إن نابَ جور أمير. فقال معاوية: لعلك يا ابن الحر قد تطلعت نفسك نحو بلادك، ونحو علي بن أبي طالب! قال عبيد الله: إن زعمت أن نفسي تطلع إلى بلادى وإلى علي إني لجدير بذاك، وإنه لقبيح بى الإقامة معك وتركى بلادى. فأما ما ذكرت من علي فإنك تعلم أنك على الباطل. فقال له عمرو بن العاص: كذبت يا ابن الحر وأمنت! فقال عبيد الله: بل أنت أكذب منى!! ثم خرج عبيد الله مفضباً وارتحل إلى الكوفة فى خمسين فارساً، وسار يومه ذلك، حتى إذا أمسى بلغ مسالح معاوية فُنع من السير، فشد عليهم وقتل منهم نفرأ وهرب الباقون؛ وأخذ دوابهم وما احتاج إليه؛ ومضى لا يمر بقرية من قرى الشام إلا أغار عليها، حتى قدم الكوفة - وكانت له امرأة بالكوفة وكان أخذها أهلها فزوجهها من عكرمة فولدت له جارية^(١) - فقدم عبيد الله فخاصهم إلى علي بن أبي طالب؛ فقال له: يا ابن الحر، أنت المالى علينا عدونا. فقال ابن الحر: أما إن ذلك لو كان لكان أثرى معي بيئنا، وما كان ذلك مما يخاف من عدلك. وقاضى الرجل إلى علي ف قضى له بالمرأة. فأقام عبيد الله معها منقبضاً عن كل أمر فى يدى علي، حتى قُتل علي رضى الله عنه، وحتى ولى عبيد الله بن زياد وهلك معاوية وولى يزيد، وكان من أمر الحسين ما كان.

قال أبو مخنف: لما أقبل الحسين بن علي - رضوان الله عليهما - فأتى قصر بنى مقاتل، فلما قتل عبيد الله بن زياد مسلم بن عقيل بن أبي طالب وتحدث أهل الكوفة: أن الحسين يريد الكوفة؛ خرج عبيد الله بن الحر منها متعرجاً من دم الحسين ومن معه من أهل بيته، حتى نزل قصر بنى مقاتل، ومعه خيل مضرة ومعه ناس من أصحابه. فلما قدم الحسين رضى الله

(١) كذا فى ش . وفى المطبوعة (حارثه)

تعالى عنه قصرَ بنى مقاتل ونزل ، رأى فسطاطاً مضروباً فقال : لمن هذا
الفسطاط ؟ فقيل : لعبيد الله بن الحرّ الجعفيّ — ومع الحسين يومئذ الحجاج
ابن مسروق ، وزيد بن معقل الجعفيّان . فبعث إليه الحسينُ الحجاجَ بنَ
مسروق ؛ فلما أتاه قال له : يا ابن الحرّ ، أجب الحسينَ بنَ عليّ . فقال له ابن
الحرّ : أبلغ الحسينَ : أنه إنما دعاني إلى الخروج من الكوفة حين بلغني أنك
تريدها ، فرارُ من دمك ودماء أهل بيتك ، ولئلا أعينَ عليك ؛ وقلتُ إن
قاتلته كان عليّ كبيراً وعند الله عظيماً ، وإن قاتلتُ معه ولم أُقتل بين يديه
كنت قد ضيّعت قتله ؛ وأنا رجلٌ أحى أنفاً من أن أمكن عدوى فيقتلني
ضبعة ، والحسين ليس له ناصر بالكوفة ولا شيعة يُقاتل بهم . فأبلغ الحجاجُ الحسينَ
قولَ عبيد الله فعظم عليه ، فدعا بنعليه ثم أقبل يمشي حتّى دخل على عبيد الله بن
الحرّ الفسطاطَ ؛ فأوسع له عن صدر مجلسه وقام إليه حتّى أجلسه . فلما جلس
(قال يزيد بن مرة : فحدثني عبيد الله بن الحرّ قال : دخل عليّ الحسينُ رضی
الله عنه وحيته كأنها جناح غراب ١ وما رأيتُ أحداً قطّ أحسنَ ولا أملأ
للعين من الحسين ١ ولا رفقت على أحد قطّ رقتي عليه حين رأيته يمشي
والصبيان حوله) فقال له الحسين : ما يمنحك يا ابن الحرّ أن تخرج معي ؟ قال
ابن الحرّ : لو كنتُ كائناً من أحد الفريقين لكنتُ معك ، ثم كنت من
أشدّ أصحابك على عدوك ؛ فأنا أحبُّ أن تعفيني من الخروج معك ، ولكن
هذه خيل لي مُعدّة وأدلاء من أصحابي ، وهذه فرسى « المحلّة »^(١) ، فاركبها ،
فوالله ما طلبتُ عليها شيئاً قطّ إلا أدركته ، ولا طلبني أحدٌ إلا فُتّه ١
فاركبها حتّى تلحقَ بأمّتك ، وأنا لك بالعيلات حتّى أؤدبهم إليك أو أموتُ
وأصحابي عن آخرهم ؛ وأنا كما تعلم إذا دخلت في أمر لم يضمني فيه أحد . قال
الحسين : أفهذه نصيحة لنا منك يا ابن الحر ؟ قال : نعم والله الذي لا فوقه

(١) في القاموس (حلق) : « وكمعظمة » : فرس عبيد الله بن الحر .

شيء ! فقال له الحسين : إني سأنصح لك كما نصحت لي ، إن استطعت أن لا تسمع صراخنا ولا تشهد وقوعتنا فافعل ؛ فوالله لا يسمع داعيتنا أحد لا ينصرنا إلا أكلة الله في نار جهنم ! ثم خرج الحسين من عنده ، وعليه جبة خبز وكساء وقلنسوة موردة (قال : ثم أعدت النظر إلى لحيته فقلت : أسوآد ما أرى أم خضاب ؟ قال : يا ابن الحرّ عجّل على الشيب . ففرفت أنه خضاب) وخرج عبيد الله بن الحرّ حتى أتى منزله على شاطئ الفرات فنزله . وخرج الحسين رضى الله عنه فأصيب بكر بلاء ومن معه ، وأقبل ابن الحرّ بعد ذلك فرّ بهم ، فلما وقف عليهم بكى . ثم أقبل حتى دخل الكوفة ، فدخل على عبيد الله بن زياد بعد ثلاثة ، وكان أشرف الناس يدخلون عليه ويتفقدونهم — فلما رأى ابن الحرّ قال له : أين كنت ! قال : كنت مريضا . قال : مريض القلب أم مريض الجسد (١) ؟ قال : أمّا قلبي فلم يمرض قطّ ، وأمّا جسدي فقد منّ الله تعالى عليّ بالعافية . قال : قد أبطلت ! ولكنك كنت مع عدونا . قال : لو كنت مع عدوك لم يخف مكاني . قال : أمّا معنا فلم تكن ! قال : لقد كان ذاك . ثم استغفل ابن زياد والناس عنده فأنسل منه ثم خرج فتزل المدائن ، وقال : لئن استطعت أن لا أرى له وجهاً لأفعلن ؛ ورثي الحسين وأصحابه الذين قتلوا معه بالشعر المتقدم (٢) ، ويقول :

يقول أمير غادر حق غادر : ألا كنت قاتلت الشهيد ابن فاطمة

(١) في الطبري ٦ : ٢٧٠ عن أبي مخنف : « مريض القلب أو مريض البدن » .

(٢) ذكر الميمنى أن الشعر المتقدم ليس فى الرثاء ، وإنما أنشده على قعوده عن نصرة الحسين بعد أن سار إلى كربلاء وفارقه . وقال : « غير أن الأبيات الميمية ليست له البتة ، وإنما هي للحر بن يزيد الرياحي ، كما هو عند أبي مخنف ٤٥ . فلا أدري هل هذا الوهم من أبي سعيد ، أو من نساخ كتابه ، أو من البغدادى » . هذا ما ذكره ، لكن الطبري يعزو الشعر التالى المسمى إلى عبيد الله بن الحر . انظر ٦ : ٢٧٠ - ٢٧١ .

ونفسى على خذلانه واعتزاله
فواندى أن لا أكون نصرته ١
وإني ، لأنني لم أكن من حماه ،
سقى الله أرواح الذين تآزروا
وقفت على أجدائهم وبجائهم
لعمري لقد كانوا مصاليق في الوغى
تأسوا على نصر ابن بنت نبيهم
فإن يقتلوا فكل نفس زكية ،
وما إن رأى الراعون أصبر منهم
أقتلهم ظلماً وترجو وداًنا
لعمري لقد راغمتونا بقتلهم
أهم مراراً أن أسير بحفظ
فكفوا ، وإلا ذرتكم في كتاب
ثم إن ابن الحر لم يزل يشغب بابن زياد وبالحنار وبمصعب بن الزبير .
وجرت بينه وبين مصعب محاربات عديدة . ثم سار إلى عبد الملك بن مروان

(١) لم يروه الطبرى

(٢) أبو مخنف : « لا تؤاسيه نادمه »

(٣) الطبرى : « ينفض » أبو مخنف : « ينفت » ط : « ومحالهم »

صوابه فى ش وعند أبى مخنف : « على أجسادهم وقبورهم »

(٤) ط : « ضيامة » صوابه بالباء كما فى ش ، ولعلها جمع ضبارم ،

وهو الشديد الخلق من الأسد . وعند أبى مخنف : « ليونا ضراغمة » ،

وفى الطبرى : « حماة خضارمه » .

(٥) أبو مخنف : « قشاعمه » .

(٦) الطبرى : « فكل نفس تقية »

(٧) الطبرى : « أفضل منهم »

(٨) الطبرى : « والا ذرتكم » ، وما هنا صوابه

وقال له : إنما أئنتك لتوجه معي جنداً لقتال مصعب بن الزبير . فأكرمه
عبد الملك وأعطاه أموالاً وقال له : سرّ فأني أقطع البعوث وأمدك بمائة ألف .
فسار ابن الحرّ حتى نزل بجانب الأنبار ؛ واستأذنه أصحابه في دخول الكوفة .
وبلغ ذلك عبيد الله بن العباس السلمي فاعتنم الفرصة فسأل الحارث بن عبد الله ،
وكان خليفة مصعب على الكوفة ، وأخبره بتفرق أصحابه عنه . فبعثه في مائة
فارس من قيس ، واستمدّ خمسمائة فارس منهم أيضاً وسار حتى لقوه ، وهو
في عشرة من أصحابه . فأشاروا عليه بالذهاب فأبى ؛ وقاتلهم حتى فشت
في أصحابه الجراحات فأذن لهم في الذهاب ؛ وقاتلهم على الجسر فقتل منهم
رجالا كثيرة ، حتى انتهى إلى المعبر فدخله . فقالوا : لنبطي : هذا الرجل
بقيّة أمير المؤمنين ، فإن فاتكم قتلناكم . فوثب إليه نبطي قوياً فقبض على
عضدّي ابن الحرّ ، وجراحاته تشعب ، وضربه الآخرون بالمجاديف . فلما رأى
ابن الحرّ أن المعبر قد قرب إلى القيسية قبض على الذي قبض عليه ، فعالجه
حتى سقط في الماء لا يفارقه ؛ حتى غرقا جميعاً (وسمع شيخ يُنادي وينتف
لحيته ويقول : يا بختيار ؟ يا بختيار ؟ فقليل له : مالك يا شيخ ؟ قال : كان ابني
بختيار يقتل الأسد ، وكان يُخرج هذا المعبر من الماء فيقره ثم يعيده وحده ،
حتى ابتلى بهذا الشيطان الذي دخل السفينة فلم يملكه من أمره شيئاً حتى قذف
به في الماء فغرقا جميعاً ! فعملوا يسكنونه وهو يقول : ما كان ليُفرق أبني
ألا شيطان !) فلما انتهى الخبر إلى عبد الملك جزع عليه جزعاً شديداً وندم
على بعثه إياه ، وتغنى أن يكون بعث معه الجيوش .

وقد فصلّ السكريّ وقائمه وحروبه ، وجمع أشعاره في كتاب اللصوص^(١)

بما لا مزيد عليه .

(١) الميمنى : « هو الذي طبع منه المستشرق رايت الانكليزي بليدن
في مجموعة جرزة الحاطب ديوان طهمان الكلابي اللص من غير أن يشمر
بذلك . فانظر رسوم أمكنته في معجم البلدان تجزم بما قلنا » .

وأُشَدَّ بعده ، وهو الشاهد العاشر بعد المائة وهو من شواهد س^(١) :

١١٠ (يَا بَكْرُ أَنْشِرُوا إِلَى كَلْبِيًّا يَا بَكْرُ أَيْنَ أَيْنَ الْفِرَارُ)

على أن هذه اللام داخلة على المنادى المهدّد^(٢) .

وهذا المعنى هو الجيّد ، ومأخذه من هذا البيت واضحٌ لاختفاء به ، ولا معنى للاستغاثّة فيه كما حققه الشارح .

وفيه مخالفة لسبويه في جعلها للاستغاثّة .

وحملها النحّاس على الاستهزاء فقال : إنما يدعوهم ليهزأ بهم ، ألا تراه قال :
أَنْشِرُوا إِلَى كَلْبِيَّا .

وقال الأعمى : والمستغاث من أجله في البيت هو المستغاث به ، والمعنى :
يَا بَكْرُ أَدْعُوكُمْ لَأَنْفُسِكُمْ مُطَالِبًا لَكُمْ فِي إِنْشَارِ كَلْبٍ وَإِحْيَائِهِ ؛ وهذا منه
استطالة ووعيد ، وكانوا قد قتلوا كلبيا أخاه في أمر البسوس هـ .

وكأنّ الشارح اتزع ما قاله من هنا . والله أعلم .

أبيات الشاهد وهذا البيت لمهلل : أَخِي كَلْبٍ ، أول أبيات ثلاثة^(٣) قالها بعد أن أخذ
بنار أخيه كلب ، ثانيها :

(١) سبويه ١ : ٣١٨ . والخصائص ٣ : ٢٢٩ والعقد ٥ : ٤٧٨

(٢) بعده في الرضى ١ : ١٢١ : « نحو يا يزيد لاقتلتك » .

(٣) الميمنى : « الأبيات في حديث البسوس ٥٢ ثمانية مصحفة ،
هاكها بعد تصحيحها وتصحيح ما في الحزانة بقدر الطاقة :

يَا بَكْرُ أَنْشِرُوا إِلَى كَلْبِيًّا يَا بَكْرُ أَيْنَ أَيْنَ الْفِرَارُ
يَا بَكْرُ أَظْغَنُوا نَمَّ حُلُوا صَرَّحَ الشَّرُّ وَبَاحَ السَّرَارُ =

(تلك شيبانُ تقول لبكرٍ : صرّح الشرّ وباح الشرار^(١))

وبنو عجلٍ تقول لقيس ولتمّ الله : سيروا . فساروا)

وقوله (أنشروا) بفتح الهزّة وكسر الشين ، يقال أنشر الله الميت : إذا أحياه ؛ ويتعدّى بدون الهزّة أيضاً ؛ فإنّ نشر من باب قمد جاء لازماً نحو : نشر الموتى : أى حيّوا ، ومتعدّياً نحو نشرهم الله .

وصرّح الشيء بالضمّ صراحة وصُروحة : خلّص من تعلّقات غيره .
وباح الشيء يبيح من باب قال : ظهر . والشرار : ما تطاير من النار ،
الواحدة شرارة .

== سهفت شيبانُ لما التقينا إنّ عود التغلبي نُضار
يا كليبَ الخيلِ لستُ بِراضٍ دون روح تراح منه الليار
أو أغادر قتلى تقرأُ بعني ويؤدّي ما عنده للمستمار
اسألوا جهرة إباداً ولحماً والحليّفين حين سرنا وساروا
إذ دلفناهم وبكراً جميعاً فأسرنا سرائهم حين ساروا
وقتلنا قيس بن عيلان حتى أمعنوا في الفرار حيث الفرار

والأبيات كما ترى من وزنين مختلفين ، الأولى من الرمل ، والآخرة من الخفيف ، فضلاً عن الأغلاط . وهي أكثر في الأصل مما بقي منها هنا .
وأرى بعض الأشعار لا سيما الطوال منها مفتعلة ، وإن رواها ابن اسحق والكلبي ، .

(١) الميمنى : وهن على وهن ، والصواب : السرار ، أى ظهر السر .
نعم لو كان : باخ الشرار ، بالحاء والشين بمعنى خمدت النار لكسان شيئا ، .

ترجمة المهلهل

و (مهلهل) قال الأمدى : اسمه امرؤ القيس بن ربيعة بن الحارث^(١) بن زهير بن جشم بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب^(٢) وهو الشاعر المشهور . ويقال اسمه عدى . اهـ .

وقال ابن قتيبة في كتاب الشعراء : مهلهل بن ربيعة هو عدى بن ربيعة . وسمي مهلهلاً لأنه هلهل الشعر أى أرقه ؛ ويقال : إنه أول من قصّد القصيد ، قال الفرزدق :

* ومهلهلُ الشعراء ذاك الأولُ *

وهو خال امرئ القيس بن حُجر صاحب المعلّقة . انتهى .
والصحيح هذا . ويدلّ له أنه ذكر اسمه في شعره فقال :

(١) وكذا في سبط اللآلئ ١١١ ثم قال : « وقيل : اسمه عدى ، والشاهد لذلك قوله :

ضربت صدرها إلىّ وقالت

يا عدياً لقد وقتك الأواقي

ومن قال : ان اسمه امرؤ القيس يروى هذا البيت :

ضربت صدرها إلىّ وقالت يا امرأ القيس حان وقت الفراق

او يقول : ان هذا انما هو أخوه . قال الميمنى : « والبيت من قصيدة

خبر البسوس ص ١١٤ في خمسة عشر بيتاً والأغاني ٤ : ١٤٧ وعند

العيني ٤ : ٢١١ . وهذا لفظه : « ضربت صدرها الى وقالت يا عدياً ٠٠٠

البيت . اقول قائله هو مهلهل ، واسمه امرؤ القيس ٠٠ الخ . فكأنه

يرى ان عدياً هو أخو امرئ القيس مهلهل . ولكن في خبر البسوس ٢٩ :

« كان لكليب أربعة أخوة : عدى وهو مهلهل ، والسجاد الشاعر ، وامرؤ

القيس ، وعبد الله ، بنو ربيعة » . قلت : وفي جمهرة ابن حزم ٣٠٥ :

« ومن بنى الحارث بن زهير بن جشم بن بكر بن حبيب : كليب ، ومهلهل ،

وعدى ، وسلمة ، بنو ربيعة بن الحارث بن زهير بن جشم » .

(٢) في النسختين : « غانم بن تغلب » ، صوابه في الجمهرة ٣٠٣

والأغاني ٤ : ١٤٨

ضربت صدرها إلى وقالت : يا عدى لقد وقتك الأواق !

ولم يقل أحد قبله عشرة أبيات . وقال الغزل وعنى بالنسيب في شعره .
ويقال نُحِّي مهلهلا بقوله :

* هلهلتُ أثار مالكا أو صنبلا ^(١) *

قال ابن سلام : زعمت العرب أنه كان يتكثر ويدعى في قوله بأكثر
من فعله . وكان شعراء الجاهلية في ربيعة أولهم للمهلل ، والمرقشان ، وسعد
ابن مالك ^(٢) .

و (المهلل) : أخو كليب الذي هاج بمقتله « حرب البسوس » ، وهي
حرب بكر وتغلب ابني وائل . وكان من خبرها ما حكاه ابن عبد ربه في العقد
الفريد والأصبهاني في الأغاني . وقد تداخل كلام كل منهما في كلام الآخر .

قال أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب : ما اجتمعت معدة كلهما
إلا على ثلاثة رهط من رؤساء العرب ، وهم عامر ، وربيعة ، وكليب . فالأول ^(٣)
عامر بن الظرب بن عمرو بن بكر بن يشكر بن الحارث . وهو قائد معدة يوم

(١) ط : « صنبلا » بالضاد المعجمة ، صوابه في ش واللسان (هلل)
والمزهر ٢ : ٤٣٤ . وفي القاموس (صنبيل) : « وكخندف : علم رجل من
تغلب » . وهلهلت : قاربت . وصدره :

لما توغل في الكراع هجينهم

(٢) النص في ابن سلام ٣٣ - ٣٤ مع بعض خلاف . وبعده في
ابن سلام : « وطرفة بن العبد ، وعمرو بن قميثة ، والحارث بن حلزة ،
والمثلث ، والأعشى ، والمسيب بن علس » . ط : « سعيد بن مالك »
صوابه في ش وابن سلام

(٣) في النسختين : « فهو » ، وما أثبتته من العقد ٥ : ٢١٣

البيداء^(١) حين تمذجحت مذجج وسارت إلى تهامة وهى أول وقعة كانت بين تهامة واليمن^(٢).

والثانى : ربيعة بن الحارث بن مرة بن زهير بن جشم بن بكر بن حبيب ابن كعب وهو قائد معد يوم السلان^(٣) ، وهو يوم كان بين أهل تهامة واليمن .
والثالث : كليب بن ربيعة وهو الذى يقال فيه « أعزُّ من كليب وائل » وقاد معداً كلها [يوم خزاز^(٤)] ففضَّ جوع اليمن وهزمهم ، فاجتمعت عليه معدٌ كلها وجعلوا له قسَمَ الملك وتاجَه ، وتحتيته وطاعته ، فغبر بذلك حيناً من دهره ، ثم دخله زهوٌ شديدٌ وبغى على قومه ، حتَّى بلغ من بغيه أنه كان يحصى مواقع السحاب فلا يُرى حياه ؛ وكان يحصى من للرعى مدى صوت كلب فيختص به ، ويشاركهم فى غيره ؛ ويحير على الدهر فلا تخفر ذمته ، ويقول : وحش أرض كذا فى جوارى فلا يُهاجُ ، ولا يورد مع إبله أحد ، ولا توقد نار مع ناره ؛ حتى قالت العرب : « أعزُّ من كليب وائل » .

وكانت بنو جشم وبنو شيبان فى دارٍ واحدة بتهامة ، وكان كليب قد تزوج [جليلة^(٥)] بنت مرة بن ذهل بن شيبان ، وأخوها جساس بن مرة ؛ وكانت لجساس خالة تسمى « البسوس بنت منقذ التميمية » ، جاورت ابن أختها

(١) البيداء : اسم لأرض ملساء بين مكة والمدينة ، وهى الى مكة

أقرب . معجم البلدان .

(٢) فى النسختين : « وهى أول وقعة كانت بين تهامة واليمن » ،

صوابه فى العقد

(٣) فى النسختين : « الميلان » صوابه من العقد . وانظر معجم

البلدان .

(٤) التكملة من العقد . وهو جبل بطخفة بين البصرة الى مكة .

(٥) التكملة من العقد

جسّاساً ، وكان لها ناقة يقال لها . سرّاب ، ولها^(١) تقول العرب : « أشأم من سرّاب » ، و « أشأم من البسوس » ، فرّ إبل كليب بسرّاب وهي معقولة يفناء البسوس ؛ فلما رأت سرّاب الإبل خلخلت عقالها^(٢) وتبعّت إبل كليب فاختلطت بها ، حتى انتهت إلى كليب وهو على الحوض معه قوس وكنانة ؛ فلما رآها أنكرها فرماها بسهم في ضرعها ، فنفرت سرّاب وولّت حتى بركت بفناء صاحبها ، وضرعها يشخب دماً ولبناً ، فبرزت البسوس صارخة ، يدها على رأسها ، تصيح : واذّلاه ؟ وأنشأت تقول :

لعمري ، لو أصبحت في دار منقذ لما ضيم سعد وهو جار لأبياتي^(٣)
ولكنني أصبحت في دار غريبة متى يعد فيها الذئب يعد على شاتي
فيا سعد لا تغرر بنفسك وارتحل فإنك في قوم عن الجار أموات

فلما سمع جسّاس صوتها سكنها وقال : والله ليقتلن غداً جلّ عظيم
أعظم عقراً من ناقتك . فبلغ كليباً فظن أنه أراد قتل (عليان) ، وهو فحل
كريم له ، فقال : هيهات ، « دون عليان خرط القتاد » ثم انتجع الحى فمروا
على نهر يقال له « شبيث »^(٤) ففهم كليب عنه ، ثم على آخر يقال له « الأحص »
ففهم عنه ، حتى نزّلوا على الذنائب^(٥) فر جسّاس بكليب وهو على غدِير

(١) في النسختين وكذا في العقد : « ولها » ، والوجه ما أثبت .

(٢) في العقد : « نازعت عقالها حتى قطعتة » .

(٣) في حرب البسوس ص ٣٥ : « في آل منقر » . وبعد هذه
الآيات الثلاثة فيها أربعة أخرى .

(٤) ط : « شبيب » صوابه في ش وال الأغاني ٤ : ١٠٤ . وانظر
معجم البلدان (الأحص ، وشبيث) وفي رسم الأحص : « فمروا على
نهي يقال له شبيث » . ونحوه في الأغاني .

(٥) ط : « السائب » ، صوابه في ش مع أثر تصحيح والأغاني

الذئائب منفردا فقال : أطردت أهلنا^(١) عن المياه حتي كدت تقتلهم عطشاً ؟ فقال كليب : ما منعناهم من ماء إلا ونحن له شاغلون . فقال جساس : هذا كفعلك بناقة خالتي قال : أوقد ذكرتها ، [أما إني^(٢)] لو وجدتها في غير إبل مرة لاستحلت تلك الإبل . فمطف عليه جساس فطعنه فأذراه^(٣) ووجد الموت فقال : يا جساس أسقني ؟ فقال : هيهات ، تجاوزت شبيئاً والأحص ؟

وروى أن البسوس لما صرخت وأحت جساساً ركب فرساً له ، وتبعه عمرو بن الحارث بن ذهل بن شيبان ، ومعه رمحه ، حتى دخلا على كليب الحمي ، فضربه جساس فقصم صلبه ، وطعنه عمرو بن الحارث من خلفه فقطع قطنه ، فوقع كليب يفحص برجله ، فلما فرغ من قتله جاء إلى أهله وأخبرهم بأنه قتل كليباً ثم هرب . وكان همام بن مرة أخا جساس ، وكان ينادم المهلهل أخا كليب ، وكان قد صادق وواخاه وعاهده أن لا يكتم عنه شيئاً . فجاءت أمة إليه فأسرت إليه قتل جساس كليباً ، فقال له مهلهل : ما قالت لك ؟ فلم يخبره . فدكره العهد ، فقال : أخبرت أن أخي قتل أخاك . فقال : أست أخيك أضيّق من ذلك ؟ فسكت ، وأقبلا على شراهما ، فجعل مهلهل يشرب شرب الآمن وهمام يشرب شرب الخائف ، فلم تلبث الحر أن صرعت مهلهلاً ، فأنسل همام فأتى قومه بني شيبان وقد قوضوا الخيام وجمعوا الخيل والنعم ورحلوا حتى نزلوا بماء يقال له النهى .

٣٠٢

(١) ط : « ابلنا » ، صوابه في ش مع أثر تصحيح ، ومعجم البلدان (الأحص) والأغانى ٤ : ١٤٠ .

(٢) التكملة من معجم البلدان والأغانى .

(٣) أذراه : القاه . وهكذا وردت في النسختين .

ولما ظهر قتل كليب وأفاق مهلهل اجتمعت إليه وجوه قومه ؛ فاستعدّ
لحرب بكر ، وترك النساء والغزل ، وحرّم القمار والشراب ، وأرسل
إلى بني شيبان وهو في نادى قومه . فقالت الرسل : إنكم أتيتُم عظيمًا بقتلكم
كليباً بناب من الإبل ؛ فقطعتم الرحم ، وانتهكتم الحرمه ، وإنّا كرهنا العجلة
عليكم دون الإعذار إليكم ؛ ونحن نعرض عليكم إحدى خلال أربع ، لكم فيها
مخرج ولنا مقنع . فقال مرة : ما هي ؟ قالوا : نحبي لنا كليباً ؛ أو تدفع إلينا جساساً
قاتله تقتله به ؛ أو هماً فإنه كفاء له ؛ أو تمكّنتنا من نفسك فإن فيك وفاء
من دمه . فقال : أما إحيائي كليباً فهذا ما لا يكون ؛ وأما جساس فإنه غلام
طعن طعنةً على عجلٍ ثم ركب فرسه فلا أدرى أى البلاد احتوت عليه ؛
وأما همام فإنه أبو عشرة وأخو عشرة وعم عشرة كلهم فرسان قومه ، فلن
يسلموه إلىّ فأدفعه إليكم ليقتل بجزيرة غيره ؛ وأما أنا فهل هو إلا أن تجول
الخليل جولةً فأكون أوّل قتيل فيها^(١) فما أتعبل من الموت ؛ ولكن لكم
عندي إحدى خصلتين : أما إحداها فهؤلاء بنيّ الباقون فعلّقوا في عنق من
شتم نسعة وانطلقوا به إلى رحالكم فاذبحوه ذبح الخروف^(٢) وإلا فألف^٣
ناقة سوداء المقل^(٣) ، أقوم^(٤) لكم بها كفيلاً من بكر بن وائل . فغضب
القوم وقالوا : لقد أسأت في الجواب وسئنا اللين من دم كليب . ووقعت
الحرب بينهم ، ولحقت زوجة كليب بأبيها وقومها . ودعت تغلب النمر بن
قاسط فانضمت إليها^(٥) وصاروا يداً معهم على بكر ، ولحقت بهم غفيلة بن

(١) في العقد ٥ : ٢١٦ : « بينها » .

(٢) في العقد : « ذبح الجزور » .

(٣) في النسختين : « المقلة » ، صوابه في ش .

(٤) العقد : « أقيم » . وفي الأغاني : « وإن شئتم فلكم ألف ناقة

تضمنها لكم بكر بن وائل » .

(٥) العقد : « فانضمت الى بني كليب » .

قاسط^(١)، واعتزلت قبائل بكر بن وائل وكرهوا مجامعة بنى شيبان ومساعدتهم على قتال إخوانهم ، وأعظموا قتلَ جساس كليياً بناب من الإبل ، فظعننت لُجيم عنهم وكفّت يشكر عن نُصرتهم ، واقتبض الحارث بن عباد فى أهل بيته (وهو أبو بجير^(٢)) وفارس النعامه) .

قال أبو المنذر : أخبرنى خراش : أن أول وقعة على ماء كانت بنو شيبان نازلة عليه^(٣) ، ورئيس تغلب المهلهل ، ورئيس شيبان الحارث بن مرة ، فكانت الدائرة لتغلب ، وكانت الشوكة فى شيبان ؛ واستحرق القتلى فيهم ، إلا أنه لم يقتل فى ذلك اليوم أحد من بنى مرة .

يوم الذنائب

ثم التقوا بالذنائب وهو أعظم وقعة كانت لهم ، فظفرت بنو تغلب وقتلت بكر مقتلة عظيمة ، وفيها قتل شراحيل بن مرة بن همام بن مرة بن ذهل بن شيبان (وهو جد الحوفزان ، وهو جد معن بن زائدة . والحوفزان هو الحارث بن شريك بن عمرو بن قيس بن شراحيل) قتله عتاب بن قيس بن زهير بن جشم ؛ وقتل الحارث بن مرة بن ذهل بن شيبان ، قتله كعب بن زهير بن جشم وقتل من بنى ذهل بن ثعلبة عمرو بن مندوس بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة ؛ وقتل من بنى تيم الله جحيل بن مالك بن تيم الله ، وعبدالله بن مالك بن تيم الله وقتل من بنى قيس بن ثعلبة [سعد بن ضبيعة بن قيس ، وتيم ابن قيس بن ثعلبة ، وهو أحد الخريفين^(٤)] ، وكان شيخاً كبيراً . فهؤلاء من أصيب من رؤساء بكر يوم الذنائب .

٣٠٣

(١) غفيلة بن قاسط بن هنب كما فى جمهرة ابن حزم ٣٠٠ ومختلف القبائل ١٣ ونهاية الأرب ٢ : ٣٣٠ والقاموس (غفل) وفى النسختين : « عقيلة » تحريف .

(٢) وفى رواية أنه ابن أخيه ، كما سيأتى فى ص ١٧٢

(٣) هو « النهى » كما فى العقد ٥ : ٢١٨

(٤) التكملة من العقد .

يوم واردات ثم التقوا بواردات ، وعلى الناس رؤساؤهم الذين سَمِينَا ؛ فظفرت بنو تغلب واستَحَرَّ القتل في بنى بكر ، فيومئذ قتل شَعْمٌ وعبد شمس ابنا معاوية بن عامر ابن ذهل بن ثعلبة ، وسيار بن حارث بن سيار ، وفيه قُتل هَمَامُ بن مرة أخو جساس ، فمر به مهلهلٌ مقتولا فقال له : والله ما قُتل بعد كليب قتيل أعزُّ علىَّ فقدأ منك ؟ وقتله ناشرة ، وكان هَمَامُ رباه وكفله ، كما كان ربِّي حذيفة ابن بدرٍ قرواشا فقتله يوم الهبابة .

يوم عنيزة ثم التقوا بعنيزة ، فظفرت بنو تغلب ، ثم كانت بينهم معاودة ووقائع كثيرة ، كلُّ ذلك [كانت (١)] الدائرة فيها لبني تغلب على بنى بكر . وقال مهلهل يصف الأيام وينعاهها على بكر ، في قصيدة طويلة أولها : أَيْلَتْنَا بَذَى حُسْمٍ أَنْيرَى إِذَا أَنْتِ انْقَضَيْتِ فَلَا تَحْوَرَى وقال مهلهل لما أسرف في القتل : أَكْثَرْتُ قَتْلِيْ بَنَى بَكْرٍ بِرُسْمٍ حَتَّى بَكَيْتُ وَمَا يَبْكِي لَمْ أَحْدُ أَلَيْتُ بِاللّهِ لَا أَرْضَى بِقَتْلِهِمْ حَتَّى أَهْرِجَ بَكَرًا أَنَا وَجَدُوا (قال أبو حاتم : أبهرج : أدعهم بهرجا لا يقتل فيهم قتيل ولا يؤخذ لهم دية ويقال : للمبهرج من الدراهم من هذا) . وقال أيضا : يَا لَبَكْرٍ أَنْشِرُوا لِي كَلِيْبًا . . الأبيات الثلاثة وله أشعار كثيرة في رثاء أخيه كليب .

ثم إن المهلهل أسرف في القتل ، ولم يبال بأى قبيلة من قبائل بكر أوقع ، وكانت أكثرُ بكرٍ قدمت عن نُصرة بنى شيبان لقتلهم كليباً ، وكان الحارث

(١) التكملة من العقد . وفيه بعده : « الدائرة فيه » .

بجير

ابن عباد قد اعتزل تلك الحروب وقال : « لا ناقة لى فى هذا ولا جمل »
 فذهبت مثلاً . فاجتمع قبائل بكر إليه فقالت : قد فنى قومك ! فأرسل بجيراً
 ابن أخيه إلى مهلهل وقال له : قل له : إني قد اعتزلت قومي لأنهم ظلموك ،
 وخليتك وإياهم . وقد أدركت ثأرك وقتلت قومك . فأتى بجير إليه فقتله
 مهلهل (كما تقدم شرحه عند الكلام على قوله :

مَنْ صَدَّ عَنْ نِيرَانِهَا فَأَنَا ابْنُ قَيْسٍ لَا بَرَّاحُ

وهو الشاهد التاسع والسبعون^(١) فبعد ذلك نهض الحارث للحرب فقاتل
 تغلبَ حتى هرب المهلهل ، وتفرقت قبائل تغلب وكان أول يوم شهده الحارث
 ابن عباد يوم قِصَّة (وهو يوم تحلاق اللِّم) وفيه أسر الحارث بن عباد
 مهلهلاً وهو لا يعرفه (واسمه عدى بن ربيعة) فقال له : دُلَّنِي عَلَى عَدَى
 وَأُخْلِ عَنْكَ فَقَالَ لَهُ : عَلَيْكَ الْعَهْدُ بِذَلِكَ إِنْ دَلَلْتُكَ عَلَيْهِ ؟ قَالَ : نَعَمْ ؛ قَالَ :
 فَأَنَا عَدَى ! فَجَزَّ نَاصِيَتَهُ وَتَرَكَهُ . وَقَالَ فِيهِ :

لَهْفَ نَفْسِي عَلَى عَدَى وَلَمْ أَعْرِفْ عَدِيًّا إِذْ أُمَكَّنْتَنِي الْيَدَانِ

وفيه قتل عمرو وعامر التغلبيان ، قتلها جحدر بن ضبيعة^(٢).

ثم إن مهلهلاً فارق قومه ولم يزل مقياً في أخواله بنى يشكر ضجراً من
 الحرب وأرسل الحارث بن عمرو بن معاوية الكندى وهو جد امرئ القيس
 ابن حجر في الصُّلْح بينهم والتملك عليهم ؛ وقد كانوا قالوا : إِنْ سَفَهَانَا
 غَلَبُوا عَلَيْنَا وَأَكَلَ الْقَوَىٰ مِنَّا الضَّعِيفَ ، فَالْأَيُّ أَنْ نَمْلِكَ عَلَيْنَا مَلَكًا نَعْطِيهِ
 الْبَعِيرَ وَالشَّاةَ فَيَأْخُذُ مِنَ الْقَوَىٰ وَيَرُدُّ الظَّالِمَ ، وَلَا يَكُونُ مِنْ بَعْضِ قِبَائِلِنَا فَيَأْبَاهُ

٣٠٤

(١) صوابه « الحادى والثمانون » . انظر ص ٤٦٧ من الجزء الاول .

(٢) فى النسختين « حجر بن ضبيعة » صوابه من الاغانى والعقد .

الآخرون فلا تنقطع الحروب فأصلح بينهم وشغلهم بحرب اللخمين من بني غسان ملوك الشام ، وبقي مهلهل وحيداً عند أخواله إلى أن مات . قيل : وُجد ميتاً بين رجلَيْ جملٍ هاج عليه . وقيل بل مات أسيراً ، وذلك أنه لما نزل اليمين نزل في بني جَنْب (وَجَنْبٌ مِنْ مَدَحِج) فخطبوا إليه ابنته فقال لهم : إني طريدٌ بينكم فتى أنكحتمكم ؟ قالوا : اقتسروه . فأجبروه على تزويجها وساقوا إليه في صَدَاقِهَا أَدَمًا فقال :

أنكحها فقدُها الأراقمَ في جَنْبٍ وكان الحِباء من أدم
في أبيات .. ثم انحدر فلقية عوف بن مالك ، أبو أسماء صاحبة المرقش
الأكبر ، فأسرته فمات في أسره .

قال السكري في أشعار تغلب : أسر مهلهل عوف بن مالك أحد بني قيس بن ثعلبة ، وإن شَبَانًا مِنْ شَبَانِ بْنِ قَيْسٍ بن ثعلبة أتوا عوف بن مالك ، أحد بني قيس فقالوا : أرسل معنا مهلهلاً ، فأرسله معهم ، فشرب فلما رجع جعل يتغني بهجاء بكر بن وائل ، فسمعه عوف بن مالك فغاضه فقال : لا جرم إن الله على نذراً إن شرب عندى قطرة ماء ولا خمر حتى يُورَدَ الحُضِيرُ^(١) (بمعجمتين مصغراً ، وهو بعير لعوف لا يرد الماء إلا سبيحاً^(٢)) فقال له أناسٌ من قومه : بشئ ما حلفت ! فبعثوا الخيولَ في طلب البعير فأتوا به بعد ثلاثة أيام ، ومات مهلهل عطشاً . وقيل بل قتل^(٣) . وكان السبب في قتله : أنه أَسْنٌ وخرف ، وكان له عبيدان يخدمانه فملاه ، وخرج بهما إلى سفر ، فينما هو في بعض

(١) ش : « حتى يؤوب الحُضِير » .

(٢) السبع بالكسر : ظمء من أظماء الابل ، وهو أن ترد الماء في

اليوم السابع لشربها الأول .

(٣) انظر كتاب البسوس ١١٦ والعمدة ١ : ٢١١

الفلوات عزما على قتله ، فلما عرف ذلك كتب على قَتَبِ رَحْلِهِ ،
وقيل أوصاهما :

مَنْ مَبْلَغُ الْحَيِّينَ أَنْ مَهْلِلًا اللَّهُ دَرُّ كَا وَدَرُّ أَيْيَكَا
ثم قتلاه ورجعا إلى قومه فقالا : مات : وأنشداهم قوله . فقال بعض ولده
قيل هي ابنته - إن مهللا لا يقول مثل هذا الشعر ! وإنما أراد :
مَنْ مَبْلَغُ الْحَيِّينَ أَنْ مَهْلِلًا أُمْسَى قَتِيلًا فِي الْفَلَاةِ مَجْدُلًا
لِلَّهِ دَرُّ كَا وَدَرُّ أَيْيَكَا لَا يَبْرَحُ الْعَبْدَانِ حَتَّى يُقْتَلَا
فَضَرَبُوا الْعَبْدَيْنِ حَتَّى أَقْرَأَ بِقَتْلِهِ (١) .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى عشر بعد المائة ، وهو من
شواهد سيبويه (٢) :

١١١ (أيا شاعراً لاشاعر اليوم مثله جريرٌ ولكنْ في كليب تواضعُ)
على أنَّ المنادى من قبيل الشبيه بالمضاف إذا كان موصوفاً بجملة ؛
فإن جملة (لاشاعر اليوم مثله) من اسم لا وخبرها وهو مثله ، صفة
للمنادى ، والوصف متقدم على النداء . وبه يسقط ما ذهب إليه سيبويه من
أن الوصف بعد النداء ؛ وتكلف حتى جعل المنادى فى مثله محذوفاً ، وجعل
شاعراً منصوباً بفعل محذوف .

٣٠٥

قال الأعلام : الشاهد فيه على مذهب الخليل وسيبويه نصب شاعراً بإظهار

(١) انظر خبراً مماثلاً لهذا فى طبقات الشافعية للسبكي ١ :

٢٧٩ - ٢٨٠

(٢) سيبويه ١ : ٣٢٨ والكامل ٦٥٩ والشعراء ٤٧٧ وأمالى القالى ٢ :

١٤٢ والمؤتلف ١٤٥

فعل على معنى الاختصاص والتعجب ؛ والمنادى محذوف ، والمعنى : يا هؤلاء
أو يا قوم ، عليكم شاعراً أو حسبكم به شاعراً .

وقال النحاس : كأنه قال : يا قائل الشعر عليك شاعراً ؛ وإنما امتنع عنده
أن يكون منادى لأنه نكرة يدخل فيه كل شاعرٍ بالحضرة وهو إنما قصد
شاعراً بعينه وهو جرير ؛ وكان ينبغي أن يبينه على الضم على ما يجرى عليه
المخصوص بالنداء . وقال أحمد بن يحيى : يا شاعراً نصب بالنداء ، وفيه معنى
التعجب ؛ والعرب تنادى بالمدح والذم وتنصب بالنداء : فيقولون :
يا رجلاً لم أر مثله ، وكذا ، يا طيبك من ليلة ؟ وكذا يا شاعراً . ١ هـ
ومثله قول التبريزى أيضاً عند قول الحماسى ^(١) :

أيا طعنةً ماشيخ كبيرٍ يَغْنِي بآلى

المنادى محذوف .

وشاعراً ليس بمنادى لأنه مقصود إلى واحدٍ بعينه ؛ والمحذوف يجوز
أن يكون هو الشاعر ، ويجوز أن يكون غيره ، فكأنه قال لمن بحضرته :
يا هذا حسبك به شاعراً ، على المدح والتعجب منه ، ثم بين أنه جرير ؛ ويشبه
هذا الإضمار بقولهم : نعم رجلاً زيد . ويجوز أن يكون حسبك به على شريطة
التفسير وبه فى موضع اسم مرفوع لا بد منه . ويجوز أن تكون الهاء للشاعر
الذى جرى ذكره ثم وكده بقوله جرير ، أى هو جرير . وتقديرُ الخليل
ويونس يا قائل الشعر : على أن قائل الشعر غير الشاعر المذكور ، كأنه قال
يا شعراء عليكم شاعراً لا شاعر اليوم مثله : أى حسبكم به شاعراً ، فهذا
ظاهر كلام سيبويه . ويجوز أن يكون يا قائل الشعر المحذوف هو الشاعر

(١) هو الفند الزمانى . الحماسة ٥٣٧ بشرح المروزقى .

المذكور ، وينتصب شاعراً على الحال ولا شاعر اليوم في موضع النعت ، واحتاج إلى إضمار قائل الشعر ونحوه حتى يكون المنادى معرفة ، كأنه قال : يا قائل الشعر في حال . ما هو شاعرٌ لا شاعرٌ مثله اهـ .

وهذا البيت من قصيدة للصّلتان العبدىّ عدة أبياتها ثلاثة وعشرون بيتاً أوردها المبرّد في كتاب الاعتنان ، والقالى في أماليه ، وابن قتيبة في كتاب الشعراء إلا أنه حذف منها أبياتاً (والاعتنان معناه المعارضة والمناظرة في الخصومة ، يقال عنّ له : إذا جادّله وعارضه . والمعنّ بكسر الميم وفتح العين : المعارض : ومضمون كتاب الاعتنان : بيان الأسباب التي اقتضت التهاجي بين جرير والفرزدق) فادّعى أنّهما حكاهما بينهما فقصى بشرف الفرزدق على جرير وبني مجاشع على بنى كليب ، وقضى لجرير بأنه أشعرهما . وكليب رهط جرير ومجاشع رهط الفرزدق . والقصيدة هذه :

قصيدة الشامد	(أنا الصّلتانُ والذي قد علمتُ متى ما يُحكّمُ فهو بالحكم صادع ^(١))
	أنتنى تميمٌ حين هابتُ قضاها وإني لبالفصل المبين قاطع ^(٢)
	كما أنفذ الأعشى قضية عامرٍ وما لتيتم من قضاى رواجع
	ولم يرجع الأعشى قضية جعفرٍ وليس للحكمى آخر الدهر راجع
	سأقضى قضاء بينهم غير جائرٍ فهل أنت للحكم المبين سامع
٣٠٦	قضاء امرئ لا يتنى الشتم منهم وليس له في الحمد منهم منافع ^(٣)
	قضاء امرئ لا يرتش في حكومة إذا مال بالقاضى الرشا والمطامع

(١) فى الشعراء والأمالى : « أنا الصلتانى ،

(٢) ش : « بالفصل المبين لقاطع »

(٣) فى الأمالى والشعراء « فى المدح » .

فَإِنْ كُنَّا حَكَمَانِي فَاصْنَا وَلَا تَجْزَا وَلِيرْضَ بِالْحَكَمِ قَانِعِ
فَإِنْ تَجْزَا أَوْ تَرْضَا لَا أَقْلِكَمَا ، وَلِلْحَقِّ بَيْنَ النَّاسِ رَاضٍ وَجَازِعِ
فَأَقْسِمُ ، لَا آلُو عَنِ الْحَقِّ بَيْنَهُمْ فَإِنْ أَنَا لَمْ أُعِدِلْ قُلْتُ أَنْتَ ضَالِعِ
فَإِنْ يَكُ بَجْرُ الْخَنْظَلِيِّينَ وَاحِدًا فَمَا يَسْتَوِي حَيْثَانُهُ وَالضَّفَادِعُ !
وَمَا يَسْتَوِي صَدْرُ الْقَنَازَةِ وَزُجْهًا وَمَا يَسْتَوِي شَمُّ الذَّرَا وَالْأَجَارِعُ !
وَلَيْسَ الذَّنَابِيُّ كَالْقَدَامِيِّ وَرَيْشِهِ وَمَا تَسْتَوِي فِي الْكَفِّ مَنَّا الْأَصَابِعُ
أَلَا إِنَّمَا تَحْطَى كُليبٌ بِشَعْرَهَا وَبِالْمَجْدِ تَحْطَى دَارِمٌ وَالْأَقَارِعُ
وَمِنْهُمْ رَعُوسٌ يَهْتَدِي بِصُدُورِهَا وَالْأَذْنَابُ قِدَمًا لِلرَّعُوسِ تَوَابِعُ
أَرَى الْخَطْفَى بَدَأَ الْفِرْزْدَقَ شَعْرُهُ وَلَكِنْ خَيْرًا مِنْ كُليبٍ مُجَاشِعُ
« يَا شَاعِرًا لَا شَاعِرَ الْيَوْمِ مِثْلُهُ جَرِيرٌ وَلَكِنْ فِي كُليبٍ تَوَاضِعُ »
جَرِيرٌ أَشَدُّ الشَّاعِرِينَ شَكِيمَةً وَلَكِنْ عَلَنَتِ الْبَاذِخَاتُ الْفَوَارِعُ (١)
وَيَرْفَعُ مِنْ شَعْرِ الْفِرْزْدَقِ أَنَّهُ لَهُ بَاذِخٌ لَدَى الْخَلِيسَةِ رَافِعُ
وَقَدْ يُحَمَّدُ السَّيْفُ الدَّدَانَ بِجَفْنِهِ وَتَلْقَاهُ رَثًا غِنْدُهُ وَهُوَ قَاطِعُ
يَنَاشِدُنِي النَّصْرَ الْفِرْزْدَقُ بَعْدَمَا أَلَحَّتْ عَلَيْهِ مِنْ جَرِيرٍ صَوَاقِعُ
فَقُلْتُ لَهُ : إِنِّي وَنَصْرَكَ كَالَّذِي يُثْبِتُ أَنْفًا كَشَمَّتِهِ الْجَوَادِعُ
وَقَالَتْ كُليبٌ : قَدْ شَرُّنَا عَلَيْهِمْ فَقُلْتُ لَهَا : سُدَّتْ عَلَيْكَ الْمَطَامِعُ (٢)

قال المبرِّد : قال أبو عبيدة : فأما الفرزدق فرضى حين شرفه عليه وقومه

(١) ط : « عليه » ، صوابه فى ش والامالى والشعراء

(٢) ط : « شدت » صوابه فى ش والامالى والشعراء . وفى الامالى
والشعراء : « المطالع » باللام .

على قومه وقال : إنما الشعر مَرُوَّةٌ من لا مَرُوَّةَ له ، وهو أخس حظّ الشريف ؛ وأما جريرٌ فغضب من المنزلة التي أنزله إياها فقال يهجوهُ (وهو أحد بني هَجْرَس) :

أقولُ ولم أملكُ سوابقَ عِبْرَةٍ : متى كان حُكْمُ في بيوت الهجارس ؟
فلو كنتَ من رهط المعلّى وطارقٍ قضيتَ قضاءً واضحاً غيرَ لابس
قال : والمعلّى أبو الجارود أو جدّه ؛ وطارق : ابنُ النعمان من بني الحارث
ابن جذيمة ؛ وأم المنذر بن الجارود بنت النعمان . وقال جرير أيضاً :

أقول لعيني قد تحدّر ماؤها متى كان حكم الله في كَرَب النخل^(١)
فلم يجبه الصّلتان فسقط . ١ هـ .

أقول : قد أجابه الصّلتان بقوله :

تعيّرنا بالنخل والنخل ما لنا وودّ أبوك الكلب لو كان ذا نخل^١
وأى نبيّ كان من غير قرية^١ وهل كان حُكْمُ الله إلا مع الرّسل
وقيل : هما لُخَيْد عَيْنَيْن . أحد بني عبد الله بن دارم ، وكان ينزل في قرية
بالبحرين يقال لها عَيْنَيْن ؛ كذا في شرح أمالي القالي لأبي عُبيد البكري^(٢)
وقوله « أنا الصّلتان والذي » ، روى ابن قتيبة :

٣٠٧

* أنا الصّلتان الذي قد علمتم *

بالنسبة إلى الصّلتان ، ومعناه في اللغة : النشيط الحديد من الخيل ، والحرار
الشديد .

(١) في الشعراء والسمط ٧٦٦ : « أقول ولم أملك سوابق عبرة
وفي المؤلف : « أقول وعيني » .

(٢) السمط ٧٦٦ والروض الأنف ٢ : ١٣٥

وقوله « كما أفتد الأعشى قضية عامر » ، أشار إلى ما حكم به أعشى قيس بين عامر بن الطفيل لعنة الله عليه ، وبين ابن عمه علقمة بن علاثة الصحابى رضى الله عنه ، وغلب الأعشى عامراً على علقمة بالباطل وزعم أنهما حكماهُ ؛ وهو كذب ، وقد تقدّم بيانه فى الشاهد السادس والعشرين (١) .
والرواجع : جمع راجعة من رجعة بمعنى ردّه ، وأراد بتميم القبيلة .

وقوله : فاصمنا : أمر من صمت من باب دخل : إذا سكت وروى المبرد « فأنصتا » من أنصت بمعنى سكت واستمع الحديث فالياء من حكمتانى مفتوحة على الرواية الأولى ، ساكنة على الرواية الثانية .

وقوله : لا أقنكما : من الإقالة وهى رفع العقد ؛ فإنه عُقد له فى الحكم عليهما كما زعم ؛ وهو مجزوم فى جواب الشرط .

وقوله : فأقسم لا آلو : أى لا أقصر ، من الآلو وهو التقصير وروى المبرد « لا ألوى » بمعنى لا أعرض ولا أحميد . وقوله : فقل أنت ضالع : هو من ضلع من باب نفع : مال عن الحق ، يقال ضلعتك مع فلان أى مثلك وروى للمبرد « ظالع » بالطاء المشالة ، من ظلم البعير والرجل من باب نفع أيضاً : إذا غمز فى مشيه ، وهو شبيه بالعرج .

و « الحنظليين » بالثنية ، لأن كليب بن يربوع بن حنظلة قوم جرير ، ومالك بن حنظلة قوم الفرزدق . والزج بضم الزاى المعجمة : الحديدية التى فى أسفل الرمح ، وصدر القنائة من السنان إلى ثلثها . وشُم الذُّرا : أى جبال شُم الذُّرا ، يقال جبل أشم أى طويل ، والذُّرا : جمع ذُرورة وهو أعلى الشئ . والأجارع : جمع أجراع ، وهو رملة مستوية لا تنبت شيئاً ؛ ومثوته الجرعاء .

وروى ابن قتيبة والبرّد : « والأكارع » جمع أكرع جمع كراع ، وهو في الغنم والبقر ، بمنزلة الوظيف في الفرس والبعير ، وهو مُستدقّ الساق . فالمراد : بالذرا : جمع ذُرّوة ، بمعنى أعلى السنام .

وقوله : « وليس الذُّنابي كَالْقُدَامى » الذنابي بضم الذال والقصر : ذنب الطائر وهو أكثر من الذنب ؛ والقدامى بضم القاف والقصر : إحدى قوادم الطائر ، وهى مقاديم ريشه ، وهى عشرٌ في كلِّ جناح ، ويقال قادمة أيضاً وجمعها قَوَادِم .

وتحظى : من الخطوة بالطاء المعجمة بمعنى الصَّلَف والافتخار . و « دارم » هو دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم . واسم دارم « بحر » وذلك أن أباهُ أتاَه قوم في سَحالة أَى في طلب دِيَّة ، فقال له : يا بحرُ آتَنى بخريطة ، وكان فيها مال ، فجاء يحملها وهو يدرم تحتها من ثقلها ، فسُمى دارما ، يقال درم فلان : إذا قارب الخطأ . و « الأقرع » أراد به الأقرعين ، وهما الأقرع بن حابس وأخوه مرثد التميميان .

وقوله : أرى اخلَطَفَى ، بفتح الخاء المعجمة والطاء والفاء والقصر : اسم والد جرير ؛ سَمَّاهُ باسم أبيه . وبذَه : غلبه . وشعرُه : فاعله . والتواضع : الانحطاط من الذل ، والوضيع : الدنىء من الناس . والشكيمة : الشدة ، يقال فلان ذو شكيمة : إذا كان لا ينقاد ، وفلان شديد الشكيمة : إذا كان شديد النفس أنبياً .

الباذخات : أى المراتب العاليات ، يقال شرف باذخ أى عال ، وكذلك الفوارع : يقال فرَّعت قومی : أى علوتهم بالشرف أو بالجمال :

وقوله « ويرفع من شعر الفرزدق . . الخ » ، يقال : رفعت من خسيسته :

إذا فعلتَ به فعلاً تكونُ فيه رفعتُهُ . يريد أن الفرزدق له شرف باذخ ،
ولكن شعره ذنىء . فالقول يرتفع برفعة القائل . وروى المبرد :

٣٠٨

* ينوء بيئتٍ للخسيصة رافع *

أى ينهض ويقوم بالبيت الردىء من الشعر فيرفعه .

والسيف الدّدان : الذى لا يقطع . وهذا المصراع ناظرٌ لقوله :

* جرير أشدّ الشاعرين شكيمةً *

والرثُ : البالى . والجفن : قراب السيف ، وهو الغمد أيضاً . وهذا

للمصراع ناظرٌ إلى قوله :

ويرفع من شعر الفرزدق أنه . . البيت

والصواعق : جمع صاقعة لغة فى الصاعقة . وقوله « كشمته الجوادع » قال

القالى فى أماليه : « كشم أنفه . إذا قطعه » . والجوادع : جمع جادعة وهى التى

تقطع الأنف . وروى المبرد : « هشمته الجوادع » .

و (الصّلّتان) اسمه قُثم (بضم القاف وفتح المثلثة) ابن خبيبة (بفتح

الصلتان العبدى

الخاء المعجمة وكسر الموحدة وتشديد المثناة التحتية ؛ وأصلها الهمز) وهو أحد

بنى محارب بن عمرو بن وديعة [بن لُكيز بن أفصى ^(١)] بن عبْد القيس ،

وينسب إليه فيقال (العبدى) .

قال الآمدى فى المؤتلف : هو شاعر مشهور خبيث . وشاعران آخران

يقال لهما : الصّلّتان :

أحدهما الصّلّتان الضبّيّ — قال الآمدى — ولستُ أعرفه فى شعراء بنى

ضَبَّةً وَأَظَنَّهُ مُتَأَخَّرًا . قَالَ أَبُو عَمْرٍو بُنْدَارٌ ^(١) فِي كِتَابِ مَعَانِي الشُّعْرَاءِ ^(٢) قَالَ
أَبُو زَيْدٍ — أَحْسِبُهُ أَشْدَنِيهِ — فِي صِفَةِ نَاقَتِهِ .

كَأَنَّ يَدَيَّ عَنِي إِذَا هِيَ هَجَرَتْ هِرَاوَةً حُبِّي تَنْفُضُ الْفَضْنَ اللَّدْنَا ^(٣)
حُبِّي : أَمْرَاتِهِ .

وَالثَّانِي : الصَّلْتَانِ الْفَهْمِيُّ ، قَالَ الْأَمْدِيُّ : لَسْتُ أَعْرِفُهُ فِي شُعْرَائِهِمْ
وَأَظَنَّهُ مُتَأَخَّرًا . أَشَدُّ لَهُ الْجَاهِظُ فِي الْبَيَانِ وَالتَّيْيِينِ ^(٤) :

الْعَبْدُ يُقْرِعُ بِالْعَصَا وَالْخَرَّتْ كَفْيُهُ الْإِشَارَةَ

وَذَكَرَهُ ابْنُ الْمَعْتِزِّ فِي سِرِّقَاتِ الشُّعْرَاءِ ، وَحَكَاهُ أَيْضًا عَنْ الْجَاهِظِ .

وَمِنْ مَشْهُورِ شَعْرِ الصَّلْتَانِ الْعَبْدِيِّ مَا أَشْدَّهُ ابْنُ قَتِيْبَةَ فِي كِتَابِ
الشُّعْرَاءِ ^(٥) قَوْلُهُ :

أَشَابَ الصَّغِيرَ وَأَفْنَى الْكَبَرَ يَرَكُرُ الْغَدَاةَ وَمَرُّ الْعَشِيِّ
إِذَا هَرَمَتْ لَيْلَةٌ يَوْمَهَا أَنَّى بَعْدَ ذَلِكَ يَوْمٌ فَنِي
نُزُوحٌ وَتَنْدُو لِحَاجَاتِنَا وَحَاجَةٌ مِّنْ عَاشٍ لَا تَنْقُضِي
تَمُوتُ مَعَ الْمَرِّ حَاجَاتُهُ وَتَبْقَى لَهُ حَاجَةٌ مَا بَقِيَ

(١) بُنْدَارُ بْنُ لُرَّةَ الْكَرَجِيِّ كَمَا ذَكَرَ الْمِمْنِيُّ أَنْبَاءَ الرِّوَاةِ ١ : ٢٥٧
وَمَعْجَمُ الْأَدْبَاءِ ٧ : ١٢٨ . وَيَصْخَفُ بِابْنِ لُرَّةَ ، وَابْنُ لُرَّةَ . وَالْكَرْخِيُّ .
وَفِي الْمُؤْتَلَفِ : « بُنْدَارُ بْنُ لُرَّةَ الْكَرْخِيُّ » .

(٢) فِي الْمُؤْتَلَفِ : « مَعَانِي الشُّعْرَاءِ » .
(٣) ش : « هِرَاوَةُ عَيْسَى » ط : « هِرَاوَةُ حَتَّى » ، صَوَابُهُمَا فِي
الْمُؤْتَلَفِ .

(٤) الْبَيَانُ ٣ : ٣٧ . وَفِيهِ أَنَّ اسْمَ الشَّاعِرِ « الْفَلْتَانِ الْفَهْمِيُّ »

(٥) الشُّعْرَاءُ ٤٧٨ . وَانْظُرِ الْهَمَاسَةَ ١٢٠٩ بِشَرْحِ الْمَرْزُوقِيِّ وَمَعَاهِدِ
التَّنْصِيسِ ١ : ٢٧ وَالسَّمْطَ ٧٦٦ وَالْحَيَوَانَ ٣ : ٤٧٧ وَذَكَرَ الْجَاهِظُ أَنَّ هَذِهِ
الْأَبْيَاتُ لِلصَّلْتَانِ السَّعْدِيِّ ، وَهُوَ غَيْرُ الْعَبْدِيِّ ، فَهُوَ صِلْتَانُ رَابِعٍ .

إذا قلت يوماً لمن قد ترى : أروني السرى ، أروك الغني
 ألم ترَ لقمانَ أوصى بنيه وأوصيتُ عمراً ونم الوصي
 بُنيّ ، بداخبُ نجوى الرجالِ فكنْ عند سركَ خبِّ النجى (١)
 وسركَ ما كان عند امرئٍ وسرُّ الثلاثة غيرُ الخفي
 وزاد عليه أبو تمام في الحماسة :
 كما الصمتُ أدنى لبعض الرشاد فبعضُ التكلم أدنى لى (٢)
 ودع النفس اتباع الهوى فما للفتى كل ما يشهى (٣)
 ومطلع هذه الأبيات من شواهد تلخيص المفتاح للقزويني .

* * *

وأشدد بعده . وهو الشاهد الثاني عشر بعد المائة ، وهو من شواهد
 سيبويه (٤) :

١١٢ (أعبدًا حلّ في شعبي غريباً ألوماً لا أبالكَ واغتراباً) (٥)
 على أن (جملة حلّ) صفة للمنادي قبل النداء ، وهو من قبيل الشبيه

٣٠٩

- (١) قال المرزوقي : « فالحب المكر بكسر الحاء ، والحب بفتحها : المكر .
 والنجوى مصدر ، وهو يستعمل فيما يتحدث فيه اثنان على طريق الستر
 والكتمان فيقول : اذا ناجيت صاحباً لك فكن خبا فيما تودعه من سرك ، فان
 نجوى الرجال اذا بدأ خبها ومكر أربابها فيها عادت وبالألف وفضيحة » . ش :
 « بني اذا خب نجوى ، ط : « بني بدا خبه نجوى » ، صوابهما من الحماسة .
 (٢) هذا البيت من رواية التبريزي فقط .
 (٣) وهذا البيت لم يرد في الحماسة ، وليس له مرجع . وفي ط :
 ودع التقى . . . فما للتقى ، وأثبت ما في ش
 (٤) سيبويه ١ : ١٧٠ ، ١٧٣ . وانظر العيني ٣ : ٤٩ / ٤ : ٢١٥ .
 ٥٠٦ ومعجم البلدان (شعبي) وديوان جرير ٦٢
 (٥) ضبط في ش : « أعبد » ، بالرفع ، وهو خطأ .

بالمضاف وعند سيبويه ما تقدم ذكره قبل هذا .

قال ابن خلف — تبعاً للنحاس — : « وقوله أعبدًا ، أجاز من أن يكون منادى منكوراً ، وأن يكون منصوباً على الحال كأنه قال : أتفخر في حال عبودية ولا يليق الفخر بالعبودية » ١ هـ .

وعلى هذا فالهمزة للاستفهام ، [وعبدًا ^(١)] وجملة حلّ وغريباً أحوال من ضمير تفخر ، وعلى الأول فجملة حلّ صفة للنادى ، وغريباً حال من ضمير حلّ ، وقيل صفة أخرى للنادى :

وقد نقل ابن السّيد في شرح أبيات الجمل الوجهين : النداء والاستفهام عن سيبويه .

وأنشد سيبويه هذا البيت على أن لؤماً واغتراباً منصوبان بفعل محذوف على طريق الإنكار التوبيخي ؛ كأنه قال : أتلوم لؤماً وتغترب اغتراباً ، ويجوز أن يكون التقدير : أتجمع لؤماً واغتراباً فتنصبها بفعل واحد مضمّر . وهذا أحسن لأن المنكر إنما هو جمع اللؤم والغربة ؛
(و (اللؤم) بالهمز : ضدّ الكرم ، وهو فعل الأمور الخسيسة الدنيئة ، وفعله من باب كرم .

وقوله (لا أبالك) جملة معترضة ، وهذا يكون للمدح : بأن يراد نفي نظير المدوح بنفى أبيه ، ويكون للذم : بأن يراد أنه مجهول النسب وهذا هو المراد هنا . وقال السيوطي في شرح شواهد ^(٢) المغنى . « هي كلمة تستعمل عند

(١) التكملة من ش ، وهي تدل على السهو الذى نبهت عليه فى الحاشية السابقة .

(٢) انظر شرح شواهد المغنى للسيوطى ٢٩٠ . وليس الكلام فيه خاصاً بهذا الشاهد ، بل لقول جرير :

يا تيم تيم عدى لا أبالك لا يلقينكم فى سوءة عمر

الغلظة في الخطاب ، وأصله أن ينسب المخاطب إلى غير أبٍ معلوم ، شتاً له واحتقاراً ، ثم كثر في الاستعمال حتى صار يقال في كل خطاب يُغلظ فيه على المخاطب . وحكى أبو الحسن ^(١) [ابن] الأخرى : كان العرب تستحسن لا أبالك ، وتستقبح لا أمَّ لك ، لأنَّ الأمَّ مشقة حنينة ^(٢) ٥١٤ .

وقال العيني : وقد يذكر في معرض التعجب دفعا للعين ، كقولهم : لله درك ! وقد يستعمل بمعنى جدِّ في أمرك وشرِّ ، لأن من له أب يتَّكل عليه في بعض شأنه .

قال اللخمي في شرح أبيات الجمل : اللام في لك مقحمة والكاف في محل خفض بها ، لأنه لو كان الخفض بالإضافة أدَّى إلى تعليق حرف الجرِّ ، فالجرُّ باللام وإن كانت مقحمة كالجرِّ بالباء وهي زائدة ؛ وإنما أقحمت مراعاة لعمل لا ؛ لأنها لا تعمل إلّا في النكرات ، وثبتت الألف مراعاة للإضافة ؛ فاجتمع في هذه المسألة شيان متضادان : اتصال وانفصال : ثبات الألف دليل على الاتصال من جهة الإضافة في المعنى ، وثبات اللام دليل على الانفصال في اللفظ مراعاة لعمل لا . فهذه مسألة قد روعيت لفظاً ومعنى . وخبر « لا » التبرئة محذوف ، أى لا أبالك بالخرصة .

(١) في النسختين : « أبو الحسن الأخفش » ، صوابه من شرح شواهد المغني للسيوطي ، ومما سيأتي من نقل البغدادى عنها في الشاهد ١٣٢ ص ٣٦٠ بولاق . وأبو الحسن بن الأخرى ، هو على بن عبد الرحمن بن مهدى الاشبيلى ، تلميذ الأعلام وأستاذ القاضى عياض . توفي بأشبيلية سنة ٥١٤ . انظر بغية الوعاة .

(٢) في النسختين : « وتستقبح لا أم لك أى مشقة حنينة » والصواب من السيوطي ، ومما سيأتي في الشاهد ١٣٢

و (شُعبي) بضم الشين والقصر والألف للتأنيث . قال السكري في أشعار تغلب : هي جبال منيعة متدانية بين أيسر الشمال وبين مغيب الشمس من ضَرْيَةٍ ، على قريب من ثمانية أميال . وقيل جبل أسود وله شعاب فيها أو شال تحبس الماء من سنة إلى سنة . وفي معجم ما استعجم للبكري : « قال يعقوب : شعبي : جبال متشعبة ، ولذلك قيل شعبي » ، وقال عماره : هي هضبة بحمي ضرية . ومن أصحاب شعبي العباس بن يزيد الكندي ، وكان هناك نازلاً في غير قومه ، قال جرير يعني العباس :

أَعْبَدَا حَلَّ في شعبي غريباً . . . البيت » انتهى .

ومثله لابن السيد في شرح أبيات الجمل .

قال أبو محمد الأعرابي في فرحة الأديب : وإنما عير جرير العباس بن يزيد بحلوه في شعبي ، لأنه كان حليفاً لبني فزارة ، وشعبي من بلادهم ، وهو كندى والحليف عندهم عار .

قال : وكان السبب في قول جرير هذا الشعر : أنه لما هجا الراعي النيمري

٣١٠

بقوله من قصيدة :

إذا غضبت عليك بنو تميم حسبت الناس كلهم غضابا

عارضه العباس بن يزيد الكندي ، وكان مقياً بشعبي ، فقال :

ألا رَغِمَتْ أنوف بني تميم فُساء التمر إن كانوا غضابا

لقد غضبت على بنو تميم فما نكأت بغضبتها ذُبَابا

لو اطلع الغراب على تميم وما فيها من السوءات شابا

فقال جرير بهجوه :

إذا جَهِلَ الشقي ولم يقدِّرْ لبعض الأمر أو شك أن يُصابا

ستطلعُ من ذُرَا شُعبي قوافٍ على الكندي تَلتهبُ التهايا
أعبدًا حلَّ في شُعبي غريبًا البيت
فما تخفى هُضبةُ حين تمشى ولا إطعام سَحَلِها الكلابا^(١)
تُخرقُ بالمشاقص حاليها وقد حَلَّت مشيمتها الثيابا^(٢)

انتهى . ومثله في الأغاني حكاية عن جرير مع الحجاج بن يوسف الثقفي
قال : هجاني العباس بن يزيد الكندي بقوله :

ألا رغمت أنوف بني تميم . . . الأبيات

فتركته خمس سنين لا أهجوه ، ثم قدمت الكوفة فأثيت مجلس كينة ،
فطلبت إليهم أن يكفّوه عني [فقالوا : مانكفّه^(٣)] وإنه لشاعر ، وأوعدونني
به فكنت قليلًا ثم بعثوا إليّ راكبًا فأخبروني بمثالبه وجواره في طيء حيث
جاور غِفارًا^(٤) وأجبل أخته هُضبة^(٥) . فقلت :

إذا جهل الشقي ولم يقدر البيت

(١) هُضبة : أخت العباس بن يزيد الكندي .

(٢) الخطاب فيه للعباس ، وكانت هُضبة فجرت ، فقتل العباس ولدها
فرمى به وقتلها هي أيضا فرمى بها كما سيأتي وكما في شرح الديوان .
وفي الديوان : « يقطع بالمعابل » . وفي الأغاني ٧ : ٤٣ :
« وقد بلت مشيمتها الترابا » .

(٣) التكملة من الأغاني .

(٤) في الأغاني « عتابا » . وفي ديوان جرير ٦٣ :

أعتابا تجاور حين أجنّت نخيل أجأ وأعنزّه الربابا
وعناب هذا . رجل من بني نيهان بن عمرو بن الفوث بن طيء ،

وهو أبو حريث بن عناب

انظر المؤلف ١٦١ وشرح الحماسة للمرزوقي ٢٥٥ .

(٥) كذا . والصواب : « وجبل أخته هُضبة » ، لأن الذي أجبلها
فيما يبدو هم بنو عناب ، قال جرير بعد البيت السالف :
أصابوا الجار ليلة غاب عنهم

فبئس القوم اذ شهدوا وغابا

أَعْبَدًا حَلَّ فِي شُعْبِيْ غَرِيبًا البيت
 فَانْخَنِيْ هُضْبِيَّةٍ حَيْثُ تَمْشِيْ (١) البيت
 تَخْرُقُ بِالشَّاقِصِ حَالِيهَا البيت
 قَدْ حَمَلَتْ ثَمَانِيَّةً وَأَوْفَتْ بِتَاسِعِهَا وَتَحْسِبُهَا كَهَابًا

انتهى . أراد بَسَخَلَتْهَا : ولدها الذى ولدته لَزْنِيَّةٍ وَرَمَتْهُ لِلْكَلاَبِ
 فَأَكَلَتْهُ . والمشاقص : جمع مَشَقَص ، وهو النَّصْلُ العريض يكون فى السهم .
 والحالبان : عِرْقَانِ مَكْتَنَفَانِ بِالسَّرَّةِ . وَمَشَيْتُمَا : ما يخرج بعد الولد يعنى
 أنها لما حبلت (٢) شَقَّتْ حَالِيهَا بِمَشَقَصٍ لَتَرْمِي الْوَلَدَ (٣) . والكعاب بالفتح ،
 وهى الكعاب ، وهى الجارية التى نَهَدَ نُدِيْهَا .

وقال اللخمي : هذا البيت من قصيدة لجرير يهجو بها البعيث ، واسمه
 خِدَاش بن بشر المجاشعي . ثم أنشد هذه الأبيات . وقال : أراد بالعبد البعيث .
 وقال العيني : هو من قصيدة لجرير يهجو بها خالد بن يزيد الكندي (٤)
 وأولها :

أَخَالِدُ ، عَادَ وَعَدَكُمْ خِلَابًا وَمَنِيَّتِ الْمَوَاعِدَ وَالْكِذَابَا
 أَخَالِدُ ، كَانَ أَهْلَكَ لِي صَدِيقًا قَدْ أَمْسَا بِحُبِّكُمْ حِرَابَا (٥)

(١) فى الأغاني ٧ : ٤٣ : « حين تمشي » .

(٢) ط : « حليت » ، صوابه فى ش

(٣) الوجه : « شققت » بالخطاب لعباس ، لأن الذى فعل ذلك تخلصا

من عارها هو أخوها العباس .

(٤) الظاهر أن هذا وهم من العيني ، فإن خالد هنا

مرخم خالدة لامرأة يشبب بها ، على عادة الشعراء فى الغزل ، ومطلع
 قصيدته غزل وفى الديوان ٦٠ بعد البيت الأول من الأبيات التالية :

ألم تتبينى كلفى ووجدى غداة يرد أهلكم الركابا

(٥) ط فقط : « بحيكم » بالياء المثناة ، وأثبت ما فى ش والعيني ،

وفى الديوان : « لحبك » . والحراب : المحاربة ، أو جمع حربة .

٣١١

بنفسى مَنْ أزور فلا أراه وَيَضْرِبُ دُونَهُ الْخُدْمُ الْحُجَابَا
 أَخَالِدُ ، لو سَأَلْتَ عَلِمْتَ أَنِي لَقِيتُ بِحَبْكِ الْعَجَبِ الْعُجَابَا
 سَتَطْلُعُ مِنْ ذُرَا شُعْبِي قَوَافٍ الْبَيْت
 أَعْبَدًا حَلَّ فِي شُعْبِي غَرِيبًا الْبَيْت
 وَيَوْمًا فِي فِزَارَةٍ مُسْتَجِيرًا وَيَوْمًا نَاشِدًا حِلْفًا كِلَابَا
 إِذَا جَهْلُ اللَّسِيمِ وَلَمْ يَقْدِرْ الْبَيْت . ١ هـ
 والظاهر أن هذه الآيات ليست منتظمة في نسق واحد . والله أعلم .

(فائدة)

قد جاء على (فَعَلَى) تسع كلمات : إحداها : ' شُعْبِي ' ؛ وقد شرحت .
 وثانيها : ' أَدْمَى ' بالدال والميم ، وهو موضع ، وقيل حجارة حر في أرض قشيرة .
 ثالثها : ' أَرَبَى ' بالراء المهملة والموحدة ، وهى الداهية . رابعها : ' أُرْنَى ' بالراء
 والنون : ' حَبٌ يُجِيلُ فِي اللَّبَنِ فَيَسْخَنُهُ ' (١) . خامسها : ' حُلْكَى ' بالحاء المهملة
 واللام والكاف لضرب من العطاء ، وقيل دابة تغوص في الرمل . سادسها :
 ' جُنْفَى ' بالجيم والنون والفاء ، وهو اسم موضع . سابعها : ' حُنْفَى ' بالحاء المهملة
 والنون والفاء ، وهو اسم جبل . ثامنها : ' جُجْعَى ' بالجيم والعين والموحدة للعظام
 من الثقل . تاسعها : ' جُجْدَى ' بالجيم والميم والدال وهو اسم موضع .
 وترجمة جرير قد تقدمت في أوائل الكتاب في الشاهد الرابع (٢) .

* * *

(١) ط : « يسخنه » صوابه فى ش . وانظر اللسان والقاموس
 (أرن) .

(٢) أنظر ما مضى فى الجزء الأول ص ٧٥

وأُشَدَّ بعده ، وهو الشاهد الثالث عشر بعد المائة ، وهو من شواهد
سبويه (١) :

١١٣ (أَدَارًا بِحَزْوَى هِجَتِ لِلْعَيْنِ عِبْرَةً فَمَاءُ الْهَوَى يَرْفُضُ أَوْ يَتَرَفَّقُ)
على أن المنادى من قبيل الشبيه بالمضاف ؛ والجار والمجرور صفته
قبل النداء .

ولهذا أنشده سبويه . قال الأعمى : الشاهد فيه نصبٌ داراً لأنه منادى
منكور في اللفظ لاتصاله بالمجرور بعده ، ووقوعه موقع صفته ؛ كأنه قال :
أَدَارًا مُسْتَقَرَّةً بِحَزْوَى ؛ فجرى لفظه على التنكير وإن كان مقصودا بالنداء
معرفةً في التحصيل . ونظيره مما ينتصب ، وهو معرفة ، لأن ما بعده من صلته ،
فضارع المضاف (٢) قَوْلُهُمْ : يَا خَيْرًا مِنْ زَيْدٍ ؛ وكذلك ما تعلق إلى النداء
موصوفاً بما توصف به النكرة جرى عليه لفظ المنادى المنكور ، وإن كان
في المعنى معرفة اهـ .

و (حَزْوَى) بضم المهملة وسكون الزاى المعجمة ، قال البكري في معجم
ما استعجم : هو موضع في ديار بني تميم ، وقال الأحول : حَزْوَى وَخَفَّانُ :
موضعان قريبان من السَّوَادِ وَالْخَوَرِ نَق (٣) من الكوفة .

(وهِجَتِ) جواب النداء ، ويقال له : المقصود بالنداء . وقال ابن السِّيد:
« جَلَّةٌ هِجَتِ صِفَةً ثَانِيَةً لِلْمَنَادَى ، أَوْ خَبِرَ مَبْتَدَأٌ مَحْذُوفٌ أَيْ أَنْتَ هِجَتِ » .

(١) سبويه ١ : ٣١١ وانظر العينى ٤ : ٢٣٦ ، ٥٧٩ وديوان ذى
الرمة ٣٨٩ .

(٢) فى النسختين : « مضارع المضاف » ، صوابه من الشنتمرى ١ :
٣١١ .

(٣) فى النسختين : « والحوارق » ، صوابه من معجم ما استعجم .

وفيه نظر . وهاج هنا متعدّ ، يقال هجت الشيء وهيّجته : إذا أثّرته ، ويأتي لازماً ، يقال هاج الشيء : إذا ثار . و (عِبْرَةٌ) مفعوله بفتح العين بمعنى الدمعة و (للعين) كان في الأصل صفة لعبرة ، فلما قدّم صار حالا منها . والعبرة تكون جارية ومتحيرة وساكنة وقاطرة . و (ماء الهوى) هو الدمع ، وأضافه إلى الهوى أى العشق ، لأنه هو الباعث لجريانه . و (يرفض) بالفاء والضاد : يسيل بعضه في إثر بعض ؛ وكلُّ متناثر مرفض . و (يترقق) : يبقى في العين متحيراً يجيء ويذهب ؛ ورقراق السراب من ذلك . وحكى بعضهم أن يترقق هنا بمعنى يترقق .

وهذا البيت مطلع قصيدة طويلة لذي الرُّمّة ، عدة أبياتها سبعة وخمسون بيتاً ، كلها غزل وتشبيب بى . وقد أخذه من « زهير بن جنّاب » ، وهو شاعر جاهلي من قصيدة فيها :

وَذِي دَارُ سَلَمَى قَدْ عَرَفْتُ رَسُومَهَا فَعُجْتُ إِلَيْهَا وَالدَّمُوعُ تَرَقَّرُقُ
وَكَادَتْ تُبَيِّنُ الْقَوْلَ لَمَّا سَأَلْتُهَا وَتُخَبِّرُنِي ، لَوْ كَانَتْ الدَّارُ تَنْطُقُ
فِي دَارِ سَلَمَى هَجَتْ لِلْعَيْنِ عِبْرَةً فَمَاءُ الْهَوَى يَرْفُضُ أَوْ يَتَدَفَّقُ
و « أَوْ » فِي الْبَيْتَيْنِ بِمَعْنَى الْوَاوِ . وَقَدْ أَخَذَ مِنْهُ بَيْتَانِ آخَرِ وَهُوَ :

وَقَفْنَا فَلَسَّكُنَا فَكَادَتْ بِمُسْرِفٍ ، لِعِرْفَانِ صَوْتِي ، دِمْنَةُ الدَّارِ تَنْطُقُ

و « مُسْرِفٍ » بضم الميم وسكون السين وكسر الراء المهملة (١) اسم موضع .

ومن قصيدة ذي الرُّمّة :

(١) هكذا نص البغدادى ، وصوابه « مشرف » بالشين المعجمة ، وبذلك صححها الشنقيطى فى نسخته . وانظر معجم البلدان .

(وإنسانُ عيني يَحْسِرُ الماءَ تارةً فيبدو، وتاراتٍ يَجْمُ فَيَغْرِقُ)

وهو من شواهد معنى اللبيب . وحسر الماء من باب ضرب : نَضَبَ عن موضعه وغار . وَيَجْمُ بضم الجيم وكسر ها : مضارع جَمَّ الماءُ جُوماً أى كثر وارتفع . ويغرق ، بفتح الراء : مضارع غَرِقَ بكسر ها . وفى أفراد تارةً أولاً وجمعها ثانياً إشارةً إلى أن غلبة البكاء عليه هى غالب أحواله .

وجملة يحسر الماء وقعت خبراً عن قوله إنسان عيني ، وهى خالية عن رابط محذوف ، أى يحسر الماء عنه ؛ وقيل : هو ألٌ فى الماء ، لنياتها عن الضمير والأصل ماؤه ؛ وقيل هو على تقدير أداة الشرط ، وقدره شارح ديوان ذى الرمة محمد بن حبيب : (إذا) ، وقدره غيره : (إن) ، وهو الصحيح لأنها أمّ الباب ، فلما حذفت ارتفع الفعل ، والجملة الشرطية إذا وقعت خبراً لم يُشترط كون الروابط فى الشرط بل فى أيهما من الشرط والجزاء وُجد كفى . وقال ابن هشام فى المغنى ، تبعاً لأبى حيان : الفاء السببية نزلت الجملتين منزلة جملة واحدة فاكتمى منهما بضمير واحد ، فالتبر مجموعهما .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع عشر بعد المائة^(١) :

١١٤ (ألا يا نخلةً من ذاتِ عِرْقِي عليكِ ورحمةُ الله السلامُ)

على أن الجار والمجرور صفة لنخلة قبل النداء ، والننادى من قبيل الشبيه بالمضاف . وقوله (عليك ورحمة الله السلام) مذهب أبى الحسن الأخفش :

(١) انظر الهمع ١ : ١٧٣ ، ٢/٢٢٠ : ١٣٠ ، ١٤٠ وشرح شواهد المغنى ٢٦٣ وابن السجري ١ : ١٨٠ والخصائص ٢ : ٣٨٦ ومجالس ثعلب ٢٣٩ وأمالى الزجاجي ٨١ وتحرير التحبير ١٤٥ . وهو تكرار للشاهد . ٦٣

أنه أراد عليك السلام ورحمة الله ، فقدّم المعطوف ضرورةً ؛ لأن السّلام عنده مرفوع بالاستقرار المقدّر في الظرف . ولا يلزم هذا على مذهب سيبويه ، لأن السّلام عنده مرفوع بالابتداء ، وعليك خبر مقدّم ، ورحمة الله معطوف على الضمير المرفوع في عليك . غير أنه من عطف ظاهر على مضمّر من غير تأكيد ، وذلك جائز في الشعر ؛ وقد أجازوه قوم في سعة الكلام ، كذا في شرح أبيات الجمل لابن السيّد واللّخمى .

وروى ثعلب في أماليه المصراع الثاني هكذا :

* بَرُودَ الظِّلِّ شَاعَكُمْ السَّلَامُ *

شاعكم : تبعكم . انتهى . و (ذات عرق) : موضع بالحجاز ، وفي المرصع لابن الأثير : ذات عرق : ميقات أهل العراق للحج .

وهذا البيت أوّل أبيات ثلاثة نُسبت للأحوص ، أوردها الدّميرى وابن أبى الإصبع في تحرير التعبير . والبيتان الآخران هما :

٣١٣

سَأَلْتُ النَّاسَ عَنْكَ فَخَبَّرُونِي هُنَا مِنْ ذَلِكَ تَكْرَهُهُ الْكَرَامُ
وَلَيْسَ بِمَا أَحَلَّ اللَّهُ بِأَسْ إِذَا هُوَ لَمْ يَخَالِطْهُ الْحَرَامُ

قال ابن أبى الإصبع : « ومن مליح الكناية : النخلة ، فإن هذا الشاعر كنى عن المرأة بالنخلة ، وبالهناة عن الرّفث ؛ فأما الهناة فمن عادة العرب الكناية بها عن مثل ذلك ، وأما الكناية بالنخلة عن المرأة فمن ظريف الكناية وغريبها » انتهى .

وأصل ذلك : أن عمر بن الخطاب كان نهى الشعراء عن ذكر النساء في أشعارهم ، لما في ذلك من الفضيحة ؛ وكان الشعراء يكتنون عن النساء بالشجر وغيره ، ولذلك قال حميد بن ثور الهلالي :

وهل أنا إن علّت نفسي بسرحة من السرح مسدود على طريق
أبى الله إلا أن سرحة مالك على كل أفنان العضاء تروق
وعلم بهذا سقوط قول اللخى : سلم على النخلة لأنها معهد أجابه ،
أو ملعبه مع أترابه ؛ لأن العرب تقيم المنازل مقام سكّانها ، فتسلم عليها وتكثر
من الحنين إليها ؛ قال الشاعر :

هو سبي

ديوانه ٨٤ ص ٤٢

وكنل الأجاب ، لو يعلم العا ذل عندى منازل الأجاب
ويحتمل أن يكون كفى عن محبوبته بالنخلة لثلاث شهرها ، وخوفاً من
أهلها وقرابتها . انتهى .

وترجمة الأحوص تقدمت فى الشاهد الثامن والثمانين^(١)

* * *

وأشده بعده ، وهو الشاهد الخامس عشر بعد المائة ، وهو من
شواهد س^(٢) :

١١٥ (فيا راكباً، إما عرضت قبلن : ندماى من نجران أن لا تلاقيا)

على أن المنادى هنا عند الكسائى والفراء إمّا معرفة بالقصد ، وإمّا أصله
يارجل راكباً ؛ لأنها لا يميزان نداء النكرة مفردة ، بل يوجبان الصفة .
والصحيح جواز نداء النكرة غير المقصودة .

وأشده سيبويه لما قلنا . قال الأعم : الشاهد فيه نصب راكب ، لأنه

(١) صوابه الشاهد ٨٥ . وانظر أيضاً الشاهد ٩٠

(٢) سيبويه ١ : ٣١٢ . وانظر العينى ٣ : ٤٢ / ٤ : ٤٠٦ وابن
يعيش ١ : ١٢٧ - ١٢٩ والخصائص ٢ : ٤٤٨ وأما القالى ٣ : ١٣٢
والمفضليات ١٥٦ والأغانى ١٥ : ٧٢ وشرح شواهد المعنى ٢٣١

منادى منكور ، إذ لم يقصد به قصد راكب بعينه ، إنما التمس راكباً من الركبان يُبلغ قومه خبره وتحيته ، ولو أراد راكباً بعينه لبناء على الضم ولم يَجْزْ له تنوينه ونصبه . انتهى .

وأغرب أبو عبيدة حيث قال : أراد يارا كباه للندبة ، فحذف الماء كقوله تعالى : (يا أسفاً على يوسف) ، مع أن الثقات رَوَوْهُ بالنصب والتنوين ، إلا الأصمى فإنه كان ينشده بلا تنوين . كذا نقله ابن الأنباري في شرح المفصليات .

وهذا البيت من قصيدة عدتها عشرون بيتاً لعبد يغوث الحارثي البجلي . قالها بعد أن أسير في يوم الكلاب الثاني : كُلاب تيم واليمن ^(١) وقتل أسيراً ^(٢) .

ولمالك بن الرئب قصيدة على هذا الوزن والروي ، فيها بيت يشبه البيت الشاهد ، وهو :

« فيا صاحبي إماً عرضتَ فبلننُ بني مازنٍ والرئبُ أن لا تلاقياً »
وهذا غير ذاك قطعاً . فقول شراح أبيات سيبويه في البيت الشاهد : إنه لعبد يغوث ، ويروي لمالك بن الرئب ، غير جيد .

و (٣) بن جهم ، أحد بني الحارث بن سعد من بني أسد وهو :

أياراكباً إماً عرضتَ فبلننُ بني عمنّا من عبد شمس وهاشم

(١) ش : « تميم واليمن » ، صوابه في ط . وانظر (كلاب) في معجم البلدان وما سيأتي في ٣١٦ بولاق .

(٢) ش : « أسر » ، وبعدها بياض ، مع إسقاط كلمة « وقتل » قبلها .

(٣) بياض في الأصل بمقدار ست كلمات .

أمن عمل الجِرَافِ أَمْس وظلمِهِ وعُدُوَانِهِ أَعْتَبْتُمونا بِرَاسِمٍ^(١)
 عَرَضْتُ هنا بمعنى تَعَرَّضْتُ والجِرَافُ : اسم رجل ، ورَاسِمٌ كذلك :
 وكان الجِرَافُ ولى صدقاتِ هؤلاء القومِ فظَلَمَهُمْ ، فشكوا فَعَزَلَ وولى رَاسِمٌ
 مكانه ، فظَلَمَ أَكْثَرَ مِنَ الجِرَافِ . والإِعْتَابُ : الإِرْضَاءُ^(٢) وإزالة الشكوى ،
 وروى : (أَعْتَبْتُمونا) : من الإعنات ، وهو الإيقاع فى العنت والمشقة .
 و (قصيدة عبد يغوث) مسطورة فى المنفصليات ، وفى ذيل أُمالى
 القالى^(٣) .

وقد شرحنا يوم الكلاب الثانى فى الشاهد الخامس والستين^(٤) .
 وكان الذى أَسْرَ عبدَ يغوثَ قَتَّى من بنى عبد شمس أهوجُ ، فقالت أمه :
 مَنْ هذا ؟ فقال عبد يغوث : أنا سَيِّدُ القومِ ، فضحكت وقالت : قَبَحَكَ اللهُ مِنْ
 سَيِّدِ قَوْمٍ ، حينَ أَسْرَكَ هذا الأهوجُ . (وإلى هذا أشار بقوله :
 وتضحكُ منى شيخَة عبشمية . . البيت)

فقال : أيتها الحرّة ، هل لك إلى خير ؟ قالت : وما ذاك ؟ قال : أعطى
 ابنك مائةً من الإبل وينطلق بى إلى « الأهم » ؛ فإنى أخاف أن تنتزعنى
 سعدُ والربابُ منه فضمن لها مائةً من الإبل وأرسل إلى بنى الحارث فوجهوا
 بها إليه ، فقبضها العبشمى وانطلق به إلى الأهم ؛ فقال عبد يغوث :

(١) أنشده سيبويه ١ : ٢٨٨ مع بيت تال له وهو :
 أميرى عداء ان حسبنا عليهما بهائم مال أوديا بالبهائم
 وكذا أنشدا فى اللسان (جرف) .
 (٢) ط : « الارضاء » ، صوابه فى ش مع أثر تصحيح .
 (٣) وكذا فى البيان ٢ : ٤/٢٩٧ : ٤٥ والنقائض ١٥٢ والأغانى
 ١٥ : ٧٢ وشرح شواهد المغنى للسيوطى ٢٣١ .
 (٤) الجزء الأول ص ٤١٠ .

أَنَّهُمْ ، يا خَيْرَ البريةِ والدَّاءِ ورهطًا إذا ما الناسُ عَدَوْا المساعيا
تَدَارِكُ أسيرًا عانيًا في جبالِكُمْ ولا تَتَفَقَّني التِّيمُ أَلْقِ الدَّواهيَا
فمشتُ سعدَ والرَّبابَ إلى الأَهمِّ فيه ، فقالت الرَّبابُ : يا بني سعد ،
قُتِلَ فارسُنَا (وهو النعمان بن جساس) ولم يقتل لَكُم فارس ، فدفعه إليهم ،
فأَخَذَهُ عصمة بن أبيير التيميَّ فانطلقَ بِهِ إلى مَنْزِلِهِ ، فقال عبد يغوث : يا بني
تيم ، اقتلوني قِتْلَةً كريمةً ، فقال عصمة : وما تلك القِتْلَةُ ؟ قال : اسقوني الحمر ،
وَدَعُونِي أَنُوحَ على نَفْسِي ، فجاءه عصمة بالشراب فسقاه ، ثم قطع عرقه
الأَكَلَ وتركه يتزف ومضى ، وجعل معه رجلين فقالا لعبد يغوث : جمعتَ
أَهْلَ اليَمَنِ ثُمَّ جِئْتَ لِتَصْطَلَمَنَّا ! كيف رأيت صنعَ اللَّهِ بِكَ ! فقال هذه القصيدة .

قصيدة
الشاهد

(أَلَا لا تُلُومَانِي كُفِيَ اللُّومَ ما بيا ، فما لَكُمَا في اللوم خيرٌ ولا لِيَا)
فالخطاب لاثنتين حقيقة . واللوم مفعول مقدم ، وما فاعل مؤخر . أى
كُفِيَ اللُّومَ ما أَنَا فيه ، فلا تحتاجون إلى لومى مع ماترون من إيسارى وجهدى .
(أَلَمْ تَعْلَمَا أَنَّ المَلَامَةَ نَفَعُهَا قليلٌ ، وما لومى أَخِي من شَمَالِيَا)
شمال بالكسر بمعنى الخلق ، ويروى (أَخَا) .

وهذا البيت من أبيات شرح الشافية للشارح ، نقل فيه عن أبي الخطاب :
أَنَّ شِمَالًا يَأْتِي مُفْرَدًا وَجَمْعًا ، وفي هذا البيت جمع ، أى من شمالي .

(فَيَا رَا كَبًّا إِمَّا عَرَضْتَ فَبَلَّغْنِ نَدَامَايَ مِنْ نَجْرَانِ أَنْ لا تَلَاقِيَا)
الراكب : راكب الإبل ، ولا تَسْتِى العرب راكبًا على الإطلاق
إِلَّا رَا كَبَ البعير والناقة والجمع رُكبان ، والرَّكْب : اسم للجمع عند
سبيويه ، وعند غيره جمع راكب كسائر وتجز . ويقال لعابر الماء في زورق
ونحوه راكب ، ويجمع على رُكَّاب بالضم والتشديد ، ولا يقال رُكَّاب
إِلَّا لِرُكَّابِ البحر ، ولم يقولوا فيه ركب .

و (إمّا) مركبة من إن الشرطية وما المزيّدة ، وعرضت : قال في الصحاح « عرضَ الرجلُ : إذا آتى العُروض ، وهي مكة والمدينة وما حولهما ، وأنشد هذا البيت . وقال شراح أبيات سيبويه والجل : عرضت بمعنى تعرّضت وظهرت . وقيل معناه بلغت العِرض وهي جبال نجد ، تعرف بذلك . والندامى : جمع ندمان بالفتح بمعنى نديم ، وهو المُشارب ، وإنما قيل له ندمان من الندامة لأنه إذا سكر تكلم بما يندم عليه ؛ وقيل : المنادمة مقلوبة من المدامنة ، وذلك إدمان الشراب ؛ ويكون الندمان والنديم أيضاً المُجالس والمُصاحب على غير الشراب . ونَجْران ، بفتح النون وسكون الجيم ، قال أبو عبيد البكري في معجم ما استعجم : « مدينة بالحجاز من شقّ اليمن ، سمّيت بنَجْران بن زيد بن يشجب بن يعرب ، وهو أول من نزلها . وأطيب البلاد نَجْران من الحجاز ، وصنماء من اليمن ، ودِمَشق من الشام ، والرّى من خُراسان » انتهى .

وهذا عُرف حُسنُ تفسير الصحاح لعرّضت .

وأنْ مخففة من الثقيلة ؛ لأن التبليغ فيه معنى العلم ، واسمها ضمير شأن محذوف ، والجملة من اسم لا التبرئة وخبرها المحذوف أى لنا خبرها ، وجملة أن لا تلاقياً في موضع المفعول الثانى للتبليغ ، وجوز اللخمي أن تكون تفسيرية . وقوله « من نَجْران » حال من ندامى ، لا وصف له ، خلافاً للخمى .

(أبا كُرب والأَيّهَمَينِ كَلَيْهَما وقيساً بأعلى حضر موتَ البانِيا)

هؤلاء كانوا نداماه هناك ، فذكرهم عند موته وحنّ إليهم ؛ وهو بدل من ندامى . وأبو كُرب والأَيّهَمَينِ من اليمن ، وقيس هو ابن معد يكرب ، أبو الاشعث بن قيس الكندي ؛ قال صاحب الأغاني ، وكذا اللخمي :

يروى أن قيساً هذا لما بلغه هذا البيت قال: لبيك ، وإن كنت قد أخرتني ،
(جزى الله قومي بالكلاب ملامة صريحهم والآخريين المواليا)
الصريح : الخالص والمحض . والمواليا : الحلفاء المنضمين إليهم ، والكلاب
بضم الكاف : اسم موضع الوقعة .

(ولو شئتُ نَجَتْنِي من الخيل نَهْدَةً تَرَى خَلْفَهَا الحَوْ الجيادُ تواليا)
النَّهْدَةُ : المرتفعة ، وكل ما ارتفع يقال له نهد . والحَوْ من الخيل : التي
تضرب إلى خضرة ، والحَوَّة . الخضرة ؛ قال الأصمعي : وإنما خصَّ الحَوْ
لأنه يقال : إنما أصبرُ الخيل وأخفُّها عظاماً^(١) إذا عرقت لكثرة الجري .
وتواليا : جمع تالية أى تابعة ، أى إن فرسى خلفها تسبق الحَوْ فهي تتلو فرسى .
(ولكننى أحمى ذماراً أَيْكُمْ وكان الرِّمَاحُ يُخَنِّطُنَ الحُمَامِيَا)
الذِّمَارُ : ما يجب على الرجل حفظه : مِنْ مِنْه جَاراً أو طلبه ثاراً .
وقوله : وكان الرِّمَاحُ الخ ، قال القائل : هذا مثل .

(أقول ، وقد شدوا لساني بنسعة : أمعشرتهم أطلقوا عن لسانيا^(٢))
النَّسْعَةُ بكسر النون : سَيْر منسوج . وفيه قولان : الأول أن هذا مثل ،
وذهب إليه شراح أبيات الشعراء والقالي في أماليه ، وحكاه ابن الأنباري
في شرح المفضليات وقال : لأنَّ اللسان لا يُشَدُّ بنسعة ، وإنما أراد : افعلوا
بني خيراً لينطلق لساني بشركم ، وإنكم ما لم تفعلوا فلساني مشدود ، لا أقدر
على مدحكم . والثاني أنهم شدوه بنسعة حقيقة ، وإليه ذهب الجاحظ في البيان

(١) شرح شواهد شرح الشافعية للبغدادى ١٣٥ - ١٣٨

وكذا في أمالي القالي ٣ : ١٣٣ ، وهو كناية عن خفة الحركة

(٢) ويروى : « أطلقوا لى لسانيا » .

والتيين^(١) ، والأصفهاني في الأغاني ، وحكاة أيضاً ابن الأنباري : بأنهم ربطوه بنسمة مخافة أن يهجوهم ، وكانوا يجمعونه ينشد شعراً ، فقال : أطلقوا لي عن لساني أذم أصحابي وأنوح على نفسي ؛ فقالوا : إنك شاعر ، ونحذر أن تهجوننا . فعاهدهم أن لا يهجوهم ، فاطلقوا له عن لسانه . قال الجاحظ : وبلغ من خوفهم من الهجاء أن يبقى ذكره في الأعقاب^(٢) ، ويسب به الأحياء والأموات ، أنهم إذا أسروا الشاعر أخذوا عليه اللوائح ، وربما شدوا لسانه بنسمة ؛ كما صنعوا بعبد يغوث بن وقاص الحارثي ، حين أسرته تيم يوم الكلاب .

(أَمْعَشَرَتِمْ قَدْ مَلَكْتُمْ فَاسْجِحُوا فَإِنَّ أَخَاكُمْ لَمْ يَكُنْ مِنْ بَوَائِيَا)
 أسجحوا ، بتقديم الجيم على الحاء المهملة ، بمعنى سهلوا ويسروا . والبواء : السوء ، أي لم يكن أخوكم^(٣) نظيراً لي فأكون بواء له .
 (فَإِنْ تَقْتُلُونِي تَقْتُلُوا بَنِي سَيِّدَا وَإِنْ تُطْلِقُونِي تَحْرُبُونِي بِمَالِيَا)
 وتحربوني : تسلبوني وتغلبوني .
 (أَحَقُّ عِبَادَ اللَّهِ أَنْ لَسْتُ سَامِعًا نَشِيدَ الرِّعَاءِ الْمُعْزِبِينَ الْمَتَالِيَا)

الرِّعَاء : جمع راع . والمعزب : المتنحى بإبله ، وهو اسم فاعل من أعزب بالعين المهملة والزاى للمعجمة . والمتالي : التي تُتبع بعضها وبقى بعض ، جمع مُتَلِيَةٌ وهو اسم فاعل .

(١) أنظر البيان ٤ : ٤٥

(٢) ط : « ذكرهم في الأعقاب » . صوابه في ش . والذي في

البيان : « أن يبقى ذكر ذلك في الأعقاب » .

(٣) في النسختين : « أخواكم » تحريف . وفي الامالي : « ان أخاكم

لم يكن نظيراً لي »

(وتَضَحَّكْتُ مَنِّي شَيْخَةً عَبَسِيَّةٌ كَأَنَّ لَمْ تَرَى قَبْلِي أُسِيرًا يَمَانِيَا)

هذا البيت من أبيات معنى اللبيب^(١)، قال القالي في ذيل الأمل: «قال الأخفش: رواية أهل الكوفة (كأن لم ترى) بالألف؛ وهذا عندنا خطأ، والصواب ترى بحذف النون علامة للجزم». وقال ابن السيد: قوله: كأن لم ترى، رجوع من الإخبار إلى الخطاب؛ ويروى على الإخبار: وفي إثبات الألف وجهان: أحدهما أن يكون ضرورة، والثاني أن يكون على لغة من قال راء. مقلوب رأى، فجزم فصار ترأ ثم خفف المهمزة فقلبها ألفاً لافتح ما قبلها، وهذه لغة مشهورة وكان محققة، واسمها مضر فيها، تقديره على الوجه الأول: كأنك لم ترى وعلى الوجه الثاني كأنها لم ترأ.

(وظَلَّ نِسَاءَ الْحَيِّ حَوْلِي رُكْدًا يُرَاوِدُنَّ مَنِّي مَا تَرِيدُ نِسَائِيَا)

(وقد عَلِمْتُ عِرْسِي مُلَيْكَةً أَنِّي أَنَا اللَّيْثُ مَعْدُوًّا عَلَى وَعَادِيَا)

هذا من شواهد س، وأورده الشارح في شرح الشافية^(٢)، وقد وقع في روايتهما «معدوا عليه وعاديا» فقال: هذا شاذ والقياس معدوا عليه، لأنه من العدوان، لكنه بناء على عدي عليه.

(وقد كُنْتُ نَحَّارَ الْجَزُورِ وَمُعِيلَ الدَّحِطِيِّ وَأَمْضَى حَيْثُ لَا حَيٍّ مَاضِيَا)

(وَأَنَحَرُ لِلشَّرْبِ الْكِرَامِ مَطِيئِي وَأَصْدَعُ بَيْنَ الْقَيْنَتَيْنِ رَدَائِيَا)

الشرب: جمع شارب، كصخب جمع صاحب. وأصدع: أشق. والقينة: الأمة مغنية كانت كما هنا أم لا.

(وَكُنْتُ إِذَا مَا الْخَلِيلُ شَمَّصَهَا الْقَنَا لَبِيقًا بِتَصْرِيفِ الْقَنَاقِ بَنَانِيَا)

(١) شرح شواهد المغني ٢٣١ في الكلام على شواهد (لم).

(٢) سيبويه ٢: ٨٣٢ وشرح شواهد الشافية ٤٠٠.

ويروى . « شَمْسُهَا » ، بالسّين ، وهى أجود . ويروى : « نَفَرُهَا » .
واللبيق : فعيل من اللّباقة .

(وعادية سَوَمَ الجرادِ وَرَعَتْهَا بَكَىّ وقد أَنَحَوْا إِلَى العواليا)
العادية : القوم يعدّون ، من العدو وهو الركض وسَوَمَ الجرادُ أى كَسَمَ ،
وهو انتشاره . وَرَعَتْهَا : كَفَفَتْهَا ، والوازع : السكف والممانع . وَأَنَحَوْا الرماح :
أمالوها وقصدوا بها ، من التَّحَو وهو القصد . والعالية من الرمح : أعلاه ،
ويقال مادون السُّنان بذرّاع .

(كَأَنَّى لَمْ أَرْكَبْ جَوادًا وَلَمْ أَقْلُ خَلِيلِي كَرَى نَفْسِي عَنْ رَجَالِيَا
وَلَمْ أَسْبَأِ الزُّقَّ الرُّوَّى وَلَمْ أَقْلُ لِأَيْسَارِ صِدْقٍ أَعْظَمُوا ضَوْءَ نَارِيَا)
نَفْسِي : وسعَى ، وروى « قَاتِلِي » ، والسبَاء ، بالكسر والمد : اشتراء الخمر
للشرب لا للبيع . والأيسار : الذين يضربون القداح ، جمع ياسر ، وفعله من باب
ضرب وهذان اليتان مأخوذان من قول امرئ القيس :
كَأَنَّى لَمْ أَرْكَبْ جَوادًا لِلدَّةِ وَلَمْ أَتَبَطَّنْ كاعِبًا ذَاتَ خَلْخَالِ
وَلَمْ أَسْبَأِ الزُّقَّ الرُّوَّى وَلَمْ أَقْلُ خَلِيلِي كَرَى كَرَّةً بَعْدَ إِجْفَالِ
وَلَمْ يَرُدَّ عَلَى عَبْدِ يَغُوثٍ مَا وَرَدَ عَلَى امْرِئِ الْقَيْسِ .

و (عبد يغوث) هو ابن الحارث بن وقاص الحارثي القحطاني .
كان شاعراً من شعراء الجاهلية ، فارساً سيّد قومه من بني الحارث
ابن كعب ، وهو الذي كان قائدهم يوم الكلاب الثاني فأسرته تيم وقتلته ،
كما ذكرنا . وهو من أهل بيت شعر معرق في الجاهلية والإسلام ، منهم
الجلّاج الحارثي ، وهو طفيل بن زيد بن عبد يغوث وأخوه مُشْهَر فارس

عبد يغوث
الحارثي

شاعر ، وهو الذى طعن عامر بن الطفيل فى عينه يوم فيف الريح . ومنهم ممن أدرك الإسلام جعفر بن عُبَيْة بن ربيعة بن الحارث بن عبد يغوث ، وكان شاعراً صعلوكاً أخذ فى دم نجس بالمدينة ثم قتل صبراً (وستأتى ترجمته فى باب إن المشددة فى أواخر الكتاب) .

قال الجاحظ فى البيان والتبيين^(١) : ليس فى الأرض أعجب من طرفة ابن العبد وعبد يغوث ، فإن قسنا جودة أشعارهما فى وقت إحاطة الموت بهما فلم تكن دون سائر أشعارهما فى حال الأمن والرفاهية .

وأما قصيدة مالك بن الرِّيب فى ثمانية وخمسون بيتاً ، وهى هذه^(٢) :
 ألا ليت شعرى هل أُبَيِّنَ ليلةً بجنب الغضى أَرْجِي القلاصَ النواجيا
 فليت الغضى لم يقطع الرِّيبَ عَرْضَهُ وليتَ الغضى مَأْشَى الرِّيبِ لِيَالِيا
 لقد كان فى أهل الغضى لودنا الغضى مَزَارُ وَلَكِنَّ الغضى ليس دانيا
 ألم ترنى بمت الضلالة بالمهدى وأصبحتُ فى جيش ابنِ عفانَ غازيا
 وأصبحت فى أرض الأعادى بُعيد ما أَرَانِي عَنْ أرضِ الأعادى قاصيا
 دعانى الهوى من أهل أودٍ وصحبتي بذى الطَّبَسَيْنِ فَالْتَفْتُ وَرَائِيا
 أجبتُ الهوى لَمَّا دعانى بِزَفْرَةٍ تَقَنَّعَتْ مِنْهَا ، أَنْ أُلَامَ ، رَدَائِيا
 أقول وقد حالت قُرَى الكُرْدِ دوننا : جَزَى اللهُ عَمراً خيراً ما كان جازيا
 إن الله يرجعنى من الغزوا لا أرى وَإِنْ قَلَّ مَالِي طَالِباً ما وَرَائِيا
 تقول ابنتى ، لما رأت طولَ رحلتى : سِفَارَكَ هَذَا تَارِكِي لا أَبِإِيا

(١) البيان والتبيين ٢ : ٢٦٨

(٢) انظر الأمالى ٣ : ١٣٥ والعقد ٣ : ٢٤٥ والعينى ٣ : ١٦٥ والسيوطى ٢١٥ وجمهرة أشعار العرب ١٤٣ ومعجم البلدان عند ذكر أسماء المواضع التى وردت فيها

لعمري ، لئن غالت خراسانُ هامتي
 فإن أنج من بابي خراسان لا أعد
 فله دري ، يوم أترك طائعا
 ودرُ الظباء السانحاتِ عشيةً
 ودرُ كبيرَي اللذينِ كلاهما
 ودرُ الرجالِ الشاهدينِ تفنكي
 ودرُ الهوى من حيث يدعو صحابه
 تذكرت من يبيكي على فلم أجد
 وأشقرَ محبوبك^(٢) يجرُ لجامه
 ولكن بأكناف السمنية نسوة
 صريعٌ على أيدي الرجال بقفرة
 ولما تراءت عند مرو منيتي
 أقول لأصحابي : ارفعوني فإنه
 فياصحبي رحلي ، دنا الموتُ فانزلا
 أقبا على اليوم أو بعض ليلة
 وقوما ، إذا ما استلَّ رُوحى ، فهبنا
 وخطا بأطراف الأستة مضجعى

لقد كنتُ عن بابي خراسان نائبا
 إليها ، وإن منيتموني الأمانيا
 بنى بأعلى الرقتين ، وماليا
 يخبرن ، أنى هالكٌ ، من وراثيا
 على شفيقٍ ناصحٍ لو نهانيا
 بأمرى ألا يقصروا من وثاقيا
 ودرُ لجاجاتي ودرُ انتهائيا^(١)
 سوى السيف والرحم الرديني با كيا
 إلى الماء لم يترك له الموت ساقيا
 عزيزٌ عليهنَّ العشية ما بيا
 يسوون لحدى حيث حم قضائيا
 وخل بها جسى وحانت وفاتيا
 يقرُ بعينى أن سهيلُ بدا ليا
 براية ، إني مقيمٌ لياليا
 ولا تعجلاني ، قد تبينَ شانيا
 لى السيدر والأكناف عند فنائيا
 وردا على عيني فضل ردايا

(١) الأمالى : « يدعو صحابتي » .

(٢) الأمالى : « محبوبكا » ، وكلاهما جائز فى العربية : أن تعطف

على لفظ المجرور بسوى ، أو على معناه . وفى الجمهرة : « وأشقر ختديد »

ولا تمسُداني ، بارك الله فيكما ، من الأرض ذات العَرَض أن تُوسعاليا
خُذاني فجزّاني يَرُدِّي إليك فقد كان قبلَ اليوم صعباً قِياديا
وقد كنتُ عَطافاً إذا الخيلُ أذبرتُ سريماً إلى الهيجا^(١) إلى مَنْ دعانيا
وقد كنتُ صَبَّاراً على القِرْنِ في الوغى

وعن شتّى ابنِ ألمّ ولجارَ وانيا
فطوراً تراني في ظلالٍ^(٢) ونعمةٍ ويوماً تراني والعناقُ رَكابيا
ويوماً تراني في رَحَى مستديرة تخرقُ أطرافُ الرِّماح ثِيابيا
وقوماً على بئر السَّيْنَةِ^(٣) أَسْمَا بها الغرُّ والبِيضَ والحسانَ الروانيا :
بأنكما خَلَفُمانِي بَقْفَرَةٍ تَهيلُ على الرِّيحِ فيها السَّوافيا
ولا تَنسِيا عَهْدِي خَلِيلِي بعدما تَقْطَعُ أوصالي وتَبْلِي عِظاميا
ولنْ يَعدَمَ الوالُونَ بشأَ يصيبهم ولنْ يَعدَمَ الميراثُ مِنِّي المواليا
يقولون : لا تَبْعُدْ ، وهم يَدْفِئُونَنِي ، وأينَ مكانُ البعدِ إلّا مَكانيا
غداة غدٍ يَلْهَفُ نَفْسِي على غَدٍ إذا أدْجَلُوا عَنِّي وأُصْبَحْتُ ثاويَا
وأُصْبَحَ مَالِي مِنْ طَرِيفٍ وتالِدَ لغيري ، وكان المَالُ بالأَمْسِ مالِيا
فِياليتَ شِعْري هل تَغَيَّرَتِ الرَّحَى رَحَى المَثَلِ^(٤) أو أُمِستُ بَفَلَجٍ كاهيا

(١) في الأمالى : « لدى الهيجا » ، وهو أوفق .

(٢) الأمالى : « في طلال » . وفي الجمهرة : « في ظلال ومجمع »

(٣) ط : « السنينية » ، صوابه في ش والأمالى . وفي الجمهرة :

« بئر الشبيك »

(٤) المثل بضم الميم كما نبه عليه البغدادى فيما يأتى ، وكما فى

القاموس . وضبطت فى الأمالى بكسرها كما فى ياقوت (رَحَى المثل) ولم

يصرح بنص فى ضبطها ، وكذا ضبطت فى اللسان (مثل) بالكسر .

إِذَا الْحَيَّ حَلَّوْهَا جَمِيعًا ، وَأَنْزَلُوا بِهَا بَقْرَ أَحْمَ الْعُيُونِ سَوَاجِيَا^(١)
وَعَيْنٍ وَقَدْ كَانَ الظَّلَامُ يُجْنِئُهَا يَسْفَنَ الْخُزَامِي مَرَّةً وَالْأَقَاحِيَا^(٢)
وَهَلْ أَتَرَكَ الْعَيْسَ الْعَبَالِي بِالضَحَى بَرُكْبَانِهَا تَعْلُو لِلتَّانِ الدِّيَافِيَا^(٣)
إِذَا عَصَبُ الرُّكْبَانِ بَيْنَ عُنْزِيَّة وَبَوْلَانٍ عَاجُوا الْمَبْقِيَاتِ النُّوَاجِيَا^(٤)
فِيَا لَيْتَ شِعْرِي ، هَلْ بَكَتْ أُمُّ مَالِكٍ كَمَا كُنْتُ لَوْ عَالُوا بَنَمِيكَ^(٥) يَا كِيَا
إِذَا مُتُّ فَاغْتَادِي الْقُبُورَ فَسَلِّ عَلَى الرَّمْسِ ، أُسْقِيتِ السَّحَابَ الْغَوَادِيَا
عَلَى جَدَثٍ قَدْ جَرَّتِ الرِّيحُ فَوْقَهُ تَرَابًا كَسَحَقِ الْمَرْنَبَانِي هَايِيَا
رَهِينَةَ أَحْجَارٍ وَتَرْبٍ تَضْمَنْتُ قَرَارَاتُهَا مَنِي الْعِظَامِ الْبَوَالِيَا
فِيَا صَاحِبِي ، إِمَّا عَرَضْتَ فَبَلَّغْنِ بَنِي مَازَنَ وَالرَّيْبَ أَنْ لَا تَلَاقِيَا^(٦)
وَعَطَّلُ قُلُوصِي فِي الرُّكَابِ فَأَيُّهَا سَتَفَلِقُ أَكْبَادًا وَتُبْكِي بَوَاكِيَا^(٧)

- (١) الأملی : « إذا الحی » . وفي الجمهرة : « إذا القوم » .
(٢) وعین ، کذا فی النسختين . وفي الأملی ویاقوت والجمهرة ،
« وعین » ، من الرعی . وفي الأملی ویاقوت : « کاد الظلام » . يسفن ،
من السوف ، وهو الشم . وفي الجمهرة : « نورها والأقاحیا »
(٣) فی الأملی : « العیس العوالی » . والديافیا ، لم يفسرها
البغدادي . وفي الأملی : « الفیافیا » ویاقوت : « القواقییا » ، وفي
الجمهرة :
وهل ترك العيس المراقيل بالضحي تعاليها تعلو المتون القياقا
(٤) الجمهرة : « المنقیات المهاریا » . وفي شرحها : « المنقیات :
السمان . والمهاری : جمع مهريّة » .
(٥) یاقوت فی (بولان) والأملی : « نعیك » .
(٦) الأملی : « فیا صاحبیا » ، والجمهرة : « فیاراکبیا » ، و « بنی
مالك » .

(٧) الأملی : « وعر قلوصى » . وفي الأغاني ١١ : ١٤٢ : « ستبرد
أكبادا » ، ونسبه الى جعفر بن غلبه الحارثي ثم قال : « وهذا البيت بعينه
يروى لمالك بن الربيع في قصيدته المشهورة التي يرثي بها نفسه » .
وقد روى في الجمهرة برواية الأغاني .

وأبصرت نَارَ المَازِنِيَّاتِ مَوْهِنًا بَعْلِيَاءُ يُنْتِنِ دُونَهَا الطَّرْفُ وَاِنِيَا (١)
يَعُودِي أَلْتَجُوجُ أَضَاءَ وَقُودُهَا مَهًا فِي ظِلَالِ السِّدْرِ حُورًا جَوَارِيَا (٢)
بَعِيدُ غَرِيبُ الدَّارِ ثَاوٍ بِقَفْرَةٍ يَدَ الدَّهْرِ ، مَعْرُوفًا بِأَن لَا تَدَانِيَا
أَقْلَبُ طَرَفِي حَوْلَ رَحْلِي فَلَا أَرَى يَهْ مِنْ عَيُونِ الْمُؤْنِسَاتِ مُرَاعِيَا
وَبِالرَّمْلِ مَتَا نَسُوهُ لَوْ شَهِدْتَنِي بَكِينَ وَفَدَّيْنِ الطَّيِّبَ لِلدَّوَايَا
وَمَا كَانَ عَهْدُ الرَّمْلِ عِنْدِي وَأَهْلِي ذَمِيًّا ، وَلَا وَدَّعْتُ بِالرَّمْلِ قَالِيَا (٣)
فَمَنْهُنَّ أُمِّي وَابْنَتَاهَا وَخَالَتِي وَبَاكِئَةٌ أُخْرَى تَهَيَّجُ الْبَوَاكِيَا (٤)

وهذا تفسير ما فيها على الإجمال :

الغضى : شجر ينبت في الرمل ، ولا يكون غضى إلا في رمل . وأزجى :
أسوق ، يقال أزجاء لإزجاء ، وزجاء تزجية . والنواجى : السراع . وقوله :
فليت الغضى لم يقطع الركب عرضه : أى لئنه طال عليهم الاسترواح إليه
والشوق . والركاب : الإبل ، جمع راحلة من غير لفظه . وقوله . وليت الغضى
ماشى الركاب أى ليت الغضى طاولهم . وقوله : لقد كان في أهل الغضى . الخ
يعنى بعث ما كنت فيه من الفتك في الضلالة ، بأن صرت في جيش سعيد بن

(١) البيت ساقط من الجهرة . وفى الأماي : « رانيا » ، وهو

الصواب

(٢) وكذا لم يرو هذا فى الجهرة . ط : « يعود » مفردا ، وأثبت
ما فى ش . وفى ط : « حواريا » ، وش : « جواريا » صوابه من الأماي
(٣) الجهرة : « ولا بالرمل ودعت » . وهذا البيت فى الجهرة
مؤخر عن تاليه هنا

(٤) وكذا فى الجهرة ويقوت . وفى الأماي : « أمى وابنتاي »
وقد ذكر ياقوت هذه القصيدة فى مواضع شتى من معجمه ، ومبدؤها
(خراسان) وهو ينسب فى كل موضع على الذى يليه حتى أتمها فى
(بولان) . وفى الأغاني ١٩ : ١٦٩ : « قال أبو عبيدة : الذى قاله ثلاثة
عشر بيتا ، والباقي منحول ولده الناس عليه » .

عثمان بن عفان . وقوله : دعاني الهوى .. الخ ، أود بضم الهمزة قال البكري : موضع ببلاد مازن .. وأنشد هذا البيت ؛ وقال : الطَّبَّسَانِ : كُورَتَانِ بخراسان . يقول : دعاني هواي وتشوقني من ذلك الموضع ، وأصحابي بالموضع الآخر .

٣٢٠

وقوله : أحببت الهوى .. الخ ، يقول : لما ذكرت ذلك الموضع استعبرت فاستحييت فتنعت بردائي ، لكي لا يرى ذلك مني .. قال الشاعر :

فكائن نرى في القوم من متنع على عبرة كادت بها العين تسفع

وقوله : لا أباليا ، قال القالي : روى « أبا » بالنون وبغير تنوين .

وقوله : لئن غالت خراسان هامت ، يريد . أهلكته هامت . وقوله : فله دري ، تعجب من نفسه كيف تغرب عن ولده وماله . قال ابن أحر :

بان الشباب وأفني ضعفه العمر لله دري ، فأى العيش أنتظر !

تعجب من نفسه ، أى عيش ينتظر . ويريد بالسناجات : الظباء صنعت له فطير منها . ووراء بمعنى قدام . وقوله : تفشكي ، يروى تفشكي بالنون ؛ يقال فنك في الشيء : إذا تهادى فيه ، قال الشاعر (١) :

ودع لميس وداع الصارم اللاحي إذ فنكت في فساد بعد إصلاح

وقوله : تذكرت من يبكي على .. الخ ، يقول : كنت أستمع السيف والرحم فهما لي خليلان ، وأنا هنا غريب فليس أحد يبكي علي غيرهما .

والحبوك : الفرس القوي . وقوله : ولكن بأكناف السنية ، بلفظ مصغر السمنة ؛ وهو موضع قريب من أود للذكور . ومرو : مدينة بخراسان .

(١) نسب في اللسان (فنك) الى عبيد بن الأبرص . والحق أنه لأوس بن حجر مطلع قصيدة في ديوانه ١٣ . وكثيرا ما تلتبس نسبة أبيات قصيدتيهما الى بيتين .

وقوله : وخلّ بها جسي : أى اختلّ واضطرب . وقوله : يقرّ بعيني أن سهيل بدا ليا ، يريد أن سهيلاً لا يرى بناحية خراسان ، فيقول : ارفعوني لعلّ أراه فتقرّ عيني ؛ لأنه يرى فى بلده .

وقوله : خطّاً : أى احفراً بالرماح . وقوله : فى رحيّ مستديرة ، الرحيّ : موضع الحرب ، ومستديرة : حيث يستدير القوم للقتال . وقوله : البيض الحسان الروانيا : أى النواظر ، جمع رانية ، والرّنو : النظر الدائم . والغرّ : البيض . والوالون : جمع وال . والموالى : بنو الم والأقربون . والبثّ : أشدّ الحزن . وقوله : رحيّ المثل ، هو بضم الميم وسكون للمثلة : موضع بفلج يقال له : رحيّ للمثل ؛ وفلج : موضع فى بلاد بنى مازن وهو فى طريق البصرة إلى مكة . وقوله : حلّوها : نزلوا بها . وأراد بالبقر النساء ، ويروى : « جمّ القرون » ، أى ليست لها قرون ، شبهها بالبقر . وسواجى : سواكن . والعين : بقر الوحش ، والأعين : ثوره . والنزائم ، بالقصر خيرى البرّ ، زهره أطيب الأزهار نفحة . والأفاحيّ : جمع أفعاء ، وهو جمع . والعيس : الإبل التى تضرب إلى البياض . والعبالى : جمع عبلى^(١) وهى الضخمة . والميتان : جمع متن ، وهو ما صلب من الأرض . وعُنيزة : قارة سوداء فى وادى بطن فلج . والمليقيات : التى تُبقى سيرها . والنواجى : التى تنجو سيرها أى تسرع . والمرّنبانيّ : كساء من خزّ ، ويقال : مطرّف من وبرّ الإبل . وهابياً : من هبا هبواً^(٢) .

وقوله : رهينة أحجار . . الخ ؛ أى فى القبر على التراب والحجارة . والقرارة : بطن الوادى حيث يستقرّ الماء ؛ وصيّره مثلاً للقبر وبطنه . وقوله :

(١) كذا . ولعل صوابها « عبلاء » مؤنث الأعبلى

(٢) ش : « هبا يهبو » .

يدَ الدهر ، يقال : يدَ الدهر ، ومدى الدهر ، وأبدَ الدهر ؛ وكلُّه واحد .

و (مالك بن الرِّيب) بفتح الراء وسكون المثناة التحتية ؛ هو من ملازن
تميم ، وكان لصاً يقطع الطريق مع شِظاظ الضبِّي الذي يُضرب به المثلُ فيقال :
« أَلصُّ من شِظاظ » .

مالك
ابن الريب

قال القالي في ذيل أماليه^(١) . « قال أبو عُبيدة : لما وَلَّى معاويةُ سَعِيدَ
ابن عثمان بن عفَّان خراسانَ ، سار فيمن معه فأخذ طريقَ فارس ؛ فلقبه بها
مالك بن الرِّيب بن حَوط بن قُرط بن حِسل بن ربيعة بن كابية^(٢) بن حُرْقوص
ابن ملازن بن مالك بن عمرو بن تميم — وأمه شهلة بنت سَنِيح بن الحُرِّ
ابن ربيعة بن كابية^(٣) بن حرقوص بن ملازن — قال : وكان مالك بن الرِّيب ،
فيما ذُكر ، من أَجْمَل العرب جمالاً وأَينهم بيانا . فلما رآه سعيد^(٤) أعجبه
(وقال أبو الحسن المدائني : بل كان مرَّ به سعيد بن عثمان بالبادية وهو منحدر
من المدينة يريد البصرة حين ولَّاه معاويةُ خراسان) ومالكُ في نَفَرٍ من
أصحابه . فقال له : ويحك يا مالك ؟ ما الذي يدعوك إلى ما يبلغني عنك من
السَّداء^(٥) وقطع الطريق ! قال : أصلح الله الأمير ! المعجز عن مكافأة
الإخوان . قال : فإنَّ أغنيئكَ واستصحبئكَ ، أتكفَّ عما تفعلُ وتتبعني ؟
قال : نعم ، أصلح الله الأمير ! أكفَّ كفاً ما كفَّ أحدٌ أحسنَ منه .
فاستصحبه وأجرى عليه خمسمائة دينار في كلِّ شهر ، وكان معه حتى قتل

٣٢١

(١) ط : « قاله القالي في ذيل أماليه » فيكون الكلام مرتبطاً بسابقه ،
وليس كذلك ، فان شِظاظاً لم يرد له في الأمالي ولا في ذيلها ذكر . وانما
المذكور هو الخبر التالي . انظر الأمالي ٣ : ١٣٥ . والكلام المتقدم
لابن قتيبة في الشعراء ٣١٢ .

(٢) في النسختين : « كابية » صوابه بتقديم الباء ، كما في الأمالي
والاشتقاق ٢٠٤ ومختلف القبائل ٣٦ .

(٣) ط : « سعد » ، صوابه في ش والأمالي .

(٤) السَّداء ، بالفتح : تجاوز الحد في الظلم .

بخراسان . قال : ومكث مالك بخراسان فمات هناك فقال يذكر مرضه وغربته .
وقال بعضهم ، بل مات في غزو سعيد ، طعن فسقط وهو بآخر رَمَق وقال
آخرون : بل مات في خان ، فرثه الجن^(١) لما رأت من غربته ووحدته ،
ووضعت الجن الصحيفة التي فيها القصيدة تحت رأسه . والله أعلم أى ذلك
[كان (٢)] ٥١ هـ .

قال ابن قتيبة : ومن شعره يهجو الحجاج (٣) :

فإن تنصفوا يا آل مروان تقرب إليكم وإلا فأذنوا ببعاد
فإن لنا عنكم مزاحا ونزحة (٤) يعيس إلى ريح الفلاة صوادي
فإذا عسى الحجاج يبلغ جهده إذا نحن جاوزنا حفير زياد
فلولا بنو مروان كان ابن يوسف كما كان - عبداً من عبيد إباد
زمان هو العبد المقر بذلة يراوح صيدان القرى ويقادى (٥)
وليس له عقب . ومما سبق إليه فأخذ عنه قوله :

العبد يُقرعُ بالعصا والحرّ يكفيه الوعيد (٦)

(١) في الأمل : « الجن » .

(٢) التكملة من ش والامل .

(٣) الشعراء ٣١٤ والكامل ٢٩٠ مع النسبة لمالك ، وفي الحماسة ٦٧٦ بشرح المرزوقي مع نسبتها الى الفرزدق . ومعجم البلدان بزيادة ونقص في (حفير زياد) ونسبها الى البرج بن خنزير التميمي ، وقال : « وكان الحجاج قد ألزمه البعث الى المهلب لقتال الأزارقة فهرب منه الى الشام » .

(٤) الشعراء : « ومزحلا » وفي الحماسة : « مزاحا ومذهبا » .

(٥) يقال ان الحجاج كان في صدر حياته معلما .

(٦) البيان ٣ : ٣٧

وقال آخر^(١) :

العبدُ يقرعُ بالعصا والحُرّ تكفيه المِلامة^(١)

وقال آخر^(٢) :

العبدُ يقرعُ بالعصا والحُرّ تكفيه الإشارة

* * *

توابغ المنادى

أُنشد فيه ، وهو الشاهد السادس عشر بعد المائة ، وهو من شواهد س^(٣) :

١١٦ (يا ذا المخوفنا بمقتل شيخه حُجْرٍ نَمَى صاحبِ الأحلامِ)

على أن (المخوفنا) نعت لاسم الإشارة الواقع المبني على ضمة ؛ وهو مضاف إلى ضمير المتكلم مع الغير إضافةً لفظيةً . قال ابن الشجري : « هذا سهو ، فإن الضمير في المخوفنا منصوب لا مجرور » . ويأتي بيانه في الشاهد السابع عشر^(٤) .

و (أل) موصولة بمعنى الذي . و (بمقتل) متعلق بالمخوف ، وهو مصدر

(١) هو يزيد بن مفرغ . البيان ٣ : ٣٧ وأمالى الزجاجي ٤٣ والأغاني ١٧ : ٥٤ .

(٢) هو الصلتان الفهمي . الحيوان ٥ : ٦٢ والبيان ٣ : ٣٧ .

(٣) سيبويه ١ : ٣٠٧ وأمالى ابن الشجري ٢ : ٣٢٠ وديوان عبيد بن الأبرص ٢٠ .

(٤) صوابه « العشرين » أي بعد المائة ، وبذلك صححها الشنقيطي في هامش نسخته ، كما نبه عليه أحمد تيمور .

٣٢٢

مضاف إلى مفعوله ، والفاعل محذوف . أى يائسنا بسبب قتلنا شيخه ؛
وأراد بشيخه : أباه . و (حَجَر) . بدل من شيخه أو عطف بيان له ، وهو
بضم الحاء وسكون الجيم : اسم والد امرئ القيس . وقوله (تَمَنَّى صَاحِبِ الْأَحْلَامِ)
منسوب على أنه مصدرٌ عامله محذوف ، أى تَمَنَيْتَ تَمَنَّى صَاحِبِ الْأَحْلَامِ ،
فإنك لا تقدير على الانتقام . والأحلام : جمع حُلُم بضمين ، وهو الرؤيا .

وهذا البيت لعبيد بن الأبرص الأسدي ، يخاطب به امرأ القيس
صاحب المعلقة المشهورة . وبعده :

لَا تَبْكِينَا سَفَهًا وَلَا سَادَاتِنَا وَاجْعَلْ بَكَاءَكَ لِابْنِ أُمِّ قَطَامٍ
وسبب قول عبيد هذا الشعر : أن قوم عبيد بن أسد قتلوا أبا امرئ
القيس حجرًا ، وهو ابن أم قطام (كما تقدم بيانه في الشاهد التاسع
والأربعين^(١)) فتوعدهم امرؤ القيس بقوله :

وَاللَّهِ لَا يَذْهَبُ شَيْخِي بَاطِلًا حَتَّى أُبَيِّدَ مَالَكَا وَكَاهِلَا !
(وهما حيَّان من بني أسد) . فقال له عبيد ذلك ؛ وجعل وعيده
كاذبًا وما تمنَّاهُ فيهم غير واقع ، كأضغاث أحلام ، وقال عبيد أيضا :
يَا إِذَا الْمَخُوفُنَا بَقِيَ لِي أَيْبُهُ إِذْ لَالَا وَحِينَا
أَزَعَمْتَ أَنْكَ قَدْ قَتَلْتَ سَرَاتِنَا كَذِبًا وَمِينَا
هَلَّا عَلَى حَجَرِ بْنِ أُمِّ قَطَامٍ تَبْكِي لَاعِلِينَا
إِنَّا إِذَا عَضَّ الثَّقَا فِ بَرَأْسِ صَعْدَتِنَا لَوِينَا
نَحْمِي حَقِيقَتَنَا وَبِهِ ضُ الْقَوْمِ يَسْقُطُ بَيْنَ بَيْنَا

هَلَا سَأَلْتَ جُمُوعَ كَذِبَةِ يَوْمٍ وَلَوْ : أَيْنَ أَيْنَا
 أَيَّامَ نَضْرِبُ هَامِهِمْ بِيَوَاتِرٍ حَتَّى انْحَنِينَا
 وَجُمُوعَ غَسَّانِ الْمَلُوكِ أَتَيْنَهُمْ وَقَدْ انْطَوَيْنَا^(١)
 نَحْنُ الْأَلَى ، فَاجْمَعُ جُمُوعَكَ نَمَّ وَجْهُهُمْ إِلَيْنَا
 وَاعْلَمْ بَأَنَّ جِيَادَنَا آلَيْنَ لَا يَقْضِينَ دِينَا
 وَلَقَدْ أَبْجَلْنَا مَا حَمَيْتَ ، وَلَا مَبِيحَ لِمَا حَمَيْنَا

وهذا نصف القصيدة .

وقوله : إِذْ لَأَلَّا ، مفعول ثانٍ للتخويف ، وهو مصدر أَذْلَهُ اللهُ ، متعدٍّ
 ذلَّ الرجلُ : إذا ضعف وهان . والْحَيْنُ بالفتح : الهلاك ، مصدر حَانَ . والسَّرَاةُ ؛
 بفتح السين : الأشراف ، جمع سَرَى ، وأصله سَرُوءٌ على وزن فَعُولٍ من
 السَّرَوِ ، وهو كَرَمٌ في مروءة . والمَيْنُ : مرادف للكذب . والثَّقَافُ ، بكسر
 المثلثة ، ما يسوتى به الرماح . والصَّعْدَةُ بالفتح ، قال في الصحاح : « هي
 القناة المستوية تنبت كذلك ، لا تحتاج إلى تثقيف » ، وقيل : الرمح القصير ،
 ولوى الرجل رأسه وألوى برأسه : أماله وأعرض . والحقيقة ما يحقُّ على
 الرجل أن يحميه كالأهل والولد والجار .

وقال في الصحاح : « هذا الشيء بينَ بينَ أى بينَ الجيد والردىء » .
 ثم أنشد هذا البيت وقال : « أى يتساقط ضعيفاً غير مُعْتَدٍّ به . وألف بينَ

(١) أتَيْنَهُمْ . يعنى الحيل وان لم يجر لها ذكر . انطوين : ضمرون .
 وفى النسختين : « أتَيْنَهُمْ » صوابه فى ديوان عبيد ٢٨ والأغاني ١٩ :
 ٨٥ ومختارات ابن الشجرى ٩٠ وفى حواشى المختارات : « يعنى الحيل
 انطوين من الضمرة » . وبعده فى الأغاني والمختارات :

لَحْمًا أَيَاظِلُنْ قَدْ عَالَجْنَ أَسْفَارًا وَأَيْنَا

٣٢٣

الثاني إشباع وبُديًا لتضمُّنهما لواو العطف^(١) . والبواتر : جمع باتر ، وهو السيف القاطع ، وكأنه لحظ في السيف معنى الحديدية أو آلة القطع فجمعه هذا الجمع ، يدلُّك عليه « انجحين » بضمير الإناث العائد إلى البواتر ، وأنه غلب عليه الاسمية .

والألى بمعنى الذين اسم موصول ، وحذفت الصلة لادعاء شهرتها ؛ أى نحن الذين عُرفوا بالشجاعة . والجياد : جمع جَوَاد ، وصفٌ من جاد الفرس : أى صار رائما ، يوجد جُودة بالضم فهو جَوَاد ؛ للذكر والأنثى . وآلين : أى حلفن ، من الآلية بمعنى اليمين .

(وعبيد) هو ، بفتح العين وكسر الموحدة ، ابن الأبرص بن عوف عبيد بن الأبرص ابن جُثَم بن عامر بن مالك بن زهير بن مالك بن الحارث بن سعد بن ثعلبة ابن دُودان بن أسد بن خزيمه بن مدركة بن إلياس بن مضر ، الأسدى الشاعر ، من فحول شعراء الجاهلية . جعله ابن سلام الجُمَحَى في الطبقة الرابعة من فحول الجاهلية ، وقرن به طرقة وعَلَمَة بن عبدة .

قال ابن قتيبة في كتاب الشعراء : عاش عبيدٌ هذا أكثرَ من ثلثمائة سنة . وقال أبو حاتم السجستاني في كتاب المعمرين : « عاش عبيد مائتي سنة وعشرين سنة . ويقال بل ثلثمائة سنة ، وقال في ذلك :

وَلَتَاتَيْنِ بَعْدَى قُرُونٍ جَمَّةٌ ترعى مخارم أيكَة ولدودا^(٢)
فالشمس طالعة ، وليلٌ كاسف ، والنجمُ يجرى أنحسًا وسُعودا

(١) في الصحاح : « وهما اسمان جعلتا اسمًا واحدًا وبنيًا على الفتح » .

(٢) ط : « محارم » صوابه بالخاء المعجمة كما في ش والمعمرين

حتى يقال لمن تعرقَ دهره : ياذا الزماتِ، هل رأيتَ عبدا
 مائتيَ زمانٍ كاملٍ ونَصِيَّةً^(١) عشرين عِشْتُ مَعْمَرًا مَحْمُودًا
 أدركتُ أوَّلَ مُلْكٍ نصرٍ ناشئا وبنساء شَدَّادٍ وكان أَيْدَا
 وطلبتُ ذا القَرَنَيْنِ حَتَّى فَاتَنِي رَكْضًا، وكدتُ بأن أرى داوُدا
 ما تَبْنِي من بعد هذا عِيشَةً إِلَّا الْخُلُودَ ! وَلَنْ تَنَالَ خُلُودًا
 وَلِيَفْنِيَنَّ هَذَا وَذَاكَ كِلَاهُمَا إِلَّا الْإِلَهَ وَوَجْهَهُ الْمَعْبُودَا
 وقال أيضًا :

فَنَيْتُ وَأَفْنَانِي الزَّمانَ وَأَصْبَحْتُ لِداثِي بَنُو نَعَشٍ وَزَهْرُ الْفِرَاقِدِ ، ا هـ
 وَمِنْ شِعْرِهِ :

تَذَكَّرْتُ أَهْلَ الْخَيْرِ وَالْبَاعِ وَالنَّدَى وَأَهْلَ عِتَاقِ الْخَيْلِ وَالْخَمْرِ وَالطِّيبِ
 فَأَصْبَحَ مِنِّي كُلُّ ذَلِكَ قَدْ خَلَا وَأَيُّ فِتَى فِي النَّاسِ لَيْسَ بِمَكْدُوبٍ !
 تَرَى الْمَرْءَ يَصْبُو لِلْحَيَاةِ وَطَيْبِهَا وَفِي طَوْلِ عَيْشِ الْمَرْءِ يَرْحُ بِتَعْذِيبِ
 وَمُضْمُونِ الْبَيْتِ الْأَخِيرِ مِمَّا تَدَاوَلَهُ النَّاسُ قَدِيمًا وَحَدِيثًا ، قَالَ بَعْضُ شُعَرَاءِ
 الْجَاهِلِيَّةِ :

كَانَتْ قَنَاتِي لَا تَكْلِينَ لِمَا مَرَّ فَأَلَاتَهَا الْإِضْبَاحُ وَالْإِمْسَاءُ^(٢)

(١) النصية : البقية . قال كعب بن مالك :

ثلاثة آلاف ونحن نصية ثلاث مئين ان كثرنا وأربع ط : « وبضعة » ش والمعمرين : « ونصيته » والوجه ما أثبت مطابقا للديوان ٨٢ .

(٢) هو عمرو بن قميئة كما في زهر الآداب ٢٢٣ وليس في ديوانه والبيت مع قرينه التالي بدون نسبة في الكامل ١٢٥ وعيون الأخبار ٢ : ٣٢٢ والعقد ٣ : ٥٨

وقال النير بن تولب الصحابي رضى الله عنه :

يودّ الفتى طولَ السلامة والبقا فكيف ترى طولَ السلامة يفعل^(١)!

وتبعه حميد بن ثور الهلالي، الصحابي أيضاً، رضى الله عنه :

أرى بصرى قد رابى بعد صحّة وحسبك داء أن تصح وتسلما^(٢)

وقال آخر :

ودعوت ربّي بالسلامة جاهداً ليصحبني ، فإذا السلامة داء^(٣)

وفي معناه قول الخيمي من المتأخرين :

إذا كان موتُ المرء إفناءً عُمره ففي موته من يوم يولد يُسرّعُ

وأحسن من هذا كله قوله عليه السلام : « كفى بالسلامة داءً » ، فإنه أبلغ وأوجز وألس وأرشق مما ذكر .

قال محمد بن حبيب ، في كتاب من قتل من الشعراء^(٤) : ومنهم عبّيد ابن الأبرص الأسدي ، وكان المنذر بن امرئ القيس اللخمي بن ماء السماء (وهو الذي يسمّى ذا القرنين ، وهو جدّ النعمان بن المنذر) له يوم يؤس ويوم نعيم ،

(١) البيان ١ : ١٥٤ والحيوان ٦ : ٥٠٣ والمعمرين ٦٣ والأغاني ١٩ : ١٥٩ .

(٢) البيان ١ : ١٥٤ والحيوان ٦ : ٥٠٣ وزهر الآداب ٢٢٣ والعقد ٣ : ٥٧ وديوان حميد ٧ .

(٣) هذا البيت قرين البيت الهمزي السابق ، كما في الكامل وعيون الأخبار وزهر الآداب .

(٤) أسماء المقتالين في نوادر المخطوطات ٢ : ٢١١ . والنص هنا أضفى مما في أسماء المقتالين .

وكان يقتل أول من رأى في يوم يؤسه ؛ فخرج للنذر في يوم يؤسه فلقى عبيداً ابن الأبرص فقال له : هلاً كان المذبح غيرك يا عبيد ! فقال « أتنتك بمحاني رجاله ! » وأرسله مثلاً ؛ فقال له : أنشدنا يا عبيد ؛ فقال : « حال الجريض دون القريض ؛ وبلغ الحزام الطبيين » وأرسلهما مثلاً ؛ فقال له أنشدني ؛ فقال : « المنايا على الحوايا ! » وأرسله مثلاً ؛ فقال بعض القوم : أنشد الملك ، هبكتك أمك ! فقال : « وما قول قاتل مقتول ؟ وأرسله مثلاً ؛ وقال آخر : ما أشد جزعك بالموت ! فقال « لا يرحلن رحلك من ليس ملك ! » وأرسله مثلاً ؛ فقال الملك : قد أملتني فأرحني قبل أن أمر بك ! فقال عبيد : « من عزبزه » ، وأرسله مثلاً ؛ فقال الملك : أنشدنا قولك :

* أقفر من أهله مَلحوبٌ *

فأنشده :

أقفر من أهله عبيدُ فاليوم لا يُبدي ولا يُعيدُ

(وأنشد هذا البيت صاحبُ الكشف عند قوله تعالى : « قُلْ جاء الحقُ وما يُبدى الباطلُ وما يُعيد^(١) » على أن هذه الكلمة قد صارت مثلاً في الهلاك ، من غير نظر إلى مفرداتها ؛ وهو في الأصل كناية ، لأن الهالك لم يبق له إيداء ولا إعادة ، كما يقال : لا يأكل ولا يشرب ، أي مات) . فقال له الملك : وينحك يا عبيد ! أنشدني قبل أن أذبحك ! فقال عبيد : والله إن مُت ما ضررتني ! فقال له : لا بد من الموت ، فاختر : إن شئت من الأكحل ، وإن شئت من الأجل ، وإن شئت من الوريد : فقال عبيد :

(١) الآية ٤٩ من سورة سبأ .

ثلاثُ خِصَالٍ كَسَحَابَاتِ عَادَ ، وَارْدُهَا شَرُّ وَرَّادٌ^(١) وَحَادِيهَا شَرُّ حَادَ ،
وَمَعَادُهَا شَرُّ مَعَادَ ، وَلَا خَيْرَ فِيهَا لِمُرْتَادَ ، فَإِنْ كُنْتَ لَا بَدًّا قَاتِلِي فَاسْقِنِي الْحَمْرَ ،
حَتَّى إِذَا ذَهَلَتْ مِنْهَا ذَوَاهِلِي ، وَمَاتَتْ لَهَا مَفَاصِلِي فَشَأْنُكَ وَمَا تَرِيدَ . ففعل به
مَا أَرَادَ ، فَلَمَّا طَابَتْ نَفْسُهُ وَدَعَا بِهِ لِيَقْتُلَهُ أَنْشَأَ يَقُولُ :

وَخَيْرَنِي ذُو الْبُؤْسِ فِي يَوْمِ بُؤْسِهِ خِصَالًا أَرَى فِي كُلِّهَا الْمَوْتَ قَدِ بَرَقَ
كَمَا خَيْرْتُ عَادُ مِنْ الدَّهْرِ مَرَّةً سَحَابَ مَا فِيهَا لَدَى خَيْرَةٍ أَنْقَ^(٢)
سَحَابَ رِيحٍ لَمْ تَوَكَّلْ بِلِيلَةٍ فَتَرَكَهَا إِلَّا كَمَا لَيْلَةُ الطَّلَقِ

* * *

وَأَنشَدَ بَعْدَهُ لِرُؤْيَا ، وَهُوَ الشَّاهِدُ السَّابِعُ عَشَرَ بَعْدَ الْمِائَةِ ، وَهُوَ مِنْ
شَوَاهِدِ س^(٣) :

٣٢٥ ١١٧ (إِنِّي وَأَسْطَارٌ سَطِرُنَ سَطْرًا لِقَائِلُ : يَانْصُرُ نَصْرًا نَصْرًا)
عَلَى أَنْ التَّوَكُّدَ اللَّفْظِيَّ فِي النَّدَاءِ حُكْمُهُ فِي الْأَغْلَبِ حُكْمُ الْأَوَّلِ ، وَقَدْ
يَجُوزُ إِعْرَابُهُ رَفْعًا وَنَصْبًا ، فَنَصْرُ الثَّانِي رَفْعٌ إِتْبَاعًا لِلْفِعْلِ الْأَوَّلِ ، وَالثَّلَاثُ
نَصْبٌ إِتْبَاعًا لِلْحُلِّ الْأَوَّلِ .

(١) فِي النِّسَخَتَيْنِ : « وَارِدَ » ، صَوَابُهُ « وَرَادَ » ، كَمَا يَقْتَضِيهِ

السَّجْعُ ، مُطَابِقًا لِمَا فِي الْأَغَانِي ١٩ : ٨٧ وَمَعْجَمِ الْبُلْدَانِ (الْغُرَيَّانِ) .
وَفِي سَمَطِ اللَّأَلِ ٨٤٥ :

خَيْرَتْنِي بَيْنَ سَحَابَاتِ عَادَ أَرَدْتُ مِنْ ذَلِكَ شَرَّ الْمَرَادِ
وَالشَّطْرَ الْأَوَّلَ مِنْ هَذَا الَّذِي يُوْهِمُ أَنَّهُ شَعْرٌ ، فِي طَرَاذِ الْمَجَالِسِ ١٢٠ .

(٢) هَذَا مَا فِي طِ وَالْأَغَانِي ١٩ : ٨٧ . وَفِي ش : « لَدَى الْمَوْتِ قَدْ

بَرَقَ » ، وَهُوَ سَهْوٌ مِنَ النَّاسِخِ .

(٣) سَبِيحِيَّةُ ١ : ٣٠٤ وَالْعَيْنِيُّ ٤ : ١١٦ وَابْنُ يَعِيشَ ٢ : ٣/٣ :

٧٢ وَالْخَصَائِصُ ١ : ٣٤٠ وَشَرَحَ شَوَاهِدَ الْمَغْنَى لِلْسَّيْوُطِيِّ ٢٧٤ وَهَمَعَ

الْهُوَامِ ١ : ٢/٢٤٧ : ١٢١ وَمُلْحَقَاتُ دِيْوَانِ رُؤْيَا ١٧٤ .

وضَعَفَ الشارح المحقق البدلَ والبيانَ في مثله وقال : « لأنهما يفيدان ما لا يفيدُهُ الأولُ من غير معنى التأكيد ، والثانى فيما نحن فيه لا يفيدُ إلا التأكيد » .
ومَنَعَ أبو حيان كونه من التأكيد اللفظيَّ أو البدل ، وحَصَرَهُ في البيان فقال : « لا يجوز أن يكون نصر الثانى توكيداً لفظياً . قيل : لتنوينه والأول ليس كذلك ؛ وردَّ بأن هذا القدر من الاختلاف مغتفرٌ في التأكيد اللفظيَّ .
وقيل : للاختلاف في التعريف : فإِذَا نصرُ عُرِفَ بالإقبال عليه لا بالعلمية ، والثانى معرَّفٌ بالعلمية ، فكما لا يجوز جعلُ الثانى فى : جاء الغلامُ غلامُ زيد ، تأكيذاً لفظياً لاختلافهما في التعريف ، فكذلك هذا . ولا يجوز أن يكون بدلاً لأنه منوّن ، ولا نعتاً لأنه علم » اهـ .

وفيه نظر . فإن اتحاد جهة التعريف في التأكيد غير مسلمة ، بل يكفي اختلافها .

ثم قال أبو حيان : « ولا يجوز أن يكون مرفوعاً على أنه خبر مبتدأ مضمّر ، ولا نصبه على إضمار فعل ؛ لأن هذا النوع من القطع إنما تكلمت به العرب إذا قصدتَ البيانَ أو المدحَ أو الذمَّ أو الترحمَ ، ونصر لا يفهم منه شيء من ذلك » اهـ .

وفيه أنه يصحَّ نصبه على المدح بدليل ما بعده ، وهو :

(بَلِّغْكَ اللهُ ؛ فَبَلِّغْ نصرًا نصرَ بنِ سيارٍ يُرِينِي وَفراً)

فإنه روى أن نصرًا في البيت الأول ، وهو صاحبُ نصرِ بنِ سيار ، منعه من الدخول إلى نصر بن سيار وهو أمير خراسان في الدولة الأموية ، فتلطَّفَ به وأقسم له بأنه يدعو له ، وطلب منه المعونة .

وقول خضر الموصلى ، شارح شواهد التفسيرين : بأنه يجوز نصبه

على الذم ، لأن الحاجب منعه من الدخول إلى الأمير ، غفلة عن البيت الثاني .
وروى نصبه أيضاً : إما لما ذكرنا ، وإما للإتباع على محل الأول ،
وإما لأنه مصدرٌ بدلٌ من فعل الأمر أى انصرنى — وقال بدر الدين فى شرح
الخلاصة : يجوز كونه مصدرًا دعائيًا كسقيًا ورعيًا — فيكون نصر الثالث
تأكيدًا على الوجوه الثلاثة .

وروى الجرمى عن أبى عبيدة أن النصر : العطية ، يريد : يا نصر عطيةً
عطيةً . ويردّه رواية الرفع . وزعم أبو عبيدة أيضاً : أن نصرًا الثانى هو
حاجبُ نصر بن سيار ، والأوّل هو ابن سيار ، فنصبه على الإغراء ،
أى يا نصر عليك نصرًا . ويردّه شيثان : رواية الرفع ، والدعاء ؛ وفيه أيضاً
غفلة عن البيت الثانى .

وروى فى (نصر) الثانى أيضاً ضمّه بلا تنوين كالأول ، على أنه توكيد
لفظي له تبعه فى البناء . وروى صاحب اللباب فيه وجهًا رابعًا : وهو جرّه مع
نصب الأول ؛ قال شارحه الفالى^(١) : « فيكون المضاف إليه على هذا جنسًا ،
كما تقول : طلحة الخير ، وحاتم الجود . والتذكير للتفخيم » .

وملخص ما ذكرنا : أن نصرًا الأوّل روى فيه وجهان : ضمّه ونصبه ؛
والثانى روى فيه أربعة أوجه : ضمّه ورفعه ونصبه وجرّه ؛ والثالث روى فيه
وجه واحد وهو النصب .

(١) الفالى ، بالفاء : نسبة الى فالة ، بلدة قريبة من أيدج من بلاد
خوزستان وهو محمد بن سعيد بن محمد بن أبى الفتح السيرافى ، قال
السيوطى فى البغية : « صاحب شرح اللباب ، لم أعثر له على ترجمة »
وسمى فى اقليد الخزانة « اسماعيل الفالى » قال الميمنى : « منه نسخة
كتبت سنة ٧٧٥ هـ بحيدر آباد . ويوجد كثير من نسخه بالهند » .

واعلم أن الصاغانيّ قال في العباب ، وتبعه صاحب القاموس : أن اسم الحاجب إنما هو « نصر » بالضاد المعجمة ، وأن الثلاثة في البيت الأول بالإعجام ، وإهمال الصاد تصحيف ؛ وأما نصر في البيت الثاني فهو بالإهمال لا غير . وكذا قال ابن يسعون : رأيت في عرض كتاب أبي إسحاق الزجاج بخطّ يده وهو أصله الذي قرأ فيه على أبي العباس : نصر الذي هو الحاجب بالضاد معجمة .

وأنشده سيديوه بنصب نصر الثاني ؛ قال الأعلم : الشاهد فيه نصبه نصرّاً نصرّاً ، حملاً على موضع الأول ، ولو رفع حملاً على لفظ الأول لجاز .

قال النحاس : وقد خولف في هذا : فقال الأصمعيّ : النصر : المعونة ؛ فهو على هذا منصوب على المصدر كأنه قال : عوناً عوناً .

وقوله : (لقائل) خبر إن . وجملة القسم أعني قوله : (وأسطار .. الخ) اعتراض بين اسم إن وخبرها ، والواو للقسم ، أي وحق أسطار المصحف ، وهو جمع سطر جمع قلة كأسطر ، وفي الكثرة : سطار وسُطور ، ويجمع أسطار على أساطير .

واستشهد صاحب الكشف بهذا البيت عند قوله تعالى : ﴿ إن هذا إلا أساطير الأولين ﴾^(١) على أن أساطير جمع أسطار بفتح الهمزة جمع سطر .. وجملة (سطرُن) بالبناء للمفعول صفة لأسطار . و (سطرّاً) مفعول مطلق . وقوله (يا نصر) إلى قوله (بلفك الله) مقول القول . وبلغ بالتشديد متعد إلى مفعولين ثانيهما محذوف أي مرادك ؛ وثلاثيته متعد إلى واحد ، يقال

(١) من الآية ٢٥ من الأنعام و ٣١ من الأنفال .

بلغت المنزل : إذا وصلته . وبلغ : فعل أمر ومنفعله الأول محذوف :
 أى أرجوزتى ومديحى ونحوها . و (نصر) الثانى عطف بيان للأول .
 و (يثبنى) مجزوم فى جواب بلغ ، يقال : أثابه الله أى جزاه وأعطاه .
 و (الوفى) المال الكثير .

وترجمة رؤبة تقدمت فى الشاهد الخامس^(١) . والعجب من الصاغاني حيث
 ردّ على سيبويه فى أن هذا الشاهد ليس لرؤبة ولم يبين قائله .

وأما (نصر بن سيار) فقد كان أمير خراسان فى الدولة الأموية ؛ وكان نصر بن سيار
 أول من ولّاه هشام بن عبد الملك . وكانت إقامته فى مرو ، إلى أن جاء
 أبو مسلم الخراساني إلى مرو وأرسل إلى نصر يدعوه إلى كتاب الله وسنة
 رسوله و « الرضا » من آل محمد صلى الله عليه وسلم . فلما رأى نصر ما مع
 أبي مسلم من البجائية والربيعة والمجمل ، وأنه لا طاقة له بهم ، أظهر قبول ما أثناه
 به وأنه يأتيه ويبايعه ، واستمهلهم ؛ ثم هرب نصر إلى سرخس ، واجتمع عليه
 ثلاثة آلاف رجل ، ثم سار نصر فنزل جوار الرى وكتب ابن هبيرة
 يستمده ، وهو بواسط ، وقال له : أمدنى بعشرة آلاف قبل أن تمدنى بمائة
 ألف ثم لا تغنى شيئا . فحبس ابن هبيرة رأسه وتباطأ ، فأرسل نصر إلى مروان
 ابن محمد يعلمه ما فعل ابن هبيرة . فكتب مروان إلى ابن هبيرة يأمره أن
 يمدّه . فجهز ابن هبيرة جيشا كثيفا أمر عليهم « ابن عطف » إلى نصر .
 ولما قديم نصر إلى الرى أقام بها يومين ثم مرض ، فحمل إلى ساوة فمات بها
 لاثنتي عشرة ليلة مضت من ربيع الأول من سنة إحدى وثلاثين ومائة ، وعمره
 خمس وثمانون سنة .

وهذه نسبته من الجمهرة : نصر بن سيار بن رافع بن حرّى (بفتح الحاء وكسر الراء المشددة المهملتين) ابن ربيعة بن عامر بن هلال بن عوف بن جندع بن ليث ؛ وينتهى نسبه إلى مدركة بن إلياس بن مضر .

* * *

وأُشَدَّ بعده ، وهو الشاهد الثامن عشر بعد المائة (١) :

١١٨ (علا زيدنا يومَ النِّقا رَأْسَ زَيْدِكُمْ
بأَبْيَضَ ماضى الشَّفَرَتَيْنِ يَمَانِ)

٣٢٧

على أن العلم إذا وقع فيه اشتراك لفظى جاز إضافته للتعين .

والعلمية قد ذهبت بالإضافة كما يأتى بيانه بعد هذا .

وأورده ابن عقيل فى شرح الألفية على أن (٢) الإضافة من قبيل إضافة الموصوف إلى القائم مقام الوصف ، أى علا زيد صاحبنا رأس زيد صاحبكم ، فحذف الصفتان وجعل الموصوف خلفا عنهما فى الإضافة .

و (النِّقا) بالقصر : الكنيت من الرمل ؛ والتعريف للعهد . وأراد باليوم الوقعة والحرب التى كانت عند النقا ، وهذا معنى قولهم : « أيام العرب » . و (الأبيض) السيف ، والماضى : النافذ بالقطع . و (الشِّفرة) بفتح الشين : حدّ السيف ؛ وثناه باعتبار وجبيه .

ورواه المبرّد فى الكامل بتغيير بعض ألفاظه مع بيت آخر وأورده فى أول الثلث الثالث منه فى باب هذه ترجمته : « بابُ يجمع فيه طرائفُ من

(١) سيأتى أيضا فى ٢ : ٣/١٦١ : ٢٥٢ . وانظر العينى ٣ : ٣٧١ وابن يعيش ١ : ٤٤ وشرح شواهد المغنى للسيوطى ٦٠ والكامل ٥٢٤ وزهر الآداب .

(٢) ط : « من أن » ، صوابه فى ش .

حسن الكلام وجيّد الشعر وسائر الأمثال ومأثور الأخبار » ثم قال :
 « وقال رجل من طيء — وكان رجل منهم يقال له زيد ، من ولد عروة بن
 زيد الخليل ، قتل رجلاً من بني أسد يقال له زيد ، ثم أُقيدَ به بعدُ — :
 علازيدُنا يوم الحمى رأسَ زيدِكم بأبيض مشحوذ الغرار يمانٍ
 فإن تَقْتُلُوا زيداً يزيد فأنما أَقَادكم السلطانُ بعد زمان . ١٥
 ومثله في أواخر زهر الآداب للحصريّ قال : « قال (١) رجل من طيء
 — وكان رجل منهم يقال له زيد من ولد عروة بن زيد الخليل قتل رجلاً [اسمه
 زيد (٢)] فأقاد منه (٣) السلطان — فقال يفتخر على الأسديين . . » وأنشد
 البيهقي رواية المبرد . . ولم أر من رواه : « يوم النقا (٤) » وظهر بهذا أنه
 شعر إسلامي . فإن زيد الخليل من الصحابة رضى الله عنهم .

والمشحوذ : مفعول من شحذت السيف أشحذه شحذاً من باب منع
 أى حدته ؛ والمشحذة بالكسر : المسنّ ، والتشحيد : جعل الشيء حاداً .
 والغرار بكسر الغين المعجمة ، قال في الصحاح « والغراران . شقراً السيف ؛
 وكلّ شيء له حدّ فحدّه غراره » . وقوله : أقادكم السلطان ، أى مكّكم من
 قتله قوداً (٥) ويقال أقاد السلطانُ القاتلَ بالقتيل : قتله به قوداً .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع عشر بعد المائة (٦) :

- (١) ط : « كان » ، صوابه فى ش وزهر الآداب
 (٢) التكملة من زهر الآداب
 (٣) ط : « عنه » صوابه فى ش وزهر الآداب
 (٤) سيأتى قريباً ان ابن جنى روى : « يوم النقا » ، فى الشاهد
 التالى . وكذا فى روايات الكامل وابن يعيش .
 (٥) ط : « أى كفكم عن قتله قوداً » ، وهو عكس المعنى المراد ،
 صوابه فى ش مع أثر تصحيح فى « مكّنكم » فقط .
 (٦) انظر أيضاً الخزانة ٣ : ٢٥٢ والعينى ١ : ٢١٨ ، ٥٠٩ وابن
 بهيقي ١ : ٤٤ والانصاف ١٩٨ وشرح شواهد الشافعية للبغدادى ١٢
 (١٥) خزنة الأدب ج ٢

١١٩) رأيتُ الوليدَ بنَ اليزيدِ مبارَكًا

شديدًا بأحناءِ الخِلافةِ كاهلهُ (

على أن العلمَ إذا وقع فيه اشتراكٌ اتفاقٌ جاز تعريفه باللام . يعنى :
ويزول تعريف العلمية بأن ينكر ثم يعرف باللام .

قال ابن جنى فى سرِّ الصناعة — ومن خطه قلت — : واعلم أن
قولك : جاءنى الزيدان ، ليس تنبيه زيدٍ هذا العلم المعروف ؛ وذلك أن المعرفة
لا يصحّ تنبيهها فلا تصحّ إلّا فى النكرات ؛ فلم تكن زيدا حتّى سلبته تعريفه
فجرى مجرى رجل و فرس ، وحينئذ لم يستنكر دخول لام المعرفة . وقد جاء
فى الشعر منه ، قال ابن ميادة : (وجدنا الوليد بن اليزيد) يريد : يزيد .
ومما يؤكد جوازَ خلع التعريف قوله :

* علازيدُنا يوم النقا رأسَ زيدكم *

فإضافة الإسم تدلّ على أنه قد كان خلع عنه ما كان فيه من تعرفه ، وكساه
التعريف بإضافته إياه إلى الضمير ، فجرى فى تعريفه بجرى أخيك وصاحبك ؛
وليس بمنزلة زيد ، إذا أردتَ العلم ، وعلى هذا : لو سألت عن زيد عمرو
فى قول من قال : رأيت زيدَ عمرو ، لما جازت الحكاية ولكن بالرفع
لا غيراه ملخصاً .

٢٢٨

و (اللام) فى الوليد للمح الأصل ؛ قال بعضهم : نكتة إدخالها فى اليزيد
الإنابة للوليد . واستشهد به ابن هشام فى شرح الألفية على أن ما لا ينصرف
إذا دخلته أل ، ولو كانت زائدة ، صُرف كما فى اليزيد . فجعلها زائدة لا معرفة .
و (رأيت) هنا علمية . و (مباركا) هو المفعول الثانى . و (شديدًا) من
تعدّد المفعول الثانى ، لأن جزأى باب علم أصلهما المبتدأ والخبر ، والخبر قد

يتعدد . . وإن كانت بَصْرِيَّةً فبَارَكاً حال من مفعولها — وشديداً تعدد من تعدد الحال أو من ضمير مباركا ، فهي حال متداخلة ؛ والوجه الأول ، ويؤيده : أنه روى : (وَجَدْتُ) بدل رأيت . و (الوليد) هو ابن يزيد بن عبد الملك بن مروان الأموي . وشديداً صفة مشبهة يعمل عمل فعله : و (كاهله) فاعله . وزعم السيوطي أن فعلاً أعمل لاعتقاده على ذى خبر ، وفيه الفصل بينه وبين مرفوعه بالجاء والمجرور . انتهى فتأمل . و (الأحناء) : جمع حنو بالكسر ، وهو الجانب والجهة ، وقيل : هو هنا بمعنى السرج والقتب ؛ كني به عن أمور الخلافة الشاقة . و (الكاهل) ما بين الكتفين . ورؤى (بأعباء الخلافة) جمع عبء ، وهو كالحمل لفظاً ومعنى . وقال العيني : شبهه بالجل المحمل ، وشبه الخلافة بالقتب : وأراد كأنه يحمل شدائد أمور الخلافة .

وهذا البيت من قصيدة لامية ، لابن ميادة يمدح بها الوليد المذكور ، أبيات الشاهد وليس هو أول القصيدة كما زعم العيني ؛ بل هو أول المديح ؛ وقبله :

(هَمْتُ بِقَوْلٍ صَادِقٍ أَنْ أَقُولَهُ . وَإِنِّي عَلَى رَغْمِ الْعَدُوِّ لِقَائِهِ)

وبعده :

(أَضَاءَ سِرَاجُ الْمُلْكِ فَوْقَ جَبِينِهِ غَدَاةَ تَنَاجَىٍ بِالنَّجَاحِ قَوَائِلُهُ)

وهذا كقول الشاعر :

فِي الْمَهْدِ يَنْطِقُ عَنْ سَمَاعَةِ جَدِّهِ أَرُ السَّيَادَةِ سَاطِعَ الْبُرْهَانِ

وأول القصيدة :

(أَلَا تَسْأَلُ الرَّبْعَ الَّذِي لَيْسَ نَاطِقًا وَإِنِّي عَلَى أَنْ لَا يُبَيِّنَ لَسَائِلُهُ)

أى إنى مع عدم إبانته لسائله .

وترجمة ابن ميادة تقدّمت في الشاهد التاسع عشر^(١).

الوليد بن يزيد (الوليد بن يزيد) بويغ سنة خمسٍ وعشرين ومائة بعد موت عمّه هشام ابن عبد الملك . وقُتل الوليد في سنة ستٍ وعشرين ، لأنه رمى بالكُفر وغشيان أمّهات أولاد أبيه . وكان منهمكا في اللهو وشرب الخمر وسماع الغناء . ومما اشتهر عنه : أنه استفتح المصحفَ الكريمَ فخرج له قوله تعالى : (واستفتحوا وخاب كلُّ جبارٍ عنيد^(٢)) ، فألقاه ونصبه غرضاً ورماء بالسَّهام ، وقال :

هَدَّذْنِي بِجَبَّارٍ عَنِيدٍ فها أنا ذاك جبارٌ عَنِيدٍ
إِذَا مَا جِئْتَ رَبِّكَ يَوْمَ حَشْرِ فَقُلْ يَا رَبُّ مَزَّقْنِي الْوَلِيدُ

فلم يلبث بعد ذلك إلا يسيراً حتى قُتل^(٣) كذا في تاريخ الثويرة وغيره . وقُطع رأسُ الوليد ونصب على رُحْ وطيفَ به دِمَشْقُ ، ثم دُفع إلى أخيه سليمان بن يزيد ، فلما نظر إليه سليمان قال : بُعداً له ! أشهد أنه كان شرّوباً للخمر ماجناً فاسقاً ؛ ولقد أرادني على نفسي — وكان سليمان هذا ممن سعى في خله — وكان عمرُ الوليد حينئذ اثنتين وأربعين سنة ، وقيل ثمانى وثلاثين ، وقيل غير هذا . وكانت مدة « سلطنته » سنة وشهرين واثنين وعشرين يوماً .

٣٢٩

* * *

(١) الجزء الأول ص ١٦٠ وما بعدها .

(٢) الآية ١٥ من سورة ابراهيم .

(٣) انظر أمالي المرتضى ١ : ١٣٠ حيث أورد القصة والشعر .

وأيضاً رسالة الغفران ٣٧٨ - ٣٨٠ وترجمته في الأغاني ٦ : ٩٨ حيث أوردنا طرفاً من شعره الجيـث

وأُشَدُّ بعده ، وهو الشاهد العشرون بعد المائة ، وهو من شواهد س (١) :

١٢٠ (يَا صَاحِرْ يَا ذَا الضَامِرِ الْعَنَسِ)

على أن (الضامر العنس) و (المخوفنا) تركيبان إضافيان قد وقعا صفتين للمنادى الذى هو اسم إشارة ، وصفة المنادى إذا كانت مضافةً وجب نصبها فكيف رُفِعَتْ إِتِّبَاعاً للمنادى المفرد ؟

وهذا إشكاله ظاهر .. ونقل الشارح لحله جوابين ، من الإيضاح لابن الحاجب :

أحدهما : أن أَل فى الضامر وفى المخوفنا موصولة ، وهو الواقع صفة : أى الذى ضَمَرْتُ عَنَسُهُ والذى خَوَّفْنَا ، والإعراب فى الحقيقة للموصول ، لكن لما كان على صورة الحرف نُقِلَ إعرابه إلى صلته عارِيةً .

ثانيهما : أن الضامر العنس والمخوفنا صفتان لصفة اسم الإشارة ، أى إذا الرجل الضامر العنس وإذا الرجل المخوفنا ؛ وإنما قُدِّرَ هذا : لأن صفة اسم الإشارة لا تكون إلا مفردة ، وإعراب الرجل رَفَعٌ ، فيجب رفع وصفه بالتبعية له ..

وهذا محصل كلامه ؛ ويفهم من هذين الجوابين : أنه لم يُجْزَ نصبه ، وهو مخالف لما نقله القالى (٢) فى شرح اللباب قال : « جَوَزُوا فى نحو :

(١) سيبويه ١ : ٣٠٦ . وانظر مجالس ثعلب ٣٣٣ ، ٥١٣ وأمالى ابن الشجرى ٢ : ٣٢ ، ٣٢٢ والحصائص ٣ : ٣٠٢ ومجالس العلماء ١١١ والأغانى ١٥ : ١٣

(٢) فى النسختين : « القالى » ، وقد نبهت على صوابه فى حواشى ص ٢٢١ وسيتكرر هذا الخطأ فى الأصل ، فاكتفيت بتكرار التنبيه عليه هنا .

* يا صاح يا ذا الضامر المنس *

نصّب الضامر ورفعته ، كما لو قلت : يا ذا الضامر ، رفعا ونصباً . وكون الوصف في المخوفنا مضافاً إلى الضمير كإضافة الضامر إلى المنس وقع مثله للسيرافي ، قال ابن الشجري في أماليه : الثاني صحيح لأن الضامر غير متعدّ والاسم الذي بعده فيه أل . وكون المخوف مثله سهو ، لأنه متعدّ وليس بعده اسم فيه أل ، وأنت لا تقول المخوف زيد ؛ فالضمير في المخوفنا منصوب لا مجرور . اهـ

وهذه المسألة غير متفق عليها فإنّ الرماني ، والمبرد في أحد قوليه ، والزحشرى قد ذهبوا لما قاله السيرافي . كما قله الشارح المحقق في باب الإضافة ؛ فلا ينبغي الحكم بالسهو على مثل الإمام السيرافي .
وأشدّ سيئويه هذا المصراع يرفع الضامر على أن ذا اسم إشارة .. وأورد عليه أنه لا يستقيم ، لأن ما بعده :

(والرّحل والأقتاب والجلس)

فإن الثلاثة معطوفة على المنس ، وهي لا توصف بالضمور^(١) . فالصواب إنشاده بالجرّ على أن « ذا » بمعنى صاحب كما أنشده الكوفيون .
قال أبو جعفر النحاس : أنشده من وشبهه بقولك : يا ذا الحسن الوجه .
قال أبو إسحاق : وهذا غلط عند جميع النحويين ؛ وذلك أن الرواية بالجرّ ، يدلّك أن بعده :

(والرّحل والأقتاب والجلس)

(١) وهي ، أي الرّحل والأقتاب والجلس

وبه يتبين أن ذا معنى صاحب ؛ وكأنه لم يبلغه ما بعده . قال أبو جعفر :
سمعت أبا الحسن الأخفش يقول : بلغني أن رجلاً صاح بسيبويه من منزله وقال :
كيف تنشأ هذا البيت ؟ فأنشده إياه مرفوعاً ؛ فقال الرجل : وإن بعده :
والرجل والأقارب والجلس ! فتركه سيبويه وصعد إلى منزله . فقال له : أين لي
علام عطف ؟ فقال سيبويه : فلم صعدتُ الغرفة ! إني فررت من ذلك . اهـ .
وكذا حكى ثعلب هذه الحكاية في أماليه في موضعين (١) وقال :
« الصواب جرّ الضامر » . وكذا حكى أبو عليّ في المسائل البصرية وابن جنيّ
في الخصائص . وقد صحّحوا كلام سيبويه بأوجه :

أحدها : قال السيرافي : هذا من باب :

* عَلَفْتُهَا تَبْنًا وَمَاءً بَارِدًا (٢) *

وقوله :

يَا لَيْتَ زَوْجَكَ قَدْ غَدَا مُتَقَلِّدًا سَيْفًا وَرُحًا (٣)

على أن يجعل الثاني على ما يليق به ، ولا يخرج عن مقصد الأول :
فيكون معنى الضامر : المتغير ، والرجل محمول عليه ، كأنه قال : للتغير العنّس
والرجل . اهـ . وتبعه على هذا شراح أبيات الكتاب ، وأبو عليّ الفارسيّ
في المسائل القصصية ، بالقاف .

ثانيها : قال أبو عليّ في إيضاح الشعر — وتبعه ابن جنيّ في الخصائص — :

(١) الحق أنه في الموضع الأول فقط ص ٣٣٣

(٢) سيأتي الكلام عليه في ص ٤٩٩ بولاق .

(٣) نسب لعبد الله بن الزبيري في الكامل ١٨٩ .

القول في جرّ الرجل : أنه معطوف على مادلّ عليه ما تقدّم ، لأن قوله :
ياذا الضامر العنس ، يدلّ على أنه صاحب ضامر ، فحمل الرجل على مادلّ عليه
هذا الكلام من صاحب .

ثالثها : قال بعض النحويّين : إن أصله وياصاحب الرجل ، فحذف صاحب
لدلالة قوله : يا صاح ، عليه وبقى الجرّ على حاله . قال أبو على : يرِدُّ عليه أن
كونه صاحباً للمنادى لا يدلّ على أنه صاحب رجل كما يدلّ قوله : ياذا الضامر
العنس ، على أن له عنساً .

رابعها : قال ابن الحاجب في الإيضاح : إن سيبويه استدلّ بانشاد هذا
للمصراع بانفراده على مارواه الثقات ممن لم يعلم تتمته اهـ . وهذا مُصادِمٌ
لما قلّه ثعلبٌ والنّحاس وغيرهما من تلك الحكاية .

و (صاح) : مرثمٌ صاحب . و (الضامر) من ضمّر الحيوان وغيره
من باب قعد : دقّ وقلّ له . و (العنس) بفتح العين وسكون النون : الناقة
الصُّلبَة الشديدة . و (الرجل) قال في المصباح : « كل شيء يمدّ للرجل من
وعاء اللّناح ومَرَكَبٌ للبعير وحِلْسٌ ورَسَنٌ . وجمعه أرْجُلٌ ورجال » .
و (الأقتاب) : جمع قَتَبٍ بالتحريك ، قال في الصحاح : هو رَجُلٌ صغير
على قنر السّنام . وروى ابن السّجّريّ في أُماليه بدله : (والأقناد) وقال :
هو جمع قنَد وهو خشب الرّجل . و (الحِلْس) بكسر المهملة : كساء يجعل على
ظهر البعير تحت رَحْلِهِ والجمع أحلاس .

وهذا البيت نسبة بعضُ شُرّاح أبيات الكتاب ، والزمخشريّ في مفصله ،
لنُفُوزِ بْنِ لَوْذَانَ السّدُوسيّ . قال الأصبهانيّ في الأغاني في ترجمة عُكْلِيّة بنت
المهدى العبّاسيّ : « خُوز : شاعرٌ يقال إنه قبِلَ امرئ القيس » .

وخز، بضم الخاء المعجمة وفتح الزاي الأولى، وهو في الأصل ذكر الأرنب. ولؤذان، بفتح اللام وسكون الواو بعدها ذال معجمة.

ونسبه الأصهباني في الأغاني لخالد بن المهاجر، وزاد بعده بيتا ورواه هكذا:
(يا صاح إذا الضامر العنُس والرحل ذى الأنساع والجلس
تسرى النهار ولست تاركه^(١) وتجد سيرا كلاً تسمى)

فعلى هذا فالرحل هنا بمعنى برذعة البعير، والأنساع: جمع نسعة بكسر النون^(٢). قال في الصحاح: «وهي التي تُنسج عريضاً للتصدير». والسير يكون بالنهار وبالليل؛ ويكون لازماً كما هنا ومتعدياً، يقال سرت البعير؛ وهو منصوب على الظرفية، وكذا النهار. وتجد. من الجد في الأمر بمعنى الاجتهاد فيه، يقال جد يجد من باب ضرب وقتل، والاسم الجد بالكسر. وتسمى: مضارع أمسى الرجل: إذا دخل في المساء، والمساء: خلاف الصباح، قال ابن القوطية: هو ما بين الظهر إلى المغرب.

وروى صاحب الأغاني أيضاً^(٣):

أمّا النهار فلا تقصره درّكا يزيدك كلاً تسمى
وروى أيضاً^(٤):

(١) كذا في النسختين، ولا يكون السرى بالنهار، إنما يكون بالليل، فالصواب رواية أبي الفرج ١٥ : ١٣ : « سير النهار فلست تاركه ».

(٢) الحق أنه جمع نسع، بطرح التاء. أما النسعة فواحدة النسع بالكسر.

(٣) الأغاني ٩ : ٤٩ - ٥٠.

الأغاني ٩ : ٦٣.

أَمَّا النَّهَارُ فَأَنْتَ تَقْطَعُهُ رَنْكَاءَ ، وَتَصْبِحُ مِثْلَ مَا تُعْمَى
وَالدَّرَكُ بِالتَّحْرِيكِ : التَّيْبَعَةُ ، يَقَالُ مَا لِحَقَّكَ مِنْ دَرَكٍ فَعَلَى خِلَاصِهِ ،
قَالَ رُؤْبَةُ :

* مَا بَعَدْنَا مِنْ طَلَبٍ وَلَا دَرَكٍ *

وَتَسْكَنُ رَاؤُهُ أَيْضًا . وَالرَّئَكَ بَفَتْحِ الرَّاءِ ، وَالتَّاءِ تَفَتْحٍ وَتَسْكَنُ : ضَرْبٌ
مِنْ سَيْرِ الْإِبِلِ فِيهِ اهْتِزَازٌ وَمُقَارَبَةٌ الْخَطْوِ فِي رَفَلَانٍ ، يَقَالُ رَنْكَ يَرَنْكُ
كَضَرْبٍ يَضْرِبُ .

خالد بن المهاجر (خالد) قَالَ الْأَصْفَهَانِيُّ : هُوَ ابْنُ الْمُهَاجِرِ بْنِ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ بْنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ
عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ بْنِ مَخْزُومٍ ^(١) . وَكَانَ الْمُهَاجِرُ وَالِدُ خَالِدٍ مَعَ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِصِفِّينَ ،
وَكَانَ خَالِدٌ عَلَى رَأْيِ أَبِيهِ هَاشِمِيًّا لِلذَّهَبِ ، وَدَخَلَ مَعَ بَنِي هَاشِمٍ الشُّعْبَ ، فَاضْطَفَنَ
ذَلِكَ ابْنُ الزُّبَيْرِ عَلَيْهِ ، فَالْتَقَى عَلَيْهِ زَقٌّ خَرَّ وَصَبَّ بَعْضُهُ عَلَى رَأْسِهِ ، وَشَنَعَ عَلَيْهِ
بَأْنَهُ وَجَدَهُ نِمْلًا مِنَ الْحَرِّ فَضْرِبَهُ الْحَدَّ . وَكَانَ عَمُّهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ خَالِدِ بْنِ
الْوَلِيدِ مَعَ مُعَاوِيَةَ فِي صِفِّينَ ، وَلِهَذَا كَانَ خَالِدُ بْنُ الْمُهَاجِرِ أَسْوَأَ النَّاسِ رَأْيًا
فِي عَمِّهِ . ثُمَّ إِنَّ مُعَاوِيَةَ لَمَّا أَرَادَ أَنْ يُظْهِرَ الْعَهْدَ لِيَزِيدَ قَالَ لِأَهْلِ الشَّامِ : إِنِّي
قَدْ كَبَّرْتُ سِنِّي ، وَرَقَّ جِلْدِي وَدَقَّ عَظْمِي ، وَاقْتَرَبَ أَجْلِي ، وَأُرِيدُ أَنْ اسْتَخْلَفَ
عَلَيْكُمْ ، فَمَنْ تَرَوْنَ ؟ فَقَالُوا : عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ خَالِدٍ . فَسَكَتَ وَأَضْمَرَهَا ، وَدَسَّ
إِلَى ابْنِ أَثَالِ الطَّيِّبِ ، فَسَقَاهُ سَمًّا فَمَاتَ ، وَبَلَغَ ابْنُ أَخِيهِ خَالِدُ بْنُ الْمُهَاجِرِ
خَبْرُهُ ، وَهُوَ بِمَكَّةَ ، فَقَالَ لَهُ عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ : أَتَدْعُ ابْنَ أَثَالِ يُفْنِي ^(٢) أَوْصَالَ

(١) ط في النسختين : « عمرو بن مخزوم » ، وهو خطأ يكثر وروده ،

والصواب « عمر بن مخزوم » . انظر الجمهرة ١٤٢ ونسب قريش ٤٩٩

(٢) في النسختين : « أبقي » وفي طبقات الأطباء ١١٧٠ ، ١١٨

و نقي ، صوابهما من الأغاني ١٥ : ١٣

عَمَّك بالشام وأنت بمكة مسبلٌ إزارك . تجرهُ وتَحْطِرُ فيه متخايلاً ؟ ! فحییَ خالد ، ودعا مولی له يدعی ' نافعاً ، فأعلمه الخبر وقال له . لابد من قتل ابن أثال ! فخرجا حتى قديما دمشق ، وكان ابن أثال يُسمى عند معاوية ، فجلس له في مسجد دمشق إلى أسطوآنة ، وجلس غلامه إلى أخرى . . فلما حاذاه وثب إليه خالد فقتله ، وثار إليه من كان معه ، فحملا عليهم فنفروا حتى دخل خالد ونافع رُقَاقاً ضيقاً ففاتا القوم . وبلغ معاوية الخبر فقال . هذا خالد بن المهاجر ! اقلبوا الرُقَاق الذي دخل فيه . . فأتى به . فقال له معاوية : لا جزاك الله من زائرٍ خيراً ! قتلتَ طيبي ! فقال خالد : قتلتُ المأمورَ ، وبقي الأمر فقال : عليك لعنة الله ! والله لو كان تشهدَ مرةً واحدة لقتلتك به ! أَمَعَكَ نافع ؟ قال . لا . قال : بلى ، والله ما اجترأتُ إلا به . ثم أمر بطلبه فأتى به فضربه مائة سوط ، وحَبَسَ خالدًا ، وألزم بني مخزوم دية ابن أثال اثني عشر ألف درهم^(١) . وقال خالد في الحبس :

إِما مُخْطَاىَ قُتِرْتُ (٢) مَشَى الْمُقَيَّدُ فِي الْحَصَارِ
فَبِمَا أُمَشَى فِي الْأَبَا طَحِ يَقْنِي أَرَى إِزَارِي
دَعَا ، وَلَكِنْ هَلْ تَرَى نَارًا تُشَبُّ بَنَى مَرَارِ (٣)
مَا إِنْ تُشَبُّ لِقِرَّةٍ لِلْمُصْطَلِينَ وَلَا قُتَارِ (٤)

٣٣٢

(١) بعده في الأغاني : « أدخل بيت المال منها ستة آلاف درهم ، وأخذ ستة آلاف درهم ، ولم يزل ذلك يجري في دية المعاهد حتى ولي عمر بن عبد العزيز ، فأبطل الذي كان يأخذه السلطان لنفسه ، وأثبت الذي يدخل بيت المال » .

(٢) في الأصل : « أما خطاي فقاربت » ، والوجه ما أثبت من الأغاني . وجواب « أن » في البيت بعده : « فيما أمشى » .

(٣) ط والأغاني : « بنى مزار » ، وأثبت ما في ش وطبقات الأطباء .

(٤) الأغاني : « بالمصطلين » .

ما بالُ ليلك ليس يَنْقُصُ طولَه طولُ النهارِ
لتقاصر الأزمات أم غَرَضَ الأسيرِ من الإِسَارِ (١)
ولما بلغت معاويةَ هذه الأبياتُ رَقَّ له وأطلقه . فرجع إلى مكة ؛ ولما
لَقِيَ عُرْوَةَ بنَ الزُّبَيْرِ قال : أَمَا ابنُ أُنَالٍ فَقَدْ قَتَلْتَهُ ، وذلك ابنُ جُرْمُوزٍ
يُغْنِي (٢) أوصالَ الزُّبَيْرِ بالبصرة فاقْتلَهُ إن كنتَ ثائراً (٣) .

* * *

وأُشَدُّ بعده ، وهو الشاهد الحادى والعشرون بعد المائة ، وهو من
شواهد س (٤) :

١٢١ (جاريةٌ مِنْ قَيْسٍ ابْنِ ثَعْلَبَةَ)

على أن تنوين (قيس) شاذٌّ ، لأن « ابن » وقع بين علمين مستجمع
الشروط ، فكان القياس حذفَ تنوين قيس ، إلاَّ أَنَّهُ تَوَنَّهُ لضرورة الشعر .
قال ابن جني في سِرِّ الصناعة : « من تَوَنَّهُ لزمه إثباتُ الألف في ابن خطأ » .
وقال ابن الحاجب في الإيضاح : « وزعم قوم أن ابن ثعلبة بدلٌ ،
وقصده أن يخرجَه عن الشذوذ ؛ وهو بعيد ، لأن المعنى على الوصف ، وأيضا :
فإن خرجَ عن الشذوذ باعتبار التنوين لم يخرج باعتبار استعمال ابن بدلا » ١ هـ

(١) غرض : مل . وفى الأغاني :

اتقاصر الأيام أم عرض الأسير من الإِسَارِ

(٢) فى النسختين : « أبقي » ، صوابه من الأغاني

(٣) تمام الخبر فى الأغاني : « فشكاه عروة الى بكر بن عبد الرحمن
ابن الحارث بن هشام ، فاقسم عليه أن يمسك عنه ، ففعل » .

(٤) سيبويه ٢ : ١٤٨ . وانظر ابن الشجرى ١ : ٣٨٢ والخصائص
٢ : ٤٩١ والهمع ١ : ١٧٦ وابن يعيش ٢ : ٦ .

ومن أولئك القوم ابنُ جنيّ ، قال في سرّ الصناعة : إلى هذا رأيتُ
جميعَ أصحابنا يذهبون . والذي أرى أن الشاعر لم يُرد أن يُجرى ابنًا وصفاً
على ما قبله ؛ ولو أراد لحذف التنوين ؛ ولكن أراد أن يُجرى ابنًا بدلاً
تما قبله ، وحينئذ لم يُجعل معه كالشيء الواحد ، فوجب أن يُنوى انفصال ابنٍ
مما قبله ، ووجب أن يُبتدأ ، فاحتاج إذاً إلى الألف لئلا يلزم الابتداء بالساكن .
وعلى ذلك تقول : كلمت زيدا ابن بكر ، كأنك قلت : كلمت ابن بكر ، فكأنك
قلت : كلمت زيدا كلمت ابن بكر ؛ لأن ذلك شرط البدل ، إذ لمبدل في التقدير
من جملة ثانية .

وهذا البيت مطلع أرجوزة للأغلب العجليّ . وبمده :

(كريمةٌ أخوالها والعصبه قباء ذاتُ سرّة مقعبه
كأنها حقّة مسكٍ مذهبه ممكوره الأعلى رداح الججبه
كأنها حلية سيفٍ مذهبه أهوى لها شيخٌ شديدُ العصبه
خاظم البضيع أيره كالخشبه فضربت بالودّ فوق الأرنبه
ثم انتنت به فويق الرقبه فأعلنت بصوتها : أن يا أبه)
(كلُّ فتاةٍ بأبيها مُعجبه)

وأراد بجارية : امرأةً من العرب اسمها كلبه ، كان بينهما مهاجاة ؛ ومن
قولها فيه :

ناك أبو كلبه أمّ الأغلب فهي على جردانه توثّب
توثّب الكلب لحسّ الأرنب

و (جارية) خبر مبتدأ محذوف أي هذه جارية . و (من قيس) صفة
لها . و قيس بن ثعلبة : قبيلة .

وهذا البيت من شواهد مغنى اللبيب أيضا ، ولم يورده السيوطي في شرحها .
 والقَبَاء : الضامرة البطن ، مؤنّت الأقب . من القَبَب وهو دقة الخصر .
 والمَقْعَبَة : السُرّة التي دخلت في البطن وعلا ما حولها حتى صار كالقعب ، وهو
 القدح المقعر من الخشب . وضمير كأنها للسرة . والمكورة : للطيوة الخلق .
 وأراد بالأعلى : البطن والخصر . والرّداح بفتح الراء : المرأة الثقيلة الأوراك .
 والحجبة بفتح الحاء المهملة والجيم : رأس الورك . وضمير كأنها للجارية . وحلية
 السيف : زينته . ومذهبة صفة حلية ؛ وروى الزمخشري في مستقصى الأمثال :
 (كأنها خلة سيف مذهبه)

بكسر الخاء المعجمة وتشديد اللام ، قال في الصحاح : « الخلة بالكسر :
 واحدة خلك السيوف ، وهي بطائن كانت تغشى بها أجنان السيوف منقوشة
 بالذهب وغيره » . وأهوى بالشئ : إذا أومأ إليه ، وأهوى إلى الشئ بيده :
 مدّها ليأخذه إذا كان عن قرب ، فإن كان عن بعد قيل : هوى إليه ،
 بلا ألف . والخطا بمجمتين : المكتنز والمتداخل . والبضيع : اللحم .
 والأير : آلة الرجل ؛ وروى الزمخشري في المستقصى (عرّده كالخشب) ،
 والعرّد بفتح العين وسكون الراء المهملتين : الشئ الصلب ، وأراد به الأير .
 والودّ : الوتد . والأرنبة : طرف الأنف . وأن مفسرة ؛ وروى الزمخشري :
 (وصراحت منه وقالت يا أبة)

وقوله : كل فتاة .. الخ ، هو من إرسال للمثل ، وليس من كلامها ؛ قال
 الزمخشري : هو مثل يضرب في إعجاب الرجل برهطه وإن كان غير أهل
 لذلك^(١) .

(١) المثل للعجماء بنت علقمة السعدية ، كما في الميداني ٢ : ٧٢
 والفاخر ٢٥٣ .

و (الأغلبُ العجلىّ) قال الأمدى فى المؤلف والمختلف : هو الأغلب الأهلِبُ العجلىّ ابن عمرو^(١) بن عُبَيْدَة (بالتصغير) ابن حارثة بن دُلَف بن جُثَم بن قَيْس ابن سَعْد بن عَجَل بن جُلَيْم (بالتصغير) بن الصَّعْب بن علىّ بن بكر بن وائل . وهو أَرْجَز الرُّجَاز . وأَرْضُهُمْ كَلَامًا وَأَصْحُهُمْ مَعَانَى . وهو القائل :

الْحِلْمُ بَعْدَ الْجَهْلِ قَدْ يَتَوَبُّ^(٢) وفى الزمانِ عَجْبٌ عَجِيبٌ
وعِبرَةٌ ، لو يَنْفَعُ التَّجْرِبُ واللَّبُّ لَا يَشْقَى بِهِ اللَّيْبُ
والمرءُ مُحْصَى سَعْيُهُ مَرْقُوبٌ يَهْرَمُ أَوْ تَعْنَاقُهُ شُعُوبٌ

وقال ابن قتيبة فى كتاب الشعراء : كان الأغلبُ جاهليًا إسلاميًا ، وقُتِلَ بِنَهْأَوْنَد . وهو أوّل من أطال الرجز ، وكان الرجلُ قبله يقول البيت والبيتين إذا فَاخَرَ أَوْ شَاتَمَ . وقد ذكره المعجّاج بقوله :

إِنِّى أَنَا الْأَغْلَبُ أَضْحَى قَدْ نُثِرُ . . . ١٠٠ هـ

وعده ابن الأثير فى « أسد الغابة » من الصحابة .

قال ابن حجر فى الإصابة : « قال ابن قتيبة : أدرك الإسلامَ فأسلمَ وهاجر ، ثم كان ممن سار إلى العراق مع سعد ، فنزل الكوفة واستشهد فى وقعة نَهْأَوْنَد . وقد استدركه ابن الأثير . قلتُ : ليس فى قوله : وهاجر ، ما يدلّ على أنه هاجر إلى النبی ﷺ : فيحتمل أنه أراد : هاجر إلى المدينة بعد موته ﷺ . ولهذا لم يذكره أحد من الصحابة^(٣) . »

(١) وكذا فى المؤلف ٢٢ . وفى الإصابة وأسد الغابة والشعراء ٥٩٥ والسمط ٨٠١ والأغانى ١٨ : ١٦٤ : « الأغلب بن جثم بن عمرو » .

(٢) فى المؤلف : « قد ينوب » ، بالنون

(٣) أى من جملة الصحابة . وفى الإصابة : « من الصحابة » .

وقد قال المرزبانى فى معجّبه : هو مخضرم ، ا ه . ولم يذكر ابن قتيبة هجرته كما قلنا ، ولعله نقله من كتاب آخر . والله أعلم .

وقال أبو عبيد البكرى فى شرح نواذر القالى : الأغلب العجلى آخر من عمّر فى الجاهلية عمراً طويلاً ، وأدرك الإسلام فحسن إسلامه ، وهاجر ، واستشهد فى وقعة نهاوند .

الأغلبة

قال الأمدى : من يُقال له (الأغلب) من الشعراء ثلاثة : أحدهم هذا . والثانى : الأغلب الكلبي ؟ ولم أجد له فى أشعار كلب شعراً ، وأظنّ شعره درس فلم يُدرّك .

٣٣٤

والثالث : الأغلب بن نباتة الأزديّ ثم الدّوسى ، أنشد له بُندار شعراً فى معانى الشعر ، ولم أر له ذكراً فى أشعار الأزد ، وأظنّه إسلامياً متأخراً ا ه .

* * *

وأنشده بعده ، وهو الشاهد الثانى والعشرون بعد المائة ^(١) :

١٢٢ (طَلَبَ الْمَعْقَبَ حَقُّهُ الْمَظْلُومُ)

على أن فاعل المصدر - وإن كان مجروراً بإضافة المصدر إليه - محله الرفع فالمعقّب فاعل المصدر ، وقد جرّ بإضافته إليه ، ومحله الرفع بدليل رفع وصفه وهو المظلوم .

وهذا عجز ، وصدره :

(حتّى نهجر فى الرواح وهاجها)

(١) العينى ٣ : ٣١٥ والانصاف ٣٣٢ ، ٣٣١ وابن يعيش ٢ : ٢٤ ، ٦/٤٦ : ٦٦ والهمع ٢ : ١٤٥ وديوان لبّيد ١٢٨ .

وهو من قصيدة للبيد بن ربيعة الصحليّ . وصف به مع أبيات حمراء ،
وأثانه ، شبه به ناقته . وقبله :

(لَوْلَا تُسَلِّيكَ اللَّبَانَةَ حُرَّةٌ حَرَجٌ كَأَحْنَاءِ الْغَبِيطِ عَقِيمٌ) قصيدة الشاهد

لولا هنا تحضيضية . والتسلية : إزالة الألم ؛ وضمنه معنى النسيان . واللبانة :
الحاجة . والحرج ، بفتح الحاء والراء المهملتين والثالث جيم : الناقة الضامرة .
والغبيط ، بفتح الغين المعجمة : الرجل ؛ وهو للنساء يشدّ عليه المودج .
وأخاؤه : عبيدانه ، في الصحاح : « الجنو بالكسر : واحد أحناء السرج
والقتب . وجنو كل شيء أيضا : اعوجججه » . والعقيم : التي لا تلد ؛ يريد :
أنها قوية صلبة لم يصيبها ما يوهنها من فقد أولادها وغير ذلك .

(حَرْفٌ أَضُرَّ بِهَا السِّفَارُ ، كَأَنَّمَا بَعْدَ الْكِلَالِ مُسَدَّمٌ مَحْجُومٌ)

الحرف : الناقة الشديدة . وأضرّ ، بالضاد المعجمة ، بمعنى لصق ودنا
دنوا شديداً ؛ يقال أضرّ بفلان كذا : أى لصق به ودنا منه . والسِّفَارُ : فاعل
أضرّ ؛ وهو مصدر سافر يسافر مسافرة وسفاراً . والكيلال : مصدر كل من
المشي : إذا أعيا . والمسدّم : اسم مفعول ، يقال فحل مسدّم . إذا جعل على فم
الكمام بالكسر ، وهو شيء يجعل في فم البعير ، يقال كَمَتَ البعيرُ :
إذا شددت به فم في هياجه ، فهو مكوم . والسدّم ، بكسر الدال : الفعل
الهاجج المشتبه بالضراب . والمحجوم : من حجبت البعير أحجته : إذا جعلت
على فم حجاباً ، وذلك إذا هاج للضراب ؛ والحجام بتقديم المهملة المكسورة
على الجيم : شيء يجعل في مقدّم أنف البعير كي لا يعصّ عند هيجانه .

(أَوْ مَسْحَلٌ شَنَجٌ عِضَادَةٌ مَمْنَحَجٌ بِسَرَاتِهِ نَدَبٌ لَهَا وَكُلُومٌ)

للسحل ، بكسر الميم وسكون السين وفتح الحاء المهملتين : الحمار الوحشي ؛

وصف ناقته بأبلغ ما يمكن من النشاط والقوة على السير ؛ وذلك أنه شبهها بعد أن كَلَّتْ وأُعييت بالفحل الهاج أو بالحمار الوحش ، وهما ما هما في القوة والجلد ؛ فما ظنك بهذه الناقة قبل الإعياء ١٩ وشنج بفتح المعجمة وسكون النون من الشنج ، وهو في الأصل التقبض ؛ وأراد به هنا الملأزم . والعِضادة بالكسر : الجنب . والسَّمْحَج ، بفتح السين وسكون الميم وآخره جيم قبلها مهمله : الأتان الطويلة على الأرض . والسَّراة ، بفتح الميم : الظهر . والنَّدَب ، بفتح النون والدال أثر الجرح . والكُلُوم : الجراحات ، جمع كلم بالفتح (وهذا البيت من شواهد سيبويه ^(١) : أورده على أن عضادة ، منصوب بشنج نصب المفعول به) يقول : إنه ملازم لأتانه ، ولشدته وصلابته قد لازمها وقبض الناحية التي بينها وبينه ، ولم يحجزه عن ذلك رَحْمُها وعضها ، اللذان بظهره منها ندب وكُوم . ثم أخذ يصفه مع أتانه : بأنهما كانا في خصب زمانا ، حتى إذا هاج النبات ونضب الماء أسرع معها إلى كُلِّ نَجْدٍ ، يريدان أطيب الكلا وأهنا المرعى . . . إلى أن قال :

٣٣٥

(يُوفى وَيَرْتَقِبُ النِّجَادَ كَأَنَّهُ ذُو إِدْبِيَةٍ كُلِّ الْمَرَامِ يَرُومُ
حَتَّى تَهْجُرَ فِي الرِّوَاكِ وَهَاجَهَا « طَلَبَ الْمُعْتَبِرُ حَقَّهُ الْمَظْلُومُ »
قَرَبًا يَشُجُّ بِهَا الْحُزُونَ عَشِيَّةً ^(٢) رَيْدُ كَمِقْلَاءِ الْوَلِيدِ شَتِيمُ

يُوفى : يشرف ؛ وفاعله ضمير مسحل . والنَّجَاد : جمع نجد ، وهو المرتفع من الأرض ؛ أى يشرف على الأماكن المرتفعة كالقريب ، وهو الرجل الذى

(١) سيبويه ١ : ٥٨ وابن يعيش ٦ : ٧٢ . ولم يرد فى شواهد

الرضى .

(٢) ط : « د يشج به » ، صوابه فى ش والديوان .

يكون رَيْثَةُ القوم يرتفع على مكان عالٍ ^(١) متجسّساً . والإِربة ، بالكسر : الحاجة . وكلٌّ : مفعول مقدم ليروم .

والتهجّر : السير في الهاجرة ، وهي نصف النهار ، عند اشتداد الحر . وحتى بمعنى إلى . والرواح : اسمٌ للوقت من زوال الشمس إلى الليل ، وهو تقيض الغدوّ لا الصباح ، خلافاً للجوهري . وهاجها : أزعجها . وطلبَ : مصدرٌ تشبيهيّ أى هاج هذا المسحل أثناء طلب الماء طلباً حثيثاً كطلب المعقّب ؛ وهو اسم فاعل من التعقيب ، وهو الذى يطلب حتّه مرةً بعد مرة . واستشهد به صاحب الكشاف عند قوله تعالى : ﴿ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ ﴾ ^(٢) على أن المعقّب : المقتضى الذى يطلب الدّين من الغريم ؛ يقال عقبَ فى الأمر : إذا تردّد فى طلبه مجداً .

والقرب ، محرّكة : سير الليل لورد الغد ، وهو منصوب يشجّ : أى يقطع ، يقال شجّبت المفازة : إذا قطعتها ، والباء بمعنى مع . والحزون : جمع حزن بالفتح ، وهو ما غلظ من الأرض . ورَبَدَ : أى هو ربد بفتح الراء وكسر الموحدة وبالنّال المعجمة ، وهو السريع الخفيف القوائم فى المشى . والمِقْلَاء ، بالكسر والمدد كِفْعَال ، والقُلَّة بالضم والتخفيف : هما عودان يلعب بهما الصبيان ، والأوّل يضرب به والثانى ينصب ليضرب ؛ يقال قلوّت القُلّة بالمِقْلَاء أقلّوا قُلُوءاً . أى أنه يسوقها كما أن المِقْلَاء يسوق القُلّة . والشّتم : الكريه الوجه يُشتم لعنفه وغلظته ؛ وهو صفة رَبد .

وقوله : (طلبَ المعقّب حتّه) يجوز أن يكون حتّه مفعول المصدر ،

(١) هذه الكلمة ساقطة من ط

(٢) الآية ٤١ من سورة الرعد .

وهو الطلب ، ويكون مفعولُ المعقَّب محذوفاً ؛ وأن يكونَ مفعولُ المعقَّب ، لآته بمعنى الطالب والمقتضى ، ويكونَ مفعولُ المصدر محذوفاً : على التنازع . وإلى هذا جنح الفارسيّ وقال : فلو قدّم المظلوم على حقّه لم يجز ، لأنك لاتصف الموصول ، وهو أل هنا ، حتّى يتمّ بصِلته ، وصلته لم تتمّ بعد ، لأن حقّه من صلة المعقَّب ومن تمامه .

وتوجيه هذا الشاهد على ما ذكره الشارح المحقق هو المشهور والمتداول بين الناس ، وهو ليعقوب بن السيكت . وقال أبو حيّان فى تذكرته : أنشده الفرّاء وهشام . (وهاجه) بتذكير الضمير ، على أنه عائد على الحمار ؛ وقال : الطلب عندهما فى هذه الرواية مرفوع . وفى البيت تخارج آخر .

(ثانياً) لأبى حاتم السجستانيّ قال : المظلوم جارٍ على الضمير الذى فى المعقَّب : يريد أنه بدلُ كلِّ من الضمير لتساويهما فى المعنى . وقال العينيّ : « هو بدل اشتغال من الضمير » . وفيه أن بدل الاشتغال لا بدّ له من ضمير .

٣٣٦

(ثالثاً) لأبى على الفارسيّ فى المسائل البصريّة والقصريّة : وهو أن يكون المظلوم فاعلَ المصدر ويكونَ المصدرُ مضافاً لمفعوله ؛ والمعقَّب حينئذٍ معناه للماطل ، يقال عقبنى حتى أى مطلني . وعلى هذا فحقّه مفعول المعقَّب لا غير ، وحينئذ لا يجوز تقديم المظلوم عليه لما تقدّم . وكأنه قال : طلب المظلوم الماطل حقّه ، فتكون الهاء راجعة إلى المظلوم على نحو : ضرب غلامه زيد ، لأنهما متصلة بالمفعول ؛ أى طلبَ للدينِ للماطل حقّه أى حقَّ المدينِ فإن الحقَّ له لا للمستدين . وقد يجوز أن تكون راجعة للمستدين ، يريد حقّه أى الذى يجب عليه الخروج ، وكذلك قوله تعالى (وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ

دِينَهُمْ^(١)) فَأَصَافَ الدِّينَ إِلَيْهِمْ لِمَا كَانَ وَاجِبًا عَلَيْهِمُ الْاِخْتِذُ بِهِ وَإِنْ لَمْ يَكُونُوا مُتَدِينِينَ بِهِ . وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى : (زَيْنًا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلُهُمْ^(٢)) أَيْ الْعَمَلَ الَّذِي أَمَرُوا بِهِ وَنُذِرُوا إِلَيْهِ وَشُرِعَ لَهُمْ . . قَالَ : وَعَلَى هَذَا يَحْتَمِلُ أَنْ تَكُونَ رَاجِعَةً إِلَى الْمُعْتَبِّ بِأَسْرِهِ ، وَأَنْ تَكُونَ رَاجِعَةً إِلَى أَلْ ، عَلَى قَوْلِ أَبِي بَكْرٍ ، وَأَنْ تَكُونَ رَاجِعَةً إِلَى الَّذِي دَلَّتْ عَلَيْهِ أَلْ عَلَى قَوْلِ أَبِي عُمَانَ . . وَنَسَبَ أَبُو حَيَّانَ فِي تَذَكُّرِهِ قَوْلَ الْفَارَسِيِّ إِلَى جَمَاعَةٍ مِنْ قَدَمَاءِ اللُّغَوِيِّينَ ، وَقَالَ : تَلْخِيصُهُ : وَهَاجَ الْحَمَارُ الْأَتَانِ هَيْجَانًا مِثْلَ طَلَبِ الْمُعْتَبِّ حَقَّهُ . وَقَالُوا : مَوْضِعُ الْمُعْتَبِّ نَصَبٌ بِالطَّلَبِ ، وَنَاصَبُ الْحَقِّ الْمُعْتَبُّ ، وَفَاعِلُ الطَّلَبِ الْمَظْلُومُ . وَتَفْسِيرُ يَعْتَبُّ حَقَّهُ يَطْلُبُهُ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى ٥١ . وَلَا يَخْفَى أَنَّ هَذَا تَخْلِيطٌ بَيْنَ الْقَوْلَيْنِ .

(رابعها) لاِبْنِ جَنِّي فِي الْمُحْتَسِبِ : أَنَّ الْمَظْلُومَ فَاعِلُ حَقِّهِ . قَالَ فِي سُورَةِ النُّحْلِ فِي تَوْجِيهِ قِرَاءَةِ ابْنِ سِيرِينَ : (وَإِنْ عَقَبْتُمْ فَمَقْبُوءًا^(٣)) . أَيْ إِنْ تَتَّبَعْتُمْ فَتَتَّبَعُوا بِقَدْرِ الْحَقِّ الَّذِي لَكُمْ ، وَلَا تَزِيدُوا عَلَيْهِ ، قَالَ لَبِيدُ :

حَتَّى تَهْجَرَ فِي الرُّوَاكِ وَهَاجَهُ طَلَبَ الْمُعْتَبِّ إلخ
أَيُّ هَاجَهُ طَلَبًا مِثْلَ طَلَبِ الْمُعْتَبِّ حَقَّهُ الْمَظْلُومَ ، أَيْ عَازَهُ^(٤) وَمَنْعَهُ الْمَظْلُومَ ، فَحَقَّهُ عَلَى هَذَا فَعِلَ حَقَّهُ بِحَقِّهِ أَيْ لَوَاهُ حَقَّهُ . وَيَجُوزُ طَلَبُ الْمُعْتَبِّ حَقَّهُ ، فَتَنْصِبُ حَقَّهُ بِنَفْسِ الطَّلَبِ مَعَ نَصَبِ طَلَبِ ، كَمَا تَنْصِبُهُ مَعَ رَفْعِهِ ، وَالْمَظْلُومُ صِفَةُ الْمُعْتَبِّ عَلَى مَعْنَاهُ دُونَ لَفْظِهِ ، أَيْ أَنَّ طَلَبَ الْمُعْتَبِّ الْمَظْلُومِ حَقَّهُ فِي الْمَوْضِعَيْنِ جَمِيعًا .

(١) الْآيَةُ ١٣٧ مِنْ سُورَةِ الْأَنْعَامِ .

(٢) الْآيَةُ ١٠٨ مِنْ سُورَةِ الْأَنْعَامِ .

(٣) الْآيَةُ ١٢٦ مِنْ سُورَةِ النُّحْلِ .

(٤) عَازَهُ مَعَاذَةٌ : غَالِبُهُ . ط : دَعَاؤُهُ ، صَوَابُهُ فِي ش .

هذا كلامه . وعليه فينظر : ما فاعل حقّه مع نصب طلب ؟ وأما مع رفعه فهو فاعل حاجه . وينظر أيضاً : ما موضع جملة حقّه المظلوم من الاعراب . على أن حقّه بمعنى لواه حقّه لم أجده فى كتب اللغة . وقوله : « كما تنصبه » أى تنصب الحق . وقوله : « مع رفعه » أى مع رفع الطلب . وقوله « فى الموضعين جميعاً » أى فى نصب الطلب ورفع . وبالجمله كلامه هنا خلاف كلام الناس ، وفيه تعقيد لا يظهر معه المراد . فلي تأمل .

وقال ابن برّى فى شرح أبيات الإيضاح لأبى على . قوله : وحاجه ، أى أثاره يعنى العير ، والفاعل التهجّر أو الطلب ، والتقدير : حاجه مثل طلب المعقب فحذف المضاف ؛ ويروى « حاجها » أى حاج العير الاتان ، وطلب منصوب على المصدر بما دلّ عليه المعنى ، أى طلب الماء كطلب المعقب ؛ وإن شئت جعلته مفعولاً من أجله ، أى حاجها للطلب ، وحقّه مفعول بالمصدر ، والمعقب فاعل أضيف إليه المصدر ، وهو الذى يتبع عقب الإنسان فى طلب حق أو نحوه ، والمظلوم نعت للمعقب على الموضع . وقال يعقوب : المعقب : المائل ، عقبنى حتى أى مطنى . فعلى هذا يكون المعقب مفعولاً والمظلوم فاعلاً . وقيل : المظلوم بدل من الضمير فى المعقب اه كلامه .

٣٣٧

ليبد بن ويمة و (ليبد) هو ابن ربيعة بن عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب بن ربيعة ابن عامر بن صعصعة الصحابى رضى الله عنه . قديم على النبي صلى الله عليه وسلم ، سنة وفد قومه بنو جعفر بن كلاب ، فأسلم وحسن إسلامه . وكان ليبد وعلقمة ابن علاته العامريان من المؤلفة قلوبهم ؛ وهو معدود فى فحول الشعراء المجودين ، كذا فى الاستيعاب .

وقال ابن قتيبة فى كتاب الشعراء : كنيته أبو عقيل . وكان من شعراء

الجاهلية وفُرسانهم . وكان الحارث الغسانی ، وهو الأعرج ، وَّجَّه إلى المنذر ابن ماء السماء مائة فارسٍ وأمره عليهم ؛ فساروا إلى عسكر المنذر وأظهروا أنهم أتوه داخلين عليه في طاعته ، فلما تمكَّنوا منه قتلوه وركبوا خيلهم فقتل أكثرهم ونجا لبید ؛ فأتى ملك غسان فأخبره ، فحمل الغسانيون على عسكر المنذر فهزمهم — فهو يوم حليمة . وحليمة : بنت ملك غسان ؛ وكانت طيِّبت هؤلاء الفتيان والبسّتهم الأكفان . ولما أسلم مع قومه رجع قومه إلى بلادهم ، وقبم هو الكوفة ؛ فأقام بها إلى أن مات ؛ فدفن في صحراء بنى جعفر بن كلاب . ويقال : إن وفاته كانت في أوّل مدّة معاوية رضى الله عنه ومات وهو ابن مائة وسبع وخمسين سنة . انتهى .

وقال في الاستيعاب : قد قيل : إنه مات بالكوفة أيام الوليد بن عُقبة في خلافة عثمان وهو أصح . فبعث الوليد إلى منزله عشرين جزوراً فنُحرَتْ عنه .

ثم قال ابن قتيبة : ولم يقل شعراً في الإسلام إلّا بيتاً واحداً ، قال أبو اليقظان وهو قوله :

الحمدُ لله ، إذ لم يأتني أجلى حَتَّى كَسَانِي مِنَ الْإِسْلَامِ سِرّاً

وقال غيره : بل هو قوله :

ما عَابَ المرءَ الكَرِيمَ كَنَفْسِهِ المرءُ يُصْلِحُهُ الْجَلِيسُ الصَّالِحُ

وكتب عمر بن الخطاب إلى عامله للمغيرة بن شعبة بالكوفة : أن استنشد من عندك من شعراء مِصرَك ما قالوه في الإسلام . فأرسل إلى الأغلب العجلي أن أنشدني ، فقال :

لقد طَلَبْتَ هِيناً موجوداً أَرْجَزاً تريدُ أم قصيداً

ثم أرسل إلى لبيد : أن أنشدني ؛ فقال : إن شئت ما عُفِيَ عنه (يعنى الجاهلية) قال : لا ، ما قلت في الإسلام . فانطلق إلى بيته فكتب سورة البقرة في صحيفة ثم أتى بها فقال : أبدلني الله هذه في الإسلام مكان الشعر . فكتب بذلك المغيرة إلى عمر ، فنقص من عطاء الأغلب خمسمائة ، وزادها في عطاء لبيد ، فكان عطاؤه ألفين وخمسمائة . فكتب الأغلب إلى عمر : يا أمير المؤمنين تنقص عطائي أن أطعك ! فردَّ عليه خمسمائة وأقرَّ لبيداً على ألفين والخمسمائة فلما كان زمن معاوية رضى الله عنه وأراد أن يجعل عطايا الناس ألفين قال له : هذان الفودان فما هذه العلاوة ^(١) ! فقال له لبيد : أموت ويبقى لك الفودان والعلوة ، وإنما أنا هامة اليوم أو غد ! فرق له وترك عطاءه على حاله . فمات بعد ذلك يسير ولم يقبضها .

وفي الاستيعاب : ذكر المبرد وغيره : أن لبيداً كان شريعاً في الجاهلية والإسلام ؛ وكان نذر أن لا تنب الصبا إلا نحر وأطم ؛ وأن الصبا هبت يوماً ، وهو بالكوفة مقتر مملق ، فعلم بذلك الوليد بن عقبة بن أبي معيط — وكان أميراً عليها لعثمان — فخطب الناس فقال : إنكم قد عرقتم نذر أبي عقيل ، وما وكّد على نفسه ؛ فأعينوا أخاكم . ثم نزل ، فبعث إليه بمائة ناقة وبعث الناس إليه ، ففضى نذره — وفي خبر غير المبرد : فاجتمعت عنده ألف راحلة — وكتب إليه الوليد :

أَرَى الْجَزَارَ يَشْحَذُ شَفْرَتَيْهِ إِذَا هَبَّتْ رِيَّاحُ أَبِي عَقِيلٍ
أَغْرُ الْوَجْهَ أَبْيَضُ عَامِرِي طَوِيلُ الْبَاعِ كَالسَّيْفِ الصَّقِيلِ

(١) في الشعراء ٢٣٣ : « فما بال العلاوة ؟ » وبعده : « يعنى بالفودين الألفين ، وبالعلاوة الخمسمائة ، وأراد أن يحطه أياها ، وأصل الفود : العدل من أعدل البعير . أما العلاوة فما يكون بين العدلين من خشبته ونحوها . »

وَفِي ابْنِ الْجَعْفَرِيِّ بِحُلْفَتَيْهِ^(١) عَلَى الْعِلَاتِ وَالْمَالِ الْقَلِيلِ
بِنَحْرِ الْكُومِ إِذْ سُحِبَتْ عَلَيْهِ ذِيُولُ صَبَاً تَجَاوَبُ بِالْأَصِيلِ
فَقَالَ لَبِيدُ لَابْنَتِهِ^(٢) : أَجِيبِيهِ ، فَقَدْ رَأَيْتَنِي وَمَا أَعْيَا بِجَوَابِ شَاعِرٍ
فَأَنشَأْتُ قَوْلَ :

إِذَا هَبَّتْ رِيَّاحُ أَبِي عَقِيلٍ دَعَوْنَا عِنْدَ هَبَّتِهَا الْوَلِيدَا
أَشْمُ الْأَنْفِ أَصِيدَ عَبْشِييَا أَعَانَ عَلَى مُرُوءَتِهِ لَبِيدَا
بَأَمْثَالِ الْهَضَابِ ، كَأَنَّ رَكْبَا عَلَيْهَا مِنْ بَنِي حَامٍ قُعُودَا
أَبَا وَهَبٍ ، جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا نَحَرْنَاها وَأَطَعْنَا التَّرِيدَا^(٣)
فُعْدُ ، إِنَّ الْكَرِيمَ لَهُ مَعَادَ وَظَنِّي بِابْنٍ أَرُوى أَن يَعُودَا^(٤)
فَقَالَ لَهَا لَبِيدُ : قَدْ أَحْسَنْتِ لَوْلَا أَنَّكَ اسْتَزِدْتِي ، فَقَالَتْ : وَاللَّهِ مَا اسْتَزِدْتِهِ
إِلَّا لِأَنَّهُ مَلِكٌ ، وَلَوْ كَانَ سُوقَةً لَمْ أَفْعَلْ .

وَقَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : رَحِمَ اللَّهُ لَبِيدًا حَيْثُ يَقُولُ :
ذَهَبَ الَّذِينَ يُعَاشُ فِي أَكْنَافِهِمْ وَبَقِيَتْ فِي خَلْفٍ كَجِلْدِ الْأَجْرَبِ
لَا يَنْفَعُونَ وَلَا يَرْجِي خَيْرُهُمْ وَيُعَابُ قَائِلُهُمْ وَإِنْ لَمْ يَشْغَبْ
قُلْتُ : فَكَيْفَ لَوْ أَدْرَكَ زَمَانُنَا ، انْتَهَى .. وَاتَّخَلَفَ بِسُكُونِ اللَّامِ :

(١) كَذَا فِي الاسْتِيعَابِ ١٣٣٦ وَالشَّعْرَاءُ . وَفِي أَمَالِي ابْنِ الشَّجَرِيِّ :
« بِمَا عَلَيْهِ » وَفِي الْكَامِلِ ٤٦٦ : « بِمَا لَدَيْهِ »
(٢) فِي الاسْتِيعَابِ : « فَلَمَّا أَتَاهُ الشَّعْرُ وَكَانَ قَدْ تَرَكَ قَوْلَ الشَّعْرِ
قَالَ لِابْنَتِهِ » .
(٣) ط : « الْوَلِيدَا » صَوَابُهُ فِي شِ وَالْمَرَاJعِ السَّابِقَةِ وَفِي الْكَامِلِ .
(٤) الْكَامِلِ ٤٦٧ : « فَمِدَانُ الْكَرِيمِ لَهُ مَعَاد » وَالْاسْتِيعَابُ وَالشَّعْرَاءُ .
« يَا ابْنِي أَرُوى » لَكِنْ فِي الشَّعْرَاءِ « أَنْ تَعُودَا » ، وَاثْبَتَ مَا فِي شِ
وَالْكَامِلِ . وَأَرُوى أَمَ الْوَلِيدِ ، وَهِيَ أَرُوى بِنْتَ كَرِيْزَ

النسل الطالح ؛ وبفتح اللام : النسل الصالح . والشغب : تحريك الشرِّ والفتنة^(١) .
ثم قال ابن قتيبة : و ('ملاعِبُ الأَسِنَّةِ ') عُمٌ لبيد . وهو عامر بن مالك .
ومضى 'ملاعِبُ الأَسِنَّةِ بقول أوس بن حَجَر :

ولاعِبَ أطرافَ الأَسِنَّةِ عامرُ فراحَ له حظُّ الكِئيبَةِ أجمعُ
وكان 'ملاعِبُ الأَسِنَّةِ أخذَ أربعينَ مِرْبَاعاً في الجاهلية .

و (أربَدَ بن قيس) الذي أتى رسول الله ﷺ غادراً مع عامر بن الطفيل
هو أخو لبيد لأمه ؛ فدعا الله عليهما ، فمات عامر بالطاعون ونزلت صاعقة
على أربَدَ فأحرقتة . ويقال : فيه نزلت : (ويرسلُ الصواعقَ فيصيبُ بها
مَنْ يشاء^(٢)) . وركَّاه لبيد بأشعار كثيرة . انتهى

وروى أبو حاتم السجستاني في كتاب للمعمرين^(٣) ، بسنده إلى الشعبي
قال : أرسل إلى عبدُ الملك بن مروان ، وهو شاكٍ ، فدخلتُ عليه فقلت :
كيف أصبحتَ يا أمير المؤمنين ؟ فقال : أصبحتُ كما قال ابن قميئة الشاعر :

كأنِّي وقد جاوزتُ تسعينَ حِجَّةً خلعتُ بها عني عِذارَ الجامي
رَمَتْنِي بناتُ الدهرِ من حيثُ لا أرى فكيفَ بمن يُرمى وليس برامٍ
فلو أنَّها نَبَلٌ ، إذاً لا هَتَيْتُها ولكنِّي أرمى بغيرِ سهامٍ
إذا ما رأَى الناسُ قُالوا : ألم تَسْكُنْ جليداً شديدَ البطشِ غيرِ كَهَامٍ
فَنَيْتُ ولم يَفْنِ من الدهرِ ليلة ولم يُفْنِ ما أَفْنَيْتَ سلكَ نظامٍ^(٤)

٣٣٩

(١) ط : « والشغب ، بالتحريك : تهيج الشر ، وفي ش :
والشغب تحريك الفتنة » ، وقد جمعت الصواب منهما . وفي اللسان :
« الشغب ، بسكون الغين : تهيج الشر والفتنة »

(٢) الآية ١٣ من سورة الرعد

(٣) المعمرين ٦١ ، ٨٩

(٤) وكذا في المعمرين ٦١ لكن في المعمرين ٨٩ : « فافني وما أفني »

على الراحين مرّةً ، وعلى العصا أنوه ثلاثاً بعدهنّ قياسي
 فقلت : لا يا أمير المؤمنين ، ولكنك كما قال لبيد بن ربيعة :
 نفسي تشكى إلى الموت مجبشةً وقد حملتك سبعاً بعد سبعينا
 فإن نزادى ثلاثاً تحدى أُملاً وفي الثلاثِ وفاةً للثمانينا
 فعاش والله حتى بلغ تسعين حجةً ، فقال :
 كأتى وقد جاوزتُ تسعين حجةً خلعتُ بها عن منكبَي ردائيا
 فعاش حتى بلغ عشرين سنةً ، فقال في ذلك :
 أليس في مائةٍ قد عاشها رجلٌ وفي تكاملٍ عشرٌ بعدها عمرُ
 فعاش والله حتى بلغ عشرين سنةً ومائةً ، فقال في ذلك :
 وغنيتُ سبتاً بعد مجرى داحسٍ لو كان للنفس اللّجوجُ خلوداً^(١)
 فعاش والله حتى بلغ أربعين ومائة سنةً ، فقال في ذلك :
 ولقد سئمتُ من الحياةِ وطولها وسؤالِ هذا الناسِ : كيف لبيدُ ؟
 فقال عبدُ الملك : والله ما بي بأسٌ ، أقعدُ حدثني ما بينك وبينَ الليلِ .
 فعمدتُ فحدثتُهُ حتى أمسيتُ ، ثم فارقتُهُ فمات في ليلته .

* * *

من الدهر ، ، وكذا في الديوان ٢٣ : « وأفنى وما أفنى » . ط : « ولم
 يفن ما أفنيت » صوابه في ش والمعمرين والديوان . وسلك النظام :
 الحيوط ينظم بها الدر ونحوه .

(١) ط : « وغنيت سبتاً » ، وهو تحريف ظاهر . والسبت ، كفلس :

الدهر

وأُشدد بعده ، وهو الشاهد الثالث والعشرون بعد المائة ، وهو من شواهد
سيبويه ^(١) :

١٢٣ (فَإِنْ لَمْ تَجِدْ مِنْ دُونِ عَدْنَانَ وَالِدًا وَدُونَ مَعْدٍ ، فَلْتَرْكَ الْعَوَازِلُ ^(٢))
على أن (دون) بالنصب معطوف على محل الجار والمجرور ، أعني (من
دون) . وكذلك أوردته سيبويه قال : وكأنه قال : فَإِنْ لَمْ تَجِدْ دُونَ عَدْنَانَ
وَالِدًا وَدُونَ مَعْدٍ .

قال ابن هشام فى المغنى : شرط العطف على المحل إمكان ظهور ذلك المحل
فى الفصيح نحو : ليس زيد بقائم ولا قاعداً ، فإنه يجوز أن تسقط الباء وتنصب ،
ولا يختص مراعاة الموضع بأن يكون العامل فى اللفظ زائداً كما مثل ، بدليل :
فَإِنْ لَمْ تَجِدْ مِنْ دُونِ عَدْنَانَ وَالِدًا البيت

وهذا البيت من قصيدة أزيْد من خمسين بيتاً للبيد بن ربيعة الصحبى ،
رضى الله عنه ، رثى بها النعمان بن المنذر ملك الحيرة . . وأولها :

(أَلَا تَسْأَلَانِ لِلرَّءِ مَاذَا يُحَاوِلُ أَنُحِبُّ فَيُقْضَى أَمْ ضَلَالٌ وَبَاطِلُ
جِبَائِلُهُ مَبْثُوثَةٌ فِى سَبِيلِهِ وَيَفْنَى إِذَا مَا أَخْطَأَهُ الْجِبَائِلُ
إِذَا لِلرَّءِ أَسْرَى لَيْلَةً خَالَ أَنَّهُ قَضَى عَمَلًا ، وَلِلرَّءِ مَاعَاشٌ عَامِلُ
فَقَوْلَاهُ ، إِنْ كَانَ يُقْسِمُ أَمْرَهُ : أَلَمَّا يَعِظُكَ الدَّهْرُ ، أَمْكَ هَابِلُ
فَتَعْلَمُ أَنَّ لَأَنْتَ مُدْرِكُ مَاضَى وَلَا أَنْتَ مِمَّا تَحْذَرُ النَّفْسُ وَائِلُ
فَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَصُدِّقْ نَفْسَكَ فَاتَّسِبْ لَمَلِّكَ تَهْدِيكَ الْقُرُونُ الْأَوَائِلُ

قصيدة الشاهد

(١) الخزانة أيضا ٣ : ٦٦٩ والإِنْصَافُ ٢٠٨ وشرح شواهد المغنى

للسيوطى ٢٩٣ وديوان البيد ٢٥٥

(٢) ش : « إذا لم تجد » ، صوابه فى ط والمراجع السابقة

٣٤٠

«فَإِنْ لَمْ تَجِدْ مِنْ دُونِ عَدْنَانَ بَاقِيًا وَدُونَ مَعَدَّةٍ فَلْتَزَعْكَ الْعَوَاضِلُ»
أَرَى النَّاسَ لَا يَدْرُونَ مَا قَدَرُ أَمْرِهِمْ بَلَى كُلِّ ذِي رَأْيٍ إِلَى اللَّهِ وَاسْلُ
الْأَكْلُ شَيْءٌ مَا خَلَا اللَّهُ بَاطِلُ وَكُلُّ نَعِيمٍ لَا مُحَالَةَ زَائِلُ
وَكُلُّ أَنَاسٍ سَوْفَ تَدْخُلُ بَيْنَهُمْ دُورِيَّةٌ تَصْفَرُّ مِنْهَا الْأَنَامِلُ
وَكُلُّ أَمْرٍ يَوْمًا سَيَعْلَمُ سَعِيَهُ إِذَا كُشِفَتْ عِنْدَ الْإِلَهِ الْخِصَالُ

قوله : أَلَا تَسْأَلَانِ الْمَرْءَ . . البيت ، يَأْتِي شَرْحُهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى
فِي (مَاذَا) (١). وقوله : حَبَائِلُهُ مَبْنُوتَةٌ . . البيت ، الحَبَائِلُ : جَمْعُ حَيْلَةٍ
وَهِيَ الشَّرْكُ ، وَالضَّمِيرُ لِلْمَوْتِ ؛ وَأَرَادَ بِحَبَائِلِهِ : الْأَحْدَاثَ الَّتِي هِيَ سَبَبُ
الْمَوْتِ وَمَبْنُوتَةٌ : مَنْصُوبَةٌ عَلَى طَرُقِهِ . وَالْهَاءُ فِي سَبِيلِهِ عَائِدَةٌ عَلَى الْمَرْءِ .
وَيَفِي : يَهْرَمُ .

وَسَرَى وَأَسْرَى بِمَعْنَى . يَقُولُ : إِذَا سَهَرَ الْمَرْءُ لَيْلَةً فِي عَمَلٍ ظَنَّنَ أَنَّهُ قَدْ
فَرَّغَ مِنْهُ ، وَهُوَ مَا عَاشَ يَعْزُضُ لَهُ مِثْلُ ذَلِكَ ، وَهُوَ أَبَدًا مَا دَامَ حَيًّا لَا يَنْقَطِعُ
عَمَلُهُ وَلَا حَوَائِجُهُ . وَقَوْلُهُ : فَقَوْلَا لَهُ إِنْ كَانَ . . إلخ ، أَقْسَمَ بِمَعْنَى قَدَرٍ ؛ بِمَعْنَى :
قَوْلَا لَهُ ؛ إِنْ كَانَ يَدْبُرُ أَمْرَهُ وَيَنْظُرُ فِيهِ : أَلَمْ يَعْظُكْ مَنْ مَضَى قَبْلَكَ فِي سَالَفِ
الدَّهْرِ ، هَلْ رَأَيْتَهُ بَقِيَ عَلَيْهِ أَحَدٌ . ثُمَّ دَعَا عَلَيْهِ فَقَالَ : أُمُّكَ هَابِلُ ! يُقَالُ هَبِلْتُهُ
أَيَّ شَكَلْتُهُ .

وقوله : فَتَعْلَمُ ، بِالنَّصْبِ جَوَابٌ لِمَا . وَأَنْ مَخْفَفَةٌ مِنَ الثَّقِيلَةِ . وَوَائِلُ :
مَنْ وَأَلَّتِ النَّفْسُ بِمَعْنَى نَجَتْ ، وَالْمَوْئِلُ : الْمُنْحَى .

وقوله : فَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَصْدُقْكَ . . إلخ ، يَقُولُ : إِنْ لَمْ تَصْدُقْكَ نَفْسُكَ عَنْ هَذِهِ
الْأَخْبَارِ ، بَلْ كَذَبَتْكَ ، فَاتَّسِبَ : أَيُّ قُلُوبِ فُلَانِ بْنِ فُلَانٍ ، فَانْكَرْ

لا ترى أحداً بقي ؛ لعلك تهديك هذه القرون وترشدك . ورؤى : فإن أنت لم ينفعك علمك فانتسب .

قال أبو عليّ في إيضاح الشعر : « أنت مرتفع بفعل في معنى هذا الظاهر ، أى فإن لم تنتفع . ولو حُلّ أنت على هذا الفعل الظاهر ، الذى هو ينفعك ، لوجب أن يكون موضعَ أنت إِيَّاكَ ، لأن الكاف الذى سببه مفعولة منصوبة . » وهذا أولى من تقدير ابن قاسم في شرح الألفية : أن أصله فإن ضلت لم ينفعك . وزاد الفارسيّ على الوجه الثانى : أن فيه إنابة الضمير المرفوع عن المنصوب . والقرون : جمع قَرن ، وهو أهل زمان واحد .

وقوله (فإن لم تجد . . إلخ) تَزَعَكَ : تكفك ، قال أبو الحسن الطوسىّ في شرح ديوان لبيد : وزعه يزعه ، بالفتح ، ويزعه ، بالكسر ، وزعا ووزوعا : إذا كفّه . وعدنان جدّه الأعلى ، لأن مضر بن نزار بن معد بن عدنان . يقول : لم يبق لك أبٌ حىّ إلى عدنان ، فكفّ عن الطمع فى الحياة . . ومعنى البيتين : أن غاية الإنسان الموت ، فينبغى له أن يتعظ : بأن ينسب نفسه إلى عدنان ؛ فإن لم يجد من بينه وبينه من الآباء باقيا ، فليعلم أنه يصير إلى مصيرهم ، فينبغى له أن ينزع عما هو عليه . و (العواذل) هنا حوادث الدهر وزواجره ، وإسناد المذلل إليها مجاز . وقال الطوسىّ : العواذل : النساء .

وقوله : أرى الناس . . إلخ ، الواسل : الطالب الذى يطلب ، من قولك . أنت وميلتى إلى فلان . واستشهد به صاحب الكشف على أن الوسيلة فى قوله تعالى : (وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ^(١)) ما يتوسل به إلى الله تعالى ، من فعل الخيرات واجتناب المعاصى . والواسل : هو الراغب إلى الله ؛ بمعنى ذو

وسيلة أو هو كتمانٍ ولا ينـ . وروى (لُبّ) وهو العقل، بدل (رأى) .
والمعنى : أرى الناس لا يعرفون ما هم فيه من خطر الدنيا وسرعة زوالها ،
فالماعل اللبيب من يتوسل إلى الله تعالى بالطاعة والعمل الصالح .

٣٤١

وقوله : ألا كل شيء .. إلخ ، قد وقع في بعض الروايات هذا البيت
أول القصيدة في صحيح البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضى الله عنه أن النبي
صلى الله عليه وسلم قال . أصدق كلمة قالها شاعر كلمة لبيد :
ألا كل شيء ما خلا الله باطل

وفي رواية لها : « أشعر كلمة تكلمت بها العرب كلمة لبيد .. إلخ » .
وقد روى أيضاً بالفاظ مختلفة ، منها . « إن أصدق كلمة .. » ومنها .
« إن أصدق بيت قاله الشاعر .. » ومنها . « أصدق بيت قاله الشعراء .. »
وكلها في الصحيح ومنها . « أشعر كلمة قالتها العرب .. » .

قال ابن مالك في شرح التسهيل : وكلها من وصف المعاني بما يوصف به
الأعيان ، كقولهم . شعرٌ شاعر ، ويصاغ منه أفعل باعتبار ذلك المعنى فيقال :
شعرك أشعر من شعره .

وروى ابن إسحاق في مغازيه . أن عثمان بن مظعون رضى الله عنه مر
بمجلس من قريش في صدر الإسلام ، ولبيد بن ربيعة رضى الله عنه ينشدهم :

* ألا كل شيء ما خلا الله باطل *

فقال عثمان رضى الله عنه : صدقت . فقال لبيد :

* وكل نعيم لا محالة زائل *

فقال عثمان : كذبت ، نعيم الجنة لا يزول أبداً ! فقال لبيد : يا معشر
قريش والله ما كان يؤذى جليسكم فتى حدث هذا فيكم ؟ فقال رجل :

ان هذا سفيه من سفهائنا قد فارق ديننا ، فلا نجدن في نفسك من قوله . فردّ عليه عثمان ، فقام إليه ذلك الرجل فلطم عينه فخصرها (١) ، فقال الوليد ابن المغيرة لعثمان : إن كانت عينك لغنية عما أصابها ، لم رددت جوارى ! فقال عثمان : بل والله إن عيني الصحيحة لفقيرة لمثل ما أصاب أختها في الله ، لا حاجة لي في جوارك ! .

وروى أحمد بن حنبل في زوائد الزهد (٢) : أن لبيداً قديم على أبي بكر الصديق رضى الله عنه فقال :

* ألا كلُّ شيءٍ ما خلا الله باطل *

فقال : صدقت . قال :

* وكلّ نعيمٍ لا محالة زائل *

فقال : كذبت ، عند الله نعيمٌ لا يزول ! فلما ولى قال أبو بكر رضى الله عنه ربّما قال الشاعرُ الكلمةَ من الحكمة !

وأخرج السلفى في المشيخة البغدادية من طريق هاشم ، عن يعلى عن ابن جرّاد ، قال : أنشد لبيدُ النبي ﷺ قوله :

* ألا كلُّ شيءٍ ما خلا الله باطل *

فقال له : صدقت ! فقال :

(١) فى النسختين . « فخصرها » مع تشديد الضاد فى ش . وفى شرح شواهد المغنى ٥٦ : « فخصرها » ، وقد جمعت بين الرسمين ، يقال خضر النخل يخضره خضرا : قطعه . واختضر الجارية ، اذا اقتضها قبل بلوغها .

(٢) كذا . وانما الزوائد لولده عبد الله بن أحمد . وكتاب الزهد لأحمد بن حنبل . انظر كشف الظنون ٢ : ٢٧٩ .

* وكلّ نعيمٍ لا محالة زائلٌ *

فقال له : كذبت ، نعيمُ الآخرة لا يزول !

وأجاب العنفيُّ عن ذلك من وجهين : الأوّل : أن لبيداً إنما قال ذلك قبل أن يسلم ، فيمكن أن يكون في اعتقاده في ذلك الوقت أن الجنة لا وجود لها ، أو كان يعتقد وجودها ولكن لا يعتقد دوامها ، كما ذهبت إليه طائفة من أهل الأهواء والضلال . والثاني : أنه يمكن أن يكون أراد به ماسوى الجنة من نعيم الدنيا لأنه كان في صدّد ذمّ الدنيا وبيان سرعة زوالها . وأمّا تكذيب عثمان إياه فلكونه حمل الكلام على العموم . انتهى .

وقال ابن حجر في شرح البخارى ، في باب الشعر : التعبير بوصف كلّ شئٍ بالبطلان تندرج فيه العبادات والطاعات ، وهى حقٌّ لا محالة ؛ وأجيب : بأن المراد ماعدا الله وما عدا صفاته الذاتية والفعلية من رحمة وعذاب ؛ أو المراد بالبطلان الفناء لا الفساد ، وكلّ شئٍ سوى الله تعالى جائزٌ عليه الفناء لذاته ، حتّى الجنة والنار ، وإنما يبقيان ببقاء الله تعالى لهما وخلق الدوام لأهلها . والحقُّ على الحقيقة من لا يجوز عليه الزوال لذاته . انتهى .

ومثله للسيوطى ، في البدور السافرة ، عند ذكر قوله تعالى : (كلّ شئٍ هالكٌ إلا وجهه^(١)) . أى قابل للهلاك ؛ وكلّ محدث قابل لذلك وإن لم يهلك ، بخلاف القديم الأزلى . ويؤيد ذلك أنّ العرش لم يردّ خبرٌ أنه يهلك . فلنكن الجنة مثله . وقال فى موضع آخر من ذلك الكتاب وفى بحر الكلام : قال أهل السنة : سبعة لا تفنى : العرش والكبرى والألواح والقلم والجنة والنار بأهلها والأرواح . وقال صاحب المفهم شرح مسلم ، وكذا البيهقي وغيره من

(١) الآية ٨٨ من سورة القصص

المحدثين : إن هذه السبعة يقع لها هلاك نسبي^١ ، وهو غشيان يمنع الإحساس ، وفناء ما من الأوقات . قلت : والظاهر وقوع ذلك ، على تقدير صحته ، بين النفختين ، عند قوله عز وجل : (لَمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ^(١)) فلا يجيبه أحد كما وردت به الروايات . انتهى

والباطل هنا الذاهب الزائل ، ومعناه الهالك الفاني : أى القابل للهلاك والفناء . وقال بعضهم : الباطل فى الأصل ضد الحق ، والمراد به هنا الهالك . وقال العيني : « الباطل : ضد الحق ؛ وفى عرف المتكلمين : الباطل ، الخارج عن الانتفاع ؛ والفاسد يقرب منه ، والصحيح : ضده ومقابلة . وفى عرف الشرع : الباطل من الأعيان : ما فات معناه المقصود المخلوق له من كل وجه ، بحيث لم يبق إلا صورته ، ولهذا يذكر فى مقابلة الحق الذى هو عبارة عن الكائن الثابت ؛ وفى الشرع يراد به ما هو المفهوم منه لغة ، وهو ما كان فائت للمعنى من كل وجه مع وجود الصورة ، إما لانعدام محليّة التصرف كبيع للميتة والدم ، أو لانعدام أهلية للتصرف كبيع المجنون والصبي الذى لا يعقل . فإن قلت : مامعناه هنا ؟ قلت : للمعنى كل شئ سوى الله تعالى زائل فائت مضطحل ليس له دوام . انتهى

والمحالة بفتح الليم : الحيلة ، قال الجوهرى : قولهم لا محالة أى لابد . وقوله : وكل أناس سوف تدخل بينهم . . الخ يأتى شرحه إن شاء الله تعالى فى (ماذا ^(٢)) .

وقوله : وكل امرئ يوم . . الخ ، سعيه : عمله . والخصائل : الحسنات والسيئات التى بقيت له عند الله تعالى ؛ وهو بالخاء والصاد المهملتين .

(١) الآية ١٦ من سورة غافر

(٢) وهو الشاهد التاسع والأربعون بعد الأربعمائة .

ثم شرع بعد هذا في تقلّب الدهر بأهله ، وبدأ بذكر النعمان وما كان فيه من سعة الملك ونعيم الدنيا ، ثم ذكر ملوك الشام آل غسان وما فعل الدهر بهم فبادوا كأن لم يكونوا ، فقال :

(لَيْسَ لَكَ عَلَى النُّعْمَانِ شَرْبٌ وَقَيْنَةٌ وَخُحْبِطَاتٌ كَالسَّعَالَى أُرَامِلُ)

الشَّرْبُ : جمع شارب ، يريد أصحابه الذين كان يشاربهم . والقَيْنَةُ : الخادم^(١) . والمُخْبِطَاتُ الفِرَقُ السَّائِلَاتُ المعروف . والسَّعَالَى : الغيلان ، شبه السائلات بها ، في سوء حالهنّ وقبحهنّ . والأُرَامِلُ : المحاويج الجياع من أرملة القوم : إذا نفد زادهم وجاعوا . وقال في آخر القصيدة :

(فَأَمْسَى كَأَحْلَامِ النَّيَامِ نَيْمُهُمْ وَأَيَّ نَعِيمٍ خِلْتَهُ لَا يَزِيلُ)

فظهر بهذا أن هذه القصيدة ليست في مدح النعمان كما زعم من تكلم على هذه الأبيات ، بل هي بالرائاء أشبه ، لاسبها أوائل القصيدة فإنها تناسب ما قلنا . والله أعلم .

وترجمة ليبد تقدمت في البيت الذي قبل هذا البيت .

* * *

وأنشده بعده ، وهو الشاهد الرابع والمشرون بعد المائة ، وهو من شواهد سيبويه^(٢) :

(١) الخادم يقال للمذكر والمؤنث أيضا .

(٢) سيبويه ١ : ٣٤ . وانظر أيضا الخزانة ٢ : ١٤٣ والانصاف ٣٣٢ وابن يعيش ٢ : ١٠٩ / ٤ : ٩ وشرح شواهد المغنى للسيوطي ٢٩٤

والشعراء ٤٥ وتصنيف العسكري ٢٠٧ والقالي ١ : ٣٦ والسمط ١٤٨ -

٣٤٣

١٢٤

(فَلَسْنَا بِالْجِبَالِ وَلَا الْحَدِيدَا)

على أن قوله (الحديدا) معطوف على محلّ الجارّ والمجرور وهو قوله :
(بالجبال) ، وهو خبر ليس والباء زائدة . وكذلك أورده سيبويه . وهو
عجزٌ وصدره :

(مُعَاوِيَ ، إِنَّا بَشَرٌ فَأَسْجِحْ)

و (معاوي) منادى مرثم معاوية بن أبي سفيان . و (أسجح) يقطع
الهمزة وتقدير الجيم على المهملّة ؛ ومعناه ارفق وسهل . وخذ أسجح أى طويل
سهل .

وقد ردّ المبرد على سيبويه روايته لهذا البيت بالنصب ؛ وتبعه جماعة منهم
العسكريّ صاحب التصحيف قال : ومما غلط فيه النحويّون من الشعر ورووه
موافقاً لما أرادوه ، ما روى عن سيبويه عندما احتجّ به في نسق الاسم
المنصوب على المخفوض . وقد غلط على الشاعر ، لأنّ هذه القصيدة مشهورة ،
وهي مخفوضة كلّها . وهذا البيت أولها . وبعده :

أبيات الشاهد (فَهَبْنَا أُمَّةً ذَهَبَتْ ضِيَاعًا يَزِيدُ أَمِيرُهَا وَأَبُو يَزِيدِ
أَكَلْتُمْ أَرْضَنَا فَنَجَرَدْتُمُوهَا فَهَلْ مِنْ قَائِمٍ أَوْ مِنْ حَاصِدِ
أَتَطْمَعُ فِي الْخُلُودِ إِذَا هَلَكْنَا وَلَيْسَ لَنَا وَلَا لَكَ مِنْ خُلُودِ
ذُرُّوْا حَوْنَ الْخِلَافَةِ ، وَاسْتَقِيمُوا ، وَتَأْمِرَ الْأَرَاذِلَ وَالْمَبِيدِ
وَأَعْطُوا النَّسْوِيَّةَ لَا تَزِرْكُمْ جُنُودٌ مَرَدَفَاتٌ بِالْجُنُودِ)

صاحب الشاهد وهذا الشعر لعقبة بن هبيرة الأسديّ ؛ شاعر جاهليّ إسلاميّ . وقد
على معاوية بن أبي سفيان فدفع إليه رقعة فيها هذه الأبيات ، فدعاه معاوية

فقال له : ما جرّأك عليّ ؟ قال : نصحتك إذ غشوك ، وصدقتك إذ كذبوك !
فقال : ما أظنك إلا صادقاً ! ففضى حوائجه .

ويروى أن أبا بردة بن أبي موسى الأشعريّ جاء إلى معاوية فقال له :
يا أمير المؤمنين ، إن عقيبة أخا بني أسد هجاني ؟ فقال : وما قال لك ؟ قال :
قال لي :

* فما أنا من أحداث أمك بالضحى ^(١) *

فقال له معاوية : ليس من أحداثها ! قال : وقال لي :

* ولا من يزكّيها بظهر منيب *

فقال معاوية : لكن الله ورسوله والمهاجرين والأنصار يزكونها ؛ وكانت
تخدم رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : وقال لي :

* وأنت امرؤ في الأشعرين مقابل *

فقال : صدق . قال : وقال لي :

* وفي البيت والبطحاء حق غريب *

فقال : صدق ، ليس لك في البيت ولا في البطحاء حق ! قال : يا أمير المؤمنين
فندعه على هذا ؟ قال : ما قال لي أشدّ مما قال لك . . . وقرأ له الأبيات ؛
فقال : يا أمير المؤمنين ، ما تصنع به ؟ قال : تعال ندع الله عليه .
و (عقيبة) بالقاف يحتمل أن يكون مصغر عقيبة (كظلمة) وهي بقيّة

(١) في النسختين : « حراث » وكذا « حرائها » في الشرح التالي .
وقد كتب الشنقيطي الحرف (د) فوق كل من « حراث » و « حرائها » في
الشرح بعده ، إشارة إلى صوابها

المروق ونحو ذلك تردّ في القدر المستعارة ؛ أو مصغّر العقبة بمعنى النوبة ، يقال تمتَّ عُقْبَتِكَ . وهما يتماقبان أى يتناوبان .

وقوله : فجردتموها ، أى قشرتموها كما يُجْرَد اللحم من العظم وقوله : فهل من قائم ، يعنى : القرى التى أهلكت ، منها قائم قد بقيت حيطانه ، ومنها حصيد قد أحمى أثره (١) وأخلون ، بفتح الخاء وسكون الواو : مصدر كلناية . والتأثير : تفعليل من الإمارة . والسوية : المساواة . والنهضة .

ولم أرَ لعقبة هذا ذكراً في كتب الصحابة ، ولم يذكره ابن حجر أيضاً في الإصابة من المخضمين . والظاهر أنه من المخضمين .

٣٤٤

وأجلب الزغشري ، تباعاً لما قاله ابن الأنباري في الانصاف ، بأن هذا البيت روى مع أبيات منصوبة ومع أبيات مجرورة ، فن رواه بالجر روى معه الأبيات المتقدمة ، ومن رواه بالنصب روى معه :

(أديروها بني حرب عليكم ولا ترموا بها الغرض البعيدا)

يقول : ضموا الخلافة والولاية إليكم ، ولا ترموا بها أقصى للرأى : أى لا تطرحوا النظر في أمرنا وتتركونا مع الولاة الذين من قبلكم يجوزون علينا ..

وهذا الشعر لعبد الله بن الزبير الأسدي . قالوا : وليس يُنكر أن يكون بيت من شعرين معاً (٢) ، لأن الشعراء قد يستعمل بعضهم من كلام بعض ، وربما أخذ البيت بيمينه ولم يُغيّره كقول الفرزدق :

(١) الحق أن القائم والحصيد ، إنما هو صفة للزروع . ولكنه تبع في ذلك السيوطي في شرح الشواهد ٢٩٥ . وقال السيوطي : « كقوله تعالى : منها قائم وحصيد » . لكن شتان ما بين معنى البيت ومعنى الآية .

(٢) في النسختين : « بيتا » ، وإن كان الشنقيطي قد صححها .

ترى الناس ما سرنا يسرون خلفنا وإن نحن أومأنا إلى الناس وقفوا
فإن هذا البيت لجليل بن عبد الله^(١) ، انتحله الفرزدق .

وأورد ابن خلف نظير هذا في شرح أبيات الكتاب ما يزيد على مائة
بيت . ومثل ما نحن فيه قول الأحنس بن شهاب البشكري :

إذا قصرت أسيافنا كان وصلها خطانا إلى أعدائنا فنضارب

والقصيدة مرفوعة القوافي ، وأخذ قيس بن الخطيم ، وجعله في قصيدة
مجرورة القوافي ، وسيأتي شرحه إن شاء الله تعالى في الظروف .

وزعم السيرافي : أن شعر عقيبة الأسدى يجوز في إنشاد قوافيه الجر
والنصب . قال اللخمي في شرح أبيات الجمل : وهذا وهم لأن فيها ما يجوز فيه
الوجهان عند البصريين ، ومنها ما لا يجوز فيه عندهم إلا وجه واحد ؛
ولا يجوز أن يُنشد بعض القصيدة منصوباً وبعضها مرفوعاً على طريق الإقواء ،
لأن الإقواء في الغالب إنما يكون بين المرفوع والمجرور لما بينهما من المناسبة ؛
فأما ما يصح فيه الوجهان فالبيت الأول والثالث والخامس ، والنصب فيه عطف
على نحو الخلافة ، ويجوز أن يكون معطوفاً على تأمير الأراذل ، على حذف
مضاف ؛ فأما البيتان الباقيان فلا يصح فيهما النصب على مذهب البصريين ،
ويجوز على مذهب الكوفيين ، لأنهم يميزون ترك صرف ما ينصرف^(٢)
في الشعر ضرورة اهـ . ولا يخفى أن الكوفيين إنما يميزون ترك صرف
المنصرف إذا كان علماً ، يكتفون بشرط العلة كما هو المشهور ، وقد منا في أول
باب مالا ينصرف ما يغني عن إعادته هنا^(٣) .

(١) لم أجده في ديوانه ، ولم يسجله في الزيادات جامعه .

(٢) في النسختين : « مالا ينصرف » ، والوجه ما أثبت .

(٣) أنظر الجزء الأول ص ٣١ وما بعدها

وقيل : إنه من شعر آخر لعبد الله بن الزبير وهو :

رمى 'الحدثان' نسوة آل حرب بمقدارِ مَحْدَنَ له مُمُودَا
فَرَدَّ شعورَهِنَّ السُّودَ بِيضًا وَرَدَّ وُجُوهُنَّ الْبَيْضَ سَوْدَا
فَأَنَّكَ لو سَمِعْتَ بكاءَ هندية ورملة إِذْ تَصُكَّانِ الْخُدُودَا
سَمِعْتَ بكاءَ بأكية حزينِ أَبَانَ الدهرُ واحِدَهَا الْفَقِيدَا
معاوى ، إِنَّا بشرُ فاسجِح البيت

ولا يخفى أن هذا البيت أجنبى من هذه الأبيات ، ويدل عليه : أن أبا تمام أنشد هذه الأبيات لمن ذكرنا ، في باب المرائى من الحماسة ^(١) ، بدون البيت الأخير ولم يذكره أحد من شراحه .

والحدثان بالتحريك : الحادثة ، ونائبة الدهر . والمقدار : ما قدره الله تعالى . وفيه قلب أى رعى تقديرُ الله نسوة آل حرب بحدثان . والسُّود : تغير الوجه من الحزن .

و (ابن الزبير) هو عبد الله بن الزبير بن الأشيم بن الأعشى بن بجرة (بفتح الموحدة والجيم) وينتهى نسبه إلى أسد بن خزيمة . والزبير بفتح الزاى وكسر الموحدة .

عبد الله
ابن الزبير

وعبد الله شاعر كوفى المنشأ والمنزل . وهو من شعراء الدولة الأموية ومن شيعتهم والمتعصب لهم ؛ فلما غلب مُصْعَب بن الزبير على الكوفة أثنى به أسيراً ، فمنّ عليه ووصله وأحسن إليه ؛ فمدحه وأكثر من مدحه واتقطع إليه

٣٤٥

(١) انظر الحماسة ٩٤١ بشرح الرزوقي . وقد نسبت الأبيات في زهر الآداب ٤٠٥ إلى ابن الزبير أيضاً . وفي عيون الأخبار ٣ : ٦٧ إلى فضالة بن شريك . وفي القال ٣ : ١١٥ إلى الكميت بن معروف .

فلم يزل معه حتى قُتِلَ وعُمي بعد ذلك ، ومات في خلافة عبد الملك بن مروان .
وكان الحجاج أرسله في بعثٍ إلى الرّئيّ فات بها . وكان أحدَ الهجّائين ^(١) ،
يخافُ الناس شرّه وله حكايات مسطورة في الأغاني .

ومن شعره يمدح عمرو بن عثمان بن عفّان — وكان رآه عمرو في ثياب
رثة فاقترض ثمانية آلاف درهم باثني عشر ألفاً وأرسلها إليه مع رزمة ثياب ^(٢)
فقال (وهو من أبيات تلخيص المفتاح) :

سأشكرُ عمرًا إن تراخت منيّتي أيادي لم تُمننْ وإن هي جَلَّتْ ^(٣)
فتى غيرَ محبوبٍ الغني عن صديقه ولا مظهرِ الشكوى إذا النعلُ زَلَّتْ
رأى خلّتي من حيثُ يخفى مكانها فكانتُ قذِي عينيهِ حتى تجلّتْ
ومدح أسماء بن خارجة الفزاريّ بقصيدة منها :

تراه إذا ما جثته مهلّلا كأنك تعطيه الذي أنت سائله ^(٤)
ولو لم يكن في كفه غيرُ روحه لجاد بها ، فليتيق الله سائله ^(٥)
فأثابه أسماء ثواباً لم يرضه ، ففضب وقال يهجوهُ :

بنتُ لكمُ هندٌ بتلذيع بظُرِها دكاكينَ من جصٍّ عليها المجالسُ
فوالله لولا رهزُ هندی بيطرها لعدّ أبوها في اللثامِ العوايسُ

فبلغ ذلك أسماء فركب إليه واعتذر إليه من ضيق يده وأرضاه ، وجعل
له على نفسه وظيفة في كل سنة . فكان بعد ذلك يمدحه ويفضّله . وكان أسماء

(١) ط : « واحد الهجّائين » ، صوابه في ش والـأغاني ١٣ : ٣١

(٢) كذا . وانظر الأغاني ١٣ : ٣٣ .

(٣) انظر تحقيق نسبة هذا الشعر في حواشي السمط ١٦٦ ورسائل

المجاهد ١ : ٣٨ بتحقيق عبد السلام هارون

(٤) هذا البيت ليس له ، إنما هو لزهير في ديوانه ١٤٢

(٥) ينسب هذا البيت إلى أبي تمام في ديوانه ٢٣٢

يقول لبنيه : والله ما رأيت قط جصاً فى بناء إلا ذكرتُ بظر أمكم
هندي فحججلت^(١) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والعشرون بعد المائة (٢) :

١٢٥ * يَسْمَعُ لَاهُ الْكِبَارُ *

على أنه قيل إنما جازى الله للزوم اللام للكلمة ، فلا يقال لاهُ إلا نادراً
كما فى هذا الشعر .

وإنما عبر بقيل ، لأن أبا على الفارسى قال : « أل عوض من الهمزة ،
إذ أصله إله ، ويدل على ذلك : استجازتهم لقطع الهمزة فى القسم والنداء ؛
فلو كانت غير عوض لم تثبت كما لم تثبت فى غير هذا الاسم . ولا يجوز
أن يكون للزوم الحرف ، لأن ذلك يوجب أن تقطع همزة الذى والتى .
ولا يجوز أيضاً أن يكون لأنها همزة مفتوحة وإن كانت موصولة ، كما لم يجر
فى إيم الله وإيمن الله . ولا يجوز أيضاً أن يكون ذلك لكثرة الاستعمال ،
لأن ذلك يوجب أن تقطع الهمزة أيضاً فى غير هذا مما يكثر استعمالهم له .
فعلنا أن ذلك لمعنى اختصت به ، ليس فى غيرها . ولا شيء أولى بذلك المعنى ،
من أن يكون للعوض من الحرف المحذوف ، الذى هو الفاء . ١٠٨ .

٣٤٦

وكون لفظ الجلالة أصله (لاه) هو أحد قولى سيبويه فيه . واختاره
المبرد ، قال : أصله لاه على فعل مثل ضرب^(٣) ، ثم دخلت أل عليه تعظيماً لله

(١) انظر الأغاني ١٣ : ٣٣

(٢) انظر أمالى ابن الشجرى ٢ : ١٥ وتصحيح العسكري ٣١٠
واللسان (أله ٣٦٢) وديوان الأعشى ١٩٥

(٣) وقال ابن الشجرى : « أصله ليه ، فعل مثل جبل ، فصارت
ياؤه ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها » .

عزّ وجل وإبائه له عن كلّ مخلوق ، فهو اسم وإن كان فيه معنى فعل . وأصل لاه : لوّه أوليه . قال : « ولو كان كما ذكر سيبيويه : أن أصله إلاه ، لكان قد حذف فاء الفعل وعينه ، لأنه يحذف همزة إله وهى فاء الفعل ثم تذهب العين إذا دخل الألف واللام ؛ ولم نر شيئا يحذف فاؤه وعينه .

قال السخاوى فى سِفَر السعادة : « وليس كما قال ، فإن عينه باقية لم تحذف » .

والمعجب من السخاوى حيث نقل عن المبرد بأن قول ابن عباس : الله هو الله ذو الألوهية يأله الخلق ، وقرأ ابن عباس : ﴿ وَيَذَرَكْ وَإِلَهَتَكَ ﴾^(١) أى وعبادتك ، لأنهم كانوا يعبدون فرعون هـ . يؤيد القول بكون أصله (لاه) ولم يتعقبه بشيء هـ مع أنه إنما يؤيد من قال : إن أصله إله . فتأمل .

وقال ابن السجرى فى أماليه : « والذى ذهب إليه س : من أن أصل هذا الاسم إله ، قول يونس والأخفش والكسائى والفرّاء وقطرب . وقال بعد وفاقه لهؤلاء : وجائز أن يكون أصله لاه وأصل لاه ليه على وزن فعل ثم أدخل عليه أل . واستدلّ بقول بعض العرب : لهى أبوك ، يريدون لاه أبوك . قال : فتقديره على هذا القول فعل ، والوزن وزن باب ودار . وأنشد . . لاهه الكبار ، وقوله : لاه ابن عمك . . البيت هـ . كلام سيبيويه . وأقول : لاه على هذا تام ، على وزن جبّل ، ومن قال لهى أبوك فهو مقلوب من لاه ، قدمت لاهه التى هى الهاء على عينه التى هى الياء فوزنه فلّع ، وكان أصله بعد تقديم لاهه على عينه للهى ، فحذفوا لام الجر ثم لام التعريف ،

(١) الآية ١٢٧ من سورة الأعراف .

وَضَمَّنُوهُ مَعْنَى لَامِ التَّعْرِيفِ فَبَنُوهُ ؛ كَمَا ضَمَّنُوا مَعْنَاهَا أَمْسٍ فَوَجِبَ بِنَاؤُهُ .
وَحَرَّكَوْا الْيَاءَ لِسُكُونِ الْهَاءِ قَبْلَهَا وَكَانَتْ فَتْحَةٌ لَخَفِّهَا . ١ هـ كَلَامُ
ابْنِ الشَّجَرِيِّ .

أَقُولُ : الْبَيْتَانِ اللَّذَانِ أوردُهُمَا لَيْسَا فِي كِتَابِ س ، وَلَيْسَ فِي الشَّعْرِ دَلِيلٌ
عَلَى أَنَّ اللَّهَ أَصْلُهُ لَاه ، لَجَوَازِ أَنْ يَكُونَ لَاهُ مُخَفَّفٌ إِلهَ حُذِفَتِ الْهَمْزَةُ لِلضَّرُورَةِ
الشَّعْرِ ، بِدَلِيلِ الْجَمْعِ عَلَى آلِهَةٍ دُونَ أُلُوْهَةٍ أَوْ أَلِيْهَةٍ .

وَقَالَ خَضِرُ الْمَوْصِلِيِّ : اسْتَشْهَدْ بِهِ عَلَى أَنَّ أَصْلَ اللَّهِ لَاه ، لِأَنَّ الضَّرُورَةَ
تَرَدُّ الْأَشْيَاءَ إِلَى أَصُولِهَا . وَفِيهِ نَظَرٌ ، لَجَوَازِ أَنْ يَكُونَ لَاهُ لَفْظًا مُسْتَقِلًّا بِرَأْسِهِ
بِمَعْنَى إِلهَ ١ هـ . قَالَ أَبُو عَلِيٍّ ، فِي تَقْضِ الْمَازُورِ : فَإِنْ قِيلَ : قَدْ قَالَ الشَّاعِرُ :
« لَاهُهُ الْكُبَار » لَقَدْ أَخْرَجَ الْأَلْفَ وَاللَّامَ مِنَ الْأَسْمِ وَأَضَافَهُ . قِيلَ : إِنْ
الشَّاعِرُ لَمَّا رَأَى الْأَلْفَ وَاللَّامَ فِيهِ عَلَى حَدِّ مَا يَكُونُ فِي الصِّفَاتِ الَّتِي تَغْلِبُ ،
وَرَأَى أَنَّ هَذِهِ الصِّفَاتِ إِذَا غَلِبَتْ صَارَتْ كَالْأَعْلَامِ ، فَلَا تَحْتَاجُ إِلَى حَرْفِ
التَّعْرِيفِ فِيهَا ، كَمَا لَمْ يُحْتَجَّ إِلَيْهَا فِي الْأَعْلَامِ . أَخْرَجَهُ عَلَى ذَلِكَ كَمَا قَالَ الْآخَرُ :
* وَنَابِغَةُ الْجُعْدِيِّ بِالرَّمْلِ يَبْتَه (١) *

حَيْثُ غَلِبَ الْوَصْفُ فَصَارَ يَعْرِفُ بِهِ كَمَا يَعْرِفُ بِالْعَلَمِ ، فَكَذَلِكَ الْأَسْمُ .
وَمَعَ هَذَا فَكَأَنَّهُ رَدُّ الْأَسْمِ ، لِلضَّرُورَةِ ، إِلَى الْأَصْلِ الْمَرْفُوضِ الْاسْتِمَالِ .
وَهَذَا لَا يَجُوزُ اسْتِمَالُهُ سَائِغًا مَطْرُودًا .

وَالْأَزْهَرِيُّ أوردَ هَذَا الشَّعْرَ عَلَى غَيْرِ هَذِهِ الرِّوَايَةِ ، قَالَ فِي التَّهْذِيبِ :
وَقَدْ كَثُرَ الْإِلَهَمُ فِي الْكَلَامِ حَتَّى خَفَّتْ مِثْمَا فِي بَعْضِ اللِّغَاتِ ؛ وَأَنْشَدَنِي بَعْضُهُمْ :

(١) عَجَزَهُ كَمَا فِي اللِّسَانِ (نَبِغ ٣٣٦) وَسَيَبُويهِ ٢ : ٢٤

عَلَيْهِ صَفِيحٌ مِنْ تَرَابٍ مَوْضِعُ *

وَفِي أَمَالِي ابْنِ الشَّجَرِيِّ : « مُنْضَد » : وَحِكْيُ الشَّنْتَمَرِيِّ قَافِيَةٌ :
« وَحَبْدَل » .

(كَحْلَفَةٍ مِنْ أَبِي رِيَّاحٍ يَسْمَعُهَا اللَّهُمَّ الْكِبَارُ)

وإنشاد العامة : يسميها لأهه الكبار . اهـ

وأورده جماعة من النحويين ، منهم المرادى فى شرح الألفيتة :

(يسميها لاهم الكبار)

على أن فيه شذوذين : أحدهما استعماله فى غير النداء لأنه فاعل يسميها ،
والثانى تخفيف ميمه ؛ وأصلها التشديد .

وقال العسكرى فى كتاب التصحيف : روى الأصمعى (يسميها الواحد
الكبار) ، ورواية غيره (لاهه) اهـ .

قال أبو على ، فى تقض الهاذور : وأما قول من قال لاهم الكبار ،
فالقول فيه : أنه بنى من الاسم والصوت اسماً ، كما بنى التهليل من هَلَل ،
وبأبى من أبى ، ثم صار اسماً كما صارت هذه الأشياء اسماً ، وأصله الصوت اهـ .
والكبار وصفه . قال ابن عقيل فى شرح التسهيل : ومذهب سيبويه
والخليل أن اللهم فى النداء لا يوصف ، لكونه مع الميم كالصوت . وأما
« لاهم الكبار » فقليل فيه : لما كان غير منادى وُصِفَ ؛ وقيل رفع على القطع .

و (أبو رياح) : رجل من بنى ضبيعة . وهو حصن ^(١) بن عمرو بن بدر .
وكان قتل رجلاً من بنى سعد بن ثعلبة فسأله أن يحلف أو يعطى الدية ،
فحلف ثم قتل بعد حلفته . فضربه العرب مثلاً لما لا يغنى من الحلف ؛
قاله ابن دُرَيْد فى شرح ديوان الأعشى . وهو بمنىة نحتية ، لا بموحدة كما زعم
شراح الشواهد .

(١) فى شرح ثعلب لديوان الأعشى : « حصين » .

قال المسكوى في كتاب التصحيف : « زعم بعض المصحفين : أن الإنسان إذا صحَّف في مثل هذا لم يكن ملوماً . ولبس كما قال ؛ وهل العيب واللوم إلا على تصحيف الأسماء ! وليس يُعرف في أسماء العرب في الجاهلية رباح بياء تحتها نقطة واحدة إلا في أسماء عبيدها ، إلا في اسم رجلين : أحدهما رباح ابن المغترف بنين معجبة ، وآخر ^(١) . وأما قول الأعشى : كحَلْفَةٍ من أبي رباح ، فهو بياء تحتها قطنان ؛ من بنى تيم بن ضبيعة » اهـ .

و (الكُبار) بضم الكاف وتخفيف الموحدة : صيغة مبالغة الكبير بمعنى العظيم ، وهو صفة (لاهُ) . و (الحَلْفَة) بالفتح : المرة من الحَلَف بمعنى القسم . وقوله : (من أبي رباح) صفةٌ لحلفة : أى كحَلْفَةٍ صادرةٍ منه . وروى بدل يسمعا : (يشهدا) ، والضمير للحلفة ، والجملة صفة ثانية لحلفة . وقبله :

(أقسَمْتُ حُلْفًا جِهَارًا : إِنْ نَحْنُ مَا عِنْدَنَا عِرَارُ)

وحُلْفًا : جمع حالف . وإن : مخففة من الثقيلة . وعِرَار بكسر المهملة : اسم رجل .

والبيتان من قصيدة للأعشى ميمون ذكر فيها مَنْ أَهْلَكَ الدَّهْرَ مِنَ الْجَبَابِرَةِ . ومطلعا :

(أَلَمْ تَرَوْا إِرْمًا وَعَادًا أَفْنَاهُمُ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ !
وَقَبْلَهُمْ غَالَتِ الْمَنَايَا طَسْمًا فَلَمْ يَنْجِهَا الْحِدَارُ
وَحَلَّ بِالْحَيَّ مِنْ جَدِيسٍ يَوْمٌ مِنَ الشَّرِّ مُسْتَطَارُ

(١) كذا . ولم يعينه . انظر التصحيف ٣١١

وأهلُ جَوْ أَتَتْ عَلَيْهِمْ فَأَفْسَدَتْ عَيْشَهُمْ فَبَارُوا
فَصَبَّحَتْهُمْ مِنَ الدَّوَاهِي جَائِحَةٌ عُقْبُهَا الدَّمَارُ^(١)
ومرَّ دهرٌ على وَبَارٍ فهلكَتْ جِبرَةً وَبَارٍ

٣٤٨

الرؤية علمية ؛ وجملة أُنْهَامُ هو المفعول الثاني ؛ لا أَتَاهَا بَصَرِيَّةٌ ؛ خلافاً
للعيني . وروى « أودى بها الليل والنهار » ، وهو بمعنى أُنْهَامُ . وإِرم بكسر
الهمزة ، قال البكري ، في معجم ما استعجم : هو أبو عَوْص ، بالصاد وفتح
العين ، وعاد : ابن عوص ؛ وإِرم هو ابن سام بن نوح عليه السلام ؛ قال
الهمداني : نزل جَيرونُ بن سعد بن عادٍ دمشق ، وبني مدينتها ، فسميت باسمه
جَيرون . . قال : وهي إِرمُ ذاتُ العِداد ، يقال : إن بها أربعمائة ألف عمود من
حجارة . . قال : وإِرم ذاتُ العِداد المعروفة بتيه أَبْيَن ، وبجانب هذا التيه منهل
أهل عدن ، وبتيه أَبْيَن مسكن إِرم بن سام بن نوح ؛ فلذلك يقال : إن إِرم
ذاتُ العِداد فيه .

واختلف أهل التأويل في معنى إِرم فقال بعضهم : إِرم : بلدة ؛ وقيل :
إنها دِمَشق ؛ وقيل هي الإسكندرية ؛ وقال مجاهد رحمه الله : إِرم : أمة ، وقال
غيره : من عاد . ومعنى ذاتُ العِداد على هذا ذاتُ الطول .

وطسم وجديس : قبيلتان من عاد كانوا في الدهر الأول فاقترضوا . .
وبيان اقتراضهم ، كما قال محمد بن حبيب في كتاب المغتالين^(٢) : أن ملك

(١) ط : « نائحة » وكذا في ش لكن دون اعجام ، صوابه من الديوان

طَسَمَ - عَمَلِيقُ بْنُ لَأُوذَ (١) بن إرم بن سام (٢) بن نوح - تَعَدَى فِي الظُّلَمِ
وَالنَّجَبِ . وَأَتَتْهُ يَوْمًا امْرَأَةٌ مِنْ جَدِيسَ اسْمُهَا هُزَيْلَةُ ، وَكَانَ زَوْجُهَا طَلَّقَهَا وَأَرَادَ
أَخْذَ وَلَدِهَا مِنْهَا ، فَقَالَتْ : أَيُّهَا الْمَلِكُ ، إِنِّي حَمَلْتُهُ تَسْعًا ، وَوَضَعْتُهُ دَفْعًا ، وَأَرْضَعْتُهُ
شَفْعًا ، حَتَّى إِذَا تَمَّتْ أَوْصَالُهُ أَرَادَ أَنْ يَأْخُذَهُ كَرَّهَا ، وَأَنْ يَتْرَكْنِي مِنْ بَعْدِهِ
وَرَهًا ! فَقَالَ لَزَوْجِهَا : مَا حَبَبْتُكَ ؟ قَالَ : أَيُّهَا الْمَلِكُ ، إِنِّي قَدْ أُعْطِيتُ الْمَهْرَ
كَمَلًا (٣) ، وَلَمْ أَصِْبْ مِنْهَا طَائِلًا ، إِلَّا وَلِيدًا خَامِلًا ، فَاغْلُظْ مَا كُنْتُ فَاعِلًا .
فَأَمَرَ بِالْغُلَامِ أَنْ يَنْزَعَ مِنْهَا جَمِيعًا وَيُجَمَلَ فِي غِلْمَانِهِ ، وَقَالَ لِهُزَيْلَةَ : أَفِيهِ وَلَدٌ ،
وَلَا تَنْكَحِي أَحَدًا ، أَوْ اجْزِيهِ صَفْدًا ، فَقَالَتْ هُزَيْلَةُ : أُمَّا النِّكَاحُ فَإِنَّمَا
يَكُونُ بِالْمَهْرِ ، وَأُمَّا السَّفَاحُ فَإِنَّمَا يَكُونُ بِالْقَهْرِ ، وَمَا لِي فِيهِمَا مِنْ أَمْرٍ ! فَلَمَّا سَمِعَ
عَمَلِيقُ كَلَامَهَا أَمَرَ أَنْ تَبَاعَ مَعَ زَوْجِهَا ، فَيُعْطَى زَوْجُهَا خُمْسَ ثَمَنِهَا ، وَتُعْطَى
هُزَيْلَةُ عَشْرَ ثَمَنِ زَوْجِهَا ، وَيُسْتَرْقَا . فَأَنْشَأَتْ تَقُولُ :

أَتَيْنَا أَخَا طَسَمٍ لِيَحْكُمَ بَيْنَنَا فَأَنْقَذَ حَكْمًا فِي هُزَيْلَةَ ظَالِمًا
لِعَمْرِي ، لَقَدْ حُكِمْتَ لَا مَتَوَرِّعًا وَلَا كُنْتَ فِيمَا يُبْرَمُ الْحُكْمُ عَلَامًا (٤)
فَلَمَّا سَمِعَ عَمَلِيقُ كَلَامَهَا أَمَرَ أَنْ لَا تُزَوَّجَ بِكَرْمٍ مِنْ جَدِيسَ قَتَهْدَى إِلَى
زَوْجِهَا إِلَّا يَفْتَرِعَهَا (٥) هُوَ قَبْلَ زَوْجِهَا ، فَلَقُوا مِنْ ذَلِكَ جَهْدًا وَذَلَالًا . فَلَمْ يَزَلْ عَلَى

(١) فِي النُّسَخَتَيْنِ : « لَوْ » وَفِي أَصْلِ نَوَادِرِ الْمَخْطُوطَاتِ وَابْنِ الْأَثِيرِ
١ : ٢٠٣ : « لَوْ » ، صَوَابُهُمَا مَا أَثْبَتَ مِنَ الْأَغَانِي ١٠ : ٤٥ : وَالِاشْتِقَاقُ ٨٣
وَنَهَايَةُ الْأَرْبِ ١ : ٢٩٢ فَهُوَ الْمَطَابِقُ لِلتَّرْجُمَةِ الْعَرَبِيَّةِ ، وَإِنْ كَانَ أَصْلُهُ فِي
الْعِبْرِيَّةِ « لَوْد » بِضَمِّ اللَّامِ وَآخِرُهُ دَالٌ مَهْمَلَةٌ . انْظُرِ التَّكْوِينَ ١٠ : ٢٢ .
(٢) الصَّوَابُ أَنْ لَأُوذَ أَخُو إِرْمَ لَا ابْنَهُ ، كَمَا فِي سَفَرِ التَّكْوِينَ .
(٣) الَّذِي فِي الْأَغَانِي عَنْ ابْنِ حَبِيبٍ عَنْ ابْنِ الْأَعْرَابِيِّ ١٠ : ٤٦ : « إِنِّي
قَدْ أُعْطِيتُهَا الْمَهْرَ كَمَلًا » .
(٤) وَكَذَا فِي الْأَغَانِي . وَفِي كِتَابِ ابْنِ حَبِيبٍ : « فِيمَا يُبْرَمُ الْحُكْمُ » .
(٥) كَذَا فِي النُّسَخَتَيْنِ . وَفِي كِتَابِ ابْنِ حَبِيبٍ : « الْإِيؤَتَى بِهَا عَمَلِيقُ
فَيَفْتَرِعُهَا » .

هذا أربعين سنة حتى زُوجت الشّمس عميرة بنت غفار الجديسيّة (١) أخت
الأسود (الذى وقع إلى جبل طي وسكنوا الجبلين بعده (٢)) فلما أرادوا
أن يهدوها إلى زوجها ، انطلقوا بها إلى عمليق لينالها قبله ، ومعها القينات
يفنين ويقلن :

ابدى بعِليقٍ ، وقومى واركي ! وبادري الصبحَ لأمرٍ مُعجِبٍ (٣)
فسوفَ تلقينَ الذى لم تطلبي ! وما ليكر عنده من مهرَبٍ !
فلما أدخلت عليه افترعها ، وختل سبيلها . فخرجت إلى قومها فى دماها
شاقّة درعها عن قبْلِها ودُبرها ! وهى تقول :

٣٤٩

لا أحدٌ أذلّ من جدّيسٍ أهكذا يُفعل بالعروس !
يرضى بهذا ، يالقومى . حرّ ! أهدى وقد أعطى وسيق المهر (٤)
لأخذهُ الموتَ كذا لنفسه (٥) خيرٌ من أن يُفعل ذا بعِرسه
وقالت تحرّض قومها :

أُصلحُ ما يؤتى إلى فتياتكم وأنتم رجالٌ فيكم عددُ النمل ؟ (٦)
وتصبح تمشى فى الدّماء صبيحة شميسة زُفت فى النساء إلى البعل (٧)

(١) فى كتاب ابن حبيب : « عفيرة بنت غفار » . وفى الأغاني : « عفيرة بنت عباد » .

(٢) فى الأغاني ١٠: ٤٦ : « الذى دفع الى جبل طي » فقتله طي وسكنوا الجبلين من بعده » .

(٣) فى كتاب ابن حبيب : « بامر معجب » وكذا فى المحاسن والأضداد المنسوب للجاحظ ٢١٤

(٤) فى محاسن الجاحظ : « من بعد ما أهدى وسيق المهر »

(٥) فى المحاسن : « لأن يلاقى المرء موت نفسه »

(٦) المحاسن : « وأنتم رجال كثرة عدد الرمل »

(٧) فى كتاب ابن حبيب : « عشية زفت » . وفى الأغاني :

وتصبح تمشى فى الرءاء عفيرة عفيرة زفت فى النساء الى بعل

(١٨) خزانة الأدب ج ٢

فإن أنتم لم تَقْضُوا بعد هذه
فكونوا نساء لا تَقْبُ عن الكحل^(١)
ودونكم طيبَ العروس ، فإتما
خُلِقْتُمْ لأثواب العروس وللنسل^(٢)
فلو أننا كنّا رجالاً وأنتم نساء ، لكنّا لا نقيم على الذل^(٣)
فبعداً وسُحْقاً للذى ليس دافعاً ويختالُ : يعنى بيننا مِشْيَةَ الفحل^(٤)
فوتوا كراماً أو أميتوا عدوكم ودنوا لنار الحرب بالحطب الجزل^(٥)
فلما سمع قولها أخوها الأسود — وكان سيّداً مطوعاً — قال لقومه :
يا معشر جدّيس ، إن هؤلاء القوم ليسوا بأعزّ منكم فى داركم إلا بما كان من
ملك صاحبهم علينا [وعليهم^(٦)] وأنتم أذلّ من النيب ، فأطيعونى يكن
لكم عزّ الدهر ، وذهابُ ذلّ العمر . فقالوا : نطيعك ، ولكنّ القوم أكره
ميناً وأقوى . قال : فإنى أصنعُ للملك طعاماً ثم أدعوهم إليه ، فإذا جاءوا
يرفُلون فى حلّهم مشكيناً إليهم بالسيوف فقتلناهم ، وأنا أنفرد بمملىق ، وينفرد
كل واحد منكم بجليسه ، فأتخذ الأسود طعاماً كثيراً ، وأمر لقوم فآخَرتوا
سيوفهم ودفنوها فى الرمل ، ودعا القوم فجاءوا ، حتّى إذا أخذوا مجالسهم ومدوا
أيديهم إلى الطعام ، أخذوا سيوفهم من تحت أقدامهم ، فشدّ الأسود على

(١) كذا (ش) وفى ط : « من الحل » ، وفى كتاب ابن حبيب : « من الكحل » ، وفى الأغاني : « لا تعاب من الكحل » .

(٢) وكذا فى كتاب ابن حبيب ، وفى الأغاني : « وللنسل » .

(٣) فى الأغاني : « وأنتم نساء » .

(٤) ط : « ليس رافعا » ، صوابه للشنقيطى فى نسخته والأغاني

(٥) وابن حبيب والأغاني : « ودبوا » ، بالباء .

(٦) التكملة من ابن حبيب والأغاني .

عَمَلِيْق ، وَكُلُّ رَجُلٍ عَلَى جَلِيْسِهِ . فَلَمَّا فَرَعُوا مِنْ قَتْلِ الْأَشْرَافِ شَدُّوا عَلَى السِّفْلَةِ فَأَقْنَوْهُمْ ، وَنَجَّا بَعْضُ طَسَمٍ ، فَاسْتَفَاثَ بِحَسَانِ بْنِ تَبَعٍ ، فَفَزَا حَسَانٌ جَدِيْماً فَقَتَلَهَا وَأَخْرَبَ دِيَارَهُمْ وَتَفَانَى الْحَيَانُ فَلَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ أَحَدٌ .

وَجَوَّ بِفَتْحِ الْجِيمِ وَتَشْدِيدِ الْوَاوِ ، وَهِيَ مَنَازِلُ طَسَمٍ وَجَدِيْسٍ ، وَكَانَ هَذَا الْأَسْمُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ حَتَّى سَمَّاهَا الْحَمِيرَى لَمَّا قَتَلَ الْمَرْأَةَ الَّتِي تَسَمَّى الْجَاهِمَةَ بِاسْمِهَا وَقَالَ الْمَلِكُ الْحَمِيرَى :

وَقُلْنَا وَسَمَّوْهَا الْجَاهِمَةَ بِاسْمِهَا وَسَرْنَا وَقُلْنَا لَا نَزِيدُ إِقَامَةَ

وَالْعُقْبُ ، بِضَمِّ الْعَيْنِ وَسُكُونِ الْقَافِ : الْعَاقِبَةُ . وَالْدَّمَارُ : الْهَلَاكُ . وَقَوْلُهُ : وَمَرَّ دَهْرٌ عَلَى وَبَارٍ . . . الخ ، هَذَا الْبَيْتُ مِنْ شَوَاهِدِ النُّحَوِيِّينَ (١) ، وَأَوَّلُ مَنْ اسْتَشْهَدَ بِهِ سَبْيُوَيْهَ : عَلَى أَنَّ وَبَارَ رَفَعَ ، وَالْمَطْرَدُ فِيمَا كَانَ آخِرُهُ رَأَى مِنْ وَزْنٍ فَعَالٍ أَنْ يَبْنَى عَلَى الْكُسْرِ فِي لُغَةِ الْحِجَازِ . وَأُورِدَهُ شُرَاحُ الْأَلْفِيَّةِ شَاهِداً عَلَى وَرُودِ وَبَارٍ عَلَى اللَّغَتَيْنِ : إِحْدَاهُمَا الْبِنَاءُ عَلَى الْكُسْرِ ، وَالثَّانِيَةُ إِعْرَابُهَا إِعْرَابَ مَا لَا يَنْصَرَفُ . وَزَعَمَ أَبُو حَتِيَّانَ : أَنَّهُ يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ وَبَارُ الثَّانِي فَعْلاً مَاضِياً مُسْتَدَماً إِلَى الْوَاوِ . قَالَ الْأَعْمَى : « وَبَارُ : اسْمُ أُمَةٍ قَدِيمَةٍ مِنَ الْعَرَبِ الْعَرَابِيَّةِ هَلَكَتْ وَانْقَطَعَتْ كَهَلَاكِ عَادَ وَنَمُودَ » .

وَقَالَ الْبَكْرِيُّ فِي مَعْجَمٍ مَا اسْتَعْجَمَ : « قَالَ أَبُو عَمْرٍو : وَبَارٌ بِالْذَهْنَاءِ ، بِلَادُهَا إِبِلٌ حَوْشِيَّةٌ ، وَبِهَا نَخْلٌ كَثِيرٌ لَا يَأْبِرُهُ أَحَدٌ وَلَا يُجْبِئُهُ ؛ وَزَعَمَ أَنَّ رَجُلًا وَقَعَ إِلَى تِلْكَ الْأَرْضِ ، فَإِذَا تِلْكَ الْإِبِلُ تَرِدُ عَيْنًا وَتَأْكُلُ مِنْ ذَلِكَ التَّمْرِ ، فَرَكِبَ فُخْلاً مِنْهَا وَوَجَّهَ قِبَلَ أَهْلِهِ ، فَاتَّبَعَتْهُ تِلْكَ الْإِبِلُ الْحَوْشِيَّةُ فَذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ . وَقَالَ الْخَلِيلُ : وَبَارُ كَانَتْ مَحَلَّةً عَادَ ، وَهِيَ بَيْنَ الْيَمَنِ وَرِمَالِ يَبْرِينَ ؛

٣٥٠

(١) انظر ابن يعيش ٤ : ٦٤ والعيني ٤ : ٣٥٨ والهمع ١ : ٢٦ وأمالى

فلما أهلك الله عاداً ودرث محلّتهم الجن ، فلا يتقارّ بها أحدٌ من الناس^(١) ؛ وهى الأرض التى ذكرها الله تعالى فى قوله : (وَاتَّقُوا الَّذِى أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ . أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ ، وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ^(٢)) . وقال إسحاق بن إبراهيم الموصلى : كان من شأن دُعَيْمِيسَ الرمل العبدى ، الذى يضرب به المثل فيقال : أهدى من دُعَيْمِيسَ الرمل^(٣) ، إنه لم يك أحدٌ دخل أرض وبار غيره ، فوقف بالموسم بعد انصرافه من وبار ، وجعل يُنشد :

مَنْ يُعْطِنِي نَسْماً وَتَسْمِينَ نَجَّةً هِجَانًا وَأُذْماً أَهْدِي لَوْبَارٍ^(٤)

فلم يجبه أحدٌ من أهل الموسم إلا رجل من مهرة^(٥) ، فإنه أعطاه ماسأل؛ وتحمل معه فى جماعة من قومه بأهلهم وأموالهم ؛ فلما توسّطوا الرمل طمست الجن بصرد دُعَيْمِيسَ ، واعتزته الصرّفة فهلك هو ومن معه جميعا . وترجمة الأعشى تقدمت فى الشاهد الثالث والعشرين^(٦) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس والعشرون بعد المائة^(٧) :

(١) يقال ما يتقار فى مكانه ، أى ما يستقر .

(٢) الآية ١٣٢ ، ١٣٣ من سورة الشعراء .

(٣) الميدانى ٢ : ٣٣٠ والعسكري ٢١٢ وثمار القلوب ٨١ والأزمدة والأمكنة ٢١٥/٢

(٤) وكذا فى معجم ما استعجم ١٣٦٦ . وجعلها الشنقيطى » وتسمين

لقحة « . وفى ط : « أهدما » صوابه فى ش والمعجم .

(٥) قال ياقوت : « بالفتح ثم السكون . هكذا يرويه عامة الناس .

والصحيح مهرة بالتحريك . وجدته بخطوط جماعة من أئمة العلم القدماء لا يختلفون فيه . وانظر بقية كلامه

(٦) الجزء الأول ص ١٧٥ .

(٧) الحماسة ٣٧٨ بشرح المازوق

١٢٦ (مَعَاذَ الْإِلَهِ أَنْ تَكُونَ كَظَبِيَّةٍ وَلَا ذُمِيَّةً وَلَا عَقِيلَةً رَبِّ رَبِّ)
على أن (أل) في (الله) بدل من همزة إله ، فلا يجمع بينهما إلا قليلا :
كما في هذا البيت .

وهذا البيت من أبيات عشرة للبعيث بن حريث ، أوردها أبو تمام
في الحماسة . وأولها :

(خِيَالُ لَأَمِ السَّلْسِيلِ ، وَدُونُهَا مَسِيرَةُ شَهْرِ الْبَرِيدِ الْمَذْبُوبِ أبيات الشاهد
فَقُلْتُ لَهُ أَهْلًا وَسَهْلًا وَمَرْجَا ، فَرَدَّ بِتَاهِيلٍ وَسَهْلٍ وَمَرْحَبٍ
مَعَاذَ الْإِلَهِ أَنْ تَكُونَ كَظَبِيَّةٍ البيت
وَلَكِنَّا زَادَتْ عَلَى الْحُسْنِ كُلَّهُ كَلَاءً ، وَمِنْ طَيْبٍ عَلَى كُلِّ طَيْبٍ)

خيال : مبتدأ خبره مخوف ؛ أى خيالها أتانى وبينى وبينها مسيرة شهر
للبريد السريع ، والخيال يذكر ويؤنث ، ونكره لأنه رآه على هيئات مختلفة ،
فاعتقد أنه عدة خيالات قصد إلى واحد منها . وأم السلسيل : امرأة ، ولو كان
في شعر مولد لجاز أن يعنى بالسلسيل الريق ، على وجه التشبيه . والبريد :
الدابة المركوبة ، معرب دُم بُرَيْدَه^(١) ، أى مخدوفة الذنب ، فإن الرسل
كانت تركب البغال المخدوفة الذنب ، ويطلق على الرسول أيضا ، لركوبه إياها .
والمذنب : اسم فاعل ، من ذنب في سيره ، أى جد وأسرع ، بذال معجمة
والباء الأولى مشددة . وروى (المذنب) من دأب يدأب بالهمزة : إذا جد
وتعب . وهاتان الروايتان للآمدى فى المؤلف والمختلف . وروى شرح
الحماسة : (المذنب) قال التبريزى : هو الذى لا يستقر ، وقال الطبرسى :
المذنب والمذنب ، الأصل فيهما يرجع إلى الطرد والاستعجال ، والمسرع
المستعجل يتذبذب أى يضطرب .

(١) معجم استينجاس ٥٣٥ ، ومعناه المبتور المقطوع .

وقوله : قلت له - ورؤى « لها » - أى للخيال فيهما . وأهلا منصوب بفعل مضمر ، أى أتيت أهلا لا غرباء . والتأهيل : مصدر أهلت : إذا قلت له أهلا . وقوله « معاذ الإله » منصوب على المصدر أى أعوذ بالله مَعَاذًا . وكأنه أِف وتبرأ من أن تكون هذه المرأة فى الحسن بحيث تشبّه بالظبية ، أو الصورة المنقوشة ، أو بكريمة من بقر الوحش . والدُّمِيَّة بالضم : الصورة العاج ونحوه ؛ قال أبو العلاء : مميت دُمِيَّة لأنها كانت أولا تصور بالحمرة ، فكأنها أُخِنَت من الدم . والعطف من قبيل : « أبى الله أن أسمعوا بأمر ولا أبى » ، لما اشتمل المتقدم على معنى النفي ، كأنه قال : لا أشبهها بظبية ولا دُمِيَّة ؛ ثم ودَّ بالله من تشبيه خليلته بأحد هذه الثلاثة كما يشبه الشعراء بها . وعقيلة كلُّ شئ : أكرمه . والرَّوْبَرَب : القطيع من بقر الوحش .

وقوله : ولكنها زادت . الخ ، بين به لم أنكر تشبيهما بغيرها . وكالاً : تمييز ، أى يزيد حسنهما على كلِّ حسنٍ كالاً ؛ لأنه لا حَسَنَ إلَّا وفيه قص ، سوى حسنهما ؛ وكذلك كلُّ طيب يتخلله حطيطة إلَّا طيبها^(١) . وقوله : من طيب قال التبريزى : أى وزادت من طيبها على كلِّ طيب طيباً . وقال الطبرسى : ولما كان كالاً تمييزاً ، دخله معنى من ، فحسن أن يقول : ومن طيب . ورأيت فى بعض شروح الحماسة : أراد : زادت بحسنها كالاً على كلِّ حسن ؛ فحذف للم به ، لأنك لا تقول للحسن : هو أكل من الحسن ، لاختلاف الجنس ، لأن الحسن عَرْض والحسن جسم .

و (البَيْعِث) قال الأمدى : « هو البَيْعِث بن حُرَيْث بن جابر بن سُرَيْى

البَيْعِث

(١) الحطيطة : النقص ، وأصله ما يحط من جملة الحساب فينقص منه المعجم الوسيط .

ابن مسلمة بن عُبيد بن ثعلبة^(١) بن يربوع بن ثعلبة بن الدؤل بن حنيفة
ابن لجيم . . شاعر محسن . وهو القائل :
خيالٌ لأم السلسيل ودونها . . البيت
وهي أبيات جياذ مخنارة . ا هـ

و (البعيث) بفتح الموحدة وكسر العين المهملة ، قال ابن جني : « هو اسم
مرتجل للعلية ؛ ويمكن أن يكون صفة منقولة فيكون فعيل في معنى مفعول » .
وقال أبو رياش : « ابن حُرَيْث هذا ، ليس بصاحب القبة بصفين » . وحُرَيْث
بالتصغير وسُرى وعُبيد كذلك . والدؤل ، بضم الدال وسكون الواو . ولجيم ،
قال أبو العلاء : يجوز أن يكون تصغير ترخيم للجيم أو للجام ، أو تصغير لجيم ،
بضم ففتح ، واللجيم : دويبة يُتشاءم بها ، وتوصف بالمطاس ، قال الرازي :
أغدو فلا أحاذرُ الشكيسا ولا أخاف اللجيمَ العطوساً^(٢)

وذكر الأمدى شاعرَيْن آخرين يقال لهما (البعيث) أحدهما المجاشعي ؛
واسمه خدّاش ، وهذا شاعر مشهور دخل بين جرير وغسان السليطي وأعان
غسان ، فنشِبَ الهجاء بينه وبين جرير والفرزدق وسقط البعيث . والثاني :
البعيث التغلبي ، بمنّة فعمجة ، وهو بعيث بن رزام ، وكان يهاجى زُرعة
ابن عبد الرحمن . وقال القطامي :

إِنَّ رِزَامًا غَرَّهَا قِرْزَامُهَا^(٣) قُلْفُ عَلَى أَرْبَابِهَا كَامُهَا

(١) التبريزي في شرح الحماسة « بن سلمة بن عبد بن ثعلبة » .
(٢) ط واللسان (لجم) : « العاطوسا » مع نسبته في اللسان الى
رؤبة برواية « ولا أحب » بدل « ولا أخاف » .

(٣) في النسختين : « فرزامها » صوابه في المؤلف ٥٧ ومما سبق في

١ : ٢٢٠ بولاق والقاموس (قرزم)

القرزام : الشاعر الدُّون ، يقال هو يُقرزم الشعر^(١) . وإنما يعنى بَعِيث بنى رزام . ومنه يُعلم أنَّ بَعِيث بنى رزام إسلامي .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والعشرون بعد المائة^(٢) :

١٢٧ (إِنَّ الْمَنَايَا يَطْلَعْنَ عَلَى الْأُنَاسِ الْآمِنِينَ)

على أن اجتماع أل والهمزة في (الأناس) لا يكون إلا في الشعر ، والقياس الناس ، فإنَّ أصله أناس ، فحذفت الهمزة وعوّض عنها أل ، إلا أنها ليست لازمة ، إذ يقال في السَّعة ناس .

أقول : هذا يدلّ على أن أل في البيت ليست عوضاً من الهمزة ، إذ لو كانت عوضاً لم يجرّ أن يقال ناس : من غير همزة ولا أل ، إذ لا يجوز الخلوّ عن العوض والمعوّض عنه . وما ذكره - من كونه عوضاً من الهمزة - هو مذهب سيبويه ، وتبعه الزمخشري والقاضي^(٣) وغيرها .

وذهب أبو عليّ الفارسيّ في الأغفال (وهو كتاب ذكر فيه ما أغفله شيخه أبو إسحاق الزجاج) . أن أل ليست عوضاً من همزة أناس .

وقد عزا إليه السيّد في حاشية الكشف خلاف هذا فقال : « وتوهم أبو عليّ في الأغفال أنَّ اللام في الناس أيضاً عوض ، إذ لا يجتمعان في الأناس إلا ضرورة . ورُدَّ بكثرة استعمال ناس منكرّاً دون إله ، وبامتناع يا الناس دون يا الله » . انتهى .

(١) في النسختين : « الفرزام ٠٠٠ » ، و « يقرزم الشعر » صوابه في المؤلف وما سبق

(٢) انظر أيضاً أمالي ابن الشجري ١ : ١٢٤/٢ : ١٢٤ والخصائص ٣ :

١٥١ وابن يعيش ٢ : ٥/٩ : ١٢١ وشرح شواهد الشافية ٢٩٦ ومجالس العلماء ٧٠

(٣) يعنى القاضي البيضاوى صاحب التفسير

فقد انعكس النقل عليه من هذا الكتاب ! مع أنه قد ردّ عليه ابن خالويه فيما كتبه على الأغفال ، وتعبه أبو علي فيما كتبه ثانياً (وهو ردّ على ابن خالويه ، وسمّاه تقض الماذور) ، وبسط الكلام فيه كل البسط . وأنا أورده مختصراً لتقف على حقيقة الحال . وهذه عبارته :

« ثم ذكر هذراً ليس من حكمه أن تتشاغل به ، وإن كان جميع ما هذر به غير خارج من هذا الحكم . . ثم حكى قولنا وهو : فإن قال قائل : أوليس قد حذفت الهمزة من الناس كما حذفت من هذا الاسم حذفاً ! فهل تقول : إنها عوض منها كما أن اللام عوض من الهمزة المحذوفة في اسم الله . . إلى آخر الفصل فقال المعترض : أما ادّعاؤه أن أَل ليست عوضاً من الهمزة في أناس كما كانت في هذا الاسم فليس على ما ذكر . . فلم يزد على الإنكار والادّعاء ؛ لتركنا طريقة سيبويه وحمل كلامه المطلق على المقيّد المخصوص ؛ وتظنّي المعترض أن الهمزة سقطت منهما على حدّ واحد ، وأن أَل في الناس عوض من حذف الهمزة كما كان ذلك في اسم الله ، تظنّ على عكس ما الأمر عليه : وذلك أن قول سيبويه : « ومثل ذلك أناس ، فإذا أدخلت الألف واللام عليه قلت الناس » ليس يدلّ قوله : « ومثل [ذلك] أناس ، أن التماثل بينهما يقع على جميع ما الاسمان عليه ؛ إنما يدلّ على أن المماثلة تقع على شيء واحد . ألا ترى أن مثلاً إذا أضيف إلى معرفة جاز أن يوصف به النكرة ؟ لأن ما يتشابهان به كثير ، وإنما يتشابهان في شيء من أشياء . ومن ثمّ كان نكرة ، وكان هذا الأغلب . ولو كان التشابه يقع بينهما في كلّ ما يمكن أن يتشابه به لكان مخصوصاً غير مبهم ، ومحصوراً غير شائع . وفي أن الأمر بخلاف هذا ، دلالة على أن الظاهر [من] كلام سيبويه ليس على ما قدره هذا المعترض ، يدلّ على ذلك ما ذهب إليه أهل العلم في قوله تعالى : ﴿ فَجَزَاءُ ۖ »

مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ^(١) فقال قائلون : جَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ فِي الْقِيَمَةِ ،
وقال قائلون : جَزَاءٌ مِثْلُهُ فِي الصُّورَةِ ، ولم يذهب أحد — فيما علمناه — إلى أن
المعنى جَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ فِي الْقِيَمَةِ وَالصُّورَةِ جَمِيعًا . فكذلك قول سيبيويه :
« ومثل ذلك أناس » ، إنما يريد مثله في حذف الفاء في ظاهر الأمر لو لم تدلَّ
دلالةً على أن قولهم الناس ، ليس كاسم الله : في كون الألف واللام عوضاً من
الهمزة المحذوفة . فكيف وقد قامت الأدلة على أن قولهم الناس : قد فارق
ما عليه هذا الاسم في باب العوض — على ما سنذكره إن شاء الله — وإذا
كان الأمر في إضافة مثل ما قلنا ، تبين أن هذا المعترض لم يعرف قول
سيبيويه . وليس في لفظ سيبيويه شيء يدل على أن الهمزة في أناس مثل الهمزة
في الاسم الآخر : في أنه عَوَّضَ مِنْهَا شَيْءٌ كَمَا عَوَّضَ هُنَاكَ . ويبين ذلك :
أنه حيث أراد أن يرى النظائر في العوض أفرَدَ ذكر الاسم فقال : وهي في إله
بمثلة شيء غير منفصل من الكلمة ، كما كانت الميم في اللهم غير منفصلة ،
وكما كانت التاء في الجحاجة والألف في يمان وأختبها بدلا من الباء . فأما
الدلالة على أن حرف التعريف ليس بعوض ، فهي أن الألف واللام تدخل مع
الهمزة في نحو ما أنشده أبو عثمان عن أبي عمرو :

٣٥٣

إِنَّ الْمَنَاسِيَا يَطْلُمْنَ مِنْ عَلَى الْإِنْسَانِ الْآمِنِينَ

وَأَنَّ الْإِنْسَانَ وَأَنَاسَ فِي الْمَعْنَى وَاحِدٌ ، إِلَّا فِيمَا أَحْدَثَ حَرْفُ التَّعْرِيفِ مِنْ
التَّعْرِيفِ . وقد جاء في كلامهم نَاسٌ وَأَنَاسٌ . فمن يقول أناس يقول الأناس ،
ومن يقول ناس يقول الناس . وأنشد محمد بن يزيد :

وَنَاسٌ مِنْ سَرَاةِ بَنِي سُلَيْمٍ وَنَاسٌ مِنْ بَنِي سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ

ومما يغلب أن هذه الهمزة لا يلزم أن يكون منها عوض ، أن من يردّ الأصول المحذوفة في التحقير ومن لا يردّ ، اتفقوا عندنا جميعا على أن حَقُّوا أناساً : نُويسا . فدلّ ترك ردّ الأصل في التحقير من يردّ ، على أن هذا الحذف^(١) قد صار عندهم كالحذف اللازم في أكثر الأمر ، نحو : حاشَ لله ، ونحو لا أذِر . وما كان من الحذف عندهم هكذا ، يبعد أن يعوّض منه ، وقد كان أولى من التعويض ردّ ما هو منه إليه ، فلما لم يقولوا أنيس عند سيبويه ، في تحقير ناس ، ولا عند يونس وأبي عثمَان ، كان أن لا يعوّض منه أولى .

ومما يبيّن حسن الحذف منه وسهولته : أنه جمع ، والجمع قد تخفّف بما لا يخفّف الأحاد به ، ألا ترى أنهم قالوا : عِصِّي وَدُلِّي ، فأنجموا على القلب في هذا النحو ، وكذلك نحو بيض ، فكما خففوا هذا النحو من الجمع ، كذلك قولهم أناس — بالحذف — منه . . . ويدلّك على أنه جمع : أنهم قالوا في الإضافة إلى أناس : إنسانيّ ، كما قالوا في الإضافة إلى الجميع^(٢) : جمعيّ . فعلت أن أناساً في جمع إنسان ، كتؤام في جمع توأم ، وبراء في جمع برىء ، ورُخَال ونظُّوار وثَناء ، ونحو ذلك . فكما أجروه مجرى الجمع في هذا ، كذلك أجروه مجراه في الحذف منه ، كما خففوا ما ذكرنا بالقلب فيه .

ومما يغلب أن قولنا الناس على الخداء الذي ذكرنا من التخفيف بالحذف ، أن ما في التنزيل من هذا النحو عليه ، نحو : (الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ^(٣)) ونحو : (أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ . مَلِكِ النَّاسِ)

(١) ط : « الحرف » ، صوابه في ش

(٢) ش : « إلى الجميع » ، تحريف

(٣) الآية ١٧٣ من سورة آل عمران

فهذا إنما أدغم لام المعنى فى النون على حدّ ما أدغم فى : النشر ، والنشر ،
والنعمان ؛ لا على حدّ تقدير الهمزة فيه وتخفيفها . ألا ترى أنّه لو كان على تقدير
أناس لم يدغم ؛ لأن الحرفين ليسا مثلين كما كانا مثلين فى الاسم الآخر ،
إنما هما متقاربان ، والأكثر فى المتقاربين إذا تحرك الأوّل منهما فالأقرب
أن لا يدغم الأوّل فى الثانى كما يدغم المثلان . وذلك : أن مباينة الحرفين
فى المخرج إذا انضم إليها الحركة قويا على منع الإِدْغام ، فامتنع كما يمتنع لحجز
الحرف بينهما ؛ وليس كذلك المثلان إذا حجزت بينهما الحركة ، لأن الحركة
أقلّ وأيسر فى الصوت من الحرف ، فلم يبلغ من قوّتها أن تحجز بين المثلين ؛
ويمنع الإِدْغام كما يمنع منه فى أكثر الأمر إذا انضم إلى الحركة الاختلاف
فى مخرجى الحرف .

٣٥٤

وأما قول صاحب المأثور : والدليل على صحّة ذلك ، وأن هذا هو الذى
ذهب إليه سيبويه وإن كان عنده عوضاً فى هذا الموضع أيضاً : أنّه تعاطى
الفرق بينهما . . فتعاطيه الفرق بينهما لا يدلّ أن كان تعاطى على اتفاقهما
عنده ، وليس لنسخه كلام سيبويه فى جملة الهذّر فائدة ، ولا معنى لاحتجاج
من احتجّ بشيء لا يعرفه ولا يفهمه ، وإنما وكّده فى غالب رأينا بتسويد
الورق وإفساده .

وأما تفسير المعارض لقولنا انهما لو كانتا هنا عوضاً كما (١) هما فى هذا
الاسم لفعل بهما ما فعل بالهمزة فى اسم الله . فإنّ عني (٢) أنّهما كانتا تزمان
ثم كانت الألف تنقطع فى النداء ، فليس على ما قدّر ، ولكن المراد به :

(١) فى النسختين : « عما » ، والوجه ما أثبت

(٢) ش : « فانى أعنى به » .

أن الألف واللام في الاعمين لو كانا على حدٍ واحد ، لكان الناس إذا سقط منه حرف التعريف — لا يدلّ على ما كان يدلّ عليه والحرف لاحق به ، كما أنه في اسم الله إذا خرج منه لا يدلّ على ما يدلّ عليه وهو فيه .

وأما قوله حاكياً لكلامنا : فأما استدلاله على أنهما في الناس غير عروض بقول الشاعر : « على الأناس الآمنينا » وأنه لو كان عوضاً لم يكن ليجتمع مع المعروض منه ، فهذا يلزمه بعينه فيما ذهب إليه في اسم الله . وذلك أنه يقال له : ألسنت تقول الإله ، فتدخل الألف واللام على إله ولا تحذف الهمزة مع دخولها . . إلى آخر المندر . أقول : ليس الأمر كما تظنّاه هذا العامّي المريض ، لياً ذكر سعيد عن قتادة في قوله تعالى : (هل تعلم له سمياً^(١)) : لا سمىّ لله ولا عدل له ، كلّ خلقه مقرّ له ومعترف له أنه خالقه . ثم يقرأ : (ولئن سألتهم من خلقهم ليقولنّ الله^(٢)) فالاسم الذي لا سمىّ للقديم سبحانه وتعالى فيه ، لا يخلو من أن يكون الله أو الرحمن ، فلا يجوز أن يكون الرحمن ، لأنه وإن كان اسماً من أسماء الله فقد تُسمّى به ، وقد قالوا لمسيحة : رحمان ، وقالوا أيضاً فيه : رحمان اليمامة ، وذكر بعض الرواة : أنهم لما سمعوا النبي صلى الله عليه وسلم يذكر الرحمن قالت قريش : أتدرون ما الرحمن ؟ هو كاهن اليمامة ! فهذا يدلّ على أنهم كانوا لا يحطّرون التسمية به . فإذا كان قد سمىّ به ، ثبت أن الاسم الذي لا سمىّ له فيه هو « الله » وهذا الاسم إنما يكون بهذا الوصف إذا لزمه الألف واللام ، فأما إذا أخرجنا منه وألحق الهمزة فقليل : إله والإله ، فليس على حدّ قولهم « الله » في الاستعمال

(١) الآية ٦٥ من سورة مريم

(٢) الآية ٨٧ من سورة الزخرف

ولافى المعنى ، ألا ترى أنه إذا قال إله صار مشتركا غير مخصوص وجاز فيه الجمع !
وأما فى المعنى : فإنه يعمل عملَ الفعل كقوله تعالى : (وهو الذى فى السماء (١)
إله) الظرف يتعلق بما فى إله من معنى الفعل ، وإذا دخلته الألف واللام لم
يعمل هذا الحد لخروجه عن حد المصادر . فإن قلت : (وهو الله فى السموات
وفى الأرض يعلم سرركم وجهك) (٢) فإن الظرف لا يتعلق بالاسم على
حد ما يتعلق بإله إلا على حد ما أذكره لك : وهو أن الاسم لما عرف منه
معنى التدبير للأشياء والحفظ لها وتصورها (٣) فى نحو : (إن الله يمسك
السموات والأرض أن تزولا (٤)) صار إذا ذكر كأنه قد ذكر المديّر
والحافظ المثبت ، فيجوز أن يتعلق الظرف بهذا المعنى الذى دلّ عليه الاسم
بعد أن صار مخصوصاً ، وفى أحكام الأسماء الأعلام التى لا معنى فعل فيها ، فهذا
يتعلق الظرف . وعلى هذا نقول : هو حاتم جواداً ، وزهير شاعراً ، فتعلق
الحال بما دخل فى هذه الأسماء من معنى الفعل ، لاشتهارها بهذه المعانى ،
ولولا ذلك لم يجز . فإذا كان كذلك ، علمت أن هذا الاسم إذا أخرجت منه
الألف واللام فقلت إله لم يكن على حدّ قولنا الله ، وليس كذلك الناس والأناس ،
لأن المعنى فى كلا الحالين فيه واحد ، ألا ترى أنه اسم العين لا مناسبة بينه وبين
الفعل ! وهذا الذى عناء سيبويه عندنا بقوله : وذلك أنه من قيل أنه اسم
يلزمه الألف واللام لا يفارقانه ، فصار كأن الألف واللام فيه بمنزلة الألف
واللام اللتين من نفس الحرف . وليس فى الناس والأناس كذلك ، ألا ترى
أنك إذا أخرجتهما من الاسم دلّ على أن الأعيان التى يدلّ عليها حسبها يدلّ

٣٥٥

(١) الآية ٨٤ من سورة الزخرف

(٢) الآية ٣ من سورة الأنعام

(٣) كذا فى النسختين .

(٤) الآية ٤١ من سورة فاطر

عليها وهما فيه ، وليس في اسم الله كذلك ؛ فإذا كان الأمر فيه على ما ذكرناه ،
وضَحَ الفصلُ بين الاسمين إذا أخرج منهما الألف واللام . مما وصفنا لم يكن
إخراج الألف واللام من اسم الله سبحانه كإخراجه من الناس حذو القنْدةِ
بالقنْدة . انتهى كلام أبي علي . وقد حذفنا منه مقدار ما أثبتنا ، وسقنا هذا
الكلام بطوله لكثرة فوائده .

واعلم أنهم اختلفوا في (ناس) فقال الجمهور : أصله أناس ، فقليل : جمع
إنسان ، وقيل : اسم جمع له . وقال الكسائي : هو اسم تام وعينه واو ، من
ناس ينوس إذا تحرك . وعلى هذا فإطلاقه على الجن واضح ، قال في القاموس :
« والناس يكون من الإنس والجن » إلا أن قوله أصله أناس ، مع جعله من
مادة (نوس) غير صحيح ، وصرح به جماعة من أهل اللغة ، فإن العرب تقول :
ناسٌ من الجن ، وفي الحديث « جاء قومٌ فوقفوا . فقليل : مَنْ أنتم ؟ قالوا :
ناس من الجن » ولذا جَوَزَ بعضهم في قوله تعالى : (مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ) أن
يكون بياناً للناس . وقيل : أصله (نَسِي) من النسيان ، فقدِّمت اللام على العين
وقلبت ألفا ، فصار ناساً .

وهذا البيت من أبيات لذي جَدَنَ الحِميريِّ الملك ؛ كما في كتاب المعمرين صاحب الشاهد
لأبي حاتم السجستاني (١) ، قال : عاش ثلثمائة سنة ، وقال في ذلك :
لكلِّ جنبٍ اجتنِيْ مضطجعٌ (٢) والموتُ لا ينفَعُ منه الجِرْعُ
اليوم تُجْزَوْنَ بأعمالكم كلُّ امرئٍ يحصدُ مما زَرَعَ (٣)

(١) المعمرين ٣٣ - ٣٤ . والأبيات ٢٦ بيتا في الجمهرة ١٣٧ - ١٣٨

(٢) في النسختين : « مضجع » صوابه من المعمرين وجمهرة أشعار العرب ١٣٧ . وقد طبعت نسخة ليدن من المعمرين - وهي أصل طبعة مصر - من نسخة البغدادى

(٣) في النسختين : « مما يزرع » صوابه من المعمرين والجمهرة . وفي الجمهرة : « ما قد زرع » .

لو كان شيء مفلياً حَتَفَه أَفَلَت منه في الجبال الصَّدَع
وقال أيضاً :

أبيات الشاهد (يا اجتنى مهلاً ذرينا أفي سفاء تعذّلينا^(١)
يا اجتنى تستعنيننا فلا وربك تُعتبيننا
يومٌ يغيّر ذا النعيم وتارة يشقى الحزينا
إن المنايا يطلعن على الأناس الآمنينا
فيدعنهم شتى ، وقد كانوا جميعاً وافرينا)

فقوله : اجتنى ، اسم امرأة ، منقول من الفعل الماضي من اجتنى الثمرة ،
وهو منادى بحرف النداء المحذوف . ومُفَلِّنا : اسم فاعل من أَفَلَّتْ : إذا أطلقه .
والصَّدَع بفتح الصاد والدال : الوعر . والسَّفاء ، بكسر السين المهملة : مصدر
سافاه مسافة وسفاء : إذا سافه . واستعنب : طلب الإعتاب ، والإعتاب :
مصدر أعتبه : إذا أزال عتابه وشكواه ، فالهمزة للسلب . وعَتَبَ عليه من باب
ضرب وقتل : إذا لامه في تسخط . والعتاب : مصدر عاتبه . وقوله : تُعتبيننا
هو جواب القسم^(٢) بتقدير لا النافية ، كقوله تعالى : (تَاللّٰهِ تَفْتَوُ تَذَكَّرُ
يُوسُفُ^(٣)) وهذا البناء للمجهول . وقوله : يومٌ ، أى للدهر يومٌ يغيّر صاحب
النعيم نعيمه . ويشقى بالفاء . والمنايا : جمع مَنِيّة ، وهى الموت . ويطلعن :
يُشْرِفن ويقربن . والآمنين : جمع آمن بمعنى مطمئن ، يقال آمن البلد : إذا

(١) السفاء ، كسحاب : الطيش والخفة ، ومثلها « السفاء »

(٢) ط : « تعتبيننا مصدر هو جواب القسم » ، وكلمة « مصدر »
مقحمة ، خط عليها الاستقيطى فى نسخته

(٣) الآية ٨٥ من سورة يوسف

اطمأنَّ . وقوله : فيدعنهم ، روى بدله : (فيذرهم) . وشئ : متفرقين ، وهو جمع شتيت . ووافرين : جمع وافر ، من وفر الشيء من باب وعد وفوراً : تمَّ وكلَّ .

وزعم بعضهم ، فيما كتبه على تفسير البيضاوى : أن بيت الشاهد من قصيدة لعبيد بن الأبرص ، قال : وأولها كما في الحماسة البصرية :

نَحْنُ الْأَلَى طَاجِعُ جَمْعٍ عَكَ نَمَّ وَجْهَهُمُ إِلَيْنَا

وفيه نظر من وجهين (١) : الأول أن هذا البيت لم يذكره صاحب الحماسة في تلك القصيدة ، والثاني : أن أوَّل القصيدة إنما هو :

يَا ذَا الْخَوْفِ نَا بَقْتُلْ أَبِيهِ إِذْ لَأَلَّا وَحِينَا

والبيت الذى أورده من أواخرها كما تقدم .

وذو جَدَن ، بفتح الجيم والدال : اسم مرتجل ، وهو من أذواء اليمن (٢) . والأذواء بعضهم ملوك وبعضهم أقيال ، والقيل دون الملك ، قال فى الصحاح : « والقيل : ملك من ملوك حمير دون الملك الأعظم ، والمرأة قيلة . وأصله قيل بالتشديد ، كأنه الذى له قول ، أى ينفذ قوله ، والجمع أقوال وأقيال أيضاً ، ومن جمعه على أقيال لم يجعل الواحد منه مشدداً . والمِقْوَل بالكسر : القيل أيضاً بلغة أهل اليمن ، والجمع المِقْوَال » .

(١) الميمنى : « بل من ثلاثة أوجه . والثالث : اختلاف القافية ما بين الآمين والينا » .

(٢) ذكر الميمنى أن أذواء اليمن مستقصاة فى المجلة الألمانية Z. D. M. G. ٢٩ : ٦٢٠ . قلت : ونظر أمالى ابن الشجرى ١ : ١٧٠ - ١٧٢ والاشتقاق ٥٢٥ - ٥٣٣

ومن الأذواء الأوائل (أبرهة ذو المنار) ، والمنار مَفْعَلٌ من النور (١) .
وابنه (عمر وذو الأذعار) بفتح الهمزة وسكون الذال المعجمة ، زعموا أنه حمل
معه إلى اليمن نَسْنَسًا فذعر الناس منه . وصحفه ابن الشجرى في أماليه بالذال
المهملة فقال : والأذعار جمع دَعِرٍ - أى بفتح فكسر - وهو القود الكثير
الدخان (٢) . وأُنِكر عليه في بغداد فأصرَّ عليه . . وبعد ذى الأذعار بدهر
(ذو معاهر) واسمه حَسَّان . ومعاهر من العَهر وهو الفجور . وبعده (ذورعين
الأكبر) واسمه يَرِيم - ورعين : اسم حصن كان له ؛ وهو فى الأصل تصغير
رَعْن ، وهو أنف الجبل . ويريم : من قولك رام من مكانه ، أى برح وانفصل
منه . و (ذورعين الأصفر) واسمه عبدكُلَّال بضم الكاف وتخفيف اللامين .
وبعده بدهر (ذو شَنَاتر) واسمه ينوف ؛ من ناف الشيء ينوف : إذا طال
وارتفع . والشَنَاتر بفتح الشين المعجمة والنون : الأصابع فى لغة اليمن . ومنهم
(ذو القرنين) واسمه الصَّعْب . (وذو غَيَّان) وهو من الغَيْم الذى هو العطش
وحراة الجوف ؛ بالغين المعجمة . و (ذو أَصْبَح) بفتح الهمزة ، وإليه نسبت
السَّيَاطُ الأصبَحِيَّة . و (ذو سَحَر) بفتح الميمتين و (ذو شَعْبَان) . .
و (ذو فائش) واسمه سلامة : وفائش : من الفَيَّاش وهو المغامرة و (ذو حَمَام)
والْحَمَام بضم المهمله : حُمَّى الإبل (٣) .

٣٥٧

(١) أما أبرهة فاسم حبشى ، كما ذكر ابن دريد فى الاشتقاق
٥٣٢ . وقال : « وذو المنار : أول من بنى الأميال على الطرق فسمى ذا
المنار » .

(٢) فى أمالى ابن الشجرى بعده : « وقيل هو الأذعار بالذال المعجمة ،
جمع دعر »

(٣) كذا فى الأصل والأمالى . وفى القاموس (حمم) : « وكفراب :
حمى جميع الدواب » .

و (ذو تُرْخُم) بضم المثناة وَاَلْغَاءِ المعجمة ، وفتحها وسكون الراء^(١) :
من قولهم : ما أدرى أى تُرْخُم هو : أى أى الناس . وَتُرْخُم قبيلة باليمن أيضاً .
و (ذو يَحْصِب) من قولهم حَصَبَهُ يَحْصِبُهُ : إذا رماه بالحصباء ، وهى
الحصى الصغار .

و (ذو عَسِيم) بفتح العين وكسر السين المهملتين ، من الْعَسَم بفتحيتين
وهو يُبْس فى المرفق ، أو من الْعَسَم بالسكون وهو الطمع ..
و (ذو قُثَاث) بضم القاف وتخفيف المثلثتين من قولهم قَثَّ يَقْثُ :
إذا جمع ..

و (ذو حُوال) بالضم واسمه عامر . وحُوال من المحاولة وهى الطلب .
و (ذو مِهْدَم) وهو مِفْعَل بالكسر ، من هدمت البيت .
[وذو الجَنَاح^(٢)] واسمه شمر .. و (ذو أَنَس) والأنس بفتحيتين :
الجماعة من الناس .

و (ذو سُحَيْم) وهو تصغير أسحم وهو الشديد السواد .
و (ذو الكُبَّاس) بضم الكاف وآخره مهيمة ، وهو الرجل العظيم الرأس .
و (ذو حُفَار) بالضم من قولك حَفَرَ البئر .
و (ذو نُواس) ، واسمه زُرْعَة^(٣) . ونُواس بالضم من النَّوَّاس ،

(١) ترخم ، كجندب وجندب ، ومثل طحلب وطحلب وعنصر وعنصر ،
كما فى القاموس

(٢) التكملة من أمالى ابن الشجرى ١٧١ ، ساقطة من النسختين

(٣) زرعة ، بضم الزاى وفى ط : « زرعة » صوابه فى ش وأملى ابن
الشجرى والروض الأنف ١ : ٢٩

وهو تذبذب الشيء وشدة حركته . وصمى بذلك لضعفيتين كانتا تنومان على عاتقه ^(١) ، وكان غلاماً حسناً من أبناء الملوك ، أرادته على نفسه ذو الشنتر ، فوجأه بخنجر كان قد أعدّه له فقتله ، ورضيته حميراً لنفسها لما أراحها صاحب الأخدود من ذى الشنتر . وذو نواس هو صاحب الأخدود الذى ذكره الله عز وجل ، وكان يهودياً فخذ الأخدود لقوم من أهل نجران تنصروا على يد رجل من قبل آل جفنة دعاهم إلى اليهودية فأبوا فخرقهم ، ثم ظهرت الحبشة على اليمن فخاربوا ذا نواس أشدّ حرب ، فلما أيقن بالهلاك اعترض [البحر ^(٢)] بفرسه فكان آخر المهدي به .

ومنهم (ذو الكلاع الأكبر) و (ذو الكلاع الأصغر) وأدرك الأصغر الإسلام ، كتب إليه النبي صلى الله عليه وسلم مع جرير بن عبد الله البجلي فأسلم ، وأعتق يوم أسلم أربعة آلاف عبد ، وهاجر بقومه في أيام أبي بكر رضى الله عنه إلى المدينة . ثم سكنوا حمص .

واشتقاق الكلاع ، بضم الكاف وفتحها ، من الكلع بالتحريك ، وهو شقاق ووسخ يكون في القدم ، يقال منه كلمت رجله .

ومنهم (ذو عسكران) بفتح العين وسكون المثناة ، وهو اسم مرتجل .

و (ذو ثعلبان) بالضم وهو ذكر الثعلب .

و (ذو زهران) ، و (ذو مكارب) أى ذو مفاصل شداد ، جمع مكرب كمكرم .

و (ذو مناخ) بالضم وكان نزل ببعلبك .

(١) ما بعده الى « وذو نواس » لم يرد فى أمالى ابن الشجرى

(٢) التكملة من أمالى ابن الشجرى .

و (ذو ظَلِيم) واسمه حَوْشَب ، وهو العظيم البطن . والظَلِيم : ذَكَرُ النعام . وشهد ذو ظَلِيمَ صَفِينَ مع معاوية رضى الله عنه .
ومنها (ذو يَزَن) ملك اليمين بعد ذى نُوَاس فهزمته الحبشة ، واقتحم البحر فهلك . وَيَزَن : اسم مرتجل ، وهو غير منصرف ، لأن أصله يَزَان على وزن يسأل ؛ فحذفوا همزته فصار وزنه يَقْل ؛ ومنها من ردّ عينه في النسب فقال رَحِمَ يَزَانِيّ : وقيل إن أصله من وَزَن يَزِن ، فحذفت الواو ثم أبدلت الكسرة فتحة . واسم ذى يَزَن : عامر بن أسلم بن زيد بن غوث الحميرى والله أعلم .

* * *

وأنشده بعده وهو الشاهد الثامن والعشرون بعد المائة ، وهو من أبيات سيبويه^(١) :

١٢٨ (مِنْ أَجْلِكَ يَا الَّتِي تَيَسَّمَتْ قَلْبِي وَأَنْتِ بَخِيلَةٌ بِالْوَصْلِ عَنِّي)

٣٥٨

على أنه شاذ : لأن في لام (التي) اللزوم فقط وليس فيها العوضية أيضاً .

قال بعض شراح المفصل : ولو قلت : تقديره : من أجلك يا حبيبتى التي تيسمت قلبي ، لم يبق إشكال ؛ لأن (التي) لم تكن منادى على هذا التقدير . انتهى

وروى (فديتك يا التي الخ) . ومعنى تيسمت : ذلت واستعبدت ؛ ومنه تيم اللات أى عبد اللات . وروى : (وأنت بخيلة بالود عني) ، أى على و (من أجلك) يقرأ بنقل فتحة ألف أجلك إلى نون من . وقوله : من أجلك علة معلولها محذوف ، أى من أجلك قاسيت ما قاسيت ؛ أو خبر

(١) سيبويه ١ : ٣١٠ . وانظر الانصاف ٢٠٩ وابن يعيش ٢ : ٨

مبتدأ محذوف ، أى من أجلك مقاساتى . وكان القياس أن يقول تيمت بقاء
التأنيث على الغيبة ، لكن جاء على نحو قوله :

* أنا الذى تَمَتَّنِ أُمِّي حَيْدَرَهُ (١) *

والقياس تَمَّتْهُ . وجملة أنت بخيلة [حال (٢)] عاملها تيمت .

وهذا من الأبيات الحسين التى لم يعرف لها قائل ولا ضميعة .

* * *

وأنشده بعده ، وهو الشاهد التاسع والعشرون بعد المائة (٣) :

١٢٩ (فِيا الْغُلَامانِ اللَّذانِ فَرَّأَ إِيَّاهُ كَأَنَّ تَكْسِبَانَا شَرًّا)

على أنه أشد مما قبله : إذ ليس فى آل التى فى الغلامين لزوم ولا عوض .

وخرجه ابن الأنبارى فى الإنصاف على حذف المنادى وإقامة صفته مقامه

قال : « التقدير فيه وفى الذى قبله ، فِيا أيها الغلامان ، وبإحييتى التى ؛ وهذا

قليل بابه الشعر » . وإيّاكما : تحذير . وأن تَكْسِبَانَا : أى من أن تَكْسِبَانَا ؛

وماضيه كَسَبَ يتعدى إلى مفعولين ، يقال : « كَسَبْتُ زَيْدًا مَلَأً وَعِلْمًا

أى أنلته » .

قال ثعلب : كلهم يقول : كَسَبَكَ فلانٌ خيراً ، إلا ابن الأعرابي فإنه

يقول : « أ كَسَبَكَ بالألف » كذا فى المصباح .

وهذا البيت شائع فى كتب النحو ، ولم يُعرف له قائل ولا ضميعة .

* * *

(١) من شواهد الحزانة ٢ : ٥٢٣ ، ٥٣٤ بولاق وأمالى ابن الشجرى

٢ : ١٥٢ والهمع ١ : ٨٦ مع نسبته الى على بن أبى طالب .

(٢) التكملة من ش .

(٣) العينى ٣ : ٢١٥ وابن يعيش ٢ : ٩ وأمالى ابن الشجرى ٢ :

١٨٢ والانصاف ٣٣٦ والهمع ١ : ١٧٤ والاشمونى ٣ : ١٤٥

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثلاثون بعد المائة ^(١) :

١٣٠ ﴿ إِنِّي إِذَا مَا حَدَّثُ أَلَمًا أَقُولُ : يَا أَلَلَّهُمَّ يَا أَلَلَّهُمَّ ﴾
على أن اجتماع يا والميم المشددة شاذ .

والحدث محركة : ما يحدث من أمور الدهر . وروى أبو زيد في نوادره :
(إِنِّي إِذَا مَا لَمْتُ أَلَمًا)

هو بفتحيتين مقارفة الذنب ^(٢) ، وقيل هو الصغائر . وألم الشيء : قرب .
وأقول : خبر إن ، وإذا : ظرف له .

وهذا البيت أيضاً من الأبيات المتداولة في كتب العربية ، ولا يعرف
قائله ولا بقيته . وزعم العيني أنه لأبي خراش الهذلي . قال : وقيله :

إِنْ تَغْفِرِ اللَّهُمَّ تَغْفِرْ جَمًّا وَأَيُّ عَبْدٍ لَكَ لَا أَلَمًا

وهذا خطأ ، فإن هذا البيت الذي زعم أنه قبله ، بيت مفرد لا قرين له ،
وليس هو لأبي خراش ، وإنما هو لأمية بن أبي الصلت ، قاله عند موته ،
وقد أخذه أبو خراش وضّته إلى بيت آخر وكان يقولها ، وهو يسمى بين الصفا
والمروة ، وهما :

لَا مُمَّ هَذَا خَامِسُ إِنَّمَا أُنَمِّهِ اللَّهُ وَقَدْ أُنَمِّ

إِنْ تَغْفِرِ اللَّهُمَّ تَغْفِرْ جَمًّا الخ

وقد تمثل به النبي ﷺ وصار من جملة الأحاديث ؛ أورده السيوطي

(١) العيني ٤ : ٢١٦ ونوادر أبي زيد ١٦٥ والانصاف ٢٤١ وابن

يعيش ٢ : ١٦٠ والهمع ١ : ١٧٨ وشرح شواهد المغني للسيوطي ٢١٣
واللسان (أله ٣٦٢) والمخصص ١ : ١٣٧١

(٢) ط : « مقاربة الذنب » صوابه في ش

في جامعه الصغير ، ورواه عن الترمذى في تفسيره ، وعن الحاكم في الإيمان والتوبة عن ابن عباس رضى الله عنهما .

قال المناوى في شرحه الكبير : يجوز إنشاد الشعر للنبي : ﷺ وإنما المحرم إنشأؤه . ومعناه إن تغفر ذنوب عبادك فقد غفرت ذنوباً كثيرة ؛ فإن جميع عبادك خطاهون . وقوله : لا ألما أى لم يلم بمصيبة .

* * *

وأشده بعده ، وهو الشاهد الحادى والثلاثون بعد المائة ، وهو من أبيات جل الزجّاجى^(١) :

١٣١ (وما عليك أن تقول^(٢) سُكَّلاً سَبَّحْتَ أو صَلَّيْتَ : يا اللهم مَا)
(أرَدُّد علينا شيخنا مُسَلِّماً)

على أن (ما) تزداد قليلا بعد (يا اللهم) .

هذا الرجز أيضاً مما لا يُعرف قائله . وزاد بعد هذا الكوفيون :
(مِنْ حَيْثُما وَكَيْفَما وَأَيْنَما فَإِنَّا مِنْ خَيْرِهِ لَن نُعَدِّما)

فقوله (وما عليك . . الخ) ما استفهامية ، والمعنى على الأمر . والتسبيح : تنزيه الله وتعظيمه وتقديسه . و (صَلَّيْتَ) بمعنى دعوت ، أو الصلاة الشرعية . وروى بدله : (هَلَلْتَ) ، أى قلت : لا إله إلا الله ؛ كما أن سبحت : قلت سبحان الله . و (الشيخ) هنا : الأب أو الزوج . و (مُسَلِّماً) : اسم مفعول من السلامة . وقوله : من حيثُما ، أى من حيثما يوجد . الخ . وقوله : فإننا من خيره ، الخير هنا : الرزق والنفع . ولن نعدِّما بالبناء للمفعول .

(١) الانصاف ٣٤٢ والهمع ٢ : ١٥٧ واللسان (أله ٣٦٢)

(٢) ط : « تقول » صوابه فى ش والمراجع السالفة

أمرَ بُنْيَتَهُ أو زوجته بالدعاء له ، إذا سافرَ وغاب ، في أوقات الدعوات
وفي مظانَّ القَبُول : كما فعلتُ بنتُ الأعشى ميمون^(١) :

تقولُ بنتي وقد قُرِبتُ مُرْتَحِلاً ياربُّ جَنبِ أبي الأوصابِ والوجما
عليكِ مثلُ الذي صَلَّيتِ فاغْتَمِضِي نوماً فإنَّ لجنبِ المرءِ مُضْطَجَعاً
وقال أيضاً :

تقول ابنتي حين جد الرحيلُ أُرانا سواءَ ومنَ قد يَتِمُّ
أبانا ، فلا رِمَتْ مِن عِنْدِنا فإنَّا بخيرٍ إذا لم تَرِم
ويا أبتا ، لا تَزُلْ عِنْدَنا فإنَّا نخافُ بأن نُخْترَمَ
أُرانا إذا أضمرتكَ البلا دُ نَجْفي ويُقطعُ مِنَّا الرحِم

فقوله : قُرِبتُ ، بالبناء للمفعول^(٢) ، والمرتحلُ : الجمل الذي وضع عليه
الرحل ؛ وهذا كناية عن الرحيل . والأوصاب : جمع وصَب ، وهو المرض .
وصَلَّيتِ : دعوت . وَيَتِمُّ يَتِمُّ من باب تعب وقرب : إذا صار يتما . ورام
يريم بمعنى يرح يبرح . ولا تَزُلْ من زال يزول ، والأفعال الثلاثة بعده
بالبناء للمفعول .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثاني والثلاثون بعد المائة ، وهو من شواهد
سيبويه^(٣) :

(١) ط : « أعشى ميمون » ، صوابه في ش . يعني بنته التي قال
فيها هذا الشعر .

(٢) كذا في النسختين ، وقد غيرها بكلمة « للفاعل »

(٣) سيبويه ١ : ٢٦ ، ٣١٤ . وانظر الخزانة ٢ : ٤ / ١١٦ : ٢٧٣
بولاق ابن يعيش ٢ : ١٠ ، ١٠٥ / ٣ : ٢١ والعيني ٤ : ٢٤٠ والخصائص
١ : ٣٤٥ وابن الشجري ٢ : ٨٣ وشرح شواهد المغنى ٢٨٩ وديوان جرير

١٣٢ (يا تيمَ تيمَ عَدِيٌّ لا أبالكُم)

لا يُلْقِيَنَّكُمُ في سَوَاءٍ عُمَرُ)

٣٦٠

على أن (تيماً) الأول يجوز فيه الضم والنصب ؛ وفي الثاني النصب لا غير ؛ ويئنه الشارح المحقق .

قال اللخمي في شرح أبيات الجمل : وأضاف تيماً إلى عدى للتخصيص . واحترز به عن تيم مرة في قريش ، وهم بنو الأدرم ؛ وعن تيم غالب بن فهر ، في قريش أيضاً ؛ وعن تيم قيس بن ثعلبة ؛ وعن تيم شيبان ؛ وعن تيم ضبة . وعدى المذكور هو أخو تيم ، فإنهما ابنا عبد مناة بن أد بن طابخة ابن الياس بن مضر .

ومعنى (لا أبالكُم) ، الغلظة في الخطاب ، وأصله أن يُنسب المخاطب إلى غير أب معلوم شتماً له واحتقاراً ، ثم كثرت في الاستعمال حتى جعلت في كل خطاب يُغلظ فيه على المخاطب . وحكى أبو الحسن بن الأخصر : أن العرب كانت تستحسن لا أبالك ، وتستقبح لا أم لك ؛ لأن الأم مشقة حينة ، والأب جائرٌ مالك^(١) . وتقدم الكلام عليه مفصلاً في الشاهد الثاني عشر بعد المائة^(٢) .

وقوله : (لا يُلْقِيَنَّكُم) بالقاف من الإلقاء وهو الرمي ؛ قال ابن سيده : من رواه بالقاء فقد صحف وحرف . وروى : (لا يوقِعَنَّكُم) ، والنهي واقع في اللفظ على عمر ، وهو في المعنى واقعٌ عليهم . و (السوءة) بالفتح : الفعل

(١) وكذا في شرح شواهد المغنى حيث ورد هذا النص ، وقد جعلها الشنقيطي : « حائز مالك » .

(٢) انظر ص ١٨٣ من هذا الجزء .

القبیحة ، أى لا یوقعتكم عمر فی بلیة ومکروه لأجل تعرّضه لی ، أى امنعوه من هجائی حتی تأمنوا أن ألقیکم فی بلیة ، فإنکم قادرون علی کفه ؛ فإذا ترکتم نهمه فکأنکم رضیتهم بهجوه إیای .

وهذا الیوت من قصیة الجریر یهجو بها عمر بن لجا التیمی (ولجا بفتح اللام والجم وآخره همزة) ومنها :

(تعرّضت تیم لی عمداً لأهجوها (١)) کما تعرّض لِأَسْتِ الخاری الحجرُ
أنت ابن برزة ، منسوبٌ إلى لجا عند العُصارة والعیدان تُعْتَصِرُ
خلّ الطريق لمن یبني المنار به وابرز ببرزة حیث اضطرک القدرُ
أحین صرتُ سِماماً یابنی لجا وخاطرتُ بی عَنْ أحسابها مُصْرُ
وهی قصیة طویلة أفضّ فیها . فلما توعدهم فیها أتوه به مؤثفاً وحکموه
فیه ، فأعرض عن هجوم .

وقال ابن قتیبة فی کتاب الشعراء (٢) : لما بلغ ذلك تبا أتوا عمر وقالوا :
عرّضتنا لجریر ، وسألوه الکف ، فأبی وقال : أكف بعد ذکره أمی ؟
وبرزة هی أم عمر بن لجا . یقال فلان عصارة فلان أى ولده . وهو سبّ .
وقوله : خلّ الطريق . الخ ، هذا من أبیات سیبویه ، أورده علی أن فیه
إظهارَ الفعل قبل الطريق والتصریح به ؛ ولو أضمره لکان حسناً ،
علی ما بیّنه (٣) .

(١) ط : « تعرّض التیم » ، والتصحیح للشنقیطی فی نسخه .
وهذا من تصحیف السمع بفعل الادغام .

(٢) الشعراء ٦٦٣

(٣) انظر سیبویه والأعلم ١ : ١٢٨

يقول : خلّ طريقَ المعالي والشرف والمفاخرة ، واتركه لمن يفعل أفعالاً مشهورة كأنّها الأعلام التي تنصب على الطريق وتبني من حجارة لبهتدي بها ؛ وعبره بأنه يقول : ابرز بها عن الناس وصير إلى موضع يمكنك أن تكون فيه لما قضى عليك . وقيل : معناه : دغ سبيل الرشاد لطالبه ، وأبرز إلى سبيل النجى إذا اضطرّك قضاء الله وقدره ؛ يعرض بأن أمه كانت فاجرة .

والسّام بالكسر : جمع سمّ وهو الشيء القاتل . وخاطره على كذا أى راحته ، من الخطر ، وهو السبق ، بتحريكهما ، وهو الشيء الذى يتراهن عليه . ورؤى بدله : (وحاضرت) ، بالحاء المهملة والضاد المعجمة ، يقال حاضرت عند السلطان ، وهو كالمقابلة والمكابرة .

وأجابه عمر بن لجأ بقصيدة منها :

٣٦١

لقد كذبت ، وشر القول كذبه (١) ما خاطرت بك عن أحسابها مضر
بل أنت نزوة خوار على أمّة لن يسبق الحلّبات اللؤم والخور
ما قلت من هذه إني سأقتضها يا ابن الأتان ، بمثل تنقض المرر
والنزوة : مصدر نزا الذّكر على الأنثى ؛ وهذا يقال فى الحافر والظلف
والسباع . والخوار : من الخور ، وهو ضعف القلب والعقل . والحلّبات
بالحاء المهملة .

وكان سبب التهاجى بين جرير وعمر بن لجأ ، هو ما حكاه المبرّد
فى (كتاب الاعتيان) عن أبى عبيدة (٢) : أن الحجاج بن يوسف الثقفى

(١) ط : « وسوء القول » ، صوابه فى ش وابن سلام ٣٦٥

والنقائض ٤٨٨

(٢) انظر أيضا النقائض ٤٨٧

سأل جريراً عن سبب التهاجي بينه وبين شعراء عصره ؛ فبين له جريرُ سببَ كلِّ واحد . إلى أن قال الحجاج : ثم من ؟ قال : ثم التيميُّ عمر بن لجأ . قال : وما لك وله ؟ قال : حسدني فعاب عليَّ بيتاً كنتُ قلتُهُ ، فخرَّفه :

لَقَوْمِي أَنَحِيَّ لِلْحَقِيقَةِ مِنْكُمْ وَأَضْرَبُ لِلْجَبَّارِ وَالنَّقْعِ سَاطِعُ
وَأَوْثُقُ عِنْدَ الْمَرْهَفَاتِ عَشِيَّةً لَحَاقًا إِذَا مَا جَرَّدَ السِّيفَ لَامِعُ
فقال لي : إنما قلتَ :

* وَأَوْثُقُ عِنْدَ الْمَرْهَفَاتِ عَشِيَّةً *

فصيرتُ نساءك قد أُرِدْنَ غَدوةً وَلِحْمَتَهُنَّ عَشِيَّةً وَقَدْ فَضَحْنَ ؛ وَلَمْ أَقُلْهُ
كَمَا حَكَى . قال الحجاج : فما قلتَ له ؟ قال : قلتُ له أَحْذَرُهُ وَأَحْذَرُ قَوْمَهُ :
يَا تَيْمَ تَيْمَ عَدِيَّ لَا أَبَالِكُمْ . . . البيت

قال : فنقضَ عليَّ بأشدَّ مما قلتُ له فقال :

لقد كذبتَ وشرُّ القول أكَذِبُهُ . . . البيت

قال أبو عبيدة : وأما كِرْدِينُ الْمِسْمِيِّ (١) فأخبرني قال : كان بدءُ
الشرِّ بين ابن لجأ وجرير : أن لقمان الخُزاعيَّ قديمٌ على صدقات الرِّباب ،
فخصرته وجوه الرِّباب وفيهم عمر بن لجأ ، فأنشده :

تَأَوَّبَنِي ذِكْرُ لَزْوَلَةٍ كالتَّحْبِيلِ وَمَا حِثُّ تَلْقَى بِالْكَتِيبِ وَلَا السَّهْلِ
تُرِيدِينَ أَنْ أَرْضَى وَأَنْتِ بِخَيْلَةٍ وَمَنْ ذَا الَّذِي يُرْضَى الْأَخْلَاءَ بِالْبَخْلِ

(١) هو مسمع بن عبد الملك بن مسمع بن مالك بن مسمع ، الملقب

بكردين جمهرة ابن حزم ٣٢٠

حتى فرغ منها . فقال له لقمان : مازلنا نسمع بالشام أن هذه لجريـر !
فقال عمر بن لجا : إني لأكذبُ شيخَ في الأرض إن ادَّعيت شعر جريـر .
ثم أنشدته على رهوس الناس وجماعات الرُّباب ١١ فأبلغ لقمان جريراً مقالة
عمر ، قال : فزعمُ عمر أنك سرقها منه ! فقال جريـر : وأنا أحتاج إلى أن
أسرق شعر عمر وهو القائل في إبله ووصفها حتى جعلها كالجلال ثم جعلَ فحلها
كالظرب (وهو الجبل الصغير في الغلظ من الأرض) فقال :

* كالظرب الأسودِ من ورائها *

ثم قال : * جرَّ العروسِ الثنيَّ من رداها *

والله ما شعره من نمط واحد ، وإنه لمختلفُ العيون ! فأبلغ لقمانُ عمرَ
قول جريـر وما عابَ من قوله ؛ فقال عمر : أيعيبُ جريـر قولي :

* جرَّ العروسِ الثنيَّ من رداها *

وإنما أردتَ لينه ولم أَرِدْ أثره ؛ وقد قال هو أقبح من هذا ، حين يقول :

* وأوثقُ عند المردفات عشيّة *

فلحقهنَّ بعد ما نُكِحْنَ وفُضِحْنَ ! فقال جريـر : حرَّفَ قولي ، إنما قلت
« عند المَرَهفات عشيّة » . فوقع الشرُّ بينهما . انتهى

وترجمة جريـر تقدمت في الشاهد الرابع من أوائل الكتاب (١) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والثلاثون بعد المائة ، وهو من شواهد
س (٢) :

٣٦٢

(١) انظر الجزء الأول ص ٧٥

(٢) سيبويه ١ : ٣١٥ والعيني ٤ : ٢٢١ وابن يعيش ٢ : ١٠ والهمع
٢ : ١٢٢ وشرح شواهد المغني ٢٧٩ والمنصف ٣ : ١٦ والسيرة ٧٩٤
والروض الأنف ٧ : ٢٥٨

١٣٣ * يَا زَيْدَ زَيْدَ الْيَعْمَلَاتِ الذُّبْلِ تَطَاوَلَ اللَّيْلُ عَلَيْكَ فَانْزِلْ *

لما ذكر في البيت قبله . وهو ظاهر .

و (الْيَعْمَلَاتِ) . بفتح الياء والميم : الإبل القوية على العمل .
و (الذُّبْلُ) : جمع ذابل ، أى ضامرة من طول السفر . وأضاف زيدا إليها
لحسن قيامه عليها ومعرفته بجذائها . وقوله (تطاول الليل عليك .. الخ)
رُوى : (هُدَيْتَ) بدل عليك ، وهو المناسب . أى انزل عن راحلتك واحد
الإبل ، فإن الليل قد طال ، وحدث للإبل الكلال ؛ فنشطها بالخداء ، وأزل
عنها الإعياء .

وهذا البيت لعبد الله بن رَوَاحَةَ الصَّحَابِيِّ رضى الله عنه ، لا لبعض ولد صاحب الشاهد
جرير ، خلافاً لشرح أبيات سيبويه . وهو بيتان لا ثالث لهما ، قالها في غزوة
مُؤْتَةَ (وهى بأدنى البلقاء من أرض الشام) وكانت في جمادى الأولى من سنة
ثمان من الهجرة .

قال ابن عبد البر^(١) فى الاستيعاب : ذكر ابن إسحاق عن عبد الله
ابن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم قال : كان زيد بن أرقم يتيماً فى حجر
عبد الله بن رَوَاحَةَ ، فخرج به معه إلى مُؤْتَةَ يحملهُ على حَقِيبة رَحْلِهِ ، فسمعه
زيد بن أرقم من الليل وهو يتمثل أبياته التى يقول فيها :

إِذَا أَدْرَيْتَنِي وَحَمَلْتُ رَحْلِي مَسِيرَةَ أَرْبَعٍ بَعْدَ الْحَسَاءِ
فَشَأْنُكَ فَانْعَمَى وَخَلَكَ ذِمُّ وَلَا أَرْجِعْ إِلَى أَهْلِ وَرَائِي
وَجَاءَ الْمُؤْمِنُونَ وَغَادَرُونِي بِأَرْضِ الشَّامِ مُنْتَهَى الثَّوَاءِ

فبكى زيد بن أرقم ؛ فحققه عبد الله بن رَوَاحَةَ بالدَّرة وقال : ما عليك

(١) فى ترجمة زيد بن أرقم

يَا لَكُم أَنْ يَرْزُقَنِي اللَّهُ الشَّهَادَةَ وَتَرْجَعَ بَيْنَ شُعْبَتَيْ الرَّحْلِ ؟ ولزيد ابن أرقم يقول عبد الله بن رَوَاحَةَ :

يازيد زَيْدَ الْيَعْمَلَاتِ الذُّبْلُ تطاولَ الليلُ - هُدَيْتَ - فانزل
وقيل : بل قال ذلك في غزوة مؤتة لزيد بن حارثة « انتهى .

وهذا الثاني بعيد فإنه يُسْتَبَعَدُ أن يقال لأمير الجيش : انزل عن راحلتك واحدُ الإبل ؛ فإن زيد بن حارثة كان أمير الجيش في غزوة مؤتة كما سيأتي . ومؤتة بضم الميم والهمز . وقوله : إِذَا أَذَيْتَنِي ، خطاب لراحلته . وقوله : الْحِصَاءُ ، بكسر الحاء المهملة وبعدها سين مهملة ، قال المبرد في الكامل : « هو جمع حِصَى (بكسر فسكون) وهو موضع رملٍ تحته صلابة ، فإذا مطرت السماء على ذلك الرمل نزل الماء فنقعه الصلابة أن يفيض ومنع الرملُ السائمَ أن ينشفه ^(١) » فإذا بُحِثَ ذلك الرمل أصيب الماء . ويقال حصى وأحساء وحِصَاءُ . وقوله : وَخَلَائِكَ ذَمٌّ أَى تَجَاوُزُكَ الذَّمُّ ، دعاء لها . وقوله : وَلَا أَرْجِعْ ، مجزوم بالدعاء ؛ ومعناه اللهم لا أرجع « انتهى .

وقوله مُنْتَهَى النَّوَاءِ هو اسم فاعل منصوب على الحال .

و (عبد الله بن رَوَاحَةَ) أنصاري خزرجي . وهو أحد النقباء . شهد العَقَبَةَ ، وبَدْرًا ، وَأُحُدًا ، وَالْخَنْدَقَ ، وَالْحُدَيْبِيَّةَ ، وَغُرَّةَ الْقَضَاءِ ، وَالْمَشَاهِدَ كُلَّهَا إِلَّا الْفَتْحَ ، ومات بعده ، لأنه قُتِلَ يوم مؤتة شهيداً . وهو أحد الأمراء في غزوة مؤتة ، وأحد الشعراء المحسنين الذين كانوا يردون الأذى عن رسول الله ﷺ . وفيه وفي صاحبيه حسان وكعب بن مالك نزلت : (إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا ^(٢)) الآية .

عبد الله
ابن رواحة

٣٦٣

(١) السمانم : جمع سموم ، وهى الريح الحارة ليلاً أو نهاراً . وفي النسختين : « ومنع الرمل السماء أن ينشفه » صوابه من الكامل ٧٦
(٢) الآية ٢٢٧ من الشعراء

وسبب غزوة مؤتة : أن رسول الله ﷺ بعث الحارث بن عُمير الأزدي بكتابه إلى الشام إلى ملك الروم ، وقيل إلى ملك بصرى ، فعرض له شُرَحْبِيل ابن عمرو الغساني ، فأوثقه رباطا ، وضرب عنقه صبرا (ولم يُقتل لرسول الله ﷺ رسول غيره) فاشتد ذلك عليه حين بلغه الخبر ، فبعث بعثه ﷺ إلى مؤتة واستعمل عليهم زيد بن حارثة وقال : إن أصيب زيدُ فجعفر بن أبي طالب ، فإن أصيب فبعد الله بن رواحة . فتجهز ثلاثة آلاف رجل ، ثم مضوا حتى إذا كانوا بتخوم البلقاء لقيتهم جموع هُرَقل والعرب في مشارف من قرى البلقاء ، وانحاز المسلمون إلى قرية يقال لها مؤتة (وكان الروم مائة ألف . وانضم إليهم من نخم وجذام والقيين وبهراء^(١) وبلى مائة ألف أخرى) ثم التقوا فاقتتلوا . فقاتل زيد بن حارثة براية رسول الله ﷺ حتى قُتل شهيدا ، فأخذها جعفر ثم قتل ، ثم أخذها عبد الله بن رواحة فقتل ، فأخذ الراية خالد بن الوليد ودافع الناس ، ثم انحاز وانحيز عنه حتى انصرف بالناس إلى رسول الله ﷺ

وأما (زيد بن أرقم) فهو أنصاري خزرجي من بني الحارث بن الخزرج . زيد بن أرقم وزيد بن أرقم هو الذي رفع إلى رسول الله ﷺ عن عبد الله بن أبي ، ابن سلول^(٢) قوله : لئن رجعنا إلى المدينة ليُخرجن الأعز منها الأذل ، فأكذبه عبد الله بن أبي وحلف ، فأنزل الله تصديق زيد بن أرقم ، فبشره أبو بكر بتصديق الله إياه . وجاء إلى النبي ﷺ ، فأخذ بأذن زيد وقال : « وَفَتْ أَدْنَكَ يَا غَلَامَ » . وشهد مع علي وقعة صفين ، وهو معدود في خاصة أصحابه .

(١) في النسختين : « والقيس » صوابه في ش والسيرة وسيرة ابن سيد الناس ٢ : ١٥٣ . وفي ط : « وبهراء » صوابه في ش والسيرة وسيرة ابن سيد الناس .

(٢) سلول : جدة عبد الله ، نسب إليها . جمهرة ابن حزم ٣٥٥ . لكن في الاشتقاق ٤٥٩ أن سلول أمه .

(٣٠) خزانة الأدب ج ٢

ونزل الكوفة وسكنها وابتنى بها داراً ، وبها كانت وفاته فى سنة ثمان وستين .
و (أما زيد بن حارثة) فهو مولى رسول الله ﷺ ، كان أصابه سبأ
فى الجاهلية فاشتراه حكيم بن حزام لعمته خديجة بنت خويلد ، فوهبته خديجة
لرسول الله ﷺ ، فبنتاه رسول الله ﷺ بمكة قبل النبوة ، وهو ابن ثمان
سنين . ثم إن ناساً من كلب حجوا فرأوا زيدا فعرفهم وعرفوه ؛ فقال لهم :
أبلغوا أهلى هذه الأبيات ، فإننى أعلم أنهم قد جزعوا على ، فقال :

أحنِ إلى قومي وإن كنت نائياً فإننى قعيد البيت عند المشاعر^(١)
فكفوا من الوجد الذى قد شجاكم ولا تعلوا فى الأرض نص الأباغر
فإننى ، بحمد الله ، فى خير أسرة كرام معد كبراً بعد كابر

فانطلق الكلبيون فاعلموا أباه فقال : ابنى ورب الكعبة ! ووصفوا له
موضعه وعند من هو . فخرج حارثه وكعب أخوه^(٢) لفدائه وقديماً مكة ،
فدخلوا على النبي ﷺ فى المسجد فقالا : يا ابن عبد المطلب ، يا ابن هاشم ،
يا ابن سيد قومه ؛ أنتم أهل حرم الله وجيرانه ، تفككون العاني وتطلقون
الأسير ؛ جئناك فى ابننا عبدك ؛ فامن علينا ، وأحسن إلينا فى فدائه . قال :
من هو ؟ قال . زيد بن حارثة . فقال ﷺ . أدعوه فأخبره ، فإن اختاركم
فهو لكم ، وإن اختارنى فوالله ما أنا بالذى أختار على من اختارنى أحداً .
قالا . قد زدتنا على النصف وأحسن . فدعاه فقال . هل تعرف هؤلاء ؟ قال :
نعم ، هذا أبى وهذا عمى ! قال : فأنا من قد علمت ورأيت صحبتى لك ،
فاخترنى أو اخترتهما . قال زيد : ما أنا بالذى أختار عليك أحداً ، أنت منى

٣٦٤

(١) ط : « نأبيا » ، صوابه فى ش والاستيعاب والروض الأنف ١ :
١٦٤ . وفى الروض أيضا : « باني قعيد البيت »
(٢) فى الاستيعاب : « حارثة وكعب ابنا شراحيل » .

مكان الأبِ والعمِّ ! فقالا : ويحك يا زيد ، أنتختار العبودية على الحرية ؟! قال : نعم ، قد رأيت من هذا الرجل شيئاً ، ما أنا بالذي أختار عليه أحداً ! فلما رأى رسول الله ﷺ ذلك أخرجه إلى الحجر فقال : يا مَنْ حَضَرَ ، اشهدوا أنَّ زيدا ابني يرثني وأرثه . فلما رأى ذلك أبوه وعمه طابت نفوسهما ، فانصرفا . ودُعِيَ زيد بن محمد ، حتى جاء الله بالإسلام فنزلت . (ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ ^(١)) ، فدُعِيَ يومئذٍ زيد بن حارثة ، وكان يقال له زيد بن حارثة حب رسول الله ﷺ وشهد بداراً وزوجه مولاته أم أيمن ، فولدت له أسامة . وقُتِل زيد بمؤتة سنة ثمان من الهجرة ، وهو كان الأمير على تلك الغزوة . روى عنه ﷺ أنه قال : « أحبُّ الناس إلىَّ مَنْ أنعمَ الله عليه وأنعمتُ عليه » . يعني زيد بن حارثة . أنعمَ الله عليه بالإسلام ، وأنعمَ عليه ﷺ بالعنق .

وتلخصت التراجم من الاستيعاب ، والغزوة من سيرة ابن سيّد الناس . واعلم أنَّي رأيتُ في نوادر ابن الأعرابي أرجوزة عدتها اثنان وعشرون بيتاً مطلعها :

* يا زيدُ زيدَ العَمَلاتِ الذُّبُلِ *

قال : « أنشدني بُكَيْر بن عبيد الرُّبَيْي . ولا أعلم مَنْ هو : أهو سابق على عبد الله بن رَوَاحَة أم لاحقٌ له ؟ » . والظاهر أنه بعده ، فإنَّ الرجز في الجاهلية كان لا يتجاوز الأبيات الثلاثة والأربعة ، وإنما قصده وأطاله الأغلب العجلى كما تقدم بيانه في ترجمته ^(٢) . والله أعلم

* * *

(١) الآية ٥ من الأحزاب

(٢) انظر ص ٢٣٩ من هذا الجزء .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والثلاثون بعد المائة ^(١) :

١٣٤ (فَلَا وَاللَّهِ لَا يُلْقِي لِمَا بِي وَلَا لِيَا بِهِمْ أَبَدًا دَوَاهِ)

على أن اللام الثانية في قوله (لِيَا) مؤكدة للام الأولى .

ويأتى إن شاء الله تعالى ما يتعلق به في باب التوكيد ، وفي الباء والكاف أيضاً من حروف الجر ^(٢) .

وهذا البيت من قصيدة لمسلم بن معبد الوالبي . قال أبو محمد الأسود الأعرابي في ضالة الأديب : كان السبب في هذه القصيدة : أن مسلماً كان غائباً فكتب إليه للمصدق (أى لعامل الزكاة) وكان رقيق وهو عمارة ابن عبيد الوالبي عريفاً ، فظن مسلماً أن رقيقاً أغراه (وكان مسلم ابن أخت رقيق وابن عمه) ، فقال :

قصيدة الشاهد (بكتُ إلى ، وحق لها البكاء ، وفترقها المظالم والعداه
إذا ذكرت عرافة آل بشر وعيشاً ما لأوله اتشاء
ودهرًا قد مضى ورجال صدق سَعَوْا ، قد كان بعدهم الشقاء
إذا ذكرت العريف لها اقشعرت ومس جلودها منه انزواء
فظلّت وهي ضامزة تفادى من الجرات جاهدتها البلاء ^(٣)
وكبدن بنى الربا يدعون باسمي ولا أرض لدى ولا سماء

(١) انظر الخصائص ٢ : ٢٨٢ ومعاني الفراء ١ : ٦٨ وابن يعيش ٧ : ٨/١٨ : ٩/٤٣ : ١٥ والجمع ٢ : ٧٨ ، ١٢٥ ، ١٥٨ وشرح شواهد المفتى ١٧٢

(٢) الحزانة ٢ : ٤/٣٥٢ : ٤٧٣ بولاق

(٣) الضامزة : التي تمسك جرتها في فيها . وبغير ضامز : لا يرغو .

ط : « ضامره » ، صوابه في ش

تؤمِّل رَجْعَةً مِنِّي ، وفيها كتابٌ مثل ما لَزِقَ الغِراءُ
عَدَرْتُ النَّاسَ غَيْرَكَ فِي أُمُورٍ خَلُوتَ بِهَا فَمَا نَفَعَ انْخِلَاءُ
فَلَيْسَ عَلَى مَلَامَتِنَاكَ لَوْمْ وَلَيْسَ عَلَى الذِّى نَلْقَى بَقَاءُ
أَلَمْ أُنْ رَأَيْتَ النَّاسَ آبَتْ كَلَابُهُمْ عَلَى لَهَا عَوَاءُ
ثَنَيْتَ رِكَابَ رَحْلِكَ مَعَ عَدُوِّ لِمَحْتَمَلٍ ، وَقَدْ بَرَحَ انْخِلَاءُ^(١)
وَلَا خَيْتَ الرِّجَالَ بِذَاتِ بَيْنِي وَبَيْنِكَ ، حِينَ أَمَكَّنَكَ اللُّغَاءُ
وَأَيَّ أَخٍ لَسَلَمَكَ بَعْدَ حَرْبِي إِذَا قَوْمُ الْعَدُوِّ دُعُوا فِجَاءُ
فَقَامَ الشَّرُّ مِنْكَ وَقْتَ مِنْهُ عَلَى رِجْلٍ وَشَالَ بِكَ الْجَزَاءُ
هَنَالِكَ لَا يَقُومُ مَقَامَ مِثْلِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّنُونُ وَلَا النِّسَاءُ
وَقَدْ عَيَّرْتَنِي وَجَفَوْتَ عَنِّي فَمَا أَنَا وَبَبَ غَيْرِكَ وَالْجَفَاءُ
وَقَدْ بَغْنِي الْحَبِيبُ وَلَا تُرَاخِي مَوَدَّتَهُ الْمَغَانِمُ وَالْحِبَاءُ^(٢)
وَيُوصَلُ ذُو الْقَرَابَةِ وَهُوَ نَاءُ وَيَبْقَى الدِّينُ مَا بَقِيَ الْحَيَاءُ
جَزَى اللَّهُ الصَّحَابَةَ عَنْكَ شَرًّا وَكُلُّ صَحَابَةٍ لَهُمْ جَزَاءُ
بِفِعْلِهِمْ ، فَإِنْ خَيْرًا فَخَيْرًا وَإِنْ شَرًّا : كَمَا مِثْلُ الْخِلَاءِ
وَيَأْتِيهِمْ جَزَى عَنِّي ، وَأَدَّى إِلَى كُلِّ بِمَا بَلَغَ الْأَذَاءُ^(٣)
وَقَدْ أَنْصَقْتُهُمُ وَالنَّصِيفُ يَرْضَى بِهِ الْإِسْلَامُ وَالرَّحِمُ الْبَوَاءُ
لَدَتْهُمْ النِّصِيحَةَ كُلَّ لَدٍّ فَجُؤَا النَّصْحَ ثُمَّ ثَنُّوا فَقَاءُوا

(١) ش : « رِكَابَ رَجْلِكَ » .

(٢) ط : « وَلَا تُرَاخِي » .

(٣) فِي النِّسَخَتَيْنِ : « الْأَذَاءُ » .

وكنْتُ لهم كدَاءَ البطنِ يُوذَى وراءَ صحِيحِهِ . مرضٌ عِيَاءٌ
 جَوِينَ من العداوة ، قد وَرَّاهُمْ نَشِيشُ الغِيظِ والمرَضُ الضَّنَاءُ
 إِذَا مَوَّلَى رَهْبَتُ اللَّهِ فِيهِ وَأَرْحَامًا لَهَا قَبْلِي رِعَاءُ
 رَأَى مَا قَدْ فَعَلْتُ بِهِ مَوَالٍ فَقَدْ غَمِرْتُ صَدُورُهُمْ وَدَاعُوا
 فَكَيْفَ بِهِمْ ! فَإِنْ أَحْسَنْتُمْ قَالُوا أَسَأْتُ ، وَإِنْ غَفَرْتُ لَهُمْ أَسَاءُوا
 فَلَا وَأَبْيَكُ لَا يُلْفَى لِمَا بِي وَلَا لِمَا بِهِمْ أَبَدًا شِفَاهُ

وبقي من القصيدة اثنا عشر بيتاً وُصِفَ إبله فيها .

قوله : المظالم والعداء ، هو جمع مَظْلَمَةٍ بكسر اللام وهو ما أخذه الظالم ،
 وكذلك الظُّلَامَةُ والظلمية . والعداء بالفتح : الظلم وتجاوز الحد ، وهو مصدر
 عدا عليه . وقوله : إِذَا ذَكَرْتُ ، ظرف لقوله بكت إيلي ؛ وفاعل ذَكَرْتُ
 ضمير الإيل . واثناء : انكشاف ؛ يقال ثناه : إِذَا كَفَّه . وقوله : ورجال
 صدق سَمَوْا ، بالنصب معطوف على عَرَاةً ؛ وسعوا أى تعاطوا أَخَذَ الزَّكَاةَ ؛
 والساعى : من ولى شيئاً على قوم ، وأكثر ما يقال ذلك فى ولاة الصدقة .
 والانزواء : التَّقَبُّضُ . وتغادى من كذا : إِذَا تَحَامَاهُ وانزوى عنه . وقوله :
 عذرتُ الناسَ غيرك ، خطاب لرُقَيْعِ ابن عمه ؛ وخلوتَ بها بالخطاب أى سخرتَ
 بها ، يقال خلوتَ به : إِذَا سَخَرْتَ مِنْهُ . وقوله : ملامتناك ، أى لومتنا إياك .
 وقوله : أَلَمَّا ، الهزمة استفهام توبيخى ؛ ولما بمعنى حين ، متعلقة بقوله ثنيت .
 وآبت : رجعت . وبرح : زال . ولاخيت ، بالخاء المعجمة : مالات وساعدت .
 والظنون بالفتح : الرجل السيء الظن ، وهو فاعل يقوم . وويب بمعنى ويل .
 وقوله : يَغْنِي الحبيبُ ، أى يصير غنياً ولا تراخى ^(١) المغانمُ والعطاء مودته .

والصَّحابة : الأصحاب . والحذاء بالكسر : النعل ؛ واحتذى : انتحل ؛ أراد : كما صنَّع مثل الحذاء مطابقاً له . وأنصفت الرجل إنصافاً : عاملته بالعدل ؛ والاسم النصفة بالتحريك ؛ والنَّصْف بفتح فسكون^(١) . والبواء ، بفتح الموحدة والمد : السَّواء . وقوله لدَّذُّهُمْ النصيحة ، اللدود بالفتح : ما يُصَبُّ من الأدوية في أحد شقي الفم ؛ ولدذته لدّاً : صببت في فيه صباً . ونجّه : رماه . وثنوا : عطفوا ومالوا . وقوله : وقاءوا ، بالقاف من القاء ؛ وصحفه العينيّ تجريعاً فاحشاً فقال : « قوله : وقاءوا ، خبر مبتدأ محذوف ، أى وهم فاءوا ؛ والجملة حالية » اه وهذا مما لا يُقضى منه العجب . وقوله : وكنت لهم كداء البطن . . الخ ، داء البطن : الإسهال ؛ ويؤذى من الأذية ، والواو مسهلة من همزة ، والجملة حال من الداء ؛ وراء بمعنى خلف وبعد ؛ وضمير صحيحه لداء البطن ؛ والمرض العياء بالفتح هو المرض الذى تعيا عنه الأطباء ؛ والجملة الاسمية حال أيضاً من البطن . يريد أن ما أضمره من بغض قاتلهم لا محالة ، لأنى كنت عندهم بمنزلة داء البطن المؤذى ، نشأ من أهونه ما عجز عنه الأطباء كالزَّحِير والسِّل . وقوله : جوين من العداوة الخ ، هذا بيان لما قبله ؛ وجوين منصوب بفعل محذوف أى أراهم جوين ، وهو جمع جَوٍ : صفة مشبهة من الجوى كعم من العمى ، جمع على طريقة جمع المذكر السالم ، والجوى : الحرقة وشدة الوجد من عَشَقٍ أو حزن ؛ ووراهم ، من ورى القَيْحُ جوفه ورّيا : إذا أكله ؛ ونشيش : فاعل ووراهم ، والنشيش : صوت الماء ونحوه إذا غُلِيَ على النار . والضناء بالفتح والمد : اسم مصدر ضنّ ضنّ من باب تعب : مرض مرضاً ملازماً حتّى أشرف على الموت . كذا فى المصباح . وقوله : إذا موّلَى رهبت

(١) وكذا بكسر فسكون ، وضم فسكون . وفى القاموس : « وبالكسر

ويثلت : النصعة » .

الله فيه [الح . المولى هنا ابن العم ، ورهبتُ الله فيه^(١)] أى خفت الله في جانبه . وقوله : قَبْلِي ، بفتح القاف وسكون الموحدة . والرَّعَاء : جمع راع من الرعاية ، وهى تفقد الشيء وتحفظه . وقوله : رأى ما قد فعلت به . . الح ، ما : موصولة أو نكرة موصوفة مفعول أول لرأى ، والمفعول الثانى محذوف أى سوا ونحوه ؛ ومَوَالٍ : فاعل رأى ، وهو جمع مولى ؛ وغيرت : من الغمر بالكسر ، وهو الحقُّ والغُلُّ ، يقال غَمِرَ صدره علىَّ بالكسر ، يَغْمَرُ بالفتح ، غَمَرًا بسكون الميم وفتحها مع فتح الأول فيهما . وداءوا أى مرضوا ، وهو فعل ماض من الداء ، يقال داء الرجل يداء داء إذا أصابه المرض . وقوله : فكيف بهم ، أى فكيف أضنع بهم .

وقوله : (فلا وأبيك .. الح) ، جملة لا يلقى جواب القسم ، أى لا يوجد شفائه لما بى من الكدر ولا لما بهم : من داء الحسد ؛ واللام الثانية مؤكدة للأولى . وروى صاحب منتهى الطلب من أشعار العرب^(٢) .

فلا والله لا يلقى لما بى وما بهم من البلوى^(٣) .. الح
وعليه فلا شاهد فيه .

و (مسلم) شاعر إسلامى فى الدولة الأموية . وهو ابن مَعْبَد بن طَوَّاف (بتشديد الواو) ابن وَحَّاح (بحاءين مهملتين) ابن عُوَيْر (مصغر عامر) الوالى (نسبة إلى والبة بن الحارث بن ثعلبة بن دُودان بن أسد بن خزيمة بن مدركة)

مسلم الوالى

(١) التكملة من ش

(٢) ط : « منتهى أشعار العرب » ش : « منتهى الارب من أشعار العرب » ، والوجه ما أثبت . وانظر مقدمة الخزانة

(٣) فى النسختين : « وشأنهم من البلوى » ، والتصحيح للشنقيطى فى نسخته .

٣٦٧

وأُشَدَّ بعده ، وهو الشاهد الخامس والثلاثون بعد المائة ، وهو من أبيات س^(١) :

١٣٥ (وصالياتٍ كَكَمَا يُؤْتَفَيْنُ)

على أنه يمكن أن تكون (الكاف) الثانية مؤكدة للأولى ؛ قياساً على اللامين في البيت الذي قبله ، فلا يكون في البيت دليل على اسمية الكاف الثانية .

وهو من قصيدة لخطام المجاشعي^(٢) . وهي من بحر السريع ؛ وربما حسب من لا يحسن العروض أنه من الرجز كما توهمه بعضهم ؛ لأن الرجز لا يكون فيه معولات فيرد إلى فعولات . ومثله :

* قد عرَضْتُ أروى بقولٍ إِفْنَادٍ^(٣) *

وهو مستفعلن مستفعلن فعولات . وأولها :

(حَيٌّ دِيَارَ الْحَيِّ بَيْنَ السَّهْبَيْنِ^(٤) وَطَلْحَةِ الدَّوْمِ وَقَدْ تَعَفَيْنُ)
(لَمْ يَبْقَ مِنْ آيٍ بِهَا يُحْكَلْنِ^(٥) غَيْرَ حُطَامٍ وَرَمَادٍ كَسَفَيْنِ)
(وَغَيْرَ نَوْيٍ وَحِجَاجِيٍّ نَوَيْنِ وَغَيْرَ وَدٍّ جَاذِلٍ أَوْ وَدَيْنِ)
(وَصَالِيَاتٍ كَكَمَا يُؤْتَفَيْنُ)

(١) سيبويه ١ : ١٣ ، ٢/٢٠٣ : ٣٣١ . وانظر ما سيأتي في ٢ : ٣٥٣ و ٤ : ٢٧٣ بلاق وشرح شواهد الشافعية ٥٩ والعيني ٤ : ٩٥٢ وابن يعيش ٨ : ٤٢ ومجالس نعلب ٤٨ وشرح شواهد المغني ١٧٢ والخصائص ٣٦٨ : ٢

(٢) وفي شرح شواهد الشافعية : « ونسبه الصقل شارح أبيات الايضاح للفارسي ، والجوهري في الصحاح الى هيمان بن قحافة » .
(٣) ط : « ابعاد » ، صوابه في ش واللسان (فند ٣٣٥) وفسره بقوله : « انما أراد : بقول ذي افناد »

(٤) ط : « دار الحي » ، ولا يستقيم به الوزن ، وصوابه في ش واضح

(٥) في النسختين : « تحلين » ، والوجه ما أثبت من شرح شواهد الشافعية .

ومنها :

(وَمَهْمَهَيْنِ قَذْفَيْنِ مَرَّتَيْنِ ظَهَرَا مِثْلُ ظُهُورِ التُّرْسَيْنِ)
(جُبَّتُهُمَا بِالنَّعْتِ لَا بِالنَّعْتَيْنِ عَلَى مُطَارِ الْقَلْبِ سَامَى الْعَيْنَيْنِ)

فقوله : حى ، فعلٌ أمرٍ من التَّحْيَةِ . والحى : القبيلة . والسَّهْبَانِ : موضع ، وكذا طَلْحَةُ الدَّوْمِ ؛ ولم يذكرهما البكرى فى معجم ما استعجم^(١) . والنون فى تَعْفَيْنِ : ضمير ديار الحى ، وتعفى بمعنى عفا اللازم ، يقال عفا المنزل يعفو عَفْوًا وَعُفْوًا وَعَفَاءً بِالْفَتْحِ والمد : درس . ويتعدى أيضاً ؛ فإنه يقال عَفَتَهُ الرِّيحُ . والآى : جمع آية بمعنى العلامة . وضمير تحلين لديار الحى ، والتحلية : الوصف ، يقال حلّيت الرجل تحلية : إذا وصفته . يقول : لم يبق من علامات حلولهم فى ديارهم تحليها وتصفها^(٢) غير ما ذكر . ومن زائدة . وآى : فاعل لم يبق . وغير منصوب على الاستثناء . وجملة يُحْلَيْنِ^(٣) صفة لآى . وبها متعلق به . والخطام بضم المهملة : ما تكسّر من الخطب ، والمراد به : دِقّ الشجر الذى قطعه فظللوا به الخيام . ورَمَاد مضاف إلى كنفين ، أى رماد من جانبي الموضع ؛ ولوروى بالتنوين لم يكن خطأ . فَكَنْفٌ بفتح الكاف وسكون النون : الناحية والجانب ، وأصله بفتح النون ، وقيل هو هنا بكسر الكاف وسكون النون ، بمعنى وعاءٍ يَجْعَلُ الرَّاعِي فِيهِ أَدَاتَهُ . والنؤى بضم النون وسكون الهمزة : حَفيرة حول الخباء لئلا يدخله ماء المطر ، ويؤخذ تراهما ويجعل حاجزاً للبيت ؛ فجعل ذلك الحاجز كحجاج العين ، وهو بكسر المهملة وفتحها وبعدها جيان : العَظْمُ الذى ينبت عليه الحاجب . والجادل ، بالميم والذال المعجمة : المنتصب ، جَذَلَ جَذُولًا : انتصب وثبت . والودّ : الودد .

(١) وكذا لم يذكرهما ياقوت .

(٢) ط : « ووصفها » ، صوابه فى ش وشرح شواهد الشافية

(٣) فى النسختين : « تحلين » ، صوابه من شرح شواهد الشافية

و (صاليات) : أراد بها الأثافي ، لأنها صليت بالنار أى أحرقت حتى اسودّت ، وهى معطوفة على حُطام ، أى وغير أثافي صاليات ؛ وليست الواو واوَرُب ، خلافاً لابن يسعون ؛ بدليل أنه روى بدلها (وغيرُ سُفْعٍ) : جمع أسفع ، أراد بها الأثافي أيضاً ، لأنها قد سفعت أى سودتها وغيّرت لونها . وروى أيضاً : (ومائلات) أى منتضبات . و (الأثافي) : جمع أُثْفِيّة وهى الأحجار التى ينصب عليها القيدر . و « ما » فى قوله : (ككما) قال الفارسى فى التذكرة القصريّة ، « يجوز أن تكون مصدرية ، كأنه قال : مثل الإنفاء ، ويجوز أن تكون موصولة بمنزلة الذى كقوله :

* فإن الذى حانت بفلج دماؤهم ^(١) * « اهـ

والكاف الأولى جارة والثانية مؤكّدة لها ، كما قال الشارح . وهذا مأخوذ من الكشف ، قال فى تفسير قوله تعالى : (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ) ^(٢) : لك أن تزعم أن كلمة التشبيه كرّرت للتأكيد كما كرّرها من قال :

* وصالياتٍ ككما يؤثفين *

وإذا كان من باب التوكيد جاز أن يكون الكافان اسمين أو حرفين فلا يكون دليل على اسمية الثانية فقط .

وقال ابن السيد فى شرح أدب الكاتب ^(٣) : « أجرى الكاف الجارة مجرى مثل ، فأدخل عليها كافاً ثانية ، فكأنه قال : كمثل ما يؤثفين . وما ، مع الفعل ، بتقدير المصدر كأنه قال : كمثل إثنائها أى إنها على حالها حين أُنْثِيَتْ . والكافان لا يتعلقان بشيء ، فإن الأولى زائدة والثانية قد

(١) أى الذين . والبيت لأشهب بن رميلة سيأتى فى ٢ : ٥٠٧ بولاق وعجزة :

* هم القوم كل القوم يا أم خالد *

(٢) الآية ١١ من سورة الشورى

(٣) الاختصاف ٤٣٠

أُجريت مجرى' الأساء لدخول الجارّ عليها ؛ ولو سقطت الأولى وجب أن تكون الثانية متعلّقة بمحذوف صفة لمصدر مقدّر محمول على معنى الصاليات، لأنها نابت مناب، مُثْفِيات ؛ فكأنه قال : ومثْفِياتٌ إثناءً مثل إثناءها حين نُصِيتُ القَدْرَ . ولا بدّ من هذا التقدير ليصحّ اللفظ والمعنى . وأما قوله : يُوثَفِن ، فقد اختلف النحويون في وزنه : فقال قوم : وزنه يُوثَفَلْن ، والمهمزة زائدة فكان يجب أن يقول يُثْفِن ، لكنه جاء على الأصل ضرورة كما قال الآخر :

* فإنه أهلٌ لأن يُؤَكِّمًا ^(١) *

وعلى هذا فأثفيةُ أفعولة . فأصلها أُثْفَوِيّة ؛ قلبت الواو ياء وأدغمت وكسرت الفاء لتبقى الياء على حالها ، واستدلوا على زيادة الهمزة بقول العرب : ثَفَيْتُ القَدْرَ إذا جعلتها على الأثافي . وقال قوم : وزنه يُفَعْلَيْن ، فالهمزة أصل ، ووزن أثفية على هذا فُعْلِيّة ، واستدلوا بقول النابغة :

لا تقدِّفني برُكنٍ لا كِفاءَ له وإن تَأَثَّفَكَ الأعداءُ بالرَّكْدِ
فقوله تأثَّفَكَ وزنه تَفَعَّلَكَ ، لا يصح فيه غيره ؛ ولو كان من ثَفَيْتُ القدر لقال تَشَفَّاكَ ^(٢) . ومعناه صار أعدائي حولك كالأثافي تظافراً ^(٣) .

قال ابن جني في شرح تصريف المازني : « وَيُفَعْلَيْن أُولَى من يُوثَفَلْن ، لأنه لا ضرورة فيه » .

وقوله : ومهمبين قدّفين . الخ هذا البيت من شواهد النحاة ، أنشده الزّجاج ^(٤) في باب ماجاء من المثني بلفظ الجمع . وسيأتي إن شاء الله تعالى

(١) لأبي حيان الفقيس ، العينى ٤ : ٥٧٨ ، ٩٥٣ وشرح شواهد الشافعية ٥٨

(٢) الى هنا ينتهى نقل البغدادى عن الاقتضاب ٤٣٠

(٣) التظافر : التضافر .

(٤) ش : « الزجاجي » .

في الشاهد الثالث والسبعين بعد الخمسة في باب المثني . والمهمه : القفر المخوف ، قال ابن السيد في شرح شواهد الجمل : واشتقاقه من قولك مَهْمَهْتُ بالرجل : إذا زجرته فقلت له : مَهْ مَهْ . أراد : أن سالكه يُخَفِّي صوته وحركته من خوفه ، فإن رفع صاحبه صوته قال له : مَهْ مَهْ . ونظير هذا ما ذكره اللغويون في قول أبي ذؤيب ^(١) :

* على أطرقاً باليات الخيام *

فإنهم ذكروا : أن أطرقاً موضع ، وأنه سمي بذلك لأن ثلاثة أنفس مروا به ، فتكلم أحدهم مع صاحبه ، فقال لها الثالث . أطرقا .

والقَدَف ، بفتح القاف والذال المعجمة : البعيد من الأرض . والمرت ، بفتح الميم وسكون المهملة : الأرض التي لا ماء بها ولا نبات . والظَّهر : ما ارتفع من الأرض ، شبهه بظهر رُئس : في ارتفاعه وتعرّيه من النبات ، كما قال الأعشى :

وفلاة كأنها ظهرُ رُئسٍ ليسَ إلا الرجيعَ فيها علاقُ

وقوله : جبيتها بالنعت . . الخ ، أي نعتي مرة واحدة فلم أحتج إلى أن ينعتا لي مرة ثانية ، وصفَ نفسه بالحديق والمهارة : وهذا يشبه ما أنشده الفارسي في التذكرة :

ومهمه أعورٍ إحدى العينين بصيرٍ الآخري وأصمُّ الأذنين
قطعته بالسَّمت لا بالسَّمْتين

قوله : أعور الخ ، قال أبو علي : كانت في هذا الموضع بئران فعورت

(١) ط : « أبي ذئب » صوابه في ش . والبيت بتمامه في الهذليين ٦٤ : ١

على أطرقا باليات الحيا * م الا الثمام والا العصي

إحداها وبقيت الأخرى ، فلذلك قال : أعور إحدى العينين . وقوله : وأصم الأذنين ، يعنى . أنه ليس به جبِلٌ فيسمع صوت الصدى منه . وقوله : بالسَّمت . الخ ، أى قيل لى مرة واحدة فاكتفيت . وواو « ومهمين » واو رُبَّ وجوابها جُبَّتَهما .

خطام المجاشعى (خِطَامُ المجاشعى) بكسر الخاء المعجمة ، ومعناه الزمام . قال الأمدى فى المؤلف والمختلف : هو خِطَامُ الرِّيحِ المجاشعى الراجز ، وهو خِطَامُ بن نصر ابن عياض بن يربوع ، من بنى الأبيض بن مجاشع بن دارم . وهو القائل :
* ومائلاتٍ كما يُؤثفين * اهـ

وذكر الصاغانى فى العباب : أن اسمه بِشَر (بكسر الموحدة وسكون الشين المعجمة) .

وقال الأمدى : ومنهم من يقال له : « خِطَامُ الكلب » واسمه يُجَبِّر (بضم الموحدة وفتح الجيم) ابن رزام^(١) ، ذكره ابن الأعرابى ولم ينسبه ، وأنشد له :

والله ما أشبهنى عصامُ لا خلقُ منه ولا قوامُ
نمتُ وعرقُ الخال لا ينام^(٢)

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس والثلاثون بعد المائة ، وهو من أبيات سيبويه^(٣) :

(١) ط : « دارم » ، صوابه فى ش والمؤتلف ١١٢
(٢) السمط ٧٩٥ والكامل ٧٩ وطراز المجالس ١٤٨
(٣) سيبويه ١ : ٩٢ . وانظر العيني ٤ : ٤٥١ وابن يعيش ٣ : ٢١
والخصائص ٢ : ٤٠٧ وشرح شواهد المغنى ٢٧٠

١٣٦ (بين ذِرَاعِي وَجِبْهَةِ الْأَسَدِ)

هذا عجزٌ وصدره :

(يَا مَنْ رَأَى عَارِضًا أُسْرُ بِهِ)

على أَنَّ المضاف إليه محذوف ، بقرينة المضاف إليه الثاني ، أى بين ذِرَاعِي الْأَسَدِ وَجِبْهَتِهِ .

تقدّم الكلام على مثل هذا فى الشاهد الثالث والعشرين^(١) وَمَنْ : منادى وقيل : محذوف المنادى ، أى يا قوم ، وَمَنْ استفهامية . والرؤية بصرية . والعارض . السحاب الذى يعترض الأفق . وجملته . أُسْرُ بِهِ ، صفةٌ لعارض . والذِرَاعان والجبهة : من منازل القمر الثمانية والعشرين ، فالذِرَاعان أربعة كواكب ، كل كوكبين منها ذراع .

قال أبو إسحاق الزجاج فى (كتاب الأنواء) . ذراع الأسد المقبوضة^(٢) ، وهما كوكبان نيران بينهما كواكبٌ صغار يقال لها « الأظفار » كأنها فى مواضع مخالب الأسد ، فذلك قيل لها الأظفار . وإِنَّمَا قيل لها الذراع المقبوضة لأنها ليست على سَمْتِ الذراع الأخرى ، وهى مقبوضة عنها ، ونوءها يكون لليلتين تمضيان من كانون الثانى ، يسقط الذراع فى المغرب غُدوة وتطلع البلدة والنسر الطائر فى المشرق غُدوة . وفيه يجمد الماء ويشد البرد . والجبهة : أربعة كواكب فيها عِوَج ، أحدها بَرَّاق وهو اليماني منها ، وإِنَّمَا سَمِّيت الجبهة لأنها كجبهة الأسد . ونوءها يكون لعشرٍ تَمُضَى من شُبَّاط ، تسقط الجبهة فى المغرب غُدوة ، ويطلع سَعْدُ السُعُود من المشرق غُدوة . وفيه تقع الجرة الثالثة ويتحرك أول

(١) الجزء الأول ص ١٧٢ وما بعدها .

(٢) فى الأزمنة ١ : ١٨٩ ، ٣١٧ أنهما ذراعان : مقبوضة ومبسوطة

العُشب ، ويصوّت الطير ويورق الشجر ، ويكون مطرٌ جَوْدٌ . ويسمى نوء الأسد ، لأنه يتصلّ بهما كواكب في جبهة الأسد . . . وخَصَّ هاتين المنزلتين لأنّ السحاب الذى ينشأ بنوء من منازل الأسد يكون مطره غزيراً ، فلذلك يُسرُّ به . والنوء : غيبوبة الكوكب في المغرب غُدوة وطلوع رقيقه في المشرق غُدوة ، وسمى النوء لأنه ناء أى نهض للغيوب . قال الزجاج : والذى اختار مذهب الخليل : وهو أن النوء اسم المطر الذى يكون مع سقوط النجم ، فاسم مطر الكوكب الساقط النوء اه .

وكانت العرب تزعم أنه يحدث عند نوء كل منزل مطرٌ أو ريح ، أو حرٌّ أو برد ، وهذا الذى روى في الحديث . أن النبي ﷺ قال . « ثلاثٌ من أمر الجاهليّة : الطعن في الأنساب ، والفياحة ، والاستسقاء بالأنواء » ، وهو أن تضيف المطرَ إلى الكوكب الذى ينوء .

قال الأعمى : « وصف عارضٍ سحابٍ اعترض بين نوء الذراع ونوء الجبهة ، وهما من أنواء الأسد ، وأنواءه أحمَدُ الأنواء . وذكر الذراعين ، والنوء إنما هو للذراع المقبوضة منهما^(١) لا اشتراكهما في أعضاء الأسد^(٢) . ونظير هذا قوله تعالى (يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ) يريد من البحرين الملح والعذب ، وإِنَّمَا يَخْرُجُ اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ مِنَ الْمِلْحِ ، لا منهما . وهذا البيت للفرزدق . وتقدمت ترجمته في الشاهد الثلاثين^(٣) .

* * *

(١) ما هنا يصحح ما فى الشنتمرى ١ : ٩٢

(٢) ط : « أعصاب الأسد » صوابه فى ش والشنتمرى

(٣) الخزانة ١ : ص ٢١٧

وأُشَدَّ بعده ، وهو الشاهد السابع والثلاثون بعد المائة ، وهو من شواهد س^(١) .

١٣٧ (رَكِبْنِي لِمَمَّ يَا أُمَيْمَةَ نَاصِب)

هذا صدر ؛ وعجزه قد أُشَدَّه في باب النعت^(٢) .

(وَلِيلٍ أَقَاسِيهِ بَطَىءِ الْكَوَاكِبِ)

على أن (أُمَيْمَةَ) جاء بفتح التاء ؛ والقياسُ ضمُّها .

واختلفوا في التوجيه . فقال الجمهور . إنه مرخمٌ ، والأصل يا أُمِيمَ ؛ ثم أدخلت الهاء غيرَ معتدٍّ بها ، وفتحت لأنها وقعت موقع ما يستحقّ الفتح وهو ما قبل هاء التأنيث .

ولأبى على الفارسيّ فيه قولان : أحدهما أن الهاء زائدة ، وفتحت إبتاعاً لحركة الميم . والثاني أنها أدخلت بين الميم وفتحها ، فالفتحة التي في أولها هي فتحة الميم ثم فتحت الميم إبتاعاً لحركة الهاء .. وقيل : جاء هذا على أصل المنادى ولم ينوّنْ لأنه غير منصرف . وقيل : هو مبنيّ على الفتح ؛ لأنّ منهم من يبني المنادى المفرد على الفتح ، لأنها حركة تشابه حركة إعرابه ، فهو نظير : لا رجلَ في الدار .

وقوله (كَلِبْنِي) أمرٌ من وَكَلْتُ الأمرُ إليه وَكَلَا من باب وعد ، ووُكُولَا : إذا فَوَّضْتَهُ إليه واكْتَفَيْتَ به . و (أُمَيْمَةُ) تصغيرُ ترخيمِ أُمَامَةِ ، وهي بنته . و (نَاصِب) بمعنى مُنْصَب : من النَّصَب وهو التعب ، فجاء به

(١) سيبويه ١ : ٣١٥ ، ٢/٣٤٦ : ٩٠ والعيني ٤ : ٣٠٣ وابن

يعيش ٢ : ١٢ : ١٠٧ وابن الشجري ٢ : ٨٣ والهمع ١ : ١٨٥

(٢) الخزانة ٢ : ٣١٦ بولاق .

على طرح الزائد وحمله سيويه على النسب ، أى ذى نصب ، كما يقال طريق
خائف أى ذو خوف . و (أقاسيه) : أكابده . يقول : دعيني لهذا الهم المتعب
ومقاساة الليل البطيء الكواكب بالسهر ؛ ولا تزيدني لوماً وعدلاً ؛ وجعل
بطء الكواكب دليلاً على طول الليل كأنها لا تغرب فينقضى الليل .
وما أحسن قول بعضهم^(١) :

لا أظلمُ الليلَ ولا أدعى أن نجوم الليل ليست تغور
ليلي كما شئت فإن لم تجيء طال وإن جاءت فليلي قصير

٣٧١

وهذا البيت مطلع قصيدة للناطقة الذبياني ، مدح بها عمرو بن الحارث
الأعرج بن الحارث الأكبر بن أبي شمر (بفتح وكسر ؛ ويقال شمر بكسر
فسكون) حين هرب إلى الشام لما بلغه سعى مرة بن ربيعة بن قزيع به
إلى النعمان بن المنذر ، وخافه . وهذا عن أبي عبيدة . وقال غيره : هو
ابن الحارث الأصغر بن الحارث الأعرج بن الحارث الأكبر بن أبي شمر . وبعده :

(تطاولَ حتى قلتُ ليسَ بمنقضيِّ وليس الذي يرعى النجوم بآيب
وصدري أراحَ الليلُ عازبَ همِّه تضاعفَ فيه الحزنُ من كل جانب

أبيات الشاهد

(١) هو ابن بسام ، كما فى نهاية الأرب ١ : ١٣٥ وحماسة ابن
الشجرى ٢١٤ وثمار الأزهار لابن منظور ٢٣ وزهر الآداب ٧٤٩ وديوان
المعاني ١ : ٣٤٨ والمختار من شعر بشار ٢٠ . وذكروا أنه أخذه من على
ابن الخليل حيث يقول :

لا أظلم الليل ولا أدعى أن نجوم الليل ليست تزول
ليلي إذا شئت قصير إذا جادت فان ضنت فليل طويل
أو : ليلي كما شئت قصير إذا جادت وان زارت فليلي قصير
وفى السمط ٣١٠ وشرح الشريشى للمقامات ٢ : ١٥٣ نسب بيتا
الحزنة الى بشار .

على عمرو نعمة ، بعد نعمة لوالده ليست بذات عقارب)
ومنها :

(ولا عيبَ فيهم غير أن سيوفهم بمن قول من قراع الكتاب)
وسأني شرحه إن شاء الله تعالى في (المستنفي) .

قوله : وصدر ، معطوف على قوله « لهم » في أوّل البيت . وأراح ،
بمهلّتين : متعدّي راحت الإبل بالعشي على أهلها : أى رجعت من المرعى
إليهم . والعاذب ، بالعين المهملة والزاي المعجمة : الغائب ، من عزّب الشيء
عزّوبا من باب قعد : بعد ، وعزّب من بابي قتل وضرب : غاب وخفى .
وقوله : لوالده ، أى لوالد عمرو ، صفة لنعمة ، أى بعد نعمة كائنة لوالده وقوله :
ليست . . الخ ، الجملة صفة إما لنعمة المرفوعة أو لنعمة المجرورة ؛ أى نعمة غير
مشوبة بنعمة كنعمة النعمان بن المنذر . (وعمرو) هذا هو الفسّاني من
ملوك الشام .

قال ابن رشيّق في العمدة^(١) : « أوّل من ولي الشام من غسان الحارث
ابن عمرو محرق^(٢) . سمّي بذلك لأنه أوّل من حرّق العرب في ديارها ،
وهو الحارث الأكبر ، يكنى أبا شمر . . ثم ابنه الحارث بن أبي شمر ، وهو
الحارث الأعرج ؛ وأمه مارية ذات القرطين ، وهى مارية بنت ظالم بن وهب
ابن الحارث بن معاوية الكندي ، وأختها هند الهنود امرأة حُجر آكل
المرار الكندي . وإلى الحارث الأعرج زحف المنذر الأكبر فانهزم جيشه

(١) العمدة ٢ : ١٧٨

(٢) في النسختين : « عمرو ومحرق » ، صوابه في العمدة . وجعلها
السنقيطى بقلبه : « بن عمرو وهو محرق »

وقُتل هو . . ثم الحارث الأصغر بن^(١) الحارث الأعرج بن الحارث . . ومن ولد الأعرج عمرو بن الحارث ، وكان يقال له أبو شمر الأصغر . وله يقول نابغة بنى ذبيان :

على لعمري نعمة ، بعد نعمةٍ لوالده ليست بذات عقارب
(والنعمان بن الحارث) هو أخو الحارث الأصغر . وله يقول النابغة :
هذا غلامٌ حسنٌ وجهه مستقبلُ الخير سريعُ التمام^(٢)

وللنعمان ثلاثة بنين : عمرو ، وحجر ، والنعمان .

ومن ولد الأعرج أيضاً : المنذر ، والأيهم أبو جبلة . وجبلة آخر ملوك غسان ، وكان طوله اثني عشر شهرا وهو الذي تنصّر في أيام عمر بن الخطاب رضى الله عنه^(٣) .

« وكان أصل هؤلاء من اليمن ؛ وكانوا من غسان ، وقيل من قضاة . وأول ملوكهم النعمان بن عمرو بن مالك . ثم من بعده ابنه مالك . ثم من بعده مالك ابنه عمرو . . إلى خروج مزينة — وهو عمرو بن عامر — من اليمن في قومه من الأزدي . وُسئى مزينة لأنه كان يمزق كل يوم حُلّة ، لا يعود إلى لبسها ، ثم يهبها . وُسئى عامر ماء السماء لأنه كان يُجبي^(٤) في الحبل فينوب عن الغيث بالعطاء . ومزينة : ابن حارثة الغطريف بن ثعلبة البهلول بن امرئ »

٣٧٢

(١) في النسختين : « ثم الحارث الأعرج » ، صوابه في العمدة .

(٢) انظر ما مضى في الشاهد ١٠٤ وكذا جمهرة القرشي ٢٦ والأغاني

٩ : ١٦١

(٣) المنقول التالي متقدم في الترتيب عند ابن رشيق على هذا

المنقول

(٤) ط : « يجتنى » . وأثبت ما في ش . وفي العمدة : « يجيء »

وفي بلوغ الأرب ٢ : ١٧٣ : يحتبى » .

القيس البطريق بن مازن قاتل الجوع ابن الأزد^(١) . لما خرج مزيقيا من اليمن كان معه رجل اسمه جذع بن سنان فنزلوا بلاد عك ، فقتل جذع ملك بلاد عك ، وافتقت الأزد ، والملك فيهم حينئذ ثعلبة بن عمرو بن عامر ، فانصرف عامله فحارب جُرهم فأجلاهم عن مكة واستولوا عليها زماناً ثم أحدثوا الأحداث . وجاء قصي بن كلاب ، فجمع معداً — وبذلك سمي مجعاً — واستعان ملك الروم فأعانه ، وحارب الأزد فغلبهم واستولى على مكة . فلما رأت الأزد ضيق العيش بمكة ارتحلت ، وانخرعت خراعة لولاية البيت — وبذلك سُميت — فصار بعض الأزد إلى السواد فملكوا عليهم مالك بن فهم أباً جذيمة الأبرش ، وصار قوم إلى يثرب — فهم الأوس والخزرج — وصار قوم إلى عُمان ، وصار قوم إلى الشام ، وفيهم جذع بن سنان ، وأتاه عامل الملك في خُرج وجب عليه ، فدفَع إليه سيفه رهناً ، فقال له الرومي : أدخِله في حِرِّ أَمَك ! فغضب جذع وقتعَ به فقيلاً : «خذ من جذع ما أعطاك ، وصارت مثلاً . ثم استولوا على الشام ، كما تقدم ذكره . والله أعلم .

(تَمَّة)

روى المرزباني في الموشح^(٢) عن الصوليّ بسنده : أن الوليد بن عبد الملك تشاجر مع أخيه مَسْلَمَةَ في شعر امرئ القيس والناطقة الذبياني في وصف طول الليل أيهما أجود ، فرضيا بالشعبي فأحضر ، فأنشده الوليد :

كَلْبَنِي لَهْمَّ يَا أُمَيْمَةَ نَاصِبٍ . . الأبيات الثلاثة

وأنشده مَسْلَمَةَ قولَ امرئ القيس :

(١) كذا . وانظر العمدة وبلوغ الأرب .

(٢) الموشح ٣١

وليل كَمُوجِ الْبَحْرِ، أَرْخَى سُدُودَهُ عَلَى بَأَنَوَاعِ الْمَهْمُومِ، لِيَتَنَبَّأَ
السُّدُودُ: السُّتُور. وَيَتَنَبَّأُ: [يَنْظُرُ^(١)] مَا عِنْدِي مِنْ صَبْرٍ أَوْ جَزَعٍ
فَقُلْتُ لَهُ، لَمَّا تَمَطَّى بِصُلْبِهِ وَأَرْدَفَ أَعْجَازًا وَنَاءَ بِكُلِّ كَلٍّ
تَمَطَّى: اْمْتَدَّ. وَصُلْبُهُ: وَسْطُهُ. وَأَرْدَفَ: أَتْبَعَ. وَأَعْجَازُهُ: مَآخِرُهُ. وَنَاءَ:
نَهَضَ. وَالْكُلُّ: الصَّدْرُ.

أَلَا أَيُّهَا اللَّيْلُ الطَّوِيلُ، أَلَا انْحَبِلِي بِصُحْبِ، وَمَا الْإِصْبَاحُ مِنْكَ بِأَمْثَلِ
أَيُّ: مَا الْإِصْبَاحُ بِخَيْرٍ لِي مِنْكَ. [وَالْيَاءُ فِي انْحَبِلِي أَتْبَهَا فِي الْجَزْمِ
عَلَى لَفْظِ طَيِّءٍ^(١)].

فِيَا لَيْلَ مَنْ لَيْلٍ كَأَنَّ نَجْمَهُ، بِكُلِّ مُفَارِ الْفَتْلِ، شُدَّتْ بَيْنَهُ بُلُورُ
الْمُفَارِ: الْحَبْلُ الْمَحْكَمُ الْفَتْلُ. وَيَذُبُّ: جَبَلَ.
كَأَنَّ الثَّرْيَا عُلِقَتْ فِي مَصَامِيهَا بِأَمْرَاسٍ كَتَانٍ إِلَى صُمٍّ جَنْدَلٍ
فِي مَصَامِيهَا: فِي مَقَامِهَا. وَالْأَمْرَاسُ: الْحَبَالُ. وَالْجَنْدَلُ: الْحَجَارَةُ.
وَالصَّمُّ: الصَّلَابُ.

قَالَ: فَضَرَبَ الْوَلِيدُ بَرَجْلَهُ طَرِبًا ۖ فَقَالَ الشَّعْبِيُّ: بَانَتِ الْقَضِيَّةُ ۖ
قَالَ الصَّوْلِيُّ: فَأَمَّا قَوْلُ النَّابِغَةِ:

* وَصَدِرٍ أَرَا حَ الْلَيْلُ عَازِبَ هُمٍّ *

فَإِنَّهُ جَعَلَ صَدْرَهُ مَأْلَفًا لِلْمَهْمُومِ، وَجَعَلَهَا كَالنَّعَمِ الْعَازِبَةِ بِالنَّهَارِ عَنْهُ،
الرَّاحِطَةِ مَعَ اللَّيْلِ إِلَيْهِ، كَمَا تَرِيحُ الرُّعَاةُ السَّائِمَةَ بِاللَّيْلِ إِلَى مَكَانِهَا^(٢). وَهُوَ أَوَّلُ
مَنْ وَصَفَ أَنَّ الْمَهْمُومَ مَتَزَايِدَةٌ بِاللَّيْلِ، وَتَبِعَهُ النَّاسُ، فَقَالَ الْمَجْنُونُ:

(١) التَّكْمِلَةُ مِنَ الْمَوْشَعِ .
(٢) الْمَوْشَعِ : « إِلَى أَمَاكِنِهَا » .

يَضُمُّ إِلَى اللَّيْلِ أَطْفَالَ حَبِيبَا^(١) كَمَا ضَمَّ أَزْرَارَ الْقَمِيصِ الْبَنَائِقُ
وهذا من المقلوب ، أراد : كَمَا ضَمَّ أَزْرَارُ الْقَمِيصِ الْبَنَائِقَ — ومنلُ هذا
كثير — فجعل المجنون ما يأتية في ليله ، مما عَزَبَ عنه في نهاره ، كالأطفال
الناشئة . وقال ابن الدُّمَيْنَةِ :

أَظْلُ نَهَارِي فِيكُمْ مُتَعَلِّلًا وَيَجْمَعُنِي وَالْهَمُّ بِاللَّيْلِ جَامِعُ^(٢)
(وَيُرَوَّى صَدْرُهُ : أَقْضَى نَهَارِي بِالْحَدِيثِ وَبِالْمُنَى^(٣))

فالشعراء على هذا متفقون ، ولم يشذَّ عنه منهم إلا أخذقهم بالشعر وهو
امرؤ القيس : فَإِنَّهُ بِحَذَقِهِ وَحُسْنِ طَبْعِهِ وَجُودَةِ قَرِيحَتِهِ ، كَرِهَ أَنْ يَقُولَ : إِنَّ
الْهَمَّ فِي حُبِّهِ يَخْفَ عَنْهُ فِي نَهَارِهِ ، وَيَزِيدُ فِي لَيْلِهِ ؛ فَجَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ سَوَاءً عَلَيْهِ
فِي قَلْقِهِ وَهَمِّهِ وَجَزَعِهِ وَغَمِّهِ ؛ فَقَالَ :

أَلَا أَيُّهَا اللَّيْلُ الطَّوِيلُ . . . الْبَيْت

وقد أحسن في هذا المعنى الذي ذهب إليه ، وإن كانت العادة غيره ،
والصورة لا توجبه . وقد صبَّ الله على امرئ القيس بعده شاعراً أَرَاهُ اسْتِحَالَةً
معناه في المعقول ، وأن الصورة تدفعه ، والقياس لا يوجبه والعادة غيرُ جارية
به ؛ حتى لو كان الرادُّ عليه من حُذَاقِ المتكلمين ، ما بلغ في كثير نثري ،
ما أتى به في قليل نظمه ؛ وهو الطَّرِمَاحُ بْنُ حَكِيمِ الطَّائِي : فَإِنَّهُ ابْتَدَأَ
قَصِيدَةً فَقَالَ :

أَلَا أَيُّهَا اللَّيْلُ الطَّوِيلُ ، أَلَا أَصْبَحَ بَيْمَ ، وَمَا الْإِصْبَاحُ فَيْكَ بِأَرْوَحَ^(٤)
فَأَتَى بِلَفْظِ امْرِئِ الْقَيْسِ وَمَعْنَاهُ ؛ ثُمَّ عَطَفَ مُحْتَجاً مُسْتَدْرِكاً فَقَالَ :

(١) في الموشح : « أطفال حبيكم »

(٢) ط : « بالهم والليل جامع » . وانظر ديوانه ٨٨ .

(٣) هذا الكلام للبغدادى ، وما بعده للمرزبانى

(٤) بيم : أرض من كرمان . وفي النسختين : « بيم » صوابه في
الديوان ٦٨ ومعجم البلدان والأغاني ١٠ : ١٤٨ واللائى ٢٢٠ وديوان
المعاني ١ : ٢٤٦ وفي زهر الآداب ٧٤٨ : « بيويم » تحريف .

كَلْبِي ، إِنَّ الْعَيْنَيْنِ فِي الصُّبْحِ رَاحَةٌ لَطَرِحِمَا طَرَفَيْهِمَا كُلَّ مَطْرَحٍ
فَأَحْسَنَ فِي قَوْلِهِ وَأَجْمَلَ ، وَأَتَى بِحَقِّ لَا يُدْفَعُ ، وَبَيَّنَّ عَنِ الْفَرْقِ بَيْنَ لَيْلِهِ
وَنَهَارِهِ . وَإِنَّمَا أَجْمَعَ الشُّعْرَاءُ عَلَى ذَلِكَ ، مِنْ تَضَاعُفِ بِلَاثُمٍ بِاللَّيْلِ وَشِدَّةِ
كَلْفِهِمْ ، لِقَلَّةِ الْمُسَاعِدِ وَقَدَرِ الْحَبِيبِ ، وَتَقْيِيدِ اللَّحْظِ عَنْ أَقْصَى مَرَامِي النَّظَرِ ^(١) ،
الَّذِي لَا يَدَّ أَنْ يُؤَدِّيَ إِلَى الْقَلْبِ بِتَأَمُّلِهِ شَيْئًا يَخْفُفُ عَنْهُ ^(٢) ، أَوْ يَغْلِبُ عَلَيْهِ
فَيَنْسَى مَا سِوَاهُ . وَأَيَّاتُ أَمْرِي الْقَيْسُ فِي وَصْفِ اللَّيْلِ ، اشْتَمَلُ الْإِحْسَانِ
عَلَيْهَا ، وَلَاحَ الْحَذَاقُ فِيهَا ، وَبَانَ الطَّبِيعُ بِهَا ، فَمَا فِيهَا مَعَابٌ إِلَّا مِنْ جِهَةٍ وَاحِدَةٍ
عِنْدَ الْحَذَاقِ بِنَقْدِ الشُّعْرِ ، وَهُوَ قَوْلُهُ : (فَقُلْتُ لَهُ لِمَا تَحْطَى . . الْبَيْت) لَمْ يَشْرَحْ
(فَقُلْتُ لَهُ) إِلَّا فِي بَيْتٍ بَعْدَهُ . وَهَذَا عَيْبٌ ؛ لِأَنَّ خَيْرَ الشُّعْرِ مَا لَمْ يَحْتَجْ بَيْتٌ
مِنْهُ إِلَى بَيْتٍ آخَرَ . وَقَدْ تَبَعَ النَّاسُ أَمْرَ الْقَيْسِ وَصَدَّقُوا قَوْلَهُ ، وَجَعَلُوا نَهَارَهُمْ
كَلَيْلَهُمْ ، فَقَالَ الْبَحْتَرِيُّ فِي غَضَبِ الْفَتْحِ عَلَيْهِ :
وَأَلْبَسْتَنِي سُخْطَ أَمْرِي بَتْ مُوَهِنًا أَرَى سُخْطَهُ لَيْلًا مَعَ اللَّيْلِ مَظْلُمًا
وَكَأَنَّهُ مِنْ قَوْلِ أَبِي عُيَيْنَةَ فِي التَّذَكُّرِ لَوْطَنَهُ :
طَالَ مِنْ ذِكْرِهِ بِجُرْجَانِ لَيْلِي ، وَنَهَارِي عَلَى كَلَالِيلِ دَاجِي ،
وَتَرْجَمَةُ النَّابِغَةِ الذِّبْيَانِي قَدْ تَقَدَّمَتْ فِي الشَّاهِدِ الرَّابِعِ بَعْدَ الْمِائَةِ ^(٣) .

الترخيم

أُنْشِدَ فِيهِ ، وَهُوَ الشَّاهِدُ الثَّامِنُ وَالثَّلَاثُونَ بَعْدَ الْمِائَةِ ، وَهُوَ مِنْ
شَوَاهِدِ س ^(٤) :

- (١) فِي النُّسَخَتَيْنِ : « مَرَامِ النَّظَرِ » ، صَوَابُهُ مِنَ الْمَوْشَعِ ٣٣ .
(٢) فِي النُّسَخَتَيْنِ : « يَخْفُ عَنْهُ » ، وَوَجْهُهُ مِنَ الْمَوْشَعِ .
(٣) أَنْظَرُ ص ١٣٥ مِنْ هَذَا الْجُزْءِ .
(٤) سَبْيُوِيَه ١ : ٣٤٣ وَالْعَيْنِي ٤ : ٢٩٠ وَابْنُ يَعِيشَ ٢ : ٢٠
وَابْنُ الشَّجَرِيِّ ١ : ٢/١٢٦ : ٨٨ وَالْأَنْصَافُ ٤٣٧ وَدِيَوَانُ زُهَيْرٍ ٢١٤

١٣٨ (خَذُوا حَظَّكُمْ يَا آلَ عِكْرِمَ وَاذْكُرُوا أَوَاصِرَنَا، وَالرَّحِمُ بِالْغَيْبِ تُذَكِّرُ)

على أن السكوفيين أجازوا ترخيم المضاف ، ويقع الحذف في آخر الاسم الثاني ، كما في البيت وفي أبيات ، أخر كثيرة ؛ والأصل : يا آل عكرمة . وقالوا : المضاف والمضاف إليه بمنزلة الشيء الواحد ، فجاز ترخيمه كالمفرد . ومنع البصريون هذا الترخيم وقالوا : لاحجة في هذا البيت وأمثاله ، لأنه محمول على الضرورة . والترخيم ضرورة جائز في غير النداء أيضا كقوله :

أودى ابن جُلهم عبّاد بصيرمته إن ابن جُلهم أمسى حية الوادي^(١)
أراد جُلهم .

وهذا البيت من أبيات تسعة لزهير بن أبي سلمى . قالها بنى سليم ، وبلغه أنهم يريدون الإغارة على غطفان . وهي هذه :

قصيدة الشاهد

(رَأَيْتُ بُنَى آلِ امْرِئِ الْقَيْسِ أَصْفَقُوا عَلَيْنَا ، وَقَالُوا : إِنَّا نَحْنُ أَكْثَرُ
سُلَيْمُ بْنُ مَنْصُورٍ ، وَأَفْنَاءُ عَامِرٍ ، وَسَعْدُ بْنُ بَكْرٍ ، وَالنُّصُورُ ، وَأَعْصُرُ)
بنو آل امْرِئِ الْقَيْسِ : هُوَ أَوْزَنُ وَسُلَيْمٌ بِالتَّصْغِيرِ . وَقَوْلُهُ : أَصْفَقُوا عَلَيْنَا ،
أَيِ اجْتَمَعُوا ، يُقَالُ أَصْفَقَ الْقَوْمُ عَلَى كَذَا : إِذَا اجْتَمَعُوا عَلَيْهِ . وَقَوْلُهُ : سُلَيْمُ
ابْنِ مَنْصُورٍ ، أَيِ مِنْهُمْ سُلَيْمٌ . وَأَفْنَاءُ عَامِرٍ : قِبَائِلُهَا . وَسَعْدُ بْنُ بَكْرٍ ، مِنْ
هُوَ أَوْزَنُ ، وَهُمْ الَّذِينَ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ مُسْتَرْضِعًا فِيهِمْ . وَالنُّصُورُ : بَنُو نَصْرٍ ،
وَهُمْ مِنْ هُوَ أَوْزَنُ أَيْضًا ، سُمِّيَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ بِاسْمِ أَبِيهِ ثُمَّ جُمِعَ . وَأَعْصُرُ
أَبُو عَقِيٍّ وَبَاهِلَةٌ . وَكُلُّ هَؤُلَاءِ مِنْ وَلَدِ عِكْرِمَةَ بْنِ خَصْفَةَ بْنِ قَيْسِ عِيلَانَ
ابْنِ مَضَرَ .

(١) أنظر الشاهد ١٤١ فيما سيأتي . ط : « بصدمته » تحريف

(خذوا حَظَّكُمْ يَا آلَ عِكْرِمَ واذكروا أوأصرنا والرحم بالغيب تذکر
 خذوا حَظَّكُمْ من وُدِّنا، إِنْ قُرُبْنَا إِذَا ضَرَّسْنَا الحرب نَارُ تَسْعَرُ)
 (الحظّ) النصيب. يقول: صونوا حَظَّكُمْ من صلة القرابة، ولا تُفسدوا
 ما بيننا وبينكم، فإنَّ ذلك مما يعود مكروههُ عليكم. و(آل عِكْرِمَة)
 هم بنو عكرمة بن خَصَفَة بن قيس بن عيلان بن مضر، ورَحْمَ عكرمة ضرورة.
 و(الأواصر): جمع آصرة، وهى ما عطفك على رجلٍ. من رحمٍ أو قرابة
 أو صهر أو معروف. والرحم: موضع تكونين الولد — وتخفّف بسكون الحاء مع
 فتح الراء، ومع كسرهما أيضاً فى لغة بنى كلاب — ثم سُمِّيت القرابة والوُصلة من
 جهة الولاء رحماً، فالرحم خلاف الأجنبيّ، وهو مؤنث فى المعنيين. والرحم
 التى بين قوم زهير وبينهم: أن مُزينة من ولد أَدّ بن طابخة بن الياس بن مضر،
 وهؤلاء من ولد قيس بن عيلان بن مضر.

وقوله: إِذَا ضَرَّسْنَا الحرب، أى عضَّتنا بأُصْرَاسِهَا، وهذا مثلٌ
 للشدة. يقول: إِذَا اشْتَدَّتْ الحربُ فَالْقُرْبُ منا مكروه، وجانبنا شديد.
 وضرب النار مثلاً لذلك. ومعنى تَسْعَرُ — وأصله تتسر — تتقد

(وإنّا وإياكم إلى ما نسومكم لِمَثَلانٍ، أو أتم إلى الصلح أفقرُ)
 يقول: نحن وأتم مثلاً فى الاحتياج إلى الصلح وترك الغزو، بل أتم
 إلى ذلك أحوج وأشدُّ افتقاراً إليه. ومعنى نسومكم: نعرض عليكم وندعوكم،
 يقال سمته الخسف، أى طلبت منه غير الحقّ وحملته على الذلّ والهوان.

(إِذَا مَا مِمِّنَّا صَارَ خَا مَعَجَتْ بنا إلى صوته وُرُقُ المَرَاكِلِ ضُرُّ)
 الصارخ هنا المستغيث. ومعجت بنا، أى مرت مرّاً سريعاً فى سهولة.
 وقوله: ورق المراكل ضُرُّ، هو جمع أورك وهو الأسود فى غبرة، والمراكل

كجعفر : موضعُ عقبِ الفارس من جنبِ الفرس . أى قد تحاتَّ الشعرُ
وتساقط عن مرأكلها فاسودَّ موضعه ، لكثرة الركوب في الحرب .

٣٧٥

(وإن شُلَّ رِيْعَانُ الجميعِ خِيفَةً تقولُ جهاراً: ويلكم لا تُنفَرُوا^(١) !
على رِسلِكُمْ ، إنا سنُعْدى وراءكم فتَمْنَعكم أرواحُنَا أو سنُعْذِرُ
وإلا ، فإنا بالشَّرْبَةِ فاللوى نُعْقِرُ أُمّتَ الرِّباعِ ونَيْسِرُ)

يقول : إن أحسنَ القومِ بالعدوِّ فطردوا أوائلَ إبلهم وصرفوها عن
المرعى ، أمرناهم بأن لا يفعلوا ، وقلنا لهم مجاهرة : ويلكم ! لا تنفروا
ولا تطردوها ، فنحن نمنعها من العدوِّ وقاتل دونها .

وشُلَّ بالبناء للمفعول : طُرِدَ^(٢) . ورِيْعَانُ كلُّ شيءٍ : أوله . وقوله :
على رِسلِكُمْ ، بالكسر ، أى على مهلكم ورفقكم ؛ والمعنى : أمهلوا قليلاً .
وقوله : سنُعْدى وراءكم ، أى سنعدى الخيلَ وراءكم ؛ يقال عدا الفرسُ وأعداه
فارسه . وقوله : سنُعْذِرُ ، أى سنأتى بالعذر في الذبِّ عنكم ؛ يقال أعذر
الرجل في الأمر : إذا اجتهد وبلغ العذر . وقوله : وإلا فإنا . . الخ ، يقول :
وإن لم يكن قتالُ فإنا بالشَّرْبَةِ ، أى بمنازلها التي تعلمون ، نحن فيها آمنون ،
نضرب بقِداحِ الميسرِ وننحر النوقَ السَّكرِمةَ .

والرِّباعُ : جمع رُبْع ، وهو ما تُنتج في الربيع . وقِداحِ الميسرِ تعدَّةٌ عندهم
من المكارم ، يتفاخرون بلبعها في القحط . ويقال فيها لا يعقل : أم وأُمّت ،
وفيهما يعقل : أُمّهات ؛ وربما استعمل كلَّ واحد منهما مكانَ صاحبه . ونَيْسِرُ :
تقاصر : وفعله من باب وعد .

(١) ش : « يُشَلَّ » في المتن والشرح بعده ، تحريف فقد فسره
البغدادي بأنه بمعنى طرد . والشَّل : الطرد . وما أثبتته أيضاً هو رواية
الديوان ٢١٦ .

(٢) ش : « يطرد »

ورُوى :

* وإن شدَّ رُعيان الجميع مخافة *

وشدَّ بمعنى فرَّ . ورُعيان : جمع راع . . ووراءكم : أمامكم . وسنمئر رُوى بالمشناة الفوقية ، والضمير للرماح . والشَّرْبَّة بفتح الشين والراء وتشديد الموحدة : موضع ببلاد غطفان . وكذلك اللّوى .

و (زهير) هو زهير بن أبي سُلمى . واسم أبي سُلمى ربيعة بن رباح المزنيّ من مزينة بن أد بن طابخة بن الياس بن مضر ؛ وكانت محلّتهم في بلاد غطفان . فيظنّ الناس أنه من غطفان ، أعنى زهيراً ، وهو غلط . كذا في الاستيعاب لابن عبد البر . وكأنّ هذا ردُّ لما قاله ابن قتيبة في كتاب الشعراء ^(١) فانه قال : « زهير هو ابن ربيعة بن قُوط . والناس ينسبونه إلى مزينة ؛ وإنما نسبهُ إلى غطفان » اهـ .

وسُلمى بضم السين قال في الصحاح : « ليس في العرب سُلمى بالضم غيره » ورياح بكسر الراء وبعدها مشناة تحتية .

زهير أحد الشعراء الثلاثة الفحول ، المتقدمين على سائر الشعراء بالاتفاق ، وإِنما الخلاف في تقديم أحدهم على الآخر وهم : امرؤ القيس ، وزهير ، والنابغة الذبياني . قال ابن قتيبة ^(٢) : « يقال : إنّه لم يتصل الشعر في ولد أحد من الفحول في الجاهلية ما اتصل في ولد زهير ، وفي الإسلام ما اتصل في ولد جرير . وكان زهير راوية أوس بن حجر . وعن عكرمة بن جرير قال : قلت لأبي : مَنْ أشعرُ الناس ؟ قال : أجاهلية أم إسلامية ؟ قلت : جاهلية . قال : زهير .

(١) الشعراء ٨٦ .

(٢) الشعراء ٨٦ ، ٨٧ .

قلت : فالإسلام ؟ قال : الفرزدق . قلت : فالأخطل ؟ قال : يجيد نعت الملوك ،
ويصيب صفة الحر . قلت له : فأنت ؟ قال : أنا نحرت الشعر نحرًا .

وقال ثعلب ، وهو ممن قدّم زهيرًا : كان أحسنهم شعرًا ، وأبعدهم من
سُخف ، وأجمعهم لكثير من المعنى في قليل من المنطق ، وأشدّهم مبالغة
في المدح ، وأكثرهم أمثالًا في شعره . وقال ابن الأعرابي : زهير في الشعر
ما لم يكن لغيره : كان أبوه شاعرًا ، وخاله شاعرًا ، وأخته سُلَى شاعرة ، وأخته
الخنساء شاعرة ، وابناه كعب ويحيى شاعرين ، وابنُ ابنه المضرب بن كعب^(١)
شاعرًا ، وهو الذي يقول :

إتني لأحيسُ نفسي وهي صابرة^(٢) عن مُصعب ولقد بانّت لي الطرق
رُعوى عليه كما أرعى على هَرِم^(٣) جدّي زهيرٌ وفينا ذلك الخلق
مدحُ الملوك وسعى في مسرّتهم ثم الغني ، ويد المدوح تنطلق
وكعب هو ناظم :

* بانّت سعادٌ فقلبي اليوم متبولٌ *

وستأتى ترجمته إن شاء الله تعالى في أفعال القلوب^(٤) .

قال ابن قتيبة : وكان زهيرٌ يتأله ويتعقّف في شعره ، ويدلُّ [شعره^(٥)]
على إيمانه بالبعث ، وذلك قوله :

يُؤخَّرُ فيودَعُ في كتابٍ فيُدْخَرُ . ليومٍ الحسابِ أو يُعْجَلُ فينْقَمُ

(١) انظر سبب تنقيبه بالمضرب في الشعراء ٩٢

(٢) الأغاني ٩ : ١٥١ : « وهي صادية » .

(٣) الأغاني : « رعوا عليه » .

(٤) في الشاهد ٧١٤ .

(٥) التكملة من ش وابن قتيبة ٨٨ .

وشبه هير امرأة بثلاثة أوصاف في بيت واحد فقال :

تنازعها المهاشبهاً ودُرّاً ألبحور وشاكت فيها الغلباء^(١)
ففسرته قال :

فأما ما فُويقَ العقدر منها فمن أذماء مرّتها الخلاء
وأما المقلتان فمن مهارة وللدُرّ الملاحة والصفاء

وقال بعض الرواة : لو أن زهيراً نظر إلى رسالة عمر بن الخطاب إلى أبي موسى الأشعري^(٢) ما زاد على ما قال :

فإن الحقّ مقطعه ثلاث : يمين أو نفاق ، أو جلاء

يعني يميناً ، أو منافرة إلى حاكم يقطع بالبينات ، أو جلاء وهو بيان وبرهان يجلو به الحق وتوضح الدعوى .

وديان شعر زهير كبير ، وعليه شرحان ، وهما عندي والحمد لله والمثّة ، أحدهما بخط مهمل الشهير الخطاط صاحب الخط المنسوب .

وغالب شعره مدح في هرم بن سنان أحد الأجواد المشهورين ، ومن شعره فيه قوله :

صحا القلب عن سلمى وقد كاد لا يسلو

قال صاحب الأغاني^(٣) . هذه القصيدة أول قصيدة مدح بها زهير هرمياً ، ثم تناب بعده . وكان هرم حلف أن لا يمدحه زهير إلا أعطاه ، ولا يسأله إلا أعطاه ،

(١) ط والشعراء : « تنازعت المها » ، وفي ط : « وشابهت » .

(٢) انظرها في البيان ٢ : ٤٨ .

(٣) الأغاني ٩ : ١٤٦ .

ولا يسلّم عليه إلّا أعطاه : عبداً أو وليدةً أو فرساً . فاستحيا زهير منه ، فكان زهير إذا رآه في ملا قال . أنعموا صباحاً غير هَرم ، وخيركم استثنيتُ . . وقال عمر بن الخطاب لبعض ولد هَرم : أنشدني بعض مدح زهير أباك ؛ فأنشده فقال عمر : إن^(١) كان ليحسن فيكم المدح . قال : ونحن والله [إن^(٢)] كنا لنحسّن له العطية . قال : قد ذهب ما أعطيتموه وبقي ما أعطاكم . وفي رواية عمر بن شبة : قال عمر لابن زهير : ما فعلتِ الحُللُ التي كساها هَرمُ أباك ؟ قال : أبلاها الدهر . قال : لكن الحُللَ التي كساها أبوك هَرمًا لم يُبْلِها الدهر !

ويستجاد قوله في هَرم :

قد جملَ المبتغون الخير في هَرم والسائلون ، إلى أبوابه طرُفا
من يلقَ يوماً على عِلّاته هَرمًا يلقَ الساحة فيه والندى حُلُفا
وروى أن زهيراً كان ينظم القصيدة في شهر ، وينقمها ويهذبها في سنة ، وكانت تسمى قصائده (حَوَلِيَّات زهير) . وقد أشار إلى هذا البهاء زهير في قوله من قصيدة :

هذا زهيرُك لا زهيرُ مُزينة وافاك لا هَرمًا على عِلّاته
دَعُهُ وَحَوَلِيَّاته ثم استمع لزهيرٍ عَصَرَكَ حُسْنُ لَيْلِيَّاته
وكان رأى زهيرُ في منامه في أواخر عمره : أن آتياً أتاه فحمله إلى السماء حتى كاد يمسيها بيده ، ثم تركه فهو إلى الأرض . فلما احتضر قصَّ رؤياه على ولده كعب ثم قال : إني لا أشك أنه كائنٌ من خبر السماء بعدي ؛ فإن كان

(١) في النسختين : « انه » ، والوجه من الأغاني .

(٢) التكملة من الأغاني

فتمسكوا به وسارعوا إليه . ثم توفى قبل المبعث بسنة . فلما بعث ﷺ ، خرج إليه ولده كعب بقصيدته (بانت سعاد) وأسلم ؛ كما يأتي بيانها في أفعال القلوب إن شاء الله تعالى .

وروى أيضاً : أنَّ زهيراً رأى في منامه أنَّ سبباً تدلى من السماء إلى الأرض وكان الناس يمسكونه^(١) ، وكلما أراد أن يمسكه تقلص عنه . فأوَّله بنبي آخر الزمان ، فإنه واسطة بين الله وبين الناس ، وأن مدته لا تصل إلى زمن مبعثه ؛ وأوصى بنيه أن يؤمنوا به عند ظهوره .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والثلاثون بعد المائة^(٢) :

١٣٩ (أبا عرؤ لا تبعد ، فكل ابن حرّة

سيدعوه داعي مَوْتَةٍ فيجيبُ)

لما تقدّم في البيت قبله : فإنّ (أبا عرؤ) منادى بحرف النداء المحذوف ؛ وأبا منادى مضاف لما بعده ، وعرو : مرخم عروة : والكلام عليه كما تقدّم في البيت قبله

قال ابن الشجري في أماليه : « وما يدلّ على مذهب سيبويه — ولم يكن فيه ما تأوَّله أبو العباس المبرّد في بيت زهير ، فزعم أنه أراد : يا آل عكرم ، بالجرّ والتنوين — قول الشاعر :

أبا عرؤ لا تبعد . . . البيت

(١) ط : « كان الناس يمسكونه » ، صوابه من ش

(٢) أنظر أيضاً العيني ٤ : ٢٨٧ وأمالي ابن الشجري ١ : ١٢٩

والانصاف ٣٤٨ وابن يعيش ٢ : ٢٠

ألا ترى أنه لا يمكنُ أبا العباس أن يقول : إن عروة قبيلة ؛ كما قال ذلك في عكرمة ! ولا يمكنه أن يقول : أراد أبا عرو ، بالجر والتنوين . فمنه من ذلك أن عروة لا ينصرف للتأنيث في التعريف ^(١) ، انتهى

وروى ابنُ الشجريّ هذا البيتَ كرواية الشارح المحقق ؛ وأنشده ابنُ الأنباريّ في مسائل اختلاف ، وكذا ابن هشام في شرح الألفية :

* سَيَدْعُوهُ دَاعِي مَيْتَةٍ *

بكسر الميم . والميئة : الحالة التي يموت عليها الإنسان . وزاد ابن السكيت (في كتاب المذكر والمؤث) رواية : (ستدعوه) بمشناة فوقية لا تحتيّة على أن قوله (داعي) اكتسب التأنيث من إضافته إلى المؤنث . وكذلك أورده الفراء عند تفسير قوله تعالى : (إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ) ^(٢) . قال : فإن قلت : إن المِثْقَالَ ذَكَرٌ ، فكيف قال تَكُ ؟ قلت : لأن المِثْقَالَ أُضِيفَ إلى الحَبَّةِ ، وفيها المعنى ؛ كأنه قال : إن تَكُ حَبَّةً . ثم أنشد البيت فقال : أنث فعل الداعي ، وهو ذَكَرٌ ، لأنه ذهب إلى الموتة .

وقوله : (لا تبعد) أى لا تهلك ، وهو دعاء خرج بلفظ النهي ، كما يخرج الدعاء بلفظ الأمر وإن كان ليس بأمر ، نحو : اللهم اغفر لنا . يقال بعد الرجلُ يبعد بعداً من باب فرح ، إذا هلك ؛ وإذا أردت ضدّ القرب قلت : بعد يبعد بضم العين فيهما ، والمصدرُ على وزن ضده وهو القرب ؛ وربما استعمالوا هذا في معنى الهلاك لتداخل معنيهما . فإن قيل : كيف قال لا تبعد وهو قد هلك ؟ أُجيب بأن العرب قد جرت عادتهم باستعمال هذه اللفظة في الدعاء للميت ،

(١) ش : « لا ينصرف في التعريف .

(٢) الآية ١٦ من سورة لقمان .

ولهم في ذلك غرضان : أحدهما أنهم يريدون بذلك استعظام موت الرجل الجليل ،
 وكأنهم لا يصدّقون بموته . وقد بين هذا المعنى النابغة الذبياني بقوله :
 يقولون « حصن » ثم تأتي نفوسهم وكيف بحصن الجبال جنوح ؟
 ولم تَلْفِظ الموتى القبور ، ولم تزل نجوم السماء ، والأديم صحيح
 أراد : أنهم يقولون : مات حصن ؛ ثم يستعظمون أن ينطقوا بذلك ،
 ويقولون : كيف يجوز أن يموت ، والجبال لم تنسف ، والنجوم لم تنكدر ،
 والقبور لم تخرج موتاها ، وجرم العالم صحيح لم يحدث فيه حادث .
 وهكذا تستعمله العرب فيمن هلك فساء هلاكه وشقّ على من يفقده .
 قال الفرّار السلي :
 ما كان ينفعني مقالُ نسائم ، وقتلت دون رجالهم : لا تبعد^(١)
 ومثله قول مالك بن الرّيب من قصيدة تقدّمت^(٢) :

يقولون : لا تبعد ، وهم يدفنونني وأين مكان البعد إلا مكانا ١
 والغرض الثاني : أنهم يريدون الدعاء له بأن يبقى ذكره ولا يُنسى ؛
 لأن بقاء ذكر الإنسان بعد موته بمنزلة حياته ؛ كما قال الشاعر :
 فاثنوا علينا ، لا أبا لأبيكم ١ بأفعالنا ، إن الثناء هو الخلد^(٣)
 وقال آخر :

فإن تك أفتت الليالي فأوشكت فإن له ذكراً سيفنى الليالي

(١) في الحماسة ١٩٢ بشرح المرزوقي : « خلف رجالهم » .

(٢) انظر ص ٢٠٥ من هذا الجزء

(٣) البيت للحادرة الذبياني في البيان ٣ : ٣٢٠ والحيوان ٣ : ٤٧٥

ويروى . « بأحسابنا » و « بأحساننا » .

وقال المتنبي ، وأحسن :

ذِكْرُ الْفَتَى عَمْرُهَ الثَّانِي ، وَحَاجَتُهُ مَا قَاتَهُ ، وَفَضْلُ الْبَيْشِ أَشْغَالُ^(١)
وقد بَيَّنَّ الْفَرَارُ السُّلْمَى وَمَالِكُ بْنُ الرَّيْبِ مَا فِي هَذَا مِنَ الْمَحَالِّ فِي الْبَيْتَيْنِ
الْمَذْكُورَيْنِ .

وقوله : (فسكّل ابن حُرّة) الفاء للتعليل . يقول : لا أنسى الله ذكره
بالتناء الجليل في الدنيا ، فإن الإنسان لا بدّ له من الموت ، فإن ذِكْرَ الْجَلِيلِ
فَكَأَنَّهُ لَمْ يَمُتْ . وَذِكْرُ الْحُرّةِ وَأَرَادَ الْمَرْأَةَ ، أَوْ تَقُولُ : أَبْنَاءُ الْحَرَائِرِ إِذَا كَانَ
لَا بَدَّ لَهُمْ مِنَ الْمَوْتِ ، فَمُوتُ أَبْنَاءِ الْإِمَاءِ مِنْ بَابِ أُولَى . . . وَالسِّينُ فِي قَوْلِهِ :
(سَتَدْعُوهُ) لِلتَّأْكِيدِ لَا لِلتَّسْوِيفِ . وَقَوْلُهُ . (فَيَجِيبُ) مَعْطُوفٌ عَلَى سَتَدْعُوهُ .

* * *

وَأُنْشِدْ بَعْدَهُ ، وَهُوَ الشَّاهِدُ الْأَرْبَعُونَ بَعْدَ الْمِائَةِ ، وَهُوَ مِنْ شَوَاهِدِ
سَيَبُويَه^(٢) :

١٤٠ (دِيَارُ مَيَّةٍ إِذْ مَيُّ تُسَاعِفُنَا وَلَا يَرَى مِثْلَهَا عَجْمٌ وَلَا عَرَبٌ)
عَلَى أَنَّ التَّرْخِيمَ فِي غَيْرِ النَّدَاءِ ضَرْوَةٌ ، إِذْ (مَيِّ) مَرْخَمٌ مَيَّةٌ وَهُوَ
غَيْرُ مَنَادَى .

وَأُنْشِدْ سَيَبُويَه هَذَا الْبَيْتَ فِي كِتَابِهِ فِي مَوْضِعَيْنِ : أَحَدُهُمَا هَذَا ؛ قَالَ :
وَأَمَّا قَوْلُ ذِي الرُّمَّةِ :

(١) كَذَا « قَاتَهُ » بِالْقَافِ فِي النُّسَخَتَيْنِ ، وَيُؤَيِّدُهُ مَا قَالَ الْعَكْبَرِيُّ :
« قَالَ ابْنُ الْقَطَّاعِ : صَحَّفَ الرَّوَاةُ هَذَا الْبَيْتَ فَرَوَوْهُ : قَاتَهُ ، بِالْفَاءِ ،
وَالصُّوَابُ بِالْقَافِ » .

(٢) سَيَبُويَه ١ : ١٤١ ، ٣٣٣ . وَانْظُرْ نَوَادِرَ أَبِي زَيْدٍ ٣٢ وَأَمَالِي
ابْنِ الشَّجَرِيِّ ٢ : ٩٠ وَالْهَمْعَ ١ : ١٦٨ وَدِيَوَانَ ذِي الرُّمَّةِ ٣ .

ديار مية إذ مي^١ تساعفنا . . البيت

فزعم يونس أنه كان يسميها مرةً ميا ومرةً مية . انتهى . وكذا في الصحاح قال : « مية اسم امرأة ، ومي أيضاً » . وعلى هذا فيكون ما في البيت على أحد الوجهين ، فلا ترخيم ولا ضرورة ، فيكون مي^٢ مصروقاً كما يصرف دعد ، لأنه ثلاثي ساكن الوسط .

قال ابن الشجري في أماليه : « ومنع المبرد من الترخيم في غير النداء على لغة من قال يا حار بالكسر » ، إلى أن قال : وكذلك يقولون في قول ذي الرمة :

٣٧٩

ديار مية إذ مي^١ تساعفنا^(١) . . . البيت

أنه كان مرةً يسميها ميا ومرةً يسميها مية . قال : ويجوز أن يكون أجراه في غير النداء على يا حار بالضم ، ثم صرفه لما احتاج إلى صرفه . قال : وهذا الوجه عندي ، لأن الرواة كلهم ينشدون :

فيا مي^٢ ما يدريك أين^(٢) منأخنا . . البيت انتهى

والموضع الثاني من كتاب سيبويه أورده على أن ديار مية منصوب بإضمار فعل كأنه قال : أذكر ديار مية ، ولا يذكر هذا العامل لكثرتيه في كلامهم ، ولما كان فيه من ذكر الديار قبل ذلك . ونص كتابه : « وما التزم فيه الإضمار قول الشعراء : ديار فلانة ، قال :

ديار مية إذ مي^١ تساعفنا . . البيت

(١) في النسختين « يا دار مية » وإن كان الشنقيطي حورها إلى « ديار » ، وصوابه من أمالي ابن الشجري .

(٢) البيت لذى الرمة في ديوانه ١٧٢ . وعجزه فيه وفي الإمالي : « معلقة الألهي يمانية سجرا »

كَأَنَّهُ قَالَ: أَذْكَرُ^(١). وَلَكِنَّهُ حَذَفَ لِكَثْرَةِ الاسْتِعْمَالِ ، ثُمَّ قَالَ : « وَمِنْ الْعَرَبِ مَنْ يَرْفَعُ الدِّيَارَ ، كَأَنَّهُ يَقُولُ تِلْكَ دِيَارُ فَلَانَةٍ . اُنْتَهَى وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَجْرُورًا عَلَى أَنَّهُ بَدَلٌ مِنْ دَارٍ فِي يَدٍ قَبْلَهُ بِثَلَاثَةِ أَيْيَاتٍ ، وَهُوَ :

(لَا ، بَلْ هُوَ الشَّوْقُ مِنْ دَارٍ تَخَوَّنَهَا مَرًّا سَحَابٌ وَمَرًّا بَارِحٌ تَرِبٌ^(٢))

وَمَا مِنْ قَصِيدَةٍ طَوِيلَةٍ جَدًّا فِي النِّسَبِ بِمِثْلِ وَصْفِهَا ، وَهِيَ أَحْسَنُ شِعْرِهِ ، حَتَّى قَالَ جَرِيرٌ : مَا أَحْبَبْتُ أَنْ يُنْسَبَ إِلَيَّ مِنْ شِعْرِ ذِي الرِّمَّةِ إِلَّا هَذِهِ الْقَصِيدَةُ ، فَإِنْ شَيْطَانُهُ كَانَ فِيهَا نَاصِحًا^(٣) وَلَوْ خَرَسَ بَعْدَهَا لَكَانَ أَشْعَرَ النَّاسِ .

وَرَوَى الْأَصْبَغِيُّ فِي شَرْحِ دِيْوَانِهِ عَنْ أَبِي جَهْمَةَ الْعَدَوِيِّ قَالَ : مِمَّتْ ذَا الرِّمَّةِ يَقُولُ : مِنْ شِعْرِي مَا سَاعَدَنِي فِيهِ الْقَوْلُ ، وَمِنْهُ مَا أَجْهَدْتُ فِيهِ نَفْسِي ، وَمِنْهُ مَا جُنَنْتُ فِيهِ جُنُونًا . فَأَمَّا الَّذِي جُنَنْتُ فِيهِ فَقَوْلِي :

* مَا بِالْأَيْنِكَ مِنْهَا الْمَاءُ يَنْسَكِبُ^(٤) *

وَأَمَّا مَا طَاوَعَنِي فِيهِ الْقَوْلُ ، فَقَوْلِي :

* خَلِيلِيْ عَوْجًا مِنْ صَدُورِ الرُّوَاحِلِ^(٥) *

وَأَمَّا مَا أَجْهَدْتُ فِيهِ نَفْسِي فَقَوْلِي :

* أَأَنْ تَرْمَحْتَ مِنْ خَرَقَاءِ مَنَزَلَةٍ * اهـ

(١) الشنتمري : « أَذْكَرُ دِيَارِ مِثْلَةِ وَأَعْنِيهَا » .

(٢) ط : « مَرَّ السَّحَابُ وَمَرَّ بَارِحٌ تَرِبٌ » ، صَوَابُهُ فِي شِ وَالْأَصْبَغِيُّ وَاللِّسَانُ (خُون)

(٣) ط : « نَاضِحًا » ، صَوَابُهُ فِي شِ

(٤) ط : « عَيْنِكَ » ، صَوَابُهُ فِي شِ وَالْأَصْبَغِيُّ

(٥) فِي النُّسَخَتَيْنِ : « عَنْ صَدُورِ » ، وَصَحَّحَهَا الشَّنْقِيطِيُّ فِي نُسَخَتِهِ

أبيات الشاهد ومن أول القصيدة إلى بيت الشاهد عشرة أبيات لا بأس بإيرادها وهي هذه :

(مَابَالُ عَيْنِكَ مِنْهَا لِمَا يَنْسَكِبُ كَأَنَّهُ مِنْ كُلِّ مَفْرِئَةٍ سَرَبُ)

السكى : جمع كُلية ، وهي الرقعة تكون في أصل عَرَقَة المزادة . وللمفريّة : للقطوعة المخروزة ؛ يقال فريت الأديم : إذا شققته وخرزته ، وأفريته : إذا شققته . ففري بلا ألف : شقُّ معه إصلاح ، وأفري مع ألف : شقّ في فساد . وسَرَب ، رواه أبو عمرو بكسر الراء ، بمعنى السائل ، ورواه الأصمعي وابن الأعرابي بفتحها ؛ قال : السرب للماء نفسه الذي يُصبُّ في المزادة الجديدة لكي تبتل مواضع الخرز والشبور ؛ سَرَبُ قَرْنِكَ : أى صَبَّ فيها الماء حتى تستحكم مواضع الخرز .

(وَفَرَاءُ غَرْفِيَةِ أَثْنَى خَوَارِزْهَا مُشْلِشٌ ضَمِيعَةٌ بَيْنَهَا الْكُتَبُ)

وفراء أى ضخمة ، صفة مفريّة ، أى مزادة وفراء . وغرفية : منسوبة إلى الغُرف وهو دِباغٌ بالبحرين ، وقيل : شجر يدبغ به ؛ وقال أبو عمرو : هو الأرضى مع التمر والملح ، يدبغ به . وأثنى : أفسد ، ومفعوله محنوف أى الخرز ؛ يقال أثأبت الخرز : إذا خرمته . والخوارز فاعل أثنى ، وهو جمع خارزة ، وهي التى تَحِيْطُ المزادة المشلش : تمت سَرَب وهو الماء الذى يتصل تقاطره ولا ينقطع . والكُتَبُ ، بالثناة الفوقية : الخُرَزُ ، جمع كُتْبَةٍ ؛ وكل شيء ضمته فقد كتبتنه .

٣٨٠

(أَسْتَحَدَّثَ الرُّكْبُ عَنْ أَشْيَاعِهِمْ خَبْرًا أَمْ رَاجِعَ الْقَلْبَ مِنْ أَطْرَابِهِ طَرَبًا ^(١))

(١) ويروى : « أم عاود القلب » . وانظر الديوان ص ١ .

الرَّكْبُ : أصحاب الإبل ، جمع راكب كصحب جمع صاحب . والأشباع :
الأصحاب . وأستحدث بفتح الهمزة : استفهام . يقول : بكاؤك وحزنك أغلبي
حدث ، أم راجع قلبك طرب ؟ والطرب : استخفاف القلب في فرح كان
أو حزن .

وهذا البيت من شواهد شرح الشافية للشارح المحقق ^(١) :

(من دِمْنَةٍ نَسَفَتْ عنها الصَّبَا سُفْعًا كما تُنْشَرُ بعد الطَّيَّةِ الكُتُبُ
سَيْلًا من الدَّعْصِ أَغَشَتْهُ معالمُها ^(٢) نَكَبًا تَسْحَبُ أعلاه فَيَنْسَحِبُ)

كأنه قال : راجع القلب طرب من دمنة ، أى من أجل دمنة . ورؤى :
(أم دمنة) كأنه قال : أم دمنة هاجت حزنك ! والدُّمْنَةُ : آثار الناس
وما لطنخوا وسودوا . والسُّفْعُ : قال الأصمعيّ : هى طرائق الرمل ، سود وجر .
ونصب سُفْعًا بنسفت وأتبع السيل سُفْعًا ؛ وذلك السفع سيل من الدعص .
يريد رملا سال من دعص ، جعله كالنعت للسيل ، فكأنه قال : كشفت الصبا
عن الدمنة سفعا ، وردّ سَيْلًا على السفع . يقول : فظهرت الأرض كما تنشر الكتب
بعد أن كانت مطوية . وقال ابن الأعرابي : السُّفْعُ جمع سُفْعَةٍ ، وهو سواد
تدخله حمرة ، تكون فى الأثافي . ونصب سُفْعًا على الحال ، ونصب سَيْلًا
بنسفت : وخفض أبو عمرو سُفْعَ ، اتبعه الدُّمْنَةُ . والطَّيَّةُ بالكسر : الحالة التى
يكون عليها الانسان ، والمفتوح منه فعلة واحدة وقوله : سَيْلًا من الدعص الخ ،
يقول : سَيْلًا أغشته إياها النكباء . والدَّعْصُ : رمل منفرد متلبّد ليس بمُعْظِم .
والنَّكَباء : كل ريج انحرفت بين ريجين . وقوله : أعلاه ، يعنى أعلى هذا

(١) أنظر شرح شواهد الشافية ١٨٩ .

(٢) ويروى : « معارفها » .

السيل الذى سال من الدَّعْص ؛ وليس سيلَ مطر ، إنما هو رملٌ انْهال إلى هذه الدمنة فغشى آثارها ، والنكباء التى أغشت العالم سيلاً من الدعص فغطته فجاءت بعده فنسفته . وتسحبه : تجره وتذهب به ، وينسحب أى فينجر هو أيضاً .

(لا بَلْ هو الشَّقُّ من دارٍ تَحْوَنُهَا مَرًّا سَحَابٌ وَمَرًّا بَارِحٌ تَرَبُّ^(١))
يقول : ليس هذا الحزن من أثر دمنة ، ولا من خبر الركب ، إنما هو شوقٌ هَيَّجَ الحزنَ ، من أجل دارٍ ذُكِرَتْ مَنْ كان يحلُّها . وتَحْوَنُها : تعهدها وتنقصها ، يقال : فلان تَحْوَنُهُ الحى ، أى تعهده . والبارح : الريح الشديدة الهبوب فى الصيف . والتَرَبُّ : التى تأتى بالتراب .

(يَبْدُو لَعِينَيْكَ مِنْهَا وَهِيَ مُزْمِنَةٌ نُوْىٌ وَمُسْتَوَقَدٌ بِالٍ وَمُحْتَطَبٌ)

يبدو : يظهر . ومُزْمِنَةٌ : التى آتى عليها زمان . والنوى : حاجز يحفر حول البناء ليرد السيل . والمستوقد : موضع الوقود . والبالي : الدارس . والمحتطب : موضع الخطب .

(إِلَى لَوَائِحَ مِنْ أَطْلَالٍ أَحْوِيَةٍ كَأَنَّهَا خِلَلٌ مَوْشِيَّةٌ قُشْبُ)

أى مع لوائح . يقول : يبدو لك هذا مع ذاك . واللوائح : ملاح لك من الأطلال . والأحوية : جماعة بيوت الحى ، الواحد حواء . والخليل : أغمد السيف ، جمع خلة بالكسر . والقشْبُ تكون الجُدُد والأخلاق . شبه آثار الدار بأغمد السيوف الموشاة المخلفة . والقشْب هنا الجُدُد^(٢) . ومَوْشِيَّةٌ : موشاة

(بِجَانِبِ الزُّرْقِ لَمْ تَطْمِسْ مَعَالِمَهَا دَوَارِجُ الْمُورِ وَالْأَمْطَارُ وَالْحَقَبُ)

(١) المر : المرة ، أو هو جمع للمرة ، كما فى اللسان .

(٢) كذا ، والوجه أن تكون الاخلاق لا الجدد .

يقول : هذا النوى مع هذه الأطلال ، بهذا المكان . والزرق ، بضم
الزاي وسكون المهملة : أقاء بأسفل الدهناء لبنى تميم . والدوارج : الرياح التى
تدرج : تذهب وتجيء . والمور بالضم : التراب الدقيق . والأمطار بالرفع .
والحقب ، بكسر ففتح : السنون ، الواحد حقة . لم تطلس : لم تمح . ويقال
دوارج الرياح : أذياها وماخيرها .

(ديار مية إذ مى تساعفنا . . . البيت)

تساعفنا : تدانينا وتواتينا . وعُجم بالضم : لغة فى المعجم بفتحين ،
وهو فاعل يرى البصرية . ثم أخذ بعد هذا فى وصفها .
وترجة ذى الرمة تقدمت فى الشاهد الثامن ^(١) .

* * *

وأشده بعده ، وهو الشاهد الحادى والأربعون بعد المائة ^(٢) :

١٤١ (لله ما فعل الصوارم والقنا فى عمرو حابٍ وَضَبَّةُ الأغنام)

لما تقدم فى البيت قبله ، فإن قوله : (حاب) مرخم حابس فى غير النداء ،
وهو ضرورة ، وهو فى المضاف إليه أبعد . وأبقى كسرة الباء من حابس بعد
الترخيم على حالها . وأصله (عمرو بن حابس) فحذف ابنا وأضاف عمراً
إلى حابس .

وقال ابن سيده صاحب المحكم (فى شرح ديوان المتنبي) : أراد عمرو
حابس فرخم المضاف إليه اضطراراً كقوله - أشده سيويه :

أودى ابنٌ جُلهمَ عبّادٌ بصيرمته إن ابنَ جُلهمَ أمسى حية الوادى

(١) انظر ص ١٠٦ من الجزء الاول

(٢) ديوان المتنبي بشرح العكبرى ٢ : ٢٨٥

قال : أراد ابنَ جلهمة^(١) . والعرب يسمّون الرجلَ جلهمة والمرأةَ جلهمة^(٢) .
كل هذا حكاة سيبيويه .

وهذا البيت من قصيدة لأبي الطيّب المتنبي . قالها في صباه ، عند ما اجتاز
برأس عين في سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة ، وقد أوقع سيف الدولة بعمرو
ابن حابس من بني أسد ، وبني ضبّة ، ورياح من بني تميم ؛ ولم ينشده إياها .
فلما لقيه دخلت في جملة المديح . ومطلع القصيدة :

(ذِكْرُ الصِّبَا وَمَوَاتِعُ الْآرَامِ جَلَبَتْ حِمَايَ قَبْلَ وَقْتِ حِمَايَ)
إلى أن قال في مدح سيف الدولة :

(وَإِذَا امْتَحَنْتَ تَكْشِفَتْ عِزَّمَاتُهُ عَنْ أَوْحَدِيّ النِّقْضِ وَالْإِبْرَامِ)
وَإِذَا سَأَلْتَ بَنَانَهُ عَنْ نَيْلِهِ لَمْ يَرْضَ بِالْأُنْيَا قَضَاءَ ذِمَامِ
مَهْلًا ، أَلَا لِلَّهِ مَا صَنَعَ الْقَنَاءَ فِي عَمْرِو حَلَبٍ وَضَبَّةِ الْأَغْنَامِ)
جعل هؤلاء أغناما ، لأنهم كانوا جاهلين حين عصوه ؛ حتى فعل بهم
ما فعل . وهو بالنون لا بالثناة الفوقية ، إذ هو غير مناسب ، إذ الأغتم :
الأعجم الذي لا يفصح شيئا ، والجمع الغتم . وزعم ابن سيده في شرحه : أن
هذا هو المراد هنا ، قال : والأغنام : جمع أغتم ، كسر أفعل على أفعال ، وهو
قليل ، ونظيره أعزل وأعزال بإهمال الأول ، وهو الذي لا سلاح معه ،
وأغرل وأغرال بإهمال الثاني ، وهو الذي لم يختن .

٣٨٢

وبعده :

(لَمَّا تَحَكَّمَتِ الْأَسِنَّةُ فِيهِمْ جَارَتْ ، وَهَنَ يَجُرُّنَ فِي الْأَحْكَامِ)

(١) الذي في كتاب سيبيويه ١ : ٣٤٤ : « أراد أمه جلهمة »
(٢) في النسختين : « جلهمة » ، صوابه من سيبيويه ومما نقله عنه
ابن منظور في اللسان (جلهمة) . والبيت للأسود بن يعفر .

المتنبى

فتركهم خلل البيوت كأنما غَضِبَتْ رءوسهم على الأجسام (أى غزوتهم فى عُقر دارهم حتى^(١) تركتهم خلال بيوتهم أجساما بلا رؤوس وهذه ترجمة المتنبى قلتها من كتاب (إيضاح المشكل لشعر المتنبى ، من تصانيف أبى القاسم عبد الله بن عبد الرحمن الأصفهاني) وهذا الإيضاح قاصر^(٢) على شرح ابن جني لديوان المتنبى ، يوضح ما أخطأ فيه من شرحه . وهو ممن عاصر ابن جني ؛ وألف الإيضاح لبهاء الدولة بن بويه . قال : « وقد بدأت بذكر المتنبى ومنشئه ومغتربه ، وما دلّ عليه شعره من معتقده إلى مختتم أمره ، ومقدمه على الملك — نصر الله وجهه — بشيراز وانصرافه عنه . إلى أن وقعت مقتله بين ديرقنة^(٣) والنعمانية واقتسام عقائله وصفاياه . . حدثني ابن النجار ببغداد : أن مولد المتنبى كان بالكوفة فى محلة تعرف بكيندة ، بها ثلاثة آلاف بيت ، من بين رؤاء ونساج . واختلف إلى كتاب فيه أولاد أشراف الكوفة ، فكان يتعلم دروس العلوية شعراً ولغة وإعراباً ؛ فنشأ فى خير حاضرة . وقال الشعر صبيّاً . ثم وقع إلى خير بادية بادية وما بلاد قبة حصل فى بيوت العرب^(٤) ، فادّعى الفضول الذى نُبِزَ به ، فنعى خبره إلى أمير بعض أطرافها — فأشخص إليه من قيده وسار به إلى محبسه ، فبقى يعتذر إليه ويتبرأ مما وُسِمَ به ، فى كلمته التى يقول فيها :

فمالكَ تقبلُ زورَ الكلامِ وقدرُ الشهادةِ قدرُ الشهودِ
وفى جُودِ كُفْكُ ما جُدْتُ لى بنفسى ولو كنتُ أشقى نُمُودِ

(١) ط : « التى » ، صوابه فى ش

(٢) الوجه « مقصور » .

(٣) المعروف « ديرقنى » بضم القاف وتشديد النون مع القصر كما

فى ياقوت .

(٤) كذا فى ط . وفى ش : « وما بلاد قنة . ولعله الى خير بادية ،

بادية اللاذقية . وحصل فى بيوت العرب » . أنظر الصبح المتنبى ١ : ٢٥

وقد هجاء شعراء وقته فقال الضبي :

الزَّمْ مَقَالَ الشَّعْرَ تَحْطَ بِقُرْبَةٍ وعن النبوة، لا أبالك، فانتزح
تَرْبَحْ دَمًا قَدْ كُنْتَ تَوْجِبُ سَفْكَه إن الممتع بالحياة لمن ربح
فأجابه المتنبي^(١) :

أمرى إلى فإن سمحتُ بهجةٍ كرمتُ على فإن مثلى من سمح
وهجاء غيره^(٢) فقال :

أطللتَ يا أيها الشقي دَمَكُ بالهذيان الذي ملأتَ فَمَكُ
أقسمتُ لو أقسمَ الأميرُ على قتلكَ قبل العشاء ما ظلمك
فأجابه المتنبي :

همك في أمرٍ تُقَلِّبُ في عين دواةٍ من صلِّبه قلمك^(٣)
وهمتي في انتضاء ذى شُطْبَ أقدُّ يوماً بجده أدمك
فاخسَ كُلياً واقعدْ على ذنب وأطلِ بما بين ألتيك فمك

وهو في الجملة خيث الاعتقاد . وكان في صفه وقع إلى واحدٍ يكنى
أبا الفضل بالكوفة من المتفلسفة ، فهوَّسه وأضله كما ضلَّ . وأما ما يدلُّ عليه
شعره فتلَوْن . وقوله :

هَوْنٌ عَلَى بَصْرِ مَا شَقَّ مَنَظَرُهُ فَإِنَّمَا يَقْطَاطُ الْعَيْنِ كَالْحُلُمِ^(٤)

٣٨

- (١) أنظر زيادات شعر المتنبي للميمنى ص ١٥ .
(٢) قال الميمنى : « ليس هو غير الضبي كما زعم ، بل هو هو .
راجع زيادات شعره ٣٦ على اختلاف في تسمية الضبي والضب » .
(٣) قبله في الزيادات ٣٦ :

أيها أناك الحمام فاخترمك غير سفيه عليك من شتمك
(٤) ديوان المتنبي ٢ : ٣٨٥ . منظره ، بالرفع ، يعني ما صعبت
رؤيته ، من المكارة ونحوها . وروى بالنصب أيضا ، فالمراد شق البصر
وفتحه ، باقتضائه النظر إليه .

مذهب السوفسطائية . وقوله :

تَمَتَّعْ مِنْ سِهَادٍ أَوْ رُقَادٍ وَلَا تَأْمَلْ كَرِّىَ تَحْتِ الرُّجَامِ
فَإِنَّ لثَالِثَ الْحَالَيْنِ مَعْنَى سَوَى مَعْنَى اتِّبَاعِكَ وَالْمَنَامِ

مذهب التنامخ . وقوله :

نَحْنُ بَنُو الدُّنْيَا فَمَا بَالُنَا نَعَافُ مَا لَا بَدَّ مِنْ شُرِّهِ
فَهَذِهِ الْأَرْوَاحُ مِنْ جَوْءِ وَهَذِهِ الْأَجْسَامُ مِنْ تَرْبِهِ

مذهب الفضائية . وقوله فى أبى الفضل بن العميد :

فَإِنْ يَكُنِ الْمَهْدِيُّ قَدْ بَانَ هَدْيُهُ فِهَذَا ، وَإِلَّا فَالْهَدَى ذَا فَمَا الْمَهْدِيُّ ^(١)
مذهب الشيعة . وقوله :

تَخَالَفَ النَّاسُ حَتَّى لَا اتَّفَاقَ لَهُمْ إِلَّا عَلَى شَجَبٍ ، وَاتَّخَلَفُوا فِي الشَّجَبِ
فَقِيلَ : تَخَلَّدُ نَفْسُ الْمَرْءِ بَاقِيَةً وَقِيلَ : تَشْرَكَ جِسْمُ الْمَرْءِ فِي الْعُطْبِ

فهذا من يقول بالنفس الناطقة ؛ ويتشعب بعضه إلى قول الحشيشية .
والإنسان إذا خلع رِبْقَةَ الْإِسْلَامِ مِنْ عُنُقِهِ ، وَأَسْلَمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى
حَوْلِهِ وَقُوَّتِهِ ، وَجَدَ فِي الضَّلَالَاتِ مَجَالاً . وَاسْعَا ، وَفِي الْبِدْعِ وَالْجِهَالَاتِ
مَنَادِيحٌ وَفُسْحَا .

ثم جئنا إلى حديثه وانتجاعه ، ومفارقة الكوفة أصلاً ، وتطوافه
فى أطراف الشام ، واستقراه بلادَ العرب ومقاساته للضرِّ وسوء الحال ،
ونزارة كسبه ، وحقارة ما يوصل به ؛ حتى أنه أخبرنى أبو الحسن الطرائفى

(١) فى الديوان : « من بان هديه » .

ببغداد — وكان لقي المتنبي دفعات في حال عسره ويسره — : أن المتنبي قد مدح بدون العشرة والخسة من الدراهم . وأنشد في قوله مصداقاً لحكايته :
انصرُ بجودك ألفاظاً تركتُ بها ، في الشرق والغرب ، من عاداك مكبوتاً
فقد نظرتك حتى حان مرّ تحلُّ وذا الوداع ، فكن أهلاً لما شئنا
وأخبرني أبو الحسن الطرائفي قال : سمعت المتنبي يقول : أول شعر
قلته وابتضت أبيامى بعده ، قولي :

أيالامي ، إن كنت وقت اللوائم علمتُ بما بي بين تلك المعالم^(١)
فاني أعطيتُ بها بدمشق مائة دينار . . ثم اتصل بأبي العشار فأقام
ما أقام ، ثم أهداه إلى سيف الدولة ، فاشتراط أنه لا ينشد إلا قاعداً وعلى
الوحدة ؛ فاستحلوه وأجابوه إليه . فلما سمع سيف الدولة شعره حكم له بالفضل ،
وعد ما طلبه استحقاقاً .

وأخبرني أبو الفتح عثمان بن جني : أن المتنبي أسقط من شعره الكثير ،
وبقي ما تداوله الناس . . وأخبرني الحلبي ، أنه قيل للمتنبي : معنى بيتك هذا
أخذته من قول الطائي . فأجاب المتنبي : الشعر جلادة ، وربما وقع حافر
على حافر !

وكان المتنبي يحفظ ديواني الطائيين ، ويستصحبهما في أسفاره ويمجدهما ،
فلما قُتل توزعت دفاتره ؛ فوقع ديوان البحري إلى بعض من درس علي ،
وذكر أنه رأى خط المتنبي وتصحيحه فيه .

وسمعت من قال : إن كافوراً لما سمع قوله :

(١) كذا ، وصوابه « أنا لائمي » ، أي أنا مثل لائمي ، كما فسره

بذلك الواحدى والمكبرى وابن جني .

٣٨٤

إذا لم تنطُ بى ضيعةً أو ولاية فجودك يكسونى وشغلك يسلبُ
يلتمس ولاية صيداء . فأجابه : لستُ أجسرُ على توليتك صيداء ،
لأنك على ما أنت عليه : تحدث نفسك بما تحدث ؛ فإن وليتك صيداء ،
فمن يطيقك ؟ !

وسمعتُ أنه قيل للمتنبى : قولك لكافور :
فارم بى حينما أردتُ فأتى أسدُ القلبِ آدِمى الرِواءِ
وفؤادى من الملوك ، وإن كان لسانى يرى من الشعراء
ليس قولٌ ممتدح ولا منتجع ، إنما هو قول مضاد ! فأجاب المتنبى إلى
أن قال : هذه القلوب ، كما سمعتُ أحدها يقول :
يقرُّ بعينى أن أرى قصدة القنا وصرعى رجالٍ فى وعى أنا حاضره
وأحدها يقول :

يقرُّ بعينى أن أرى من مكاتها ذراً عقيدات الأجرع المتقاوِد^(١)
ثم أقام المتنبى عند سيف الدولة على التكرمة البليغة : فى إسناء الجائزة ،
ورفع المتزلة . ودخل مع سيف الدولة بلاد الروم ؛ وتأصل حالاً^(٢) فى جنبته
بعد أن كان حويلة . وكان سيف الدولة يستحب الاستكثار من شعره والمتنبى
يستقله ؛ وكان ملقاً من هذه الحال ، يشكوها أبداً ، وبها فارقه حيث أنشده :
وما انتفاع أخى الدنيا بناظريه إذا استوت عنده الأنوارُ والظلم
وأخرها :

(١) البيت من ابيات ثلاثة لنبهان بن عكى العبشمى ، كما فى الكامل
٣١ نسبها القالى فى أماليه ١ : ٦٣ الى أعرابى .
(٢) كذا فى ط . وفى ش : « وتأصل حالا » .

بأي لفظ يقول الشعر زِعِنْفَةً يجوزُ عندك لا عُرْبٌ ولا عَجَمٌ^(١)

وقال في أخرى :

إذا شاء أن يهزأ بلحية أحق أراه غُبَارِي نَم قال له ألحق^(٢) !

فلما انتهت مدته عند سيف الدولة استأذنه في المسير إلى إقطاعه^(٣) فأذن له ، وامتدَّ باسطاً عنانه إلى دمشق ؛ إلى أن قصد مصر فلم يكافور ، فأنزله وأقام ما أقام . إلا أن أول شعره فيه دليل على ندمه لفراق سيف الدولة ، وهو :

كني بك داء أن ترى الموت شافيا وحسب المنسايا أن يكن أمانيا
حتى انتهى إلى قوله :

قواعد كافور توارك غيره ومن قصد البحر استقل السواقيا
وأخبرني بعض المولدين ببغداد ، وخاله أبو الفتح يتوزر لسيف الدولة :
أن سيف الدولة رسم لي التوقيع^(٤) إلى ديوان البر^(٥) بإخراج الحال فيما وصل
به المتنبّي ، فخرجت بخمسة وثلاثين ألف دينار في مدة أربع سنين .

ثم لما أنشد الثانية كافوراً خرجت موجهة يشناق سيف الدولة . وأولها :
فراق ، ومن فارقت غير مدمم وأم ، ومن يممت خير ميمم^(٦)
وأقام على كره بمصر إلى أن ورد فأتك غلام الإخشيدى من الفيوم

(١) في ديوانه بشرح العكبرى : « تقول الشعر » ، و « تجوز عندك » .

(٢) ويروى : « أن يلهو » .

(٣) كان هذا الإقطاع يسمى صفا ، كما في معجم البلدان (صف)
ورسالة الغفران ٣٥٤ . وفي ش : « إلى الطاعة » ، تحريف .

(٤) ط : « وسم إلى التوقيع » .

(٥) ش : « ديوان أكبر » .

(٦) ط : « غير ميمم » .

٣٨٥

— وهى ويثنة ، فنبت به واجتواها — وقادوا بين يديه فى مدخله إلى مصر
أربعة آلاف جنّية منعلة بالذهب ، فسماه أهل مصر بقاتك المجنون . فلقبه
المتنبى فى الميدان على رقبته من كافور فقال :

لا خيلَ عندك تُهدّيهـا ولا مالُ فليُسعدِ النطقُ إن لم يُسعدِ الحالُ

فوصل إليه من أنواع صلاته وأصناف جوائزه ، ما تبلغ قيمته عشرين
ألف دينار . ثم مضى فاتك لسيّله ؛ فرثاه المتنبى وذم كافورا :

أيموتُ مثلُ أبى شجاعٍ فاتكُ ويعيشُ حاسدُهُ الخصىُّ الأوكعُ^(١)

فاحتال بعده فى التخلص من كافور ؛ فأنهز الفرصة فى العيد — وكان
رسم السلطان أن يُستقبل العيدُ بيوم ، وتُعدّ فيه الخلعُ والمللانات وأنواعُ
المبار ، لرابطة جنده وراتبة جيشه ، وصبيحة العيد تفرّق ، وثانى اليوم
يندكر له من قبل ومن ردّ واستزاد — فاهتبل المتنبى غفلة كافور ، ودفن
رماحه برا ، ومار ليلته وحمل بغاله وجماله وهو لا يألو سيرا وسرى هذه
الليلة ، مسافة أيام^(٢) ؛ حتى وقع فى تيه بنى إسرائيل ؛ إلى أن جازه على
الحلل^(٣) والأحياء والمفاوز المجاهيل ، والمناهل الأواجن . ونزل الكوفة
وقال يقصّ حاله .

ألا ، كلُّ ماشيةٍ الخيزلُ فدا كلُّ ماشيةٍ الميدي

وفيهـا يقول :

ضربتُ بها التيةَ ضربَ القيا ر : إمّا لهذا ، إمّا لهذا

(١) مفهوم العبارة أنه قطع فى اليوم والليلة مسيرة أيام والنذى

فى ش : « هذه الثلاثة أيام » أى أيام رسم كافور المشار إليها .

(٢) جمع حلة ، بالكسر ، وهى جماعة بيوت الناس ، أو مائة بيت .

وفى ط : « على الحال » صوابه فى ش

ثم مدح بالكوفة دبير بن يشكرو^(١)، وأنشده في الميدان ؛ فحمله على
فرس بمركب ذهب .

وكان السبب في قصده أبا الفضل بن العميد ، على ما أخبرني أبو علي
ابن شبيب القاشاني — وكان أحد تلامذتي ، ودرس علي بقاشان سنة ثلثمائة
وسبعين ، وتوزر للأصبهيد بالجليل ، وأبود أبو القاسم توزر لوشمكير بمجران —
عن العلوي العباسي نديم أبي الفضل بن العميد (الذي يقول فيه :
أبلغ رسالاتي الشريف ، وقل له : قدك اتشد أربيت في الغلواء^(٢))
أن المعروف المطوق الشاشي كان بعصر وقت المتنبي فعمد إلى قصيدته
في كافور :

* أَغَالِبُ فِيكَ الشَّوْقَ وَالشَّوْقُ أَغْلِبُ *

وجعل مكان أبا للسك أبا الفضل ؛ وسار إلى خراسان وحمل القصيدة ،
أعنى قصيدة المتنبي إلى أبي الفضل وزعم أنه رسوله . فوصله أبو الفضل بالني
درهم ؛ واتصل هذا الخبر بالمتنبي ببغداد ؛ فقال : رجل يعطى لحامل شعري هذا ،
فما تكون صلته لي ؟ وكان ابن العميد يخرج في السنة من الرى خرجتين إلى
أرجان ، يجبي بها أربع عشرة مرة ألف ألف درهم فتمى حديثه إلى المتنبي

(١) كذا في ط . وفي ش مع تصحيح للشنقيطي : « دبسم بن
شادكويه » . وضبط في ديوان المتنبي بشرح الواحدى ٣٢٥ بمباى وأوربا
٧٢٨ : « دَلَّيْرَ بْنَ لَشَكْرَوَزَ » كما ذكر المبنى . لكن ورد في ديوانه بشرح
العمكبرى ٢ : ٢٠٧ :

فلمست غيناً لو شريت مني
والبيت من قصيدته التي مطلعها :
كدهواك كل يدعى صحة العقل

ومن ذا الذي يدري بما فيه من جهل

(٢) اقتبسه من قول أبي تمام في ديوانه .
قدك اتشد أربيت في الغلواء كم تعذلون وأنتم سبجرائي

بمحصوله بأرجان، فلما حصلَ للنتني ببغداد نزلَ رِبْضُ حميد ، فركبَ إلى المهلبى ، فأذنله فدخلَ وجلسَ إلى جنبه ، وصاعدُ خليفَتُهُ دونه ، وأبو الفرج الأصبهاني صاحب كتاب الأغاني . فأنشدوا هذا البيت :

سقى الله أمواها عرفتُ مكانها جُراما وملكوها وبذرَ فالقمر^(١)

وقال المنتني : هو جُرابا ، وهذه أمكنة قتلها علما ، وإنما الخطأ وقع من النقلة ! فأنكره أبو الفرج . قال الشيخ : هذا البيت أنشده أبو الحسن الأخفش صاحب سيبويه في كتابه جراما بالميم ، وهو الصحيح وعليه علماء اللغة^(٢) وتفرق المجلس عن هذه الجملة . ثم عاوده اليوم الثاني وانتظر المهلبى إنشاده فلم يفعل ، وإنما صدده ما سمعه من تماديه في السُخف ، واستهتاره بالهزل ، واستيلاء أهل الخلاعة والسخافة عليه ، وكان المنتني مرَّ النفس صعبَ الشكيمة حادًا مجذًا ، فخرج ، فلما كان اليوم الثالث أغروا به ابنَ الحجاج حتى علّق لجامَ دابّته في صينية الكرخ^(٣) ، وقد تكابسَ الناسُ عليه من الجوانب ، وابتدأ ينشد :

يا شيخَ أهلِ العلمِ فينا ومنَ يلزمَ أهلَ العلمِ توقيرُ
فصبر عليه المنتني ما كنّا ساكنًا ، إلى أن نُجزّها ، ثم خلى عنان دابته ،

(١) لكثير عزة عند سيبويه ٢ : ٧ وابن يعيش ١ : ٦١ والمنصف ٢ : ٣/١٥٠ والسيرة ٦٥

(٢) الذى فى سيبويه « جرابا » بالباء . قال الميمنى : « اتفق الرواة على أنها جراب بالباء . قال السهيلي ١ : ١٠١ : يحتمل أن يكون بمعنى جريب ، نعو كبار وكبير . والجريب : الوادى . ومثله فى معجم ياقوت من غير حوالة عليه . والجراب ذكرها البكرى أيضا . ولم أجد الجرام فى شيء من المعاجم مما يحضرني » .

(٣) كتب الميمنى : « يمكن أن تكون الصينية ، محلة بكر فى بغداد نسبت اليه ، فرقا بينها وبين الصينية : بليدة تحت واسط ، التى ذكرها ياقوت » . وقد وردت فى النسختين : « صينية » بالباء الموحدة بعد النون

وانصرف المتنبي إلى منزله وقد تيقن استقرار أبي الفضل بن العميد بأرجان وانتظاره له فاستعدَّ للمسير .

وحدثنا أبو الفتح عثمان بن جني عن علي بن حمزة البصري^(١) قال : كنت مع المتنبي لما ورد أرجان ، فلما أشرف عليها وجدها ضيقة البقعة والدور والمساكن ، فضرب بيده على صدره وقال : تركت ملوك الأرض وهم يتعبدون بي ، وقصدت رب هذه المدرة ، فما يكون منه ثم وقف بظاهر المدينة وأرسل غلاماً على راحلته إلى ابن العميد ، فدخل عليه وقال : مولاي أبو الطيب المتنبي خارج البلد - وكان وقت القيولة ، وهو مضطجع في دسسته - فنار من مضجعه واستنبتته ، ثم أمر حاجبه باستقباله ، فركب واستركب من لقيه في الطريق ، ففصل عن البلد بجمع كثير . فتلقوه وقضوا حقّه وأدخلوه البلد . فدخل على أبي الفضل ، فقام له من الدست قياماً مستويّاً ، وطرح له كرسي عليه مخدّة ديباج ، وقال أبو الفضل : كنت مشتاقاً إليك يا أبا الطيب . ثم أفاض المتنبي في حديث سفره ، وأنّ غلاماً له احتمل سيفاً وشدّ عنه . وأخرج من كمّه عُقَيْب هذه المفاوضة درجاً فيه قصيدته :

* بادِ هواك صبرت أو لم تصبرا *

فوحى أبو الفضل إلى حاجبه بقرطاس فيه مائتا دينار ، وسيفٍ غشاؤه فضّة ، وقال : هذا عوض عن السيف المأخوذ ، وأفرد له داراً نزلاً . فلما استراح من تعب السفر كان يغشى أبا الفضل كل يوم ويقول : ما أזורك إلّ كباباً إلّا لشهوة النظر إليك ، ويؤاكله . وكان أبو الفضل يقرأ عليه ديوان

(١) ترجم له ياقوت في معجمه ١٣ : ٢٠٨ كما ترجم في البغية

٢٢٧ قال ياقوت : « ولما ورد المتنبي إلى بغداد كان بها وفي داره نزل . »

وقال السيوطي : توفي سنة ٣٧٥ .

اللغة الذى جمعه ويتعجب من حفظه وغزارة علمه . فأظلمهم النيروز ، فأرسل أبو الفضل بعضَ ندمائه إلى المتنبي : كان يبلغنى شعرك بالشام والمغرب ، وما سمعته دونه ! فلم يُجِرْ جواباً ، إلى أن حضره النيروز وأنشدَ منهشاً ومعتدراً فقال :

هل لُعذرى إلى الهام أبى الفضل ل قبولٌ ، سواد عيني مداؤهُ
ما كفانى تقصيرُ ما قلتُ فيه عن علاه حتّى ثناه انتقادهُ
إنّني أصيد البراة ، ولك نّ أجلاً النجوم لا أصادُهُ
ما تعوّدت أن أرى كآبى الفضل ل وهذا الذى أتاه اعتياده^(١)

فأخبرنى البديهيّ ، سنة ثلثمائة وسبعين : أن المتنبي قال بأرجان : الملوك قُرود يشبه بعضهم بعضاً ، على الجودة يعطون . وكان حمل إليه أبو الفضل خمسين ألف دينار ، سوى توابعها ، وهو من أجود زمانِ الديلم .

وكذلك أبو المطرف وزير مرداويج ، قصده شاعر من قزوين فأنشده وأمله مادّةً نفقةً يرجع بها إلى بلده ، فكتب إليه أبياتاً أولها :

أأقلامُ بكفّك أم رماحُ وعزمُ ذاك ، أم أجلُ مُتاحُ

فقال أبو المطرف : أعطوه ألف دينار .

وكذلك أبو الفضل البُلعميّ وزير بُخارى ، أعطى المطرانى الشاعر على قصيدته التى أولها :

* لا شربَ إلاّ بسير الناي والعُودِ *

(١) فى الأصل : « كآبى الفتح » ، صوابه من الديوان ومما يقتضيه المقام .

خمسة عشر ألف دينار .

وكذلك خلف صاحب سجستان ، أعطى أبا بكر الحنبل خمسة آلاف دينار على كلمة فيه .

وكان سيف الدولة لا يملك نفسه ؛ وكان يأتيه علوى من بعض جبال خراسان كل سنة فيعطيه رسماً له جارياً على التأيد ؛ فاتاه وهو في بعض الثنور ، فقال للخازن : أطلق له مافي الخزانة ؛ فبلغ أربعين ألف دينار . فشاطر الخازن وقبض عشرين ألف دينار ، إشفافاً من خلل يقع على عسكره في الحرب .

وأخبرني بعض أهل الأدب أنه تعرض سائل لسيف الدولة وهو راكب ، فأنشده في طريقه :

أنتَ على هذه حلب قد فني الزادُ وانتهى الطلبُ
فأطلق له ألف دينار .

وتعرض سائل لأبي علي بن إلياس وهو في موكبه ، فأمر له بخمسمائة دينار فجاءه الخازن بالدواة والبيض . فوقع بألني دينار . فلما أبصره الخازن راجعه فيها . فقال أبو علي : الكلام ربح ، والخط شهادة ، ولا يجوز أن يشهد على بدون هذا .

ثم إن أبا الطيب المتنبي لما ودّع أبا الفضل بن العميد ، ورد كتاب عضد الدولة يستدعيه ، فمرّقه ابن العميد ، فقال المتنبي : مالي وللدائم ؟ فقال أبو الفضل : عضد الدولة أفضل مني ، ويصلك بأضعاف ما وصلتك به . فأجاب بأني ملقي من هؤلاء للوك : أقصد الواحد بعد الواحد ، وأملككم شيئاً يبقى ببقاء الثبرين ، ويعطونني عراً فانياً ؛ ولي ضجرات واختيارات ؛

فيموقوني عن مرادى ، فأحتاج إلى مفارقتهم على أقبح الوجوه ١ فكتب ابنُ العميد عضد الدولة بهذا الحديث . فورد الجواب بأنه مملّك مُرادَه في المقام والظعن . فسار المتنبي من أَرْجان ، فلما كان على أربعة فراسخ من شيراز ، استقبله عضد الدولة بأبى عمر الصبّاغ أخى أبى محمد الأبهري صاحب كتاب حقائق الآداب . فلما تلاقيا وتسائرا ، استنشدَه . فقال للتنبي : الناس يتناشدون فاسمعه . فأخبر أبو عمر أنه رُسم له ذلك عن المجلس العالى . فبدأ بقصيدته التى فارق مصر بها :

ألا كلُّ ماشيةٍ الخيزلَى فِدَى كلِّ ماشيةٍ الهيدَى

ثم دخل البلدَ فَأَنزَلَ داراً مفروشة ؛ ورجع أبو عمر الصبّاغ إلى عضد الدولة فأخبره بما جرى ، وأنشده أبياتاً من كلمته وهى :

فلما أَنَحْنَا رَكُوزَنَا الرِّمَا حَ حَوْلَ مَكَلِمِنَا وَالْعُلَا
وَبِتْنَا قَبْلَ أَسْيَافِنَا وَنَمْسَحُهَا مِنْ دِمَاءِ الْعِدَا
لِتَعْلَمَ مِصْرُ وَمَنْ بِالْعِرَاقِ وَمَنْ بِالْعَوَاصِمِ أَنَّى الْفَتَى
وَأَنَّى وَفَيْتُ وَأَنَّى أَبَيْتُ وَأَنَّى عَتَوْتُ عَلَى مَنْ عَتَا

فقال عضد الدولة : هُوَذَا ^(١) ، يَهْدِدُنَا لِلتَّنْبِي !

ثم لما نفّضَ غِبَارَ السَّفَرِ واستراح ، ركب إلى عضد الدولة ، فلما توسّط الدار انتهى إلى قرب السرير مصادمة ، فقَبِلَ الأرض واستوى قائماً وقال : شَكَرْتُ مَطِيَّةَ حَمَلَتْنِي إِلَيْكَ ، وَأَمَلًّا وَقَفَ بِي عَلَيْكَ . ثم سأله عضد الدولة عن مسيره من مصر ، وعن على بن حمدان ؛ فذكره وانصرف وما أنشده فبعد أيام حضر السُّلْطَانُ وقام بيده دَرَجٌ ، فأجلسه عضد الدولة وأنشد :

(١) ش : « هونا » ، وأثبت ما فى ط

* مَغَانِي الشَّعْبِ طَبِيبًا فِي الْمَغَانِي ^(١) *

فلما أنشدوها وفرغوا من السباط ، حمل إليه عضد الدولة من أنواع الطَّيِّب
في الأردية الأمان من بين الكافور والعنبر والمسك والعود ، وقاد فرسه
الملقَّب بالمجروح وكان اشترى له بخمسين ألف شاة ، وبدرَّة دراهمها
عدليَّة ، ورداء حشوه ديباج رومي مُفَصَّل ، وعمامة قوَّمت بخمسة دینار ،
ونصلاً هندياً مرصع النجاد والجفن بالذهب . وبعد ذلك كان ينشده في كل
حدث يحدث قصيدة ؛ إلى أن حدث يوم نثر الورد ، فدخل عليه والملك
على السرير في قبة يحسّر البصر في ملاحظتها والأترار ينثرون الورد ، فنكَل
المتنبِّي بين يديه وقال : ما خدمت عيني قلبي كالיום ؟ وأنشأ يقول :

قد صدق الوردُ في الذي زعما أنك صيرت ثره ديمًا
كأنما مأنحُ الهواءُ به بحرٌ حوى مثل مائه عنما ^(٢)

فحمل على فرس بمركب ، وألبس خيلعة ملكية ، وبدرَّة بين يديه محمله .
وكان أبو جعفر وزير بهاء الدولة مأموراً بالاختلاف إليه ، وحفظ للنازل
والمناهل من مصر إلى الكوفة وتعرفها منه ؛ فقال : كنت حاضرته ؛ وقام ابنه
يلتمس أجرة الفسَّال ، فأحد المتنبِّي إليه النظر بتحديق فقال : ما للصعلوك
والفسَّال ! يحتاج الصعلوك إلى أن يعمل بيده ثلاثة أشياء : يطبخ قدره ،
ويُنْعِلُ فرسه ، ويغسل ثيابه ؛ ثم ملأ يده قطيعات بلغت درهمن أو ثلاثة .

وورد كتاب أبي الفتح ذي الكفایتين بن أبي الفضل — وكان من أجواد

(١) ط : « مغانى الشيب » صوابه فى ش والديوان . والبيت مطلع
قصيدة يذكر فيها شعب بوان . وعجزه كما فى الديوان ٢ : ٤٤٣

* بمنزلة الربيع من الزمان *

(٢) ط : « مانح الهواء » ، صوابه فى ش والديوان ٢ : ٣٨٦

زمانِ الديلم ، فرَّق في يوم واحد بشمِيزِ قَرْمِيسِينَ ، ألفين وخمسةَ قطعة
إبريسم — ومضمونه كتاب الشوق إلى لقاء المتنبي وتشوّفه إلى نظره^(١)
فأجابه المتنبي^(٢) :

يَكْتُبُ الأَنَامُ كِتَابٌ وَرَدَ فَدَتْ يَدَ كَاتِبِهِ كُلُّ يَدٍ
إِذَا سَمِعَ النَّاسُ أَلْفَاظَهُ خَلَقْنَ لَهُ فِي الْقُلُوبِ الْحَسَدَ
فَقُلْتُ ، وَقَدْ فَرَسَ النَّاطِرِينَ كَذَا يَفْعَلُ الْأَسَدُ ابْنُ الْأَسَدِ^(٣)

فلما عاد الجواب إلى أبي الفتح ، جعل الأبيات سورةً يدرسها ، ويحكم
للمتنبي بالفضل على أهل زمانه . . فقال أبو محمد بن أبي الثبات البغدادى :

لَوَارِدُ شِعْرِ كَذَوْبِ الْبَرَدِ أَتَانَا بِهِ خَاطِرٌ قَدْ جَعَدَ
فَأَقْبَلَ يَمُضُّهُ بَعْضُنَا وَهُمْ السَّنَانِيرُ أَكَلُ الْغُدِّ
وَقَالُوا : جَوَادٌ يَفُوقُ الْجِيَادَ وَيَسْبِقُ مِنْ عَفْوِهِ الْمَقْتَصِدُ
وَلَوْ وَلَّى النِّقْدَ أَمْثَالُهُ لَفُظْتُ خَفَافِيشُنَا تَنْتَقِدُ

٣٨٩

فاستخفَّ أبو الفتح به وجره برجله . ففارقهم وهاجر إلى أذربيجان ،
والأمير أبو سالم ديسم بن شادكويه^(٤) على الإمرة ، فأتصل به وحظى عنده
على غاية الإكرام .

(١) ش : « الى تطرفه »

(٢) ومثله عند البديعى ١ : ١٩٦ لكن عند العكبرى ١ : ٢٧٣ انه

اجاب بها ابن العميد

(٣) عند العكبرى : « وقد فرس الناطقين » .

(٤) ط : « شاركويه » .

وقال عضد الدولة : إن المتنبي كان جيد شعره بالعرب^(١) . فأخبر المتنبي به فقال : الشعر على قدر البقاع .

وكان عضد الدولة جالساً في البستان الزاهر يوم زينته ، وأكابر حواشيه وقوف ؛ فقال أبو القاسم عبد العزيز بن يوسف الحكاري : ما يُعوز مجلس مولانا سوى أحد الطائيين . فقال عضد الدولة : لو حضر المتنبي لتاب عنهما . فلما أقام مدة مقامه وسمع ديوان شعره ، ارتحل وسار بمرأه وظهوره وأثقاله وأحماله إلى أن نزل الجسر بالأهواز .

وأخبرنا أبو الحسن السوسي ، في دار الوقف بين السورين ، قال : كنت أتولى الأهواز من قبل المهلي ، وورد علينا المتنبي ونزل عن فرسه ومقوده بيده ، وفتح عيابه وصناديقه لبلبل مسها في الطريق ، وصارت الأرض كأنها مطارف منشورة^(٢) ؛ فحضرته أنا وقلت : قد أقت للشيخ نزلًا . فقال المتنبي : إن كان تم فآتيه^(٣) . ثم جاءه فأتك الأسدى بجمع وقال : قدم الشيخ في هذه الديار وشرفها بشعره ، والطريق بينه وبين دبرقته خشن قد احتوشته الصعالكه ؛ وبنو أسد يسرون في خدمته إلى أن يقطع هذه المسافة ويبر كل واحد منهم بثوب بياض . فقال المتنبي : ما أبق الله بيدي هذا الأدم وذباب الجراز الذي أنا متقلده ، فإني لا أفكر في مخلوق ! فقام فأتك ونفض ثوبه وجمع من رثوت الأعراب الذين يشربون دماء الحبيج حسواً ، سبعين رجلاً ورصد له ؛ فلما توسط المتنبي الطريق خرجوا عليه فقتلوا كل من كان في صحبته ، وحمل فأتك على المتنبي وطعنه في يساره ،

(١) ش : « بالغرب »

(٢) ش : « مطارد منشورة » صوابه في ط .

(٣) ط : « فهاته » ، ش : « فآته » .

ونكسه عن فرسه . وكان ابنه أفلت ، إلا أنه رجع يطلب دفاتر أبيه فقتل
خلفه الفرس أحدُهم وجزَّ رأسه ؛ وصبوا أمواله يتقاسمون بها بطرطورة .
وقال بعضُ من شاهده : إنه لم تكن فيه فروسية ، وإنما كان سيفُ
الدولة سلمه إلى النخاسين والرؤاضِ بحلب ، فاستجراً على الركض والخضر ؛
فأما استعمال السلاح فلم يكن من عمله .

وجملة القول فيه : أنه من حفاظ اللغة ورواة الشعر ، وكل ما في كلامه من
(الغريب المصنف) سوى حرف واحد هو في (كتاب الجمهرة) وهو قوله :
* يطوى المجلحة العُقد^(١) *

وأما الحكمُ عليه وعلى شعره : فهو سريع الهجوم على المعاني ، ونعتُ
الخليل والحرب من خصائصه ؛ وما كان يراد طبعه في شيء مما يسمح به ، يقبل
الساقط الردي كما يقبل النادر البدع . وفي متن شعره وفي ألفاظه تعقيد
وتعويض ، إلا أن كلامه مع بعض اختصار .

* * *

وأُشيد بعده ، وهو الشاهد الثاني والأربعون بعد المائة ، وهو من
شواهد س^(٢) :

١٤٢ (أَلَا أَضْحَتْ جِبَالُكُمْ رِمَامًا وَأُضْحَتْ مِنْكَ شَاسَعٌ أُمَامًا)

على أن ترخيم غير المنادى في الضرورة جائز ، سواء كان على تقدير

(١) الذي في ديوانه ١ : ٢٣٣ :

وامضى كما يمضى السنان لطيتى أو كما تطوى المجلحة العُقد

(٢) سيبويه ١ : ٣٤٣ ونوادير أبي زيد ٣١ والعيني ٤ : ٢٨٢ ،

٣٠٢ وابن السجري ١ : ٢/١٢٦ : ٧٩ ، ٩١ والانصاف ٣٥٣ وديوان

جربير ٥٠٢

الاستقلال — وهو لغة من لا ينتظر — أو على تية المحنوف — وهو لغة من ينتظر ، كما في هذا البيت .

فإنَّ (أماما) أصله أمانة ؛ فلما حذف الهاء أبقى الميم على حالها ، والألف للإطلاق ؛ فلو كان على تقدير الاستقلال بجعل ما قبل الآخر في حكم الآخر ، لضمَّ الميم رفعاً ، لأنه اسمٌ (أضحى) . و (شاسعة) أى بعيدة خبرها .
قال الأعلام الشنتمرى : « وكان المبرد يردّ هذا ، ويزعم أنّ الرواية فيه :
* وما عهدي كمهدك يا أماما^(١) *

٣٩٠

وأن نحارة بن عقيل بن بلال بن جرير أنشده هكذا . وسيبويه أوثق من أن يهتم فيما رواه » انتهى .

وقال أبو الحسن الأخفش في شرح نوادر أبي زيد الأنصاري : « العرب في الترخيم على لفتين : فمنهم من يقول إذا رنم حارثاً ونحوه : يا حار بكسر الراء وهو الأكثر ؛ فالتاء على هذه اللغة في النية ، فن فعل هذا لم يجز مثله في غير النداء إلا في الضرورة ؛ وأنشد سيبويه لجرير :
ألا أضحتُ حبالكم رِماما . . البيت

فأجراه في غير النداء لِمَّا اضطرَّ ، كما أجراه في النداء ؛ وهذا من أقبح الضرورات . . وأنشد [نا] المبرد هذا البيت عن نحارة :
* وما عهدي كمهدك يا أماما^(٢) *

على غير ضرورة . وأنشد سيبويه لعبد الرحمن بن حسان :

(١) الذي في شرح الأعلام : « وما عهد كمهدك يا أماما » . وان كانت رواية سيبويه تطابق رواية الرضى .
(٢) الذي في النوادر : « وما عهد كمهدك »

* من يفعل الحسناتِ اللهُ يشكرُها *

فحذف الفاء لما اضطرَّ .

وأخبرنا المبرد عن المازني عن الأصمعي : أنه أنشدم :

* من يفعل الخيرَ فالرحمنُ يشكرُه *

قال : فسألته عن الرواية الأولى ، فذكر أن النحويين صنعوها . ولهذا نظائر ليس هذا موضع شرحها .

ومنهم من يقول يا حارُّ بضم الراء ، فلا يمتدُّ بما حذف ويجريه مجرى زيد ؛ فحكم هذا في غير النداء كحكمه في النداء ؛ وعلى هذا أجرى قول ذى الرمة :

* ديار مية إذ « مى » تساعفنا^(١) *

وهذا كثير . وكلُّ ما جاءك ، مما حذف ، ففسده على ما ذكرت لك « اهـ » وفيه نظر فتأمل .

و (الرمام) قال الأعلم : جمع رميم ، وهو الخلق البالي ؛ يريد : أن حبال الوصل بينه وبين أمانة قد تقطعت للفراق الحادث بينهما . والصواب ما قاله النحاس : أن الرمام جمع رمة بالضم وهي القطعة البالية من الجبل .

وهذا البيت مطلع قصيدة لجرير بن الخطمي ؛ وبعده :

(يشقُّ بها المساقلَ موجداتٌ . وكلُّ عرندسٍ ينفي اللغاما)

والمساقل : جمع عسقل أو عسقول ، وهو السراب واضطرابه . يريد سيرها في القلوات راجعةً إلى محضرها ، بعد انقضاء زمن الانتجاع . ووم العيني فقال : « المساقل : ضربٌ من الكأمة » . وروى النحاس عن أبي

(١) ط : « يادارمية » ، صوابه في ش . وانظر النوادر ٣٢ .

الحسن الأخفش (يشقّ بها الأماعز) قال : يشقّ : يعلو ، وضميم بها لأمامة .
والأماعز : جمع أَمَعَزَ ومَعَزَاء ، بالعين المهملة والزاي المعجمة ، وهو الموضع
الصلب يخلطه طين وحصى صغار ؛ قال زهير :

يَشجُّ بها الأماعز وهي نهوى هوىّ الدلوّ أسلمها الرِشاء
والمُوَجِّدة ، بضم الميم وفتح الجيم : الناقة القوية المحكّمة ، قال في الصحاح :
« ناقة أجْدُ بضمّتين : إذا كانت قوية مؤثّقة الخلق ؛ ولا يقال للبعير أجْدُ
وآجدها الله ، فهي موجدة القرى أى مؤثّقة الظهر ؛ وبناء موجد ؛ والحمد لله
الذى آجَدَنِي بعد ضعف ، أى قوّاني » . والعرندس ، كسفرجل : الجمل
الشديد . واللغام ، بضم اللام وبعدها غين معجمة : ما يطرحه البعير من
الزَبَد لنشاطه .

وترجمة جرير تقدمت في الشاهد الرابع من أوائل الكتاب^(١) .

* * *

وأنشد بعده :

(كِلِينِي لَهْمَ يَا أُمَيْمَةَ ناصب و ليل أُنَاسِيهِ بَطِيء الكواكب)

٣٩١

تقدم شرحه قبل هذا بأربعة شواهد^(٢) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والأربعون بعد المائة ، وهو من
شواهدس^(٣) .

(١) انظر ص ٧٥ من الجزء الأول

(٢) انظر ص ٣٢١ من هذا الجزء

(٣) سيبويه ١ : ٣٣١ . وانظر الخزانة ٤ : ٦٤ والعيني ٤ : ٢٩٥
وابن يعيش ٧ : ٩١ والهمع ١ : ١١٩ ، ١٨٥ وشرح شواهد المغنى ٢٨٧
وديون القطامي ٣٧

١٤٣ (قَفِي قَبْلَ التَّفَرُّقِ يَا ضُبَّاعَا وَلَا يَكُ مَوْقِفُ مَنْكِ الْوَدَاعَا)
على أنه مرخمٌ (ضُبَاعَة) فحذفت الهاء للترخيم ؛ وألف الترخيم تغنى عنها .
قال الأعلم وغيره : الوقف عليها عوضاً من الهاء ؛ لأنهم إنما رنخوا ما فيه
الهاء ، ثم لما وقفوا عليه ردّوا الهاء للوقف ، فلما لم يمكنهم ردُّ الهاء ههنا ،
جعل الألف عوضاً منها على ما بيّنه سيبويه .

قال الدماميني في شرح التسهيل : « قد يقال : لا نسلم أن هذه الألف
عوض عن التاء المحذوفة ، بل هي ألف الاطلاق . وهذه المسألة لا يستدل
عليها بالشعر ، فإن ثبت في النثر مثل ذلك تمت الدعوى ، وإلا فلا » .

قوله (ولا يك موقف .. الخ) يحتمل وجهين : أحدهما أن يكون على
الطلب والرغبة ، كأنه قال : لا تجمل هذا للموقف آخر وداعى منك . والوجه
الآخر أن يكون على الدعاء ، كأنه قال : لا جعل الله موقفك هذا آخر الوداع .
كنا في شرح أبيات الجبل للخمى . ففيه حذف مضاف من الوداع ، وقدره
بعضهم : موقف وداع ، وهذا أحسن . وروى أبو الحسن الأخفش ، وهو سعيد
ابن مسعدة المجاشعي (في كتاب المعايه) :

* ولا يك موقفاً منك الوداعا *

وقال : « نصب موقفاً لأنه أراد : قفى موقفاً ، ولا يكن الوداعا . هذا
إنشاد بعضهم فيما ذكروا ؛ ورفع بعضهم موقفاً ؛ وهو أيديها » اهـ . وعليه فاسم
يك ضمير المصدر المفهوم من قفى ، كأنه قال : ولا يكن موقفك موقف الوداع .
وقوله : « ورفع بعضهم موقفاً .. الخ » هو للمشهور في الرواية ، لكن فيه
الإخبار بالمرقة عن النكرة . وسيأتى الكلام عليه ، إن شاء الله تعالى ،
في باب الأفعال الناقصة .

و (ضُبَاعَة) بنت زُفَر بن الحارث الآتي ذكره .

قال اللخمي : وفيه عطف العرب على المبنى ، لأنه عطف ولا يك ، وهو
معرب ، على قفى وهو مبنى ، وإنما سوَّغ ذلك وجودُ العامل وهي لا ، كقوله
تعالى : (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ ^(١))
ولو قلت : اقصدنى وأكرمك ، بالجزم على اللفظ ، لم يميز على مذهب
البصريين ؛ لأن اقصدنى فعل مبنى لا جازم له ، فلا يعطف على لفظه ؛
كما لا يجوز : هذه حذام وأختها — بالجرّ على لفظ حذام — فإن قلت :
اقصدنى فلا أحدثك ، فأدخلت لام الأمر ، جازت المسألة كما تقدّم في الآية ..
أقول : هذا ما يتعجب منه ؛ فإن العطف فيه إنما هو من عطف جملة على جملة ،
لا من عطف معرب على مبنى ؛ ولا حاجة إلى التطويل من غير طائل .. قال :
وفيه حذف النون من يكن تخفيفاً ، وسوَّغ ذلك كثرة الاستعمال ، أو للجزم
على مذهب أبي علي .

قصيدة الشاهد

وهذا البيت مطلع قصيدة للقطامي ، مدح بها زُفَر بن الحارث الكلابي .
وكان بنو أسد أحاطوا به في نواحي الجزيرة وأسروه يوم الخابور وأرادوا
قتله ، فحال زُفَر بينه وبينهم ، وحماه ومنعه ، وحمله وكساه ، وأعطاه مائة ناقة .
فمدحه بهذه القصيدة وغيرها ، وحضّ قيساً وتغلب على السلم . وبعد
هذا البيت :

(قفى فأدى أسيرك، إن قومي وقومك لا أرى لهم اجنباء
وكيف تجامع مع ما استحلّا من الحرم الكبار وما أضاعا
ألم يحزنك أن جبال قيس وتغلب قد تباينت انقطاعا

٣٩٢

يُطِيعُونَ الْعَوَاةَ ، وَكَانَ شَرًّا لِمُؤْتَمِرِ الْعَوَاةِ أَنْ يُطَاعَا
أَلَمْ يَحْزُنْكَ أَنْ ابْنِي نَزَارٍ أَسَالَا مِنْ دِمَائِهَا التِّلَاعَا)
إلى أن قال :

(أُمُورٌ لَوْ تَلَا فَاها حَلِيمٌ إِذَا لَنَهَى وَهَبَّ مَا اسْتَطَاعَا
وَلَكِنَّ الْأَدِيمَ إِذَا تَفَرَّى بَلَى وَتَعَيْنًا غَلَبَ الصَّنَاعَا^(١)
وَمَعْصِيَةُ الشَّفِيقِ عَلَيْكَ مِمَّا يَزِيدُكَ مَرَّةً مِنْهُ اسْتِماعَا
وَخَيْرُ الْأَمْرِ مَا اسْتَقْبَلَتْ مِنْهُ وَلَيْسَ بَأَنْ تَتَّبِعَهُ اتِّباعَا
كَذَاكَ ، وَمَا رَأَيْتُ النَّاسَ إِلَّا إِلَى مَا ضَرَّ غُلُوبَهُمْ سِراعَا
تَرَاهُمْ يَفْغِرُونَ مَنْ اسْتَرْكَوَا وَبِجَنْدِيٍّ مَنْ صَدَقَ الْمِصَاعَا)

وقوله : قفى فادى أسيرك ، خطاب لضباعة بنت زُفر ، لأنه كان عند والدها أسيراً . وللفائدة : أخذ الغدية من الأسير وإطلاقه . والحبال : المواصلات والعهود التي كانت بين قيس وتغلب . وتباينت : تفرقت . روى أن ضباعة لما سمعت قوله أَلَمْ يَحْزُنْكَ إلخ قالت : « بلى والله لقد حزننى » . وأحزننى وحزننى لغتان . والمؤتمر : الذى يرى العواية رأيا ، ويأمر بها نفسه . يقول هو : شرُّ للغاوى أن يُطاع فى غيِّه . وابننا نزار . ربيعة ومضر . والثَّلعة : مسيل من الارتفاع إلى بطن الوادى . وتلافاها : تداركها . وهبَّ بالقتل ، بموحدتين ، أى أمر به . وتفَرَّى : تشقق . [وتعين^(٢)] السَّقاء والمزادة : إذا رقت منهما مواضع وتغيَّت للخرق . والصَّنَاع ، بالفتح : الحاذقة بعمل اليدين . وقوله :

(١) ط : « وتعيبا » ، صوابه فى ش والديوان ٣٦ .

(٢) هذه التكملة من ش

ومعصية الشفيق . . الخ ، يقول : إذا عصيت الشفيقَ عليك ، الحريصَ على رشدك ، تبينتَ في عواقب أمرِكَ الزلل ، فزادكَ ذلك حرصاً على أن تقبل نصحه . وقوله : وخير الأمر ما استقبلت ، أى خير الأمر ما قد تدبرت أوله فعرّفت إلّامَ تنول عاقبته ، وشرّ ما ترك النظر في أوله ، وتنبّعت أواخره بالنظر . واستشهد به الزمخشري عند قوله تعالى : (فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ ^(١)) ، على أن تقبل بمعنى استقبل ، كتمجّله وتقصّاده بمعنى استعجله واستقصاه ، من استقبل الأمر : إذا أخذه بأوائله ، كما في البيت . وقوله : كذاك وما رأيت الناس . . الخ ، ودوى :

* إلى ما ضرَّ جاهلهم سِراعا *

أى يسارع الجاهلُ إلى ما يضره . وقوله : تراهم يغمزون . . الخ ، استركوا : استضعفوا ؛ والركيك : الضعيف . والمِصاع ، بالكسر : المجالدة بالسيف . يقول : يستضعفون الضعيفَ فيطعنون فيه . والغمز هنا : الإشارة بالعين والرأس .

و (القطامي) اسمه عُمر بن شَيْمٍ التغلبيّ : تغلب بن وائل . وعُمير مصغر عمرو ؛ وكذلك شَيْمٌ مصغر أشيم ، وهو الذى به شامة . ويقال شَيْمٌ بكسر الشين أيضاً ؛ وضبطه عيسى بن إبراهيم شارح أبيات الجمل : سُديم ، بسين مهملة مضمومة . وله لقبان أحدهما القطامي ، منقول من الصقر ، لأنّ الصقر يقال له قَطَامِيّ ، بفتح القاف وضمّها ؛ وهو مشتقّ من القطمّ بالتحريك ، وهو شهوة اللحم وشهوة النّكاح ؛ يقال فحل قَطِمْ : إذا هاج للضرب .

ترجمة القطامي

٣٩٣

وهو لقبٌ غلب عليه ، لقوله :

يَصُكُّهُنَّ جَانِبًا جَانِبًا صَكَ الْقَطَامِيُّ الْقَطَا الْقَوَارِبَا
واللقب الآخر « صريع الغواني » . قال النطاح : أول من سُمِّي صريع
الغواني ، القطاميُّ بقوله :

صريع غواني راقهنَّ ورُقنَه لَدُنْ شَبَّ حَتَّى شَابَ سَوْدُ الذَّوَابِ
أى صرعه جبهن حتى لا حراك به . والغواني : الشواب . وقال أبو عبيدة :
ذوات الأزواج غَنِينَّ بِأَزْوَاجِهِنَّ .

وصريع الغواني لقب « مسلم بن الوليد » أيضاً ، لقبه هارون الرشيد ، بقوله :
هل العيش إلا أن تروحَ مع الصُّبَا
وتغدو صريعَ الكأسِ والأعينِ النَّجْلِ
والقطامي كان نصرانياً فأسلم . وهو ابن أخت الأختل النصراني المشهور .
وعده الجحى في الطبقة الثانية من شعراء الإسلام . قال بعض علماء الشعر :
أحسنُ الناس ابتداءً في الجاهليَّة ، امرؤ القيس ، حيث يقول :
ألا عِمَّ صباحاً أيُّها الطللُ البالى وهل يعمَنُ مَنْ كان في العَصْرِ الخالى
وفى الإسلام ، القطاميُّ ، حيث يقول :

* إِنَّا مُحْيِيكَ فَاسْلَمْ أَيُّهَا الطَّلَلُ *

ومن المولدين ، بشار ، حيث يقول :

أبى طللُ بالجزع أن يتكلما وماذا عليه لو أجاب مُتِيماً

وذكر الأمدى في الموتلف والمختلف من يقال له القطامي ثلاثة : أولهم

هذا ؛ والثاني : القطاميُّ الضُّبُعِيُّ ، ضُبَيْعَةُ بْنُ رَبِيعَةَ بْنِ نَزَارٍ : أحد ولد القطاميون

كان الساهري^(١) و صاحب شراب ؛ ومن شعره :

أفرُّ إذا أصبحتُ من كلِّ عاذِلٍ فأمسى وقد هانتُ على العواذِلِ

وكان أبوه من أصحاب خالد القسري . والثالث القطامي الكلابي ، واسمه الحصين^(٢) ؛ وهو أبو الشرقي بن القطامي . شاعر محسن ؛ وهو القائل لما بلغه خبر يزيد بن المهلب :

لعلَّ عيني أن ترى يزيداً يقودُ جيشاً جفلاً رشيداً
ترى ذوى التاج له سُجوداً^(٣)

زفر بن الحارث وأما (زفر بن الحارث) فهو أبو الهذيل زفر بن الحارث بن عبد عمرو ابن مُعَاذ^(٤) بن يزيد بن عمرو بن الصَّعْتِ بن خُلَيْد بن نُفَيْل بن عمرو بن كِلَاب الكلابي .

كان كبير قيس في زمانه ، وفي الطبقة الأولى من التابعين ، من أهل الجزيرة . وكان من الأمراء . سمع عائشة ومعاوية . وشهد وقعة صفين مع معاوية أميراً على أهل قنسرين ؛ وشهد وقعة مرج راهط مع الضحَّاك بن قيس ، فلما قُتل الضحَّاك هرب إلى قرقيسا^(٥) ، ولم يزل متحصناً فيها حتى مات في خلافة عبد الملك بن مروان ، في بضع وسبعين .

(١) ذكره ابن دريد في الاشتقاق ٣١٦ وقال : « ومنهم الساهري ، وقد باد نسله . والساهري منسوب الى الساهرة ، وهي أرض بيضاء . »
وفي المؤلف ١٦٦ أنه الساهري بن وهب بن جلي بن أحمس .
(٢) في المؤلف : « الحصين بن حمال بن حبيب ، أحد بني عبدود ابن عوف بن كنانة بن بكر بن عوف » .
(٣) بين هذا الشطر وسابقه في المؤلف :

تسمع للأرض به وثيلاً لا برما هذا ولا حسوداً
(٤) في المؤلف ١٢٩ : « زفر بن الحارث بن معاف » . معان تصحيف

(٥) قرقيسا ، بالكسر ويقصر : بلد على الفرات ، كما في القاموس وقال : سمي بقرقيسا بن طهمورث . وجعله ياقوت : « قرقيسياء » بياء ثانية وبفتح القاف الأولى مع المد ، ثم قال : « ويقال بياء واحدة » .

وكان الضحّاك بن قيس ومعه النّعمان بن بشير الأنصاريّ يدعو في الشام لعبد الله بن الزّبير ، ومروان بن الحكم مع بني أميّة يدعو لنفسه ؛ فالتقى الفريقان في مرّج راهط ، وكان مع الضحّاك ستون ألف فارس ، ومع مروان ثلاثة عشر ألفاً . فقال عبيد الله بن زياد لمروان : إن فُرسان قيس مع الضحّاك ، فلا تنالُ منه إلّا بكيد ؛ فأرسل مروانُ إلى الضحّاك ، يسأله الموائعة حتّى نظر في المبايعة لابن الزبير ، فأجابه الضحّاك ، ووضع أصحابه سلاحهم ؛ فقال ابن زياد : دونك ؛ فشدّ مروان على الضحّاك ، فقتل الضحّاك والنّعمان ورجال قيس . ولما هرب زفر ، جاءته خيلُ مروان فقاتها وتحصّن ، وقال في ذلك :

أَرِيْنِي سِلَاحِي لَا أَبَالِكِ ، إِنِّي أَرَى الْحَرْبَ لَا تَزْدَادُ إِلَّا تَمَادِيَا ^(١)
أَتَانِي عَنْ مَرْوَانَ بِالْغَيْبِ أَنَّهُ مُقِيدٌ دَمِي أَوْ قَاطِعٌ مِنْ لِسَانِيَا
وَفِي الْعَيْسِ مَنَاجَاةٌ وَفِي الْأَرْضِ مَهْرَبٌ إِذَا نَحْنُ رَفَعْنَا هَرَبَ الْمَثَانِيَا ^(٢)
فَلَا تَحْسَبُونِي ، إِنْ تَغَيَّبْتُ غَافِلًا وَلَا تَفْرَحُوا ، إِنْ جِئْتُمْ بِلِقَائِيَا
فَقَدْ يَنْبُتُ الْمَرْعَى عَلَى دِمَنِ الثَّرَى لَهُ وَرَقٌ مِنْ تَحْتِهِ الشَّرُّ بَادِيَا
وَيَمْضَى وَلَا يَبْقَى عَلَى الْأَرْضِ دِمْنَةٌ وَتَبْقَى حَزَازَاتُ النُّفُوسِ كَمَا هِيَآ ؟ ^(٣)
وَيَذْهَبُ يَوْمٌ وَاحِدٌ إِنْ أَسَاتُهُ بِصَالِحِ أَيَّامِي وَحُسْنِ بِلَآئِيَا

* * *

وأُشيد بعده ، وهو الشاهد الرابع والأربعون بعد المائة ^(٤) :

(١) الأبيات في الطبري ٧ : ٤١ - ٤٢ في حوادث سنة ٦٥
(٢) سبق هذا البيت والذي قبله في ١ : ١٩١ بولاق منسوبين إلى جميل . ط : « لهن المباينا » ، صوابه في ش والرجعين السابقين
(٣) هذا البيت والذي قبله ركب صدر أولهما على عجز الثاني فصارا بينا واحدا عند الطبري هكذا :

فقد ينبت المرعى على دهن الثرى وتبقى حزازات النفوس كما هيا
(٤) انظر المخصص ١٥ : ١٢٢ واللسان (طرق ٨٨ كرا ٨٤) وأمثال الميداني ١ : ٣٩٥ والكامل ٢٦١

(أطرق كرا) ١٤٤

وهو صدر بيت وهو :

(أَطْرِقْ كَرَا أَطْرِقْ كَرَا إِنَّ النِّعَامَ فِي الْقُرَى)
على أن (الكرا) ذَكَرَ الكَرَوَانِ وليس مرَّحاً منه .

وهذا بيت من الرجز ؛ وهو مثل . وقد اختلف في قدره ، وفي معنى الكرا والكروان ، وفي معنى البيت :

أما (الأول) فقد أورده ابن الأنباري ، وابن ولاد ، وأبو علي القالي ، والجوهري في الصحاح ، والصاغاني في العباب ؛ كما ذكرنا ؛ وأورده المبرّد في الكامل ، والزخشرى في مستقصى الأمثال ، والشارح أيضاً في آخر بحث الترقيم هكذا : « أطرق كرا إِنَّ النِّعَامَ فِي الْقُرَى » بناء على أنه نثر لا نظم ، وصوابه أطرق كرا مرتين ، كما نبّه عليه ابن السّيد البطليوسي فيما كتبه على الكامل . وزاد الشارح هناك^(١) ، « ما إن أرى هنا كرا » ولم أر هذه الزيادة لغيره .

وأما (الثاني) : فالمشهور أن الكروان طائر طويل العنق والرجلين ، أغبر ، له صوت حسن ، وهو أكبر من الحمامة . وقال أبو حاتم في كتاب الطير : الكروان القَبَج^(٢) أي الحجل . وقيل : هو الحبّاري . وقال الزخشرى : هو ذكر الحبّاري . وقيل : هو الكرُكي . والكرا يكتب بالآلف . قال المبرّد : وهو مرخم الكروان وتبعه من جاء بعده . قال القالي :

(١) الرضى ١ : ١٤٦

(٢) ط : « الصيغ » ، صوابه فى ش مع أثر تصحيح . وهو معرب

« كبك » الفارسية .

الكرا: الكروان . وهو عند أهل النظر والتحقيق من أهل العربية ترخيم كروان . وإنما أراد الراجز : أطرق يا كروان ، فرخم .

وما قاله الشارح من أن الكرا ذكر الكروان ذكره صاحب القاموس أيضاً ، ونسبه ابن عقيل في شرح التسهيل إلى المبرّد . والظاهر من كلام ابن الأنباري وابن ولاد الترادف ، فإنهما قالوا : الكرا : الكروان . لا أنه مرخم منه . وكذلك قال الأعمش في شرح ديوان طرفة : إن الكروان طائريقال له الكرا أيضاً ، ومنه المثل أطرق كرا . الخ . وكذلك قال في أمثاله أبو فيد مؤرّج بن عمرو السدوسي : « إن كرا اسم ، وكروان اسم ، فإنهم قالوا : هو مثل مضبّر وضبارم ، وعيطاء وعيطموس ، وأهوج وهيجموس . وهو أشبه الأمرين ، لأنهم جمعوه فقالوا : كراً وكروان مثل فتى وفتيان ، قال طرفة :

لنا يوم وللكروان يوم تطير البائسات ولا تطير^(١)

فجمله جماعة الكرا ، ألا ترى [أنه^(٢)] قال : البائسات ؟ وكذلك تنشده العرب ولم ترم رتموا ثم جمعوا على الترخيم . وجمعوه على الكروان بالكسر ولم يقولوا : الكراوين والكروانات . انتهى

وعلى هذا يسقط منه شذوذان : الترخيم ، وتغييره ويبقى شذوذ واحد ، وهو حذف حرف النداء [مع اسم الجنس . ويدلّ على الترادف وعلى أنه ذكّره ورود الكرافي غير النداء^(٣)] .

أنشد ابن ولاد والزخشري للفرزدق قوله :

(١) هذا البيت هو الشاهد ١٥٢ .

(٢) تكملة يقتضيها الكلام .

(٣) هذه التكملة من ش

أَلَا لَآنَ لَمَّا عَضَّ نَابِي بِمَسْحَلِي وَأَطْرَقَ إِطْرَاقُ الْكِرَامَنِ أَحَارِبُهُ
وقال آخر :

إِذَا رَأَى كُلُّ بَكْرَى بَكِيْ أَطْرَقَ فِي الْبَيْتِ كِإِطْرَاقِ الْكِرَا

وأما معناه فقد قال ابن الأنباري والقالبي : معنى البيت : أغض فإن
الأعزاء في القرى ، والكروان طائر ذليل يقول : ما دام عزيزٌ موجوداً ،
فيا لك أيها الذليل أن تنطق . ضربه مثلاً .

وقال الشارح المحقق في آخر بحث النداء : « هو رُقية يصيدون بها الكرا
فيسكن ويُطرق حتى يصاد » . وهو في هذا تابع للزخشرى فإنه قال : « يقال
للكروان ذلك إذا أريد اصطياده . أي تطأطأ واخفيض عنقك للصيد ، فإن
أكبر منك وأطول أعناقاً ، وهي النعام ، قد صيدت وحملت من الدؤ إلى
القرى . يضرب لمن تكبر وقد تواضع من هو أشرف منه . ومثله لصاحب
القاموس ، فإنه قال : « وأطرق كرا ، يضرب لمن يخدع بكلام . يُلَطَّفُ له ويراد
به الغائلة » .

وقال ابن الحاجب في الإيضاح : وأطرق كرا مثل لمن يتكلم وبمحضرته
أولى منه بذلك : كأن أصله خطابٌ للكروان بالإطراق لوجود النعام ؛ ولذلك
يقال إنَّ تمامه :

... أَطْرَقَ كِرَا إِنَّ النِّعَامَ فِي الْقُرَى

ويقال إنَّ الكروان يخاف من النعام .

ومثله في العباب للصاغاني فإنه قال : وأطرق : أرخى عينه ينظر إلى الأرض ؛
وفي المثل : أطرق كرا . . البيت . يضرب للمعجب بنفسه ، والذي ليس عنده
غناء ويتكلم ، فيقال : اسكت وتوق انتشاراً ما تلفظ به ؛ كراهية ما يتعقبه .

وقولهم : إن النعام في القرى أى تأتيك فتدوسك بمناسمها . ويقال أيضاً :
أطرق كرا يجلب لك^(١) يضرب للأحق في تمنيه الباطل فيصدق .
وقال الأعمى الشنتمري في شرح الأشعار السنة : يضرب للرجل يظن أنك
محتاج إليه ، فتقول له : اسكن فقد أمكنى من هو أنبل منك وأرفع .
والنعام إنما يكون في القفار ، فإذا كان بالقرى فقد أمكن . انتهى

(تمة)

كروان يجمع على كراوين كورشان يجمع على وراشين ، وقالوا يجمع أيضاً
على غير قياس على كروان بكسر الكاف وسكون الراء كما يجمع ورشان على
ورشان ، وهو جمع بحذف الزوائد . كأنهم جمعوا كرا مثل أخ وإخوان .
قال ابن جني في الخصائص : وذلك أنك لما حذفت ألفه وثونه بقي معك
كوؤ ، فقلبت واوه ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها طرَقاً ، فصارت كرا ،
ثم كسرت كرا على كروان كسبت وشبان ، وخرب وخربان . وعليه قولهم
في المثل : أطرق كرا ، إنما هو عندنا ترخيم كروان على قولهم يا حار ،
بالضم . قالوا : والألف في كروان إنما هي بدل من الألف المبذلة من
واو كروان . انتهى

وزعم الرياشي أن الكروان والكروان للواحد ، وكذلك ورشان
وورشان . ويرده قول ذى الرمة :

من آل أبي موسى ، ترى الناس حوله كأنهم الكروان أبصرن بازيا

* * *

وأنشده بعده ، وهو الشاهد الخامس والأربعون بعد المائة ، وهو
من شواهدس (٢) :

(١) الذى فى الميدانى : « يحلب » بالحاء المهملة

(٢) . سيبويه ١ : ٣٣٥ ، ٣٣٦ وابن الشجرى ٢ : ٨١

١٤٥ (فقالوا تعال يا يزى بن مُحَرَّمٍ . فقلتُ لهم : إني حليفُ صدائ^(١))
على أنَّ المرخم يجوز وصفه إلّا عند الفراء وابن السراج ، أراد الشاعر :
يا يزيد بن مُحَرَّم .

وعند سيبويه حذف الدال للترخيم ، والياء لالتقاء الساكنين . وقال
الفراء : كلاهما حذف للترخيم . فإنّ مذهبه حذف الساكن مع الآخر في الترخيم ،
فيقول فيمن اسمه قِمَطْر ياقِم ، كذا في الإيضاح لابن الحاجب .

قال الشاطبي في شرح الألفيّة : شرط المؤنث بالناء المرخم أن لا يكون
موصوفاً ، لأن الترخيم حذف آخر الاسم للعلم به ، والصفة بيان للموصوف لعدم
العلم به ، فهما متدافعان . ولذلك قال سيبويه في قوله :

* إنك يا معاو ، يا ابنَ الأَفْضَل (٢) *

إنه ترخيم بعد ترخيم . وقد نصّ على هذا الرماني ، وتبعه ابن خروف ،
وقال في البيت : لا يصلح فيه النعت ، لأنه منادى مرثم ، فهو في نهاية
التعريف ، فنعته بعيد . فعلى هذا يكون قول يزيد بن مُحَرَّم - وأنشد سيبويه - :
فقلتُم تعال يا يزى بن مُحَرَّم . . البيت

شاذاً . ويجرى مجرى النعت على هذا التقدير التوابع كلّها : من العطف
البياني والتوكيد ، إلّا البديل ففيه بحث ، وإلّا العطف النسقي فإن كل واحد
منهما ، أعنى من المعطوف والمعطوف عليه ، مستقلّ بالعامل من جهة المعنى .
وفيه نظر أيضاً . انتهى

(١) وكذا عند ابن السجري . وفي سيبويه : « مُحَرَّم »

(٢) سيبويه ١ : ٣٣٤ والخصائص ٣ : ٢١٦ والهمع ١ : ١٨٤
وديوان العجاج ٤٨ . ورواية الديوان :

* انك يا يزيد يا بن الأَفْضَل *

ثم قال : وهذا الشرط منازع فيه . وأجاب الشلّوبين بأنه قد يتوجه العلم المشترط في الترخيم على الاسم ، وعدم العلم على المسئى ، فلا يتدافعان . وأما بيت سيبويه فله إغرابٌ من سيبويه ، إذ كان الوجه الآخر لا غرابة فيه ؛ أو لعله اختيار منه لذلك الوجه ؛ لأنه موضع مدح ، فتكرير النداء فيه أخف من الإتيان به وصفاً . هذا ما قال ؛ ويقويه أن سيبويه أنشد :

* فقلتم تعال يا يزي بن مخرم *

على أنه ليس من الشاذ ، بل على أنه من الجائز باطلاق ، وهو مع ترخيم الهاء أجود ، ومثله قول امرئ القيس :

* أحار بن عمر وكأني خير *

وهذا الشاهد دال على جواز ترخيم الموصوف من باب الأولى ، لأنه من الموصوف يابن ؛ وتقرّر في الكلام صيرورة ابن مع الموصوف في حكم المركب ، بدليل حذف التنوين . فإن كان هذا يجوز ترخيمه ، فمن باب أولى جواز ترخيم نحو : يا طلحة الفاضل ، يا حارث الفاضل ؛ فتقول : يا طلح الفاضل ويا حار الفاضل . وكذلك المعطوف والمؤكد والمبدل منه . انتهى

و (مخرم) بضم الميم وفتح الخاء المعجمة وكسر الراء المشددة^(١) .

و (يزيد بن المخرم) من أشرف بني الحارث من أهل اليمن . والمخرم هو ابن شريم بن المخرم بن حزن بن زياد بن الحارث بن مالك بن ربيعة بن كعب ابن الحارث .

وكان يزيد بن المخرم ممن جاء مع عبد يغوث الحارثي في يوم الكلاب

(١) أنظر ما سبق في ص ٣٧٨ حاشية : ١ من هذا الجزء .

الثاني (وقد مضى شرحه في الشاهد الخامس والستين ^(١)) ، وقتل يزيد ابن المحرم في ذلك اليوم مع يزيد بن عبد المدان ويزيد بن الهوهر ^(٢) . وأسير عبد يغوث (كما تليهم شرحه) . ولما وقعت الهزيمة عليهم ، جعل رجل من بني تميم يقول :

يَا قَوْمَ لَا يُفْلِتْكُمْ الْيَزِيدَانُ يَزِيدَ حَزَنَ وَيَزِيدَ الدِّيَانَ

ويروى : مَحْرُماً أَعْنَى بِهِ وَالِدَيَّانِ ^(٣)

وصدء بضم الصاد وفتح الدال المهملتين وبالمد : حَى مِنْ الْيَمِينِ ، مِنْهُمْ زِيَادُ بْنُ الْحَارِثِ الصَّدَائِيّ الصَّحَابِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

والخليف : المحالف والمعاهد . وروى البيت هكذا :

(قَلْتُمْ نَعَالَ يَا يَزِيدُ بْنُ مَحْرَمٍ قَلْتُمْ لَكُمْ : إِنِّي حَلِيفُ صُدَاءِ)

وهو من أبيات ليزيد بن المحرم المذكور آنفا .

* * *

وَأَنشُدْ بَعْدَهُ : كَلِّبْنِي لَهُمْ يَا أُمِيمة نَاصِبِ ^(٤)

وتقدم شرحه قبل هذا بثمانية شواهد ^(٥)

* * *

(١) الجزء الأول ص ٤١٠/٤١١ وما بعدها

(٢) ش : « ويزيد هو ابن الهوهر » ، صوابه في ط

(٣) انظر رواية الرجز فيما سبق ، وكذا في الأغاني ١٥ : ٧٠

(٤) ط : « يا أمية » ، صوابه في ش

(٥) ص ٣٢١ من هذا الجزء .

وأُشَدَّ بعده ، وهو الشاهد السادس والأربعون بعد المائة ، وهو من شواهدس^(١) :

١٤٦ (عَجِبْتُ لِمَوْلُودٍ وَلَيْسَ لَهُ أَبٌ وَذِي وَلَدٍ لَمْ يَلِدْهُ أَبَوَانِ)
على أن سيبويه استشهد به في ترخيم أسحار^(٢) في أَنَّكَ تَحْرَكُ بِأَقْرَبِ
الحركات إليها ، وكذا تقول : انْطَلَقَ إِلَيْهِ ، في الأمر ؛ تَسْكُنُ اللام فتبقى
ساكنة والقاف ساكنة ، فتحرَّك القاف بأقرب الحركات إليها وهي حركة الطاء .
قال أبو جعفر النحاس : « فَإِنْ قِيلَ : فَقَدْ جِئْتَ بِحَرَكَةِ مَوْضِعِ حَرَكَةِ ،
فَمَا الْقَائِدَةُ فِي ذَلِكَ ؟ فَالْجَوَابُ : أَنَّ الْحَرَكَةَ الْمَحْدُوفَةَ كَسْرَةً » انتهى . أَى فَالْفَتْحَةُ
أَخْفَ مِنْهَا . فَاصِلُ (يَلِدْهُ) بِكسر اللام وسكون الدال للجزم ، فَسَكَنَ
المكسور تخفيفاً ، فخرَّكت الدال دفماً لالتقاء الساكنين بحركة ، وهي أقرب
الحركات إليها ، وهي الفتحه ؛ لِأَنَّ السَّاكِنَ غَيْرَ حَاجِزٍ حَصِينٍ^(٣) . قَالَ
الْمُبَرِّدُ فِي السَّكَمِلِ : كُلُّ مَكْسُورٍ أَوْ مَضْمُومٍ ، إِذَا لَمْ يَكُنْ مِنْ حَرَكَاتِ الْإِعْرَابِ ،
يَجُوزُ فِيهِ التَّسْكِينُ . وَأُشَدَّ هَذَا الْبَيْتَ وَقَالَ : لَا يَجُوزُ ذَلِكَ فِي الْمَفْتُوحِ خَلْفَةً
الْفَتْحَةِ . انتهى

ووقع هذا البيت في رواية سيبويه :

(أَلَا رَبَّ مَوْلُودٍ وَلَيْسَ لَهُ أَبٌ)

وكذا أورده ابن هشام في معنى اللبيب شاهداً على أن رب تأتي بقله لإنشاء

(١) سيبويه ١ : ٣٤١ و ٢ : ٢٥٨ . وانظر العيني ٣٠ : ٣٥٤
والخصائص ٢ : ٣٣٣ وابن يعيش ٤ : ٩/٤٨ ، ١٢٣ ، ١٢٦ ، والهمع ١ :
٢/٥٤ : ٢٦ وشرح شواهد المغني ١٣٦

(٢) ط : « استحار » ، صوابه في ش وسيبويه وشرح الرضي ١ :
١٤٠ . وفي القاموس . الإِسْحَارَةُ ، والإِسْحَارُ ، ويفتح والسَّحَارُ : بقله
تسكن المال

(٣) الوجه « حاجز غير حصين » .

التقليل ، كهذا البيت ، وفي الأكثر أنها لا إنشاء التكثر . وكذا أورده غيره .
ولا تلتفت إلى قول ابن هشام اللخمي مع رواية سيبويه : « الصواب عجبت
لمولود » . لأن الروایتين صحيحتان ثابتتان .

ونسبه شرّاح أبيات سيبويه لرجل من أزد السّراة . وبعده :

(وذى شامة سوداء في حُجْروجه مَحْلَدَةٌ لا تنقضى لأوانٍ
ويكمل في خمسٍ وتسعٍ شبابه ويهرم في سبعٍ معا وثمان)

وعلى هذه الرواية لا وصف لمجرور ربّ ، لأنه لا يلزم وصفه عند سيبويه
ومن تبعه . فجملة (وليس له أب) حال من مولود ؛ والعامل محذوف ، وهو
جواب ربّ ، تقديره : يُوجد ونحوه . والتزم المبرد وتابعوه وصف مجرورها ؛
فتكون الجملة صفة له ، والواو هي الواو التي سماها الزمخشريّ واو اللصوق ،
أى لصوق الصفة بالموصوف ، وجعل من ذلك قوله تعالى : (وما أَهْلَكُنَا
مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ ^(١)) . و (ذى ولد) معطوف على (مولود) .
وأراد بالأوّل عيسى بن مريم ، والثاني آدم أبالبشر عليهما السلام ، قال أبو على
الفارسيّ : إن عمرّاً الجنبيّ سأل امرأ القيس عن مراد الشاعر ، فأجابه بهذا
الجواب — وجنب بفتح الجيم وسكون النون : قبيلة في اليمن ؛ وعمرّو هذا
منسوب إليها — وقيل : أراد بذى الولد البيضة ، وقيل : أراد به القوس
وولدها السهم لم يلدّه أبوان ، لأنه لا تتخذ القوسُ إلّا من شجرة واحدة
مخصوصة . وهذان القولان من الخرافات ؛ فإن البيضة متولّدة من أنثى وذكر ،
والقوس لا تتّصف بالولادة حقيقة ؛ وإن أراد بها التولّد وهو حصول شيء
من شيء فليست مما ينسب إليه الوالدان .

٣٩٨

وأراد بذى شامة: القمر، فإنه ذو شامة، وهى المسحة التى فيه، يقال: إنهما من أثر جناح جبريل عليه السلام لما مسح به والشامة: علامة مخالفة لسائر البدن؛ والخال هى النكته السوداء فيه. وأراد بكال شبابه فى خمس وتسع، صيرورته بداراً فى الليلة الرابعة عشرة، لأنه حينئذ فى غاية اليأس والضياء، كما أن الشاب فى غاية قوته وحسن منظره فى عنفوان شبابه. وأراد بهرمه ذهاب نوره وتقصان ذاته فى الليلة التاسعة والعشرين، فإن السبعة والثمانية، وهى خمسة عشر، إذا انضمت مع الخمسة والتسعة، المتقدمة، وهى أربعة عشر، صارت تسعة وعشرين. وهذا الضم استفيد من قوله: معا. وروى: (مضت) بدلَ معا. وروى بعضهم: (وذى شامة غراء) أى بيضاء؛ وهذا غير مناسب. وحرّ الشئ: خالعه؛ وحرّ الوجه: ما بدا من الوجنة، أو ما أقبل عليك منه، أو اعتق موضع فيه. ومخلدة بالخاء المعجمة والدال، أى باقية؛ وهو بالجرّ صفة لشامة، وبالنصب حال منها للمسوِّغ. وروى بعضهم: (مجللة) اسم فاعل من التجليل، بجيم ولا مين وهو التغطية. وهذا أيضاً غير مناسب. وفسرها بعضهم بذات العز والجلال. وروى أيضاً: (مجلحة) بتقديم الجيم على الخاء المهملة؛ وفسره بمنكسفة وهذا كله من ضيق العطن: لا الرواية لها أصل، ولا هذا التفسير ثابت فى اللغة. واللام فى قوله: لأوان، بمعنى فى، كقوله تعالى: (وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ^(١))، وقولهم: مضى لسبيله؛ أو بمعنى عند، كقولهم: كتبه لحسّ خلون؛ أو بمعنى، بعد كقوله تعالى: (أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِ الشَّمْسِ^(٢)). قال البيضاوى، فى قوله تعالى: (لَا يُجَلِّئُهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ^(٣)): لا يظهر أمرها فى وقتها. والمعنى:

(١) الآية ٤٧ من سورة الأنبياء .

(٢) الآية ٧٨ من سورة الاسراء .

(٣) الآية ١٨٧ من سورة الاعراف .

أن الخفاء بها استمرّ على غيره إلى وقت وقوعها . واللام للتأقيت كاللام في قوله تعالى : (لَوْلَاكَ الشَّمْسُ) . وقال العيني : « هي للوقت . ولا يقال : هذا إضافة الشيء إلى نفسه ؛ لأنّ المعنى لوقتٍ وُقت ، لأن التغاير في اللفظ كافٍ في دفع ذلك » . انتهى . فتأمل . وروى : (لا تنجلي لزمان) . وذكر العدد في الجميع ، لأنه باعتبار الليالي . وجملة يَكْمُل ، من الفعل وضميره المستتر ، معطوف على جملة لا تنقضى . ولا يضرّ تخالفهما نفيّاً وإثباتاً .

و (أزد السّراة) : حى من اليمين . والأزد اسمه دِرْهَمٌ ^(١) ، بكسر الدال وسكون الراء المهملتين وبالهمز . والأسد لغة في الأزد ؛ بل قيل : السين أفصح من الزاي ^(٢) . والأزد : ابنُ الفوث بن نَبْت بن مالك بن أَدَد بن زيد بن كهلان بن سَبَأ بن يَشْجُب بن يعرُب بن قَحْطَان . . والفوث بفتح الفين المعجمة والثاء المثلثة ^(٣) ونَبْتُ : بفتح النون وسكون الموحدة وبالثاء المثناة . وأَدَد : بضم الهمزة وفتح الدال الأولى . وسبأ : بفتح السين المهملة وفتح الموحدة والهمزة ^(٤) . ويشجب : بفتح المثناة التحتية وسكون الشين المعجمة وضم الجيم وبالباء الموحدة . ويعرب بفتح المثناة التحتية وسكون العين المهملة وضم الراء المهملة وبالباء الموحدة . كذا في جامع الأصول لابن الأثير ، وغيره من كتب الأنساب .

(والسراة) بفتح السين المهملة هو أعظم جبال العرب . روى أبو عبيد

(١) في نهاية الأرب ٢ : ٣١١ : « وأما الأزد بن الفوث ، واسمه دراء مثل رداء ، وقيل : دره مثل درع ٠٠ » . وهذا نص نادر

(٢) انظر الصحاح (أزد) والاشتقاق ٤٣٥

(٣) أى وبالثاء المثلثة .

(٤) أى وبالهزمة . معجم البكري ٩ :

البكرى فى معجم ما استمع بسنده إلى سعيد بن المسيب : أنه قال : لما خلق الله عز وجل الأرض ، مادت بأهلها ؛ فضرى بها هذا الجبل يعنى السراة فاطمأنت . قال أبو عبيد : وطول السراة : ما بين ذات عرق إلى حد نجران اليمن . وبيت المقدس فى غربى طولها . وعرضها ما بين البحر إلى الشرف . فصار ما خلف هذا الجبل فى غربيه إلى أسياف البحر من بلاد الأشعريين ^(١) وعك وكنانة ^(٢) إلى ذات عرق والجحفة ، وما والاها وصاحبها وغار من أرضها الغور : غور تهامة ، وتهامة تجمع ذلك كله . وغور الشام لا يدخل فى ذلك . وصار ما دون ذلك فى شرقيه من الصحارى إلى أطراف العراق والسماوة وما يليها نجداً ؛ ونجد يجمع ذلك كله . وصار الجبل نفسه سراته وهو الحجاز . وما احتجز به فى شرقيه من الجبال وانحاز إلى ناحية قيد [والجبلين إلى المدينة ومن بلاد منحج تثليث . وما دونها إلى ناحية قيد ^(٣)] فذلك كله حجاز . وصارت بلاد اليمامة والبحرين وما والاها ^(٤) : القروض ، وفيها نجد وغور ، لقربها من البحر وانخفاض مواضع منها ومسايل أودية فيها ، والقروض يجمع ذلك كله . وصار ما خلف تثليث وما قاربها ، إلى صنعاء وما والاها من البلاد ، إلى حضرموت والشحر وعُمان ، وما بينها اليمن ؛ وفيها التهام والنجد ؛ واليمن يجمع ذلك كله . وذات عرق فصل ما بين تهامة ونجد والحجاز . وقيل لأهل ذات عرق : أمثهمون أتم أم منجدون ؟ قالوا لا متهمون ولا منجدون . انتهى كلام أبي عبيد .

وقال ابن مكرم فى لسان العرب : « السراة جبل بناحية الطائف . قال

(١) فى النسختين ، وكذا أصل معجم البكرى ٩ : « إلى أسياف الحرمين بلاد الأشعريين ، صوابه فى معجم ياقوت .

(٢) فى النسختين : « عك وكنانة » ، صوابه من معجم البكرى ٩ .

(٣) التكملة من معجم البكرى .

(٤) فى معجم البكرى : « وما والاها » .

ابن السكيت : الطود : الجبل المشرف على عرقة ينقاد إلى صنعاء يقال لها السراة فأوله سراة ثقيف ، ثم سراة فهم وعدوان ثم الأزد . انتهى

قال ابن عبد البر في مقدمة الاستيعاب ^(١) : الأزد جرثومة من جرائم قحطان وافترقت فيما ذكر أبو عبيدة ^(٢) وغيره من علماء النسب على نحو سبع وعشرين قبيلة . . ثم ذكرها . . ويقال لبعض منهم : أزد السراة ، وهو من أقام منهم عند جبل السراة . ولبعض آخر : أزد عُمان ، بضم العين المهملة وتخفيف الميم ، وهو بلد على شاطئ البحر ، بين البصرة وعدن ، أضيفوا إليه لسكنائهم فيه . ولبعض آخر : أزد غسان بفتح الغين المعجمة وتشديد السين المهملة ، وهو اسم ماء بين زبيد ورمع — وهما واديان للأشعرين — فمن شرب منه منهم سُمي أزد غسان — وهم أربع قبائل — ومن لم يشرب منه لا يقال له ذلك ، قال حسان بن ثابت رضى الله عنه :

إِذَا سَأَلْتَ فَإِنَّا مَعَشَرٌ نُحِبُّ الْأَزْدَ نِسْبَتَنَا ، وَالْمَاءَ غَسَّانُ ^(٣)

ومنهم من يقال له أزد شنوءة — على وزن فعولة — وهو اسم أبيهم ، سُمي به لَسَنَانٌ وقع بينهم . واسمه الحارث — وقيل : عبد الله — بن كعب ابن مالك بن نصر ^(٤) بن الأزد . قال في الصحاح « أزد أبوحى من اليمن . يقال أزد شنوءة وأزد عُمان وأزد السراة . قال النجاشي :

وَكُنْتُ كَذَى رَجُلَيْنِ : رَجُلٌ مَحْبِيحَةٌ وَرَجُلٌ بِهَا رَيْبٌ مِنَ الْخَدَّائِنِ

(١) كذا . ولم أجد للأزد ذكرا في مقدمة الاستيعاب . وانظر تاج

العروس (أزد)

(٢) في ط : « ابن عبدة » . صوابه في ش وتاج العروس

(٣) ديوان حسان ٤١٣ والسيرة ٦ .

(٤) ط : « النصر » ، صوابه في ش وجمهرة ابن حزم ٣٧٦ ونهاية

الأرب ٢ : ٣١٢

فَأَمَّا الَّتِي صَحَّتْ فَأَزْدُ شَنْوَةَ وَأَمَّا الَّتِي شَلَّتْ^(١) فَأَزْدُ عُمانِ

ورأيت في (لللحقات) التي ألحقها صاحب المختصر، الذي اختصره من جمهرة الأنساب لابن السكبي، بعد أن نقل كلام الصحاح ما نصه: «لم أجد في الجمهرة. لابن حديد لذلك ذكراً؛ بل رأيت في المعجالة في النسب أن شنوءة اسمه الحارث وقيل عبد الله. فقلوه: إنه الحارث، أقرب إلى الصواب. فالحارث هو الذي ولد هذه البطون والقبائل، من دوس ونصر وغامد وماسخة وغيرهم. وأهل عُمان الآن يقولون: إنهم شَنْوَةُ؛ وهم من دوس ثم من مالك ابن فهم بن غنم بن دوس. وهذا الذي ظهر من صحة ذلك، يبطل تقسيم الشاعر في هذا البيت، وقوله إنَّ أزدَ عُمان غير أزدَ شَنْوَةَ، وقول الجوهري: يقال أزدَ شَنْوَةَ وأزدَ عُمان وأزدَ السَّراة، إنَّ أراد به التقسيم على ثلاث قبائل ففاسد، وذلك: أن أزدَ السراة أيضاً من أزدَ شَنْوَةَ فيهم من يذكر؛ وهم ثُمالة، تحلّ بلباً بالسَّراة اسمه قوسى؛ ودوس، منهم مُنْهَب بن دوس بالسراة. والأقرب أن يقال: إن هذا كتمولم غسان والأنصار وخزاعة؛ وكلهم غسان؛ وإِثْمًا تجدد للأَنْصار وخزاعة هذان الوصفان، فبقيت تسمية غسان للشاميين. ١٥

* * *

وَأُنْشِدْ بَعْدَهُ، وَهُوَ الشَّاهِدُ السَّابِعُ وَالْأَرْبَعُونَ بَعْدَ الْمِائَةِ^(٢):

١٤٧ (يَا مَرْحَبًا بِحِمَارِ نَاجِيَةٍ)

(١) ش: «خلت»، تحريف، صوابه في ط ونوادير أبي زيد ١٠

وحماسة ابن الشجري ٣٣

(٢) الحصائص ٢: ٣٥٨ والمنصف ٣: ١٤٢ وابن يعيش ٩:

٤٦، ٤٧ والهمع ٢: ١٥٧

على أن هاء السكت الواقعة بعد الألف ، يضمها بعض العرب ويفتحها في حالة الوصل ، في الشعر .

قال ابن جني في باب الحكم يقف بين الحكمين من الخصائص : « ومن ذلك بيت الكتاب :

* له زجلٌ كأنه صوتٌ حادٍ^(١) *

فحذف الواو من كأنه ، لا على حدّ الوقف ، ولا على حدّ الوصل ؛ أما الوقف فيقتضي بالسكون : كأنه ، وأما الوصل فيقتضي بالمطل وتتمكين الواو : كأنه^(٢) فقوله إذن : كأنه ، منزلة بين الوصل والوقف . وكذلك أيضا قوله :

يا مرجاهَ بحمارٍ ناجيةٍ إذا أتى قربته للسانية

فتبأت الهاء في مرجاه ليس على حدّ الوقف ولا على حدّ الوصل ، أما الوقف فيؤذن بإتائها ما كنة ، وأما الوصل فيؤذن بحذفها أصلا ، فتبأتها في الوصل متحرّكة منزلة بين المنزلتين « ا هـ

وقوله : (يا مرجاه) المنادى محذوف ؛ ومرجبا مصدر منصوب بعامل محذوف ، أي صادف رجبا وسمة . حذف تنوينه لنية الوقف ، ثم بعد أن وصل به هاء السكت عن له الوصل فوصل . و (الحمار) مذكر ، والأنتى أتان ؛ وحجارة بالهاء نادر ، وهو مضاف إلى ناجية . و (ناجية) بالنون والجيم : اسم

(١) في النسختين : « صوت حمار » ، صوابه من سيبويه ١ : ١١ والخصائص ١ : ٢/١٢٧ ، ١٧ ، ٣٥٨ والانصاف ٥١٦ وديوان الشماخ . ٣٦

(٢) في النسختين : « كأنه » ، والأوفق في الرسم ما أثبت عن الخصائص .

شخص ؛ وبنو ناجية قوم من العرب ؛ وناجية : ماء لبنى أسد ، وموضع
 ٤٠١ بالبصرة ؛ والناجية : الناقة السريعة ، وليست بمرادٍ هنا . والباء متعلّقة بقوله
 مرحبا . والسانية : الدلو العظيمة وأداتها ، والناقة التي يُسنى عليها ، أى يستقى
 عليها من البئر . وفي المثل : « سَبَرُ السَّوَانِي سَفَرٌ لَا يَنْقُطِع » . يقال : سَنَتِ
 الناقة تسنو سنّاة وسنّاية : إذا سقت الأرض ؛ والسَّحابة تسنو الأرض والقوم
 يسنون لأنفسهم : إذا استقوا ، والأرض مَسْنُوءة ومسْنِيَّة بالواو والياء . وأراد
 بتقريب الحمار للسانية : أن يُسقى عليه من البئر بالدلو العظيمة .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والأربعون بعد المائة ، وهو
 من شواهد س^(١) :

١٤٨ (فِى لَجَّةٍ أَمْسَكُ فَلَانًا عَنْ قُلِّ)

على أن (قُلًّا) مما يختصّ بالنداء ، وقد استعمله الشاعر فى الضرورة
 غير منادى .

قال صاحب اللباب : ووزنه فَعْلٌ تقديرًا ، والذاهب منه الواو ، فيكون
 أصله قُلُّو كَفُسَقْ فذهبت الواو تخفيفًا . وذلك لأنَّ الاسمَ المتكَّن لا يكون
 على حرفين ، فلا بدَّ من تقدير حرف ثالث ، وحرفُ العِلَّةِ أولى لكثرة
 دوره ، والواو أولى لأنَّ بناتِ الواو أكثر .

(١) سيبويه ١ : ٢/٢٣٣ : ١٢٢ والعينى ٤ : ٢٢٨ وابن الشجرى
 ١٠١ : ٢ وشرح شواهد المغنى ١٥٤ والسمط ٢٥٧ واللسان (لجج ١٧٩
 فلن ٢٠٢)

أرجوزة الشاهد وهذا البيت من أرجوزة طويلة لأبي النجم العجلي^(١) ، وصف فيها أشياء كثيرة . أولها :

(الحمد لله العليُّ الأجلُّ الواسع الفضلِ الوهوبِ المجزلِ
أعطى فلم يبخل ولم يبخل كَوْمَ الذرى من حَوْلِ الخوَلِ
تبَقَّلَتْ مِنْ أولِ التَّبَقُّلِ بين رِمَاحَى مالِكٍ وهَشَلِ
يدفعُ عنها العزُّ جهلَ الجملِ)

إلى أن قال :

(وقد جعلنا في وَضِينِ الأحبَلِ جَوَرَ خُفَافٍ قلبه ، مُثْقَلِ
أُخْزِمَ ، لا تُوقِي ولا حَزَنَبَلِ مُوتِقِ الأعلى أمينِ الأسفلِ
أَقْبَ من تَحْتِ عَرِيضٍ مِنْ عَلى معاوِدٍ كَرَّةً أَدِيرُ أَقْبَلِ)

إلى أن قال :

(وصَدَرَتْ بعدَ أَصِيلِ الموصلِ تَمشى من الرِدَّةِ مَشَى الحُفْلِ
مَشَى الروايا بالمرَّادِ الأثقلِ)

إلى أن قال :

(تَشِيرُ أَيْدِيهَا نَحْجَاجِ القَسْطَلِ إِذْ عَصَبَتْ بِالْعَطَنِ المَغْرَبَلِ
تَدَافَعُ الثَّيْبِ وَلَمْ تَقْتَلِ فِي لَجَّةٍ أَمْسِكْ فَلَانًا عَنْ قُلُ)

(١) نشرها بهجة الأثرى في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ٤٧٢ - ٤٧٩ سنة ١٩٢٨ في ١٩١ شطرا وسمها أم الرجز، ثم نشرها الميمنى في الطرائف الأدبية ٥٥ - ٧١ في ١٩١ شطرا زاد بعدها شطرين من جمهرة ابن دريد واعترض على تسميتها أم الرجز مع أنها في نص الأغاني ٩ : ٧٤ « فلما فرغ منها قال رؤبة : هذه أم الرجز » ، فرؤبة هو الذى سماها بذلك .

ومنها في صفة الراعي :

(تَغْلِي لَهُ الرِّيحُ وَلَمَّا يَفْتَلِرْ لِمَّةً قَفَرٍ كَشَعَاعِ السُّنْبُلِ
يَأْتِي لَهَا مِنْ أَيْمُنٍ وَأَشْمَلٍ وَبُدَّتْ وَالدهرُ ذُو تَبَدُّلٍ
هَيْفًا دَبُورًا ، بِالصَّبَا وَالشَّمَالِ)

وهي طويلة جدًا .

قال الأصمعي في الأغاني^(١) : ورد أبو النجم على هشام بن عبد الملك
في الشعراء ؛ فقال لهم هشام : صفوا لي إبلاً فقطروها وأوردوها وأصدروها ،
٤٠٢ حتي كأنني أنظر إليها . فأنشدوه . . وأنشد أبو النجم هذه الأرجوزة
بديهة^(٢) .

وكان أسرع الناس بديهة . قال الأصمعي : أخبرني عبي قال أخبرني
ابن بنت أبي النجم قال : قال جدِّي أبو النجم : نظمت هذه الأرجوزة في قدر
ما يمشي الإنسان من مسجد الأشياخ إلى مسجد حاتم الجزار ومقدار ما بينهما
غلو سهم^(٣) (أي مقدار رمية) .

وقال ابن قتيبة في كتاب الشعراء^(٤) : « أنشد أبو النجم هذه الأرجوزة
هشام بن عبد الملك — وهي أجود أرجوزة للعرب — وهشام يصفق بيديه^(٥)
استحساناً لها ؛ حتى إذا بلغ قوله في صفة الشمس :

(١) الأغاني ٩ : ٧٥

(٢) انظر الأغاني . ولم يكمل البغدادي هنا خبر أبي النجم مع
هشام كما ساقه أبو الفرج ، لكنه سيتمه بعد شرحه

* صفوا قد كادت ولما تفعل *

(٣) في الأغاني ٩ : ٧٦ : « غلو أو نحوها »

(٤) الشعراء ٥٨٦

(٥) في النسختين : « بيده » ، والوجه من الشعراء ، ويد وحدها
لاتصفق .

(حَتَّى إِذَا الشَّمْسُ جَلَاهاَ الْمَجْتَلَىٰ بَيْنَ سَمَاطَىٰ شَقِيٍّ مُرْعِبِلٍ
صَفْوَاءَ ، قَدْ كَادَتْ وَلَمَّا تَفَعَّلَ فَبَيَّ عَلَى الْأَفْقِ كَعَيْنِ الْأَحْوَلِ)
أمر بوجء رقبته وإخراجه^(١) . وكان هشام أحول ، ا هـ

وقوله : الحمد لله العلىّ الأجلّ ، أوردته علماء البلاغة على أن الأجلّ ،
بكّ الإِدْغَامُ ، مما يخلُّ بالفصاحة^(٢) ؛ والنصيح الأجلّ ، وهو القياس . وأوردته
ابن هشام أيضاً في آخر (الأَوْضَح) على أن فكّ الإِدْغَامِ فيه للضرورة ، مع أن
الإِدْغَامَ واجب في مثله . ورواه سيبويه : « الحمد لله الوهوب المجزل » ،
وأنشده على أن حذف الياء المتصلة بحرف الروى جائز على ضعف ؛ تشبيهاً
لها في الحذف بياء الوصل الزائدة للترنم ، كما في قوله المجزل ونحوه . . . وكان
هذه الرواية مركبة من ييتين . والمجزل : من أجزل له في العطاء : إذا أوسعته .
والبخل عند العرب : منع السائل مما يفضلُّ عنده ، وفعله من باب تعب وقرب .
وبخله بالتشديد : إذا نسبه إلى البخل ، وأما أبخله بالهمز فعناه وجده بخيلاً .
وكَوْمَ الذُّرَى : مفعول أعطى ، وهو جمع كَوْماء بالفتح والمد ، وهى الناقة
العظيمة السنام . وذُرَى الشيء بالضم أعاليه ، جمع ذُرْوَةٍ بالكسر والضم أيضاً ،
وهى أعلى السنام أيضاً . والخلول بفتحيتين : العطية . والخلول ، اسم فاعل :
المعطى . فى الباب : الخول : العطية ، وقوله تعالى : (وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ^(٣))
أى أعطبناكم وملكناكم . وأنشد هذا البيت . وقوله : تَبَقَّلْتُ . الخ ،
البقل : كل نبات اخضرت له الأرض . وتَبَقَّلْتُ الناقة مثلاً وابتقلت : رعت

(١) يقال وجاء باليد وبالسكين وجنا : ضربه .

(٢) انظر معاهد التنصيص ١ : ٧

(٣) الآية ٩٤ من سورة الأنعام

البقل . ومالك ، هو ابن ضبيعة بن قيس من هوازن . ونهشل ، هو أبو دارم قبيلة من ربيعة .

قال الأصفهاني في الأغاني : « وكان سبب ذكر هاتين القبيلتين أعنى بني مالك ونهشل ^(١) : أن دماء كانت بين بني دارم وبني نهشل ، وحروباً في بلادهم ، فنجاني جميعهم الرعي فيها بين فلج والصّمان ، مخافة الشر ، حتى عفا كلؤه وطال . فذكر : أن بني عجل جاءت لغزها ^(٢) إلى ذلك الموضع فرعته ، ولم تخف رماح هذين الحيين . ففخر به أبو النجم » اه .

وفلج ، بفتح الفاء وسكون اللام وآخره جيم . والصّمان ، بفتح الصاد المهملة وتشديد الميم ، قال البكري في معجم ما استمعج : فلج : موضع في بلاد مازن ، وهو في طريق البصرة إلى مكة ، وفيه منازل للحاج . وقال الزجاج : فلج بين الرّحيل إلى المجازة ، وهو ماء لهم . وقال أبو عبيدة : لما قتل عمران ابن خنيس ^(٣) السّعدى ، رجلين من بني نهشل بن دارم ، اتهاماً بأخيه للمقتول في بغاء لإبله ، نشأت بين بني سعد بن مالك وبين بني نهشل حرب تحامى الناس من أجلها ما بين فلج والصّمان ، وهو على وزن فعّلان : جبل يخرج من البصرة على طريق المنكدر ، لمن أراد مكة .

وقال ابن الأعرابي في نوادره : « كان رجل من عذرة دعا رؤبة ابن العجاج فأطعمه وسقاه ، فأنشده فخره على ربيعة ؛ فساء ذلك العزري »

(١) الذي في الأغاني ٩ : ٧٤ : « قال أبو عمرو : وكان سبب ذكر هاتين القبيلتين - يعنى بني مالك . الخ » . فالكلام ليس للأصفهاني ، وإنما هو لأبي عمرو الشيباني .

(٢) الأغاني : « لغزوها » . وما هنا أشبه بالقصة وبالرجز : « يدفع عنها العز جهل الجهل » .

(٣) ط : « خشيش » ش : « خشيس » ، صوابهما من معجم البكري (فلج) .

فقال لفلانم سيراً : اركب فرسي وجنني بأبي النجم . فجاء به وعليه جُبَّةٌ خَزَّ وبت^(١) ، في غير سراويل . فدخل وأكل وشرب . ثم قال العَتَزَى :
أُنشِدْنَا يَا أَبَا النجم — ورؤبة لا يعرفه — فانتحى في قوله :

* الحمد لله الوهوب المجزل *

يُنشدها ، حتى بلغ :

تبقت من أول التبقل بين رماحي مالك ونهشل

فقال له رؤبة : إنَّ نهشلاً من مالك ، يرحمك الله ! فقال : يا ابن أخي ،
الكَمَرُ أشباهُ الكَمَر ، إنَّه ليس مالك بن حنظلة ، إنَّه مالك بن ضُبَيْعة !
فخزى رؤبة وحَيَّ من غلبة أبي النجم له . . ثم أنشد أبو النجم فخره على تميم ؛
فأعتم رؤبة وقال لصاحب البيت : لا يحبك قلبي أبداً ! اه
واستشهد صاحب الكشف بقوله :

* بين رماحي مالك ونهشل *

عند قوله تعالى (اثنتي عشرة أسباطاً^(٢)) على جمع الأسباط ، مع أنَّ
مميز ما عدا العشرة لا يكون إلَّا مفرداً . لأنَّ المراد بالأسباط القبيلة ؛ ولو قيل :
سبطاً ، لأوَّهم أنَّ المجموع قبيلة واحدة ؛ فوضع أسباطاً موضع قبيلة ، كما وضع
أبو النجم رماحاً ، وهو جمع ، موضع جماعتين من الرماح ، وثنى على تأويل :
رماح هذه القبيلة ورماح هذه القبيلة . فالمراد : لكل فرد من أفراد هذه التثنية
جماعة ، كما أنَّ لكل فرد من أفراد هذا الجمع ، وهو أسباط ، قبيلة .. وفاعل
تبقت ، ضمير كَوْمِ الذُرَى زعم بعض شراح شواهد التفسير : أنَّ هذا البيت

(١) البت : كساء غليظ من وبر أو صوف .

(٢) الآية ١٦٠ من سورة الأعراف .

في وصف رَمَكَة مرتاضة اعتادت ممارسة الحروب ، حتى تحسب أرضَ الحرب روضةً تتبَلَّ فيها . ولا يخفى أن هذا كلامٌ من لم يقف على سياق هذا البيت ولا سباقه . مع أن هذا الزاعم أورد غالب الأرجوزة ولم ينتههم المعنى .

وقوله : يدفع عنها العزّ . . الخ ، العزّ : فاعل يدفع ، وهو بمعنى القوة والمنعة ؛ وجهل الجهل : مفعولُهُ ، أى سفاهة السفهاء ؛ وضير عنها راجع إلى كوم الذرى وقوله : وقد جعلنا في وِضين .. الخ ، هذا في وصف بعير السانية ؛ والوِضين : نِسْعٌ عريض كالْحِزَام يُعَمَل من أَدَم ، قال الجوهري : « الوِضين للهودج بمنزلة البطان للقتب ، والتصدير للرحل ، والحِزَام للسرَّج ؛ وهما كالنَّسْع إلا أنهما من السيور إذا نسج بعضه على بعض .. »^(١) تقول : وضنتُ النَّسْعَ أَضْنُهُ وَضْنًا : إذا نسجته . . والأحْبِيل : جمع حَبْل . والجَوْز ، بفتح الجيم وآخره زاي معجبة . مفعول جعلنا ؛ وجوز كلُّ شَيْء : وسطه . وأخفاف بضم الخاء المعجبة وتخفيف الفامين ، بمعنى خفيف ؛ وهو منونٌ ؛ وقلبه فاعل خفاف ، وهو صفة لموصوف محذوف أى بعير خفاف . والمنقل : الثقيل ، صفة ثانية . يريد : شددنا الوِضين في وسط بعير خفيف القلب ذكى من ثقل بدنه وضخامته . والأحزَم : خلاف الأَهْضَم ؛ وهو أن يكون موضع حزامه عظيمًا ؛ وهو صفة ثالثة . والقُوق ، بضم القاف الأولى : الفاحش الطول ؛ وهو صفة رابعة . والحَرَئِبَل ، بفتح الحاء المهملة والزاي المعجبة وسكون النون وفتح الموحدة : القصير . وقوله : موثَّق الأعلى . . الخ ، بالجرّ صفة خامسة ، وأراد بالأعلى ظهره ، وبالأسفل بطنه^(٢) ؛ وأمين بمعنى مأمون ، صفة سادسة . وقوله : أقبَّ .. الخ

٤٠٤

(١) انظر الصحاح (وِضْن) .

(٢) موضع هذه الكلمة بياض فى ش ، كتب ازاءه فيها فى الهامش

« قوائمه » .

مجرور بالفتحة ، صفة سابعة ؛ وعريض صفة ثامنة ؛ والقَبَب : الضمُّ ؛
يعنى أن خصره ضامر — وانحصر تحت المتن — وأن منه عريض . وتحت
مبنى على الضم^(١) .

ومن علي ، يكتب بالياء ؛ وليست الكسرة في اللام كسرة إعراب
ألا ترى أنه معرفة وليس بنكرة . ألا ترى أن معناه وكويته فوق نواظره
أو النواظر منه ! فهو إذن معرفة ، لأنه يريد به شيئاً مخصوصاً ، فهو إذن
كقول أوس :

فَلَاكُ بِاللَّيْطِ الَّذِي تَحْتَ قَشْرِهِ كِفْرِقٍ بِيضُ كَنَّهُ الْقِيضُ مِنْ عَلٍ
أَي مِنْ أَعْلَاهُ ، وَقَالَ الشَّنْفَرِيُّ :

إِذَا وَرَدَتْ أَصْدَرُهَا ، ثُمَّ إِنَّهَا تَنْوِبُ فِتْنَانِي مِنْ نُحَيْتٍ وَمِنْ عَلٍ
وإنما تُعَرَّبُ عَلٌ إِذَا كَانَتْ نَكْرَةً ، كَقَوْلِهِمْ فِي النُّكْرَةِ : مِنْ فَوْقٍ وَمِنْ
عَلٍ ، إِذَا لَمْ تَرُدَّ أَمْرًا مَعْلُومًا . فقوله : فوق النواظر من علي ، علي منه ، كشج
وَعَمٍ ووزنه فَعِيلٌ ، والياء فيه لام الفعل ، والكسرة في اللام قبلها ككسرة
الضاد من قاض . فاعرف ذلك . وفيه عشر لغات : أُنَيْتَهُ مِنْ عَلِيٍّ وَمِنْ عَلٍ
وَمِنْ عَلِيٍّ وَمِنْ عَلَاً وَمِنْ عَلَوْ وَمِنْ عَلَوُ وَمِنْ عَلَوِ وَمِنْ عَلَوِ وَمِنْ عَلٍ وَمِنْ
مَعَالٍ . ومثله سواء قولُ المعجلى :

(١) النص التالي من كلام ابن جني ، وقد سقط من النسختين
التنبيه على ذلك في أوله ، وإن كانت نهاية النص تشعر بأنه لابن جني .
وقد فحصت الحصاص ، وكذا سر الصناعة ، وكلاهما لابن جني فلم أعثر
على هذا النص ، وأخيراً وجدته في إعراب الحماسة لابن جني عند قول
ربيع بن مرقوم الضبي :

أَوْجِيته عني فأبصر قصده وكويته فوق النواظر من علي
انظر كتاب التنبيه الورقة ١٥ من نسخة دار الكتب المصرية ٤٤
أدب .

* أَقْبَّ مِنْ تَحْتُ عَرِيضٍ مِنْ عَلَى *

أراد من أعلاه . ألا تراه قرنه بالمعرفة المبنية وهي تحت^١ فعلَى إذن معرفة ، فهو كشج ، وكسرة^٢ لامة ككسرة زاي غاز ، والكلمة مبنية على الضم ، وفي الياء تقدير ضمة البناء . فبيت ربيعة وبيت العجلي هذان جميعاً سواء ، ولكن بيت امرئ القيس الذي هو قوله :

* كجلمود صخر حَطَّه السيلُ مِنْ عَلٍ *

عل فيه فكرة ؛ ألا ترى أنه لا يريد من أعلى شيء مخصوص^١ قال كسرة^٢ إذن في لام عل كسرة إعراب ، ككسرة دال يدٍ و [ميم^(١)] دم اه كلام ابن جني مختصراً .

وقد قرّر ابن هشام أيضاً في المغني : أن على ، متى أريد به المعرفة كان مبنياً على الضم تشبيهاً بالغايات كما في قوله :

* أَرْمَضُ مِنْ تَحْتُ وَأُضْحَى مِنْ عُلْ^(٢) *

والهاء للسكت ؛ قال : إذ المراد فوقية معينة لا فوقية مطلقة . والمغني : أنه تصيبه الرمضاء من تحته وحرّ الشمس من فوقه . ومثله قول الآخر يصف فرساً :

* أَقْبَّ مِنْ تَحْتُ عَرِيضٍ مِنْ عَلٍ * اه

وقد أشار بقوله : « ومثله يصف فرساً » إلى أن ضمة البناء في عل إمّا ملفوظة كما في قوله : وأضحى من علّه ، وإمّا مقدّرة كما في قول أبي الحم :

(١) التكملة من كتاب اعراب الحماسة المسمى بالتنبيه .

(٢) الرجز لأبي ثروان . انظر شرح شواهد المغني ١٥٣ وابن

يميش ٤ : ٨٧ والهمع ٢ : ٢١٠ . وقبله :

* يارب يوم لى لا أظلله *

« عريض من عل » فلا يردُّ الاعتراضُ عليه بأنه أُنشده بالبناء على الضم ،
والقوافي كلها مجرورة . لكن يبقى عليه أن البيت في وصف بعير السانية ،
لا في وصف فرس . فتأمل وأنصف .

قوله : معاوِدَ كَرَّةً . الخ ، معاوِد : اسم مفعول ، وهو بالجر صفة تاسعة ؛
أى يعاد عليه مراراً قولُ أَقْبَلُ على البئر إذا تفرَّغت الدلو ، أدبر عنها إذا
امتلاَّت . وكَرَّةُ بالرفع نائب فاعل معاوِد وهو مضاف لما بعده . وقوله : تمشى
من الردة ، في الصحاح : « والرُّدَّة بالكسر : امتلاء الضرع من اللبن قبل
النَّساج ، عن الأصمعي . وأنشد لأبي النجم تمشى من الردة . . البيت » ا هـ ،
ويجوز أن تكون مصدر قولك رَدَّه يردُّه رَدًّا ورِدَّةً ؛ والرْدَّة الاسم من
الارتداد . وقال ابن السيرافي في (شرح أبيات إصلاح المنطق) : يصف إبلاً
قد أكرت من شرب الماء فأثقلها الرى والرْدَّة تراءد في أجوافها ، يقال أرَدَّت
فهي مُرْدَّة . إذا انتفخت من الماء ، أو انتفخ ضرعها من غير لبن . يقول :
تمشى من كثرة شرب الماء كمشى النقي أثقلها كثرة ما في ضرعها . والحافل :
التي اجتمع في ضرعها اللبن ا هـ . ومشى : مصدر منصوب ، أى مشياً كمشى
الحفَل ، وهو جمع حافل ، من حفَل اللبن في الضرع : إذا اجتمع . والروايا :
جمع راوية ، من روى البعير الماء : سَمَلَه ، فهو راوية ، الماء فيه للمبالغة ، ثم
أطلقت الراوية على كل دابة يُسقى الماء عليها . والمزاد : جمع مَزَادَة ، وهي
الراوية التي تعمل من جلود . وقوله : تنير أيديها . الخ ، الضمير إلى كَوْمِ
الذُرَى . والقسطل ، بالقاف : الغبار ، والعجاج : ما ارتفع منه . وعصبت
بالعين والصاد المهملتين ، قال في الصحاح : « وعصبت الإبلُ بالماء : إذا دارتُ
به . قال الفراء : عصبت الإبل وعصبت بالكسر : إذا اجتمعت .
والعطن ، بفتحين : مبرك الإبل عند الماء لتشرب عللاً بعد نهل ، فإذا

استوفت رُدَّتْ إلى المرعى'. والمغربل : المنخول ، أى أن تراب العطن كأنه منخول ، لكثرة ما انسحق منه ، لشدة الحركة . وقوله : تدافع الشيب ، مصدر تشبيى ، وعامله محذوف ، وهو معطوف على عصبت ، أى اجتمعت وتدافعت تدافعا كتدافع الشيوخ ، والشيب بالكسر جمع أشيب ، وهو الشيخ . وقوله : ولم تقتل أصله تقتل ، فأسكن التاء الأولى للإدغام ، وحرك القاف لالتقاء الساكنين بالكسر ، فصار تقتل ثم أتبع أول الحرف ثانياه فصار تقتل بثلاث كسرات . واللجة ، بفتح اللام وتشديد الجيم : اختلاط الأصوات فى الحرب ، فى الصحاح : « وسمعت لجة الناس بالفتح ، أى أصواتهم وضجتهم » . وأنشد هذا البيت . وفى متعلقة بتدافع . وقوله : أمسك فلانا . الخ هو على إضمار القول ، أى فى لجة يقال فيها : أمسك . الخ . قال اللخمى فى شرح أبيات الجمل ، تبعاً لابن السيد : شبه تزامحها ومدافعة بعضها بعضاً بقوم شيوخ فى لجة وشر ، يدفع بعضهم بعضاً ، فيقال : أمسك فلاناً عن فلان أى احجز بينهم . وخص الشيوخ لأن الشباب فيهم التسرع إلى القتال . فلذلك قال : تدافع الشيب . الخ . أى هى فى تزامح ولا تقاتل ، كالشيوخ . وقد غفل عن هذا المعنى الأعلّم الشنتمرى فى شرح أبيات س فقال : « إن معناه خذ هذا بدم هذا وأيسر^(١) هذا بهذا » هذا كلامه ! وكأنه لم ينظر إلى ما قبله من الآيات . وأعجب منه قول ابن السيد^(٢) ، فيما كتبه على هذا الكتاب ، فى شرح بيت الشاهد : إن معناه : قد كثر أصوات الرعاة يقول بعضهم لبعض : أمسك البعير الفلانى عن البعير الفلانى لئلا يضره .

(١) الذى فى الأعلّم ١ : ٣٣٤ : « وأسر » فعل أسر من الأسر ، وهو الصواب

(٢) الميمنى : « هو ابن السيد مشددا ، الشريف الجرجانى . وله كآبيه حاشية على شرح الرضى . ويأتى قريبا فى الشاهد ١٥٢ ، »

هذا كلامه ! مع أنه سطر ما قبله من الأبيات وشرحها من شرح الباب للفاي .
 وقوله : تَفَلَّى له الريحُ . . الخ ، الفَلَّى : مصدر فَلَيْت رأسه من باب رمى .
 إذا نَقَيْتَه من القمل ؛ وافلَّى هو : إذا قَهَّ ؛ وَيَفْتَلِ : مجزوم بلمّا محذوف
 الياء من آخره يريد : أن الريح تهبّ على رأسه فتفرّق شعره كأنها تَفْلِيه وهو
 لم يَفْتَلِ شعره لشَعْنه وقلة تعهده نفسه . واللّمة ، بكسر اللام : الشعر الذى يُلَمُّ
 بالمنكب أى يقرب منه ؛ وهو مفعول تَفَلَّى على التنازع . والقَفْر ، بفتح القاف
 وسكون الفاء ، وأصله بالكسر : وصفٌ من قَفَر زيدٌ ، من باب فرح : إذا قلَّ
 لحمه . وشَعاع السُنْبُل بفتح الشين المعجمة : سَفَاهُ ؛ وقد أشعّ الزرع : أخرج
 شَعاعه ؛ وأسنى الزرعُ : إذا خَشُن أطراف سنبله . والسُنْبُل هنا سنبلُ الحنطة
 والشعير ونحوها شبه شعره المنتفش بشوكِ سنبل الزرع . وقوله : يأتى لها . .
 الخ ، فاعل يأتى ضميرُ الراعى ؛ وضميرُ لها ، لكوم الذرى ؛ قال صاحب
 الصحاح : « أى يعرض لها من ناحية اليمين وناحية الشمال . وذهب إلى معنى
 أيمن الإبل وأشتملها لجمع لذلك » ١ هـ .

٤٠٦

وأورده سيبويه على أن الشاعر لما جرّ أيمناً وأشمالاً يمين ، أخرجها عن
 الظرفية . وزعم الأعلام الشنمريّ أن هذا البيت فى وصف ظليم ونعامة ، قال :
 « يعنى : كلما أسرعُ إلى أدحِيبها وهو مَبِيضُها » (١) عرض لها يميناً وشمالاً
 مزعجاً لها ، وهذا كما ترى لا أصل له . وقوله : وبدلت والدهرُ ذو تبدل . .
 الخ ، نائب الفاعل ضميرُ الريح ؛ والهَيَف بفتح الهاء مثل الهُوف بضمها :
 ريح حارّة تأتي من اليمين ، وهى التَّكْبَاء التى تجري بين الجنوب والدُّبُور من
 تحت مجرى سهيل . والصَّبَا : ريح ؛ ومهبُّها المستوى أن تهبّ من موضع مطلع

(١) ط : « إلى ادحيتها وهو بيضتها » ش : « إلى ادحيتها وهو

بيضها » ، صوابه من الأعلام ١ : ١١٢

الشمس إذا استوى الليل والنهار . والدَّيُّور : الريح التي تقابل الصَّبَا . والشَّمَالُ بسكون الميم وفتح الهمزة بعدها : الريح التي تقابل الجنوب . فكان الواجب أن يقابل الشَّمَالُ بالجنوب . لكنَّه لضرورة النظم أقام الهَيْفَ مقام الجنوب لقربها من الجنوب . وفيه لفٌّ ونشر غير مرتَّب ؛ أى بدلت الريح فجاءت الديبور بدل الصَّبَا وجاءت الهَيْفُ ، أى الجنوب ، بدل الشَّمَال . ففيه دخول الباء على المتروك ، وهو المشهور وُسمِعَ خلافه أيضاً . وأورده ابن هشام في المغنى على أن جملة : والدهر ذو تبدل ، معترضة بين الفعل ومنعوله ، للتأكيد والتسديد .

وقوله : بين سحاطي شفقٌ مرعبل ، السُّمَّاط بالكسر : الصف والجانب ، والسماطان من الناس والنخل : الجانبان ، يقال مشى بين السماطين وأنشد القصيدة بين السماطين . والمرعبل . المقطَّع . وروى بدله (مهول) . وصغواء بالعين المعجمة ، من صغمت النجوم ، إذا مالت للغروب . وقوله : قد كادت ، أى قاربتي الشمس أن تغيب ولم تغب بالفعل .

روى صاحبُ الأغاني^(١) : أن أبا النجم لما بلغ ذكر الشمس فقال : وهى على الافق كعين . . وأراد أن يقول : الأحول ، فذكر حول هشام فلم يتم البيت وأرتج عليه . فقال هشام : أجز : فقال : كعين الأحول . فأمر هشام بإخراجه من الرصافة^(٢) (ويقال لها رصافة هشام^(٣)) ، وهى مدينة فى غربى

(١) الأغاني ٩ : ٧٥

(٢) فى الأغاني : « فأمر هشام بوجء عنقه وأخرجه من الرصافة »

(٣) فى الأصلين : « رصافة الشام » ولكن الشنقيطى غيرها بقلمه برسم (رصافة هشام) . والرصافة : علم مشترك بين أماكن شتى ، ذكر منها ياقوت رصافة أبى العباس بالأنبار ، ورصافة البصرة ، وبغداد ، والحجاز ، والشام ، وقرطبة ، والكوفة ، ونيسابور ، وواسط . والمعروف أن رصافة الشام أقدمهن . وما بين القوسين من الكلام هنا من تعليق البغدادى ، ولم يذكر فى الأغاني . وجاء فى معجم البكرى ٦٥٤ : « الرصافة بضم أوله : رصافة هشام بن عبد الملك بالشام »

الرقّة ، بينهما أربعة فراسخ على طرف البريّة ، بناها هشام لما وقع الطاعون بالشام ، وكان يسكنها في الصيف ، وكانت قبلُ من بناء الملوك الفسائيين (ثم قال لصاحب شرطته : إياك وأن أرى هذا ! فكلم وجوه الناس صاحب الشرطة أن يقرّه . ففعل . فكان يصيب من فضول أطعمة الناس ويأوى بالليل إلى المساجد . . قال أبو النجم : ولم يكن في الرصافة أحدٌ يُضيف إلّا سليمُ بنُ كيسان السكبيّ ، وعمر بن بسطام الثعلبي^(١) . فكنت أتعدّي عند سليم ، وأتمشّى عند عمرو ، وآتى المسجد فأبيت فيه . فاغتم هشام ليلةً ، وأراد محدثاً يحدّثه ، فقال لخادم له : أبغني محدثاً أعرابياً أهوج شاعراً يروى الشعر . فخرج الحاجب^(٢) إلى المسجد فإذا هو بأبي النجم ، فضرّبه برجله وقال له : قمّ أحبّ أمير المؤمنين . فقال : أنا أعرابيٌّ غريب . قال : إياك أبغى فهل تروى الشعر^(٣) ؟ قال : نعم ، وأقوله^(٤) . فأقبل به حتى أدخله القصرَ وأغلق الباب — فأيقن بالشرّ — ثم مضى فأدخله على هشام في بيت صغير ، بينه وبين أهله ستر رقيق ، والشمع بين يديه [يزهر^(٥)] . قال : فلما دخلت قال لي : أبو النجم ؟ قلت : نعم ، يا أمير المؤمنين ، طريدك . قال : اجلس . فسألني وقال : أين كنت تأوى ؟ فأخبرته الخبر . قال : ومالك من الولد والمال ؟ قلتُ : أمّا المال فلا مال لي ، وأمّا الولد فلي ثلاث بنات وبنتي^(٦) يقال له شيّان^(٦)) (بفتح الشين وتشديد الياء المثناة التحتية) قال : هل أخرجت من بناتك ؟ قلت : نعم ، زوجت اثنتين وبقيت واحدة فنجز

٤٠٧

(١) في الأغاني ٩ : ٧٥ : « الثعلبي » .

(٢) في الأغاني : « الخادم »

(٣) في النسختين : « أبغى قال تروى الشعر » . وما أثبتته من

الأغاني ٩ : ٧٦ أصبح وأولى

(٤) ط : « وأقول » صوابه من ش والأغاني

(٥) يزهر : يتلألا . وهذه التكملة من الأغاني .

(٦) كذا . وفي الأغاني : « شيّان »

في أبياتنا، كأنها نعمة ! قال : وما وصيت به الأولى ؟ — وكانت تسمى برّة — قال :

أوصيت من برّة قلباً حرّاً بالكلبِ خيراً ، والحمّةِ شرّاً
لا تسألي ضرباً لها ، وجراً حتى ترى حلّوَ الحياة مرّاً
وإن كنتك ذهباً ودُرّاً والحى عُثمهم بشر طراً
فضحك هشام وقال : فما قلت في الأخرى ؟ قال : قلت :

سُيّ الحمّة وابتهي عليها وإن دنتْ فازلني إليها^(١)
وأوجعي بالفهر ركبتيها ومرفقيها ، واضربي جنبها
وقعدى كفيك في صدغيها لا تخبري الدهر بذاك ابنها^(٢)

فضحك هشام حتى بدت نواجذه ، وسقط على قفاه . وقال : ويحك ! ما هذه وصيّة يعقوب لولده ! قال : ولا أنا كييعقوب يا أمير المؤمنين ! قال : فما قلت في الثالثة ؟ قال : قلت :

أوصيك يا بنتي فإني ذاهبُ أوصيك أن يحمّدك الأقاربُ
والجارُ والضعيفُ الكريمُ الساعبُ^(٣) ويرجع المسكينُ وهو خائبُ
ولا تني أظفارك السّلاهبُ هنّ في وجه الحمّة كاتب^(٤)
والزوج ، إنَّ الزوجَ بشّ الصاحبُ

قال : فأى شيء قلت في تأخير تزويجها ؟ قال : قلت :

(١) كذا . وفي الأغاني : « فازدلفي » ، وكلاهما صحيح

(٢) بدله في الأغاني :

وظاهري النذر لها عليها لا تخبر الدهر به ابنتها

(٣) ط : « الساعب » ، صوابه في ش والأغاني

(٤) الأغاني « منهن » موضع « لهن »

كَأَنَّ ظَلَامَةَ أُخْتِ شَيَّانَ يَتِيمَةً وَوَالِدَهَا حَيَّانَ
الْجِدُّ مِنْهَا عَطُلٌ وَالْآذَانُ وَلَيْسَ لِلرَّجُلَيْنِ إِلَّا حَيَّطَانُ^(١)
وَقُصَّةٌ^(٢) قَدْ شَيَّطَهَا النَّيِّرَانُ تِلْكَ الَّتِي يَضْحَكُ مِنْهَا الشَّيْطَانُ^(٣)
فَضْحَكُ هَشَامٍ وَضَحِكُ النِّسَاءِ لَضَحِكِهِ ؛ وَقَالَ لِلْخَصِيِّ : كَمْ بَقِيَ مِنْ نَفْقَتِكَ ؟
قَالَ : ثَلَاثَةُ دِينَارٍ . قَالَ أَعْطِهِ إِيَّاهَا يَجْعَلُهَا فِي رَجُلِي ظَلَامَةً مَكَانَ الْخَيْطَيْنِ^(٤) .
وَتَقَدَّمَتْ تَرْجَمَةُ أَبِي النِّجَمِ فِي الشَّاهِدِ السَّابِعِ مِنْ أَوَائِلِ الْكِتَابِ^(٥) .

٤٠٨

* * *

وَأُنْشَدَ بَعْدَهُ ، وَهُوَ الشَّاهِدُ التَّاسِعُ وَالْأَرْبَعُونَ بَعْدَ الْمِائَةِ^(٦) :
١٤٩ (أَطَوَّفُ مَا أَطَوَّفُ ثُمَّ آوَى إِلَى بَيْتٍ قَعِيدَتُهُ لَكَاعٍ)
عَلَى أَنْ (لَكَاعٍ) مِمَّا يَخْتَصُّ بِالنِّدَاءِ ، وَقَدْ اسْتَعْمَلَ فِي غَيْرِ النِّدَاءِ ضَرْوَرَةً .
قَالَ الْمُبَرَّدُ فِي الْكَامِلِ : يُقَالُ فِي النِّدَاءِ لِلشَّيْمِ يَا لُكْعَ ، وَلِلْأُنْثَى يَا لُكَاعَ ؛
لأنه موضع معرفة . . فإن لم ترد أن تعدله عن جهته^(٧) قلت للرجل : يَا لُكْعَ ،
وَلِلْأُنْثَى يَا لُكَعَاءَ . وَهَذَا مَوْضِعٌ لَا تَقَعُ فِيهِ النِّكْرَةُ . وَقَدْ جَاءَ فِي الْحَدِيثِ :

(١) جعلها الشنقيطي : « وليس في الرجلين » . وفي الأغاني :
« وليس في الساقين » .

(٢) ط : « وقصة » ، صوابها في ش . والشطر ساقط من
الأغاني

(٣) الأغاني : « يفزع منها » .

(٤) في النسختين : « الحيطان » وقد تصحح على الحكاية ، لكن في
الأغاني وتصحيح الشنقيطي : « الخيطين » .

(٥) الجزء الأول ص ١٠٣

(٦) العيني ١ : ٤٧٣ / ٤ : ٢٢٩ وابن السجري ٢ : ١٠٧ وابن
يعيش ٤ : ٥٧ والكمال ١٤٧ والهمع ١ : ٨٢ ، ١٧٨ وديوان الحطيئة
١٢٠

(٧) في النسختين : « جهة » ، صوابه في الكامل

«لا تقوم الساعةُ حتَّى يلى أمورَ الناسِ لُكْعُ ابنِ لُكْعٍ». فهذا كناية عن اللثيم ابن اللثيم . وهذا بمنزلة عمر ينصرف في النكرة ولا ينصرف في المعرفة . ولكاع مبني على الكسر . وقد اضطر الخطيئة فذكر لَكَاع في غير النداء ، فقال يهجو امرأته :

أطوفُ ما أطوفُ . ثم آوى . . البيت

وقعيدة البيت : ربة البيت وصاحبه . وإنما قيل : قعيدة ، لقعودها وملازمتها .

قال المدائني في كتاب (النساء الفوارك) إن امرأة الخطيئة نشزت عليه وسألته الفرقة ، فقال :

أجولُ ما أجولُ ثم آوى . . البيت

قال المرزوقي في (شرح فصيح ثعلب) : هذا البناء يراد به المبالغة . ومعنى لكاع : المتناهية في اللؤم . والفعل منه لَكَعْتُ لَكَمًا وَلَكَاعَةً ، وهى لكعاء وملكَعَاة . والأصل في اللُكْع : الوسخ . و «ما» مع ما بعدها في تأويل المصدر الذى يراد به الزمان ؛ والتقدير : أطوف مدة تطويفى .

وأورد ابن عقيل في شرح الألفية^(١) هذا البيت شاهداً على وصل ما المصدرية بالمضارع المثبت ؛ وهو قليل ؛ والكثير وصلها بالمضارع المنقضى أو الماضى .

ومعنى البيت : أطوفُ نهارى كله فى طلب الرزق ؛ فإذا أويتُ عند الليل فإتما آوى إلى بيتٍ قيمته القاعدة فيه لثيمة .

والمصراع الأول مأخوذ من قول قيس بن زهير بن جديمة :

(١) عند الكلام على الموصول ١ : ١٢٥

أَطُوفُ مَا أَطُوفُ نَمِ آوَى إِلَى جَارٍ كَجَارِ أَبِي دُودٍ

جار أبي دود وأبو دود هو أبو دود الإيادي الشاعر المشهور . وجاره : كعب بن مامة الإيادي الجواد المشهور . وقيل بل هو الحارث بن همام بن مرة ، وكان أَسْرَ أبا دود وناساً من قومه ، فأطلقهم وأكرم أبا دود وأجاره — فمدحه أبو دود — وأعطاه وحلف أن لا يذهب له شيء إلا أخلفه له .

ويقال : إن ولدَ أبي دود لعب مع صبيان في غدير فغمسوه فمات ؛ فقال الحارث : لا يبقى صبي في الحى إلا غرق ، فودى ابنه بديات كثيرة و (آوى) : مضارع آوى إلى منزله من باب ضرب أويًا : إذا أقام به وانضمَّ ولجأ إليه . ومعنى (أطوف) : أكثر الطواف أى الدوران . ومثله أجول ، وزناً ومعنى .

٤٠٩

وهذا بيت مفردٌ هجا به امرأته كما ذكرنا .

و (الخطيئة) اسمه : جرؤل بن أوس [بن مالك^(١)] بن جُؤيَّة بن مخزوم ابن مالك بن غالب بن قُطيعة (بالتصغير) ابن عُبس بن بغيض بن ريث ابن غطفان بن سعد بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان وكنيته أبو مليكة (بالتصغير) . واختلف في تلقيبه بالخطيئة (بضمّ الخاء وفتح الطاء المهملتين وسكون المثناة التحتية وبعدها همزة) ف قيل : لقب بذلك لقصره وقربه من الأرض ؛ في الصحاح : « والخطيئة : الرجل القصير ؛ قال ثعلب : وسمي الخطيئة لدمايته » . وقيل : لأنه ضرط بين قوم ، ف قيل له : ما هذا ؟ فقال خطيئة ؛ يقال خطأ : إذا ضرط . وقيل : لأنه كان محطوء الرجل ؛ والرجل المحطوءة : التي لا أخص لها .

الخطيئة

(١) التكملة من الأغاني ٢ : ٤١ والاصابة (الخطيئة) رقم ١٩٨٧

وهو أحد خول الشعراء، متصرف في فنون الشعر : من المديح، والهجاء، والفخر، والنسيب. وكان سفيها شريرا. ينتسب إلى القبائل، وكان إذا غضب على قبيلة^(١) انتهى إلى أخرى. قال ابن السكبي: كان الخطيئة مغموز النسب، وكان من أولاد الزنى الذين شرّفوا. قال: وكان أوس بن مالك العبسي تزوّج بنت رباح^(٢) بن عوف الشيبانية، وكانت لها أمة يقال لها الصّراء^(٣)، فأعلّقها أوس. وكان لبنت رباح أخ يقال له الأقم، فلما ولدت الصّراء جاءت به شبيهاً بالأقم. فقالت مولاتها: من أين لك هذا الصبي؟ قالت: من أخيك — وهابت أن تقول: من زوجك — ثم مات الأقم وترك ابنين من حرة^(٤) وتزوّج الصّراء رجل من عبس، فولدت له ابنين، فكانا أخوي الخطيئة من أمة. وأعتقت بنت رباح الخطيئة وربّته فكان كأنه أحدهم^(٥)، ثم اعترفت أمة بأنه من أوس. وترك الأقم نخيلاً باليمامة؛ فأتى الخطيئة أخويه من أوس فقال لهم: أفردوا لي من مالكم قطعة. فقالا: لا، ولكن أقم معنا نواسك^(٦). فهجاها. وسأل أمة: من أبوه؟ فخلطت عليه، فغضب عليها وهجاها، ولحق بإخوته. من بنى الأقم ونزل عليهم في القرية وقال يمدحهم:

إِنَّ الْقَرْيَةَ خَيْرُ سَاكِنِهَا أَهْلُ الْقَرْيَةِ مِنْ بَنِي ذُهَلِ^(٧)

(١) في النسختين: « قبيلته »، صوابه من الإصابة

(٢) في الأغاني: « رباح » بالياء المثناة، وكذا في الموضعين التاليين

(٣) في الأغاني: « وكان لها أمة يقال لها الصّراء »، وقد تكررت « الصّراء » في الأغاني بهذا الرسم

(٤) الأغاني: « ثم مات أوس وترك ابنين من الحرة ».

(٥) ط: « فكان أحدهم »، الأغاني: « فكان كأنه أحدهم ».

(٦) ط: « نواسيك »، وكلاهما صحيح.

(٧) كذا في النسختين. وفي الأغاني والديوان ٩٠: « ان اليمامة »

الضامنون لِمَالِ جَارِهِمْ حَتَّى يَتَمَّ نَوَاهِضُ الْبَقْلِ (١)
 قَوْمٌ إِذَا اتَّسَبُوا فَفَرُّهُمْ فَرَعِي وَأَثْبَتُ أَصْلِهِمْ أَصْلِي
 وسألهم ميراثه من الأفق، فأعطوه نُخَيْلات، فلم تقنعه. فسألهم ميراثه
 كاملاً (٢) فلم يعطوه شيئاً. فغضب عليهم وهجأهم ثم عاد إلى بني عبس واتسب
 إلى أوس بن مالك.

قال ابن قتيبة: «وكان الحطيئة راوية زهير. وكان جاهلياً إسلامياً.
 ولا أراه أسلم إلا بعد وفاة رسول الله ﷺ؛ لأنني لم أجد له ذكراً فيمن
 وفد عليه من وفود العرب؛ غير أنني وجدته في خلافة أبي بكر رضي الله
 عنه يقول:

أَطَعْنَا رَسُولَ اللَّهِ إِذْ كَانَ حَاضِرًا فَيَا لَهْفَتِي، مَا بَالُ دِينِ أَبِي بَكْرٍ
 أُيُورِثُهَا بِكَرًّا إِذَا مَاتَ بَعْدَهُ فَنَلَّكَ، وَبَيْتِ اللَّهِ، قَاصِمَةُ الظَّهْرِ
 وقال ابن حجر في الإصابة: كان أسلم في عهد النبي ﷺ ثم ارتد ثم أسر،
 وعاد إلى الإسلام.

وروى [ابن أخي (٣)] الأصمعي عن عمه قال: كان الحطيئة جشعاً سئولاً
 ملحقاً بدني النفس كثير الشر بخيلاً، قبيح للنظر رث الهيئة، مغموز النسب
 فاسد الدين؛ وما تشاء أن تقول في شعر شاعر عيباً إلا وجدته، وقلماً تجد
 ذلك في شعره.

٤١٠

(١) ط: «المال جارهم» صوابه في ش والديوان. وفي الأغاني:
 «مال غيرهم».

(٢) ط: «كملاً». والكمل: الكامل، لا يثنى ولا يجمع.

(٣) التكملة من الأغاني. وهو عبد الرحمن بن عبد الله، ابن أخي
 الأصمعي. البغية ٢٩٩.

وقال أبو عبيدة : التمس الخطيئة ذات يوم إنساناً يهجوهُ ، فلم يجده ،
وضاق ذلك عليه ، فجعل يقول :

أَبْتَ شَفَتَايَ الْيَوْمَ إِلَّا تَكَلَّمَا بسوء ، فما أدرى ، لمن أنا قائله
وجعل يهدرُ بهذا البيتِ في أشدِّاقه ، ولا يرى إنساناً ، إذ اطلع في حوض
فراى وجهه فقال :

أرى لى وجهاً شوّه الله وجهه ففُجِّحَ مِن وجهٍ وقُبِّحَ حامله^(١)
وكان الكلب بن كنيس تزوّج الصراء أمّ الخطيئة ، فهجاه وهجا أمّه فقال:
ولقد رأيتُك في النساءِ فسؤتي وأبا بَنِيكَ فسأني في المجلس
في أبيات^(٢) .

وقال يهجو أمّه :

جَزَاكَ اللهُ شَرًّا مِنْ عَجْوِ ولَقَاكَ الْعُقُوقَ مِنَ الْبَنِينِ
فقد ملكت أمرَ بنيك حتى تركتهم أدقّ من الطحين
لسانك مبردٌ لا عيبَ فيه ودَرَكَ دَرُّ جاذية دَهِين^(٣)
وقال يهجوها أيضاً :

تَنَحَّى فَاجْلِسِي مَنِي بَعِيداً أَرَاكَ اللهُ مِنْكَ الْعَالَمِينَا
أَغْرِبَالاً إِذَا اسْتُوْدِعْتَ سَرّاً وَكَأَنُونَا عَلَى الْمُتَحَدِّثِينَا
حَيَاتُكَ مَا عَلِمْتُ حَيَاةً سَوْءَ وَمَوْتُكَ قَدْ يَسُرُّ الصَّالِحِينَا

(١) في الأغاني والشعراء : « شوّه الله خلقه » .

(٢) انظر الأغاني ٢ : ٤٣ حيث الأبيات وقصتها

(٣) في النسختين : « درجارية » صوابه في الأغاني ٢ : ١٦٣ دار
الكتب ، واللسان (دهن) . والجاذبة : الناقة جذبت لبنها من ضرعها
فذهب صاعداً . والدهين : البكينة القليلة اللبن .

وقال في هجاء أبيه وعمه وخاله :

لَمَّاكَ اللَّهُ نَمَّ لَمَّاكَ حَقًّا أَبَا، وَلَمَّاكَ مِنْ عَمِّ وَخَالٍ
فَنِعَمَ الشَّيْخُ أَنْتَ لَدَى الْخَازِي^(١) وَيُسِّنُ الشَّيْخُ أَنْتَ لَدَى الْمَعَالَى
جَمَعْتَ اللَّوْثَ؛ لَا حَيَّاكَ رَبِّي ! وَأَبْوَابُ^(٢) السَّفَاهَةِ وَالضَّلَالِ

قال ابن قتيبة : ودخل الخطيئة على عتيبة بن النهراس العجليّ ، فسأله فقال :
ما أنا في عمل فأعطيتك من غده^(٣) وما في مالي فضلٌ عن قومي . فلما خرج ،
قال له رجل من قومه : أتعرفه ؟ قال : لا . قال : هذا الخطيئة ! فأمر برؤيه ؛
فلما رجع قال : إنك لم تسلم تسليم الإسلام ، ولا استأنست استئناس الجار ،
ولا رحبتَ ترحيب ابن العم . قال : هو ذلك . قال : اجلس ، فلك عندنا
ما تحب . فجلس فقال له : من أشعر الناس ؟ قال الذي يقول :

وَمَنْ يَجْعَلُ الْمَعْرُوفَ مِنْ دُونِ عَرْضِهِ يَفِرُّهُ ، وَمَنْ لَا يَتَّقِي الشَّمَّ يُشْتَمُ
قال : ثم من ؟ قال : أنا ؟ فقال عتيبة لغلامه : اذهب به إلى السوق ،
فلا يُشِيرَنَّ إلى شيء إلا اشتريته له . فانطلق به الغلام ، فجعل يعرض عليه
الحبرة واليَمْنَةَ وبياض مصر ، وهو يشير إلى الكرايس والأكسية الغلاظ .
فاشترى له بمائتي درهم ، وأوفر راحلته بُرّاً وتمراً ؛ فقال له الغلام : هل من
حاجة غير هذا ؟ قال : لا ، حسبي ؟ قال : إنه قد أمرني أن لا أجعل لك علة

(١) في النسختين : « علي المخازي » صوابه من الشعراء . ومنه ومن
الأغاني نقل البغدادي جميع الأهاجي المتقدمة .

(٢) عند ابن قتيبة : « وأسباب » .

(٣) وكذا في الشعراء ٢٨٣ . وفي القاموس : « الغدة : القطعة من
المال ج غداً » . وفي شرح ديوان الخطيئة ٩٠ « ما أنا في عدد فأعطيتك
من عدده » وكذا في الأغاني : « من عدده »

فيما تريد . قال : حسبك لا حاجة بي أن يكون لهذا يدٌ على قومي أكثر من هذه . . ثم ذهب فقال :

سُئِلْتَ فلم تَبْخُلْ ولم تُعْطِ طَائِلًا فَيَسَّانِ لا دَمٌ عَلَيْكَ ولا حَمْدُ
وأنتَ امرؤٌ لا الجودُ منك سَجِيَّةٌ فتُعْطِي، وقد يُعْدى على النَّائلِ الوُجْدُ

٤١١

وأتى الحطيئة كعب بن زهير ، فقال له : قد علمت روايتي لكم واتقاعى إليكم ، وقد ذهب الفحولُ غيري وغيرك ، فلو قلت شعراً تبدأ فيه بنفسك ، ثم تنتني بي ، فإنَّ الناسَ لأشعاركم أروى . فقال كعب :

فمن للقوافي ، شأنها منْ يحوكها إذا ما نوى كعبٌ وفورَ جرؤلٍ ؟
قول ولا نعيًا بشيءٍ تقوله^(١) ومن قائلها من يسىء ويعمل
نُقْفُها حتى تلينَ متونها فيقصُر عنها كلُّ ما يُتمثلُ

وفى الأغاني عن جماعة : أن الحطيئة لما حضرته الوفاة ، اجتمع إليه قومه فقالوا : أوص ، يا أبا مليكة . قال : ويلٌ للشعر من راوية السوء ! قالوا : أوص يرحمك الله ! قال : من الذي يقول :

إذا نبضَ الرامون عنها ترنمتُ ترنمُ ثكلى أوجعَها الجنائزُ
قالوا : الشماخ . قال : أبلغوا غطفان أنه أشعرُ العرب ؟ قالوا : ويحك ، أهذه وصية ؟ أوص بما ينفعك ! قال : أبلغوا أهل ضابى^(٢) أنه شاعر ، حيث يقول :

لِكَلِّ جَدِيدٍ لَذَّةٌ غير أنِّي وجدتُ جَدِيدَ الموتِ غيرَ لَذِيدٍ !

(١) في النسختين : « ولا نعي » ، والتصحيح للشنقيطي في نسخته ومن الأغاني ٢ : ٤٤

(٢) هو ضابى بن الحارث كما في أمثال الميداني ٢ : ١٥٥

قالوا : أوص ، ويحك ، بغير ذا . قال : أبلغوا أهل امرئ القيس^(١)
أنه أشعر العرب ، حيث يقول :

فِيَالِكَ مِنْ لَيْلٍ كَأَنَّ نَجْمَهُ
بِكُلِّ مُغَارٍ الْفَتْلُ شُدَّتْ يَدْبُلُ !
قالوا : اتق الله ، ودع عنك هذا ! قال : أبلغوا الأنصار أن أصحابهم^(٢)
أشعر العرب ، حيث يقول :

يُغْشَوْنَ حَتَّى مَا نَهَرُ كَلَابُهُمْ
لَا يَسْأَلُونَ عَنِ السَّوَادِ لِلْقَبْلِ
قالوا : إن هذا لا يغني عنك شيئاً ، قل غير ما أنت فيه . فقال :
الشَّعْرُ صَعْبٌ وَطَوِيلٌ سُلْمُهُ
إِذَا ارْتَقَى فِيهِ الذِّى لَا يَعْلَمُهُ
زَلَّتْ بِهِ إِلَى الْخَضِيزِ قَدَمُهُ
يُرِيدُ أَنْ يُعْرِبَهُ فَيُعْجِبُهُ

قالوا : هذا مثل الذى أنت فيه^(٣) . فقال :
قَدْ كُنْتُ أَحْيَاثًا شَدِيدَ اللَّعْمَدِ
وَكُنْتُ ذَا غَرْبٍ عَلَى خُصْمِ الدِّ^(٤)
فَوَرَدَتْ نَفْسِي وَمَا كَانَتْ تَرُدُّ

قالوا : يا أبا مليكة ، ألك حاجة ؟ قال : لا ، والله ، ولكن أجزع على
اللدبح الجيد يمدح به من ليس له أهلاً . قالوا : فن أشعر الناس ؟ فأوماً بيده
إلى فيه ، وقال : هذا اللسان إذا طمع فى خير . واستعبر باكياً . قالوا له :
قل : لا إله إلا الله . فقال :

(١) فى النسختين : « أبلغوا امرأ القيس » ، صوابه من الأغاني

(٢) يعنى حسان بن ثابت .

(٣) فى الأغاني : « الذى كنت فيه » .

(٤) الأغاني : « الخصم الد »

قَالَتْ: وَفِيهَا حَيَّةٌ وَذُعْرٌ عَوَّذَ بَرِّئِي مِنْكُمْ وَحَجْرٌ^(١)

فَقِيلَ لَهُ: مَا تَقُولُ فِي عبيدِكَ؟ فَقَالَ: هُمُ عبيدٌ قَيْنٌ مَا عَاقَبَ اللَّيْلُ النَّهَارَ.
قَالُوا: فَأَوْصِ لِلْفُقَرَاءِ بِشَيْءٍ. قَالَ: أَوْصِيَهُم بِالْإِلْحَاحِ فِي الْمَسْأَلَةِ، فَإِنَّهَا تَجَارَةٌ
لِنِ تَبُورٍ؛ وَاسْتَئْذِنِ الْمُسْتَوْصِيَّ أَصْبَحَ قَالُوا: مَا تَقُولُ فِي مَالِكَ؟ قَالَ: لِلْأَنْثَى
مِنْ وَلَدِي مِثْلًا حَظُّ الذَّكَرِ^(٢). قَالُوا: لَيْسَ هَكَذَا قَضَى اللَّهُ. قَالَ: لَكُنِّي
هَكَذَا قَضَيْتُ. قَالُوا: مَا تَوْصِي لِلْيَتَامَى؟ قَالَ: كُلُّوْا أَمْوَالَهُمْ، وَنِكَحُوا أُمَّهَاتِهِمْ.
قَالُوا: فَهَلْ شَيْءٌ تَعْهَدُ فِيهِ غَيْرَ هَذَا؟ قَالَ: نَعَمْ، تَحْمِلُونِي عَلَى أَتَانٍ، وَتَتْرَكُونِي
رَاكِبًا حَتَّى أَمُوتَ؛ فَإِنَّ الْكَرِيمَ لَا يَمُوتُ عَلَى فَرَّاشِهِ، وَالْأَتَانُ مَرْكَبٌ لَمْ
يَمُتْ عَلَيْهِ كَرِيمٌ قَطًّا. فَحَمَلُوهُ عَلَى أَتَانٍ وَجَمَعُوا يَذْهَبُونَ بِهِ وَيَجِيشُونَ عَلَيْهَا،
حَتَّى مَاتَ.

وَفِي الْإِصَابَةِ لِابْنِ حَجَرٍ: أَنَّهُ عَاشَ إِلَى زَمَنِ مَعَاوِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

* * *

الاختصاص

أَنْشَدَ فِيهِ، وَهُوَ الشَّاهِدُ الْخَمْسُونَ بَعْدَ الْمِائَةِ، وَهُوَ مِنْ شَوَاهِدِ^(٣):

١٥٠ (يُنَا، تَبْمَا، يُكْشَفُ الضَّبَابُ)^(٤)

عَلَى أَنَّ الْمَنْصُوبَ عَلَى الْاِخْتِصَاصِ رُبَّمَا كَانَ عِلْمًا.

أَقُولُ: تَبْمَا، هُوَ تَبْمِ بْنِ مُرِّ بْنِ أَذَّ بْنِ طَابِجَةَ بْنِ الْيَاسِ بْنِ مَضَرَ. وَهَذَا
لَيْسَ مَرَادَ الشَّاعِرِ؛ وَإِنَّمَا مَرَادُهُ الْقَبِيلَةُ. وَ(الضَّبَابُ) جَمْعُ ضَبَابَةٍ، وَهُوَ

(١) حَجَرٌ، بِالضَّمِّ، أَيْ رَفَعَ، كَمَا فِي اللِّسَانِ (حَجَرٌ ٢٣٩) عِنْدَ
أَنْشَادِ هَذَا الرَّجَزِ.

(٢) كَذَا فِي طَوَالِغِ الْأَغَانِي. وَفِي شَيْءٍ: «مِثْلُ حَظِّ الذَّكَرِ»

(٣) سَبْيُوِيَه ١: ٢٥٥، ٣٢٧ وَانْظُرِ الْعَيْنِي ٤: ٣٠٢ وَابْنُ يَعِيشَ
٤: ٣٠٢ وَمُلْحَقَاتُ دِيَوَانِ رُوْبَةِ ١٦٩

(٤) قَبْلَهُ فِي الدِّيَوَانِ:

* رَاحَتٌ وَرَاحٌ كَعَصَا السَّيْسَابِ *

ندى كالغبار يمشى الأرض بالقدوات ؛ وأضَبَّ يومنا بالهمزة : إذا صار
ذا ضباب . ف ضرب الضَّبَابَ مثلاً لقمة الأمر وشدته ، أى بنا تُكشَفُ
الشدائدُ فى الحروب وغيرها .

وأنشده س على أنَّ تيماً منصوباً بإضمار فعل ، على معنى الاختصاص والفخر .
و (بنا) متعلق بقوله : (يكشف) . وقدّم للحصر .

وهذا البيت من أرجوزة لرؤبة بن المعجاج وقد تقدّمت ترجمته فى الشاهد
الخامس من أوائل هذا الكتاب (١) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والخمسون بعد المائة (٢) :

١٥١ (إِنَّا بَنَى ضِبَّةً ، لَا نَفِرُّ)

على أنَّ بَنَى ضِبَّةً منصوب على الاختصاص ، تقديره : أخصّ بنى ضِبَّةَ
الجملة معترضة بين اسم إنَّ وخبرها ، وهو جملة لا نفِرُّ ، حمى بها
ليبيان الافتخار .

و (ضِبَّة) هو ابن أدّ بن طابخة بن الياس بن مضر . وأبناء ضِبَّة ثلاثة :
سعد ، وسُعيد (بالتصغير) ، وباسل وهو أبو الديلم .

قال أبو عبيد القاسم بن سلام : خرج باسل بن ضِبَّة مغاضباً لأبيه ، فوقع
بأرض الديلم ، فتزوج امرأة من العجم ، فولدت له دَيْلَمًا . فهو أبو الديلم .

* * *

(١) ص ٨٩ من الجزء الأول

(٢) لم أجده فى غير الخزانة

وأُشَدَّ بعده ، وهو الشاهد الثاني والחסون بعد المائة (١) :

١٥٢ (لنا يومٌ وللكروانِ يومٌ تَطِيرُ البائِساتِ ولا نَطِيرُ)
على أن (البائِساتِ) منصوب على الترحم .

وهذا البيت من قصيدة لطرفة بن العبد ، هجا بها عمرو بن المنذر بن صاحب الشاهد
امرى القيس ، وأخاه قابوس بن المنذر — وأمهما بنت الحارث بن عمرو
الكندى آكل المرار — وهذه أبيات ثمانية منها :

(فليت لنا مكانَ الملكِ عمرو رَغُوثًا حولَ قُبَيْنَا تَحُورُ أبيات الشاهد
من الزَّمِرَاتِ أَسْبَلَ قَادِمَاهَا ، وَضَرَّتْهَا مَرَكَّةٌ دَرُورُ
يُشارِكُنَا لَنَا رَخْلَانِ فِيهَا وتعلوها الكِبَاشُ وما تنورُ
لعمرك ، إِنَّ قابوسَ بنَ هِنْدٍ ليخلطُ مُلْكَهُ نَوَكُ كَثِيرُ
قَسَتْ الدَّهْرَ في زَمَنِ رَخَى كذاك الحُكْمُ يَقْصِدُ أو يجور
٤١٣ لنا يومٌ وللكروانِ يومٌ البيت
فأَمَّا يَوْمُهُنَّ فيومٌ سوءٌ تُطارِدُهُنَّ بِالْحَدَبِ الصَّقُورُ
وأَمَّا يَوْمُنَا فنَظَلَّ رَكْبًا وَقُوفًا ما نَحُلُّ ولا نَسِيرُ)

وكان السبب في هذه القصيدة — على ما حكى الفضل بن سلمة في كتابه
(الفاخر) — أن عمرو بن المنذر ، كان يرشح أخاه قابوس بن المنذر لملك بعده ،
فقدّم عليه المنلس وطرفة ، فجعلهما في صحابة قابوس ، وأمرهما بلزومه . .
وكان قابوس شاباً يعجبه اللهو ، وكان يركب يوماً في الصيد فيركض يتصيد
وهما معه يركضان ، حتى يرجعا عشيّة وقد تعباً ، فيسكون قابوس من الغد

في الشراب ، فيقفان بباب سُرادقه إلى العشيّ . فكان قابوس يوماً على الشراب ؛ فوقفا ببابه النهار كله ، ولم يصلأ إليه ؛ فضجر طرفة فقال هذه القصيدة .

وقال يعقوب بن السكيت ، والأعلم الشننمرى (في شرحهما لديوان طرفة) : إن عمرو بن هند المذكور ، كان شيريراً ؛ وكان له يوم بؤس ويوم نعمة ؛ فيوم يركبُ في صيده يقتل [أوّل ^(١)] مَنْ يَلْقَى ، ويوم يقف الناسُ ببابه ، فإنْ انتهى حديث رجل أذن له ، فكان هذا دهره كله . فهجاه طرفة وذكر ذلك بقوله : فليت لنا مكان . . الخ ، للملك ، بفتح الميم وسكون اللام وأصلها الكسر : وصفُ من ملك على الناس أمرهم : إذا تولّى السلطنة . ولنا : خبر لیت مقدّم ، ورغوثاً : اسمها مؤخر ؛ ومكان الملك : ظرف ، وكان في الأصل صفة لرغوث فلما قدم صار حالاً . والرغوث ، بفتح الراء وضم الغين للمعجمة وآخره ثاء مثلثة : النعجة المرضع ؛ يقال رغث الغلام أمه : إذا رضعها . وتخور : تصوّت ؛ وأصل الخوار للبقر . فجعله طرفة للنعجة .

وقوله : من الزّمرات . . الخ ، بفتح الزاى المعجمة وكسر الميم أى القليلات الصّوف ؛ وخصّها لأنّها أغزر ألباناً ؛ يقال رجل زمر المروءة : إذا كان قليلها . والقادمان : الخلفان ؛ وأصل القادمين للناقة ، لأنّها أربعة أخلاف : قادمين ، وآخرين ؛ فاستعار القادمين للشاة . وأسبل : طال وكمل والضّرة ، بفتح الضاد المعجمة . لحم الضّرع . والمركنة : التى لها أركان ، أى جوانب وأصل ؛ وقيل : هى المجتمعة . والدّرور ، بفتح الدال : الكثيرة الدّر .

وقوله : يشاركنا . . الخ ؛ الرّخل ، بفتح الراء وكسر الخاء المعجمة : الأنثى من أولاد الضأن . ولنا : حال من رخلان ؛ وكان قبل التقديم صفة ،

(١) التكملة من ديوان طرفة

أى يشاركنا فى لبنها رخلان لنا . وتَنور ، بالنون : تنفِر ؛ والنَوَار : النُّفُور .
يصف غزارة دَرَّها وكثرة أولادها ، وأنها قد ألفت الذكورَ فما تنفَر منها .
وقوله : نوك كثير ، النوك بالنون : الحماقة ، وكثير : يروى بالمثلثة
وبالموحدة . وكان قابوسُ يحمقُ ويُرَنُّ فى نفسه .

وقوله : قسمتَ الدهر . . الخ ، هو بالخطاب ، على طريقة الالتفات :
إمّا من قابوسَ على قول المفضل بن سلمة ، وإما من عمرو على القول الآخر ،
يخاطبه ويذكر ما كان من يوم صيده ويوم وقوف الناس ببابه . وقد بيّنه
فى الأبيات التى بعده . والرخى : السهل اللين . وكذلك الحكم ، جملة اسمية
على حذف مضاف ، أى ذو الحكم . أرسلها مثلا . وقوله : يقصد . . الخ ،
بيان لجهة التشبيه . ويقصد : من قصد فى الأمر قصداً ، من باب ضرب :
إذا توسّط وطلب الأسد ولم يجاوز الحدّ . وقوله : لنا يوم . . الخ ، مبتدأ وخبر
وروى فى أكثر الروايات :

* لنا يوماً ولليكرّوان يوماً *

ينصب يوماً فى الموضعين على أنّه بدل كلّ من الدهر . والليكرّوان
بكسر السكاف وسكون الراء ، قال الأعمش^(١) : « هو جمع كروان ، وهو طائر ،
ونظيره شَقْدَان وشِقْدَان ، ووَرَشَان ووَرَشَان ، وحمار فَلَتن والجمع فِلْتَان .
وقد يكون كِرْوان جمع كَرَأ مثل قَتى وفَتَيان وخرَب وخرَبان » انتهى .

ولم يذكر فى أمثاله أبو فيد مؤرّج بن عمرو السدوسى إلا الوجه الثانى
كما تقدّم فى الشاهد الرابع والأربعين بعد المائة^(٢) ؛ قال : قالوا : كَرَأ وكِرْوان
مثل قَتى وفَتَيان . وأنشد هذا البيت .

(١) أى فى شرح ديوان طرفة

(٢) أنظر ص ٣٧٤ من هذا الجزء

وزعم ابن السيّد ، فيما كتبه على هذا الكتاب^(١) : أنَّ الكروان هنا مفرد بفتح الكاف والراء ، وأنّ التأنيث باعتبار قصد الأفراد من الجنس . انتهى .

والبائسات ، منصوب على الترحم كما يقال : مررت به المسكين . وفاعل تطير ، ضمير الكروان . ورؤى بالرفع أيضاً ، قال ابن السكيت : وهو الأكثر وقال الأعمى : والرفع على القطع ، وقد يكون على البدل من للمضر في تطير . وهو جمع بائسة ، من البؤس بالضم وسكون الهمزة ، وهو الضرّ ؛ يقال : بئس ، بالكسر : إذا نزل به الضرّ ، فهو بائس : وقوله : لا تطير ، بنون المتكلم مع الغير .

وقوله : فأما يومهنّ . . الخ السوء بفتح السين ؛ قال الأزهريّ في تهذيبه : « وتقول في النكرة : هذا رجلُ سوء ، وإذا عرفتَ قلتَ : هذا الرجلُ السوء ، ولم تُضِفْ . وتقول : هذا عملُ سوء ، ولا تقل عمل السوء ، لأن السوء يكون نعتاً للرجل ، ولا يكون السوء نعتاً للعمل ، لأن الفعل من الرجال ؛ وليس الفعل من السوء . كما تقول : قولٌ صِدقٍ وقول الصدقِ ورجلٌ صدقٍ ، ولا تقول رجل الصدق لأن الرجل ليس من الصدق » انتهى . ورؤى بدله (نحس) وهو بمعناه . والحدب بفتح الهملتين : ما ارتفع من الأرض وغلظ . يقول : يوم الكروان يومٌ نحسٍ ، لمطاردة الصقور لمن . وقوله : ما نحلّ ولا نسير ، أى نحن قيام على بابهِ ، ننتظر الإذن ، فلا هو يأذن فنحلّ عنده ، ولا هو يأمرنا بالرجوع ففسير عنه . ونحلّ مضارع حلّ يحلّ حُلُولاً ؛ من باب قعد : إذا نزل .

(١) ش : « وزعم السيّد » ،

طرفة

و (طَرْفَة) ، هو طَرْفَة بن العبد بن سفيان بن سعد بن مالك بن ضُبَيْعَة ابن قيس بن ثعلبة بن عُكَّابَة بن صَعْب بن عليّ بن بكر بن وائل. الشاعر المشهور .
وطَرْفَة بالتحريك ، في الأصل : واحد الطَّرْفَاء وهو الأثل (١) ، قال في القاموس : الطَرْفَة محرّكة : واحدة الطَّرْفَاء ، وبها لُقِّب طَرْفَة بن العبد ، واسمه عمرو ، ولقب بيت قاله (٢) .

وهو أشعر الشعراء بعد امرئ القيس . ومَرْتَبته ثاني مرتبة ؛ ولهذا نُقِيَ بمَلَقته . وقال الشعر صغيراً . قال ابن قتيبة : هو أجود الشعراء قصيدة . وله بعد للمعلقة شعرٌ حسن . وليس عند الرواة من شعره وشعر عبيدٍ إلا القليل . وقُتِل وهو ابن ست وعشرين سنة .

وكان السبب في قتله : أنه وفد مع خاله المتلمّس على عمرو بن هند ، فأكرمهما وبقياً عنده مدّة (قال المفضل بن سلمة) : وكان لطرفة ابنُ عمّ عند عمرو ابن هند واسمه عبدُ عمرو بن بشر بن عمرو بن مرثد بن سعد بن مالك ابن ضُبَيْعَة — وكان طرفة عدواً لابن عمّه عبد عمرو — وكان سميّاً بادئاً ، فدخل على عمرو بن هند الحثام ، فلما تجرّد قال عمرو بن هند : لقد كان ابن عمك طرفة رآك حين ما قال — وكان طرفة هجاء عبد عمرو ، فقال فيه من جملة أبيات :

ولا خَيْرَ فيه ، غير أن له غيَّ وأن له كشحاً ، إذا قام ، أهضماً

(١) في القاموس : « الطرفاء : شجر ، وهي أربعة أصناف ، منها الأثل ، الواحدة طرفاء وطرفة محرّكة » .

(٢) هو كما في القاموس والمزهر ٢ : ٤٤١ :

لا تُعْجِلْ بالبكاء اليوم مطرَفاً ولا أميريكما بالدار إذ وقفا

فلما أنشد الأبيات لعبد عمرو قال له عبد عمرو : ما قال لك شرٌّ مما قال لي ؛ ثم أنشده :

فليت لنا مكانَ الملكِ عمرو . . (الأبيات المتقدمة)

فصدقه عمرو بن هند وقال له : ما أصدقك عليهم — مخافة أن تدركه الرحمُ وينذرَه — فمكث غير كثير ، ثم دعا المتلّس وطرفة ، وقال : لعلكما قد اشتقتما إلى أهلكما ، وسراً كما أن تنصرا ! قالا : نعم ! فكتب لهما إلى عامله على هجر أن يقتلها . وأخبرهما أنه قد كتب لهما بجباء ، وأعطى كل واحد منهما شيئاً فخرجا — وكان المتلّس قد أسن — فقرأ بنهر الحيرة على غلمانٍ يلعبون ؛ فقال للمتّلس : هل لك أن ننظر في كتابينا ، فإن كان فيهما خيرٌ مضيئنا له ، وإن كان شراً ألقيناها ؟ فأبى عليه طرفة . فأعطى المتلّس كتابه بعض الغلمان ؛ فقرأه عليه ، فإذا فيه سوء . فألقى كتابه في الماء ، وقال لطرفة : أطنني وألق كتابك ! فأبى طرفة ومضى بكتابته إلى العامل ، فقتله . ومضى المتلّس حتى لحق بملوك بني جفنة بالشام اه .

وروى يعقوبُ بن السكيت (في شرح ديوانه) القصة بأبسط من هذا ، قال : إن طرفة لما هجا عمرو بن هند بالأبيات المتقدمة ، لم يسمعها عمرو ابن هند . حتى خرج يوماً إلى الصيد فأمعن في الطلب ، فاقطع في نفرٍ من أصحابه ؛ حتى أصاب طريدته فتزل ، وقال لأصحابه : اجمعوا حطباً — وفيهم ابن عم طرفة — فقال لهم : أوقدوا . فأوقدوا ناراً وشوى . فبينما عمرو يأكل من شوائه وعبدُ عمرو يُقدّم إليه ، إذ نظر إلى خصر قيصه منخرقاً ، فأبصر كشحه ، وكان من أحسن أهل زمانه حينما — وقد كان بينه وبين طرفة أمرٌ وقع بينهما منه شرٌّ ، فهجاه طرفة بأبيات — فقال له عمرو بن هند — وكان

سمع تلك الآيات — : يا عبد عمرو ، لقد أبصر طرفة حُسن كشحك ،
ثم تمثل فقال :

ولا خير فيه غير أن له غني وأن له كشحاً ، إذا قام ، أهضماً

فغضب عبد عمرو مما قاله وأنف ، فقال : لقد قال للملك أقبح من هذا !
قال عمرو . وما الذي قال ؟ فندم عبد عمرو ، وأبى أن يسمعه . فقال . أسمعنيهِ ،
وطرفة آ من . فأسمعه القصيدة التي هجَاهُهَا (وشرحنا منها ثمانية أبيات قدّمت)
فسكت عمرو بن هند على ما وقر في نفسه ، وكره أن يعجل عليه ، لمكان
قومه ؛ فأضرب عنه — وبلغ ذلك طرفة — وطلب غرته والاستمکان منه ؛
حتى أمن طرفة ولم يخفّه على نفسه ، فظن أنه قد رضى عنه . وقد كان المتلمس
— وهو جرير بن عبد المسيح — هجا عمرو بن هند . وكان قد غضب عليه ؛
فقدم المتلمس وطرفة على عمرو بن هند ، يتعرّضان لفضله . فكتب لهما إلى عامله
على البحرين وهجر . وكان عامله فيهما فيما يزعمون ربيعة بن الحارث العبدى ،
وهو الذى كتب إليه فى شأن طرفة والمتلمس — وقال لهما : انطلقا إليه فاقبضا
جوائزكما . فخرجا . فزعموا أنّهما لما هبطا النجف قال المتلمس : يا طرفة ،
إنك غلامٌ غرٌ حديث السن ، والمملكُ من قد عرفتَ حِقْدَهُ وغَدْرَهُ ، وكلانا
قد هجَاه ؛ فلست آمنَا أن يكون قد أمرَ فينا بشرٌ ؛ فهلمَّ ننظرْ في كتابينا ،
فإن يكن أمرُ لنا بتخيرِ مضيئنا فيه ، وإن يكن قد أمرَ فينا بغير ذلك لم نهلك
أنفسنا ؛ فأبى طرفة أن يفكّ خاتم الملك ، وحرص (١) المتلمس على طرفة فأبى .
وعدل المتلمس إلى غلام من غلمان الحيرة عبادى فأعطاه الصحيفة ، فقرأها ،
فلم يصل إلى ما أمر به فى المتلمس حتى جاء غلامٌ بعده فأشرف فى الصحيفة

لا يدري لمن هي (١) فقرأها فقال : ثكلت المتلس أوه ! فانتزع المتلس الصحيفة من يد الغلام ، واكتفى بذلك من قوله ، واتبع طرفه فلم يدركه ، وألقى الصحيفة في نهر الحيرة ، ثم خرج هاربا .

وقد كان المتلس فيما يقال قال لطرفة حين قرأ كتابه : تعلم ، أن في صحيفتك كمثل الذي في صحيفتي ! فقال طرفه : إن كان اجترأ عليك فما كان ليَجترئُ عليّ ، ولا ليغرّني ، ولا ليقدّم عليّ ! فلما غلبه سار المتلس إلى الشام ، وسار طرفه حتى قدّم على عامل البحرين وهو بهجر . فدفع إليه كتاب عمرو بن هند ، فقرأه فقال : هل تعلم ما أمرتُ به فيك ؟ قال : نعم ، أمرتُ أن تميزني وتحسن إليّ . فقال لطرفة : إن بيني وبينك لخثولة أنا لها راع ، فأهرب من ليلتك هذه ، فإني قد أمرتُ بقتلك ؛ فأخرج قبل أن تصبح ويعلم بك الناس ! فقال له طرفه : اشتدّت عليك جائزتي وأحببت أن أهرب وأجملَ لعمرو بن هند على سيلا ، كأنّي أذنبت ذنباً ؟ ! والله لا أفعل ذلك أبدا ! فلما أصبح أمرَ بحبسه . وجاءت بكر بن وائل فقالت : قدّم طرفه ! فدعا به صاحبُ البحرين ، فقرأ عليهم كتابَ الملك ، ثم أمر بطرفة وحُبس ، وتكرّم عن قتله ، وكتب إلى عمرو بن هند : أن ابعث إلى عمّلك (٢) ، فإني غير قاتل الرجل . فبعث إليه رجلاً من بني تغلب ، يقال له عبد هند ابن جرذ (٣) ، واستعمله على البحرين وكان رجلاً شجاعاً ؛ وأمره بقتل طرفه

(١) ط : « من هو » صوابه في ش . وفي الأغاني : « لا يدري ممن هي »

وانظر القصة هناك مروية عن ابن السكيت

(٢) كناية عن استقالته . وانظر شرح القصائد السبع ١٢٧

(٣) في نوادر المخطوطات ٢ : ٢١٤ وشرح القصائد السبع الطوال

١٢٧ : « عبد هند بن جرذ » . وفي إحدى نسخ القصائد السبع : « بن خرد »

ط : « عبد بن هند » تحريف ، صوابه في ش وشرح القصائد السبع

وقتل ربيعة بن الحارث العبدىّ فقدمها عبدهند، فقرأ عهدَه على أهل البحرين،
ولبت أياًماً. واجتمعت بكر بن وائل فهت به، وكان طرفة يحضّضهم.
وانتدب له رجلٌ من عبد القيس ثم من الحوائر يقال له «أبوريشة» فقتله.
فقبره اليوم معروف بهجر.

وزعموا أن الحوائر ودّته إلى أبيه وقومه (١).

وقالت أخت طرفة تهجو عبد عمرو، لما كان من إنشاء الشعر الملك:
ألا ثكلتك أمك عبد عمرو أيا تخربات آخيت الملوكا
هم دحوك للوركين دحاً ولو سألو لأعطيت البروكا
ورثت طرفة أخته بقولها (٢):

عدّنا له سنّاً وعشرين حجةً فلما توفّاها استوى سيّداً صخنا
فجئنا به لما رجونا إياه على خير حالٍ: لا وليداً ولا قحماً
أ. هـ. ومثله في (كتاب الشراء لابن قتيبة) قال: وكان طرفة في حسب
من قومه جريئاً على هجائهم وهجاء غيرهم. وكانت أخته عند عبد
عمرو بن بشر بن مرثد، وكان عبد عمرو سيّداً أهل زمانه، فشكت أخت
طرفة شيئاً من أمر زوجها إليه، فقال:

ولا عيب فيه غير إن له غني البيت
وإن نساء الحى يعكفن حوله يقلن عسب من سرارة ملهـما
(وأهضم: منقبض. وسرارة بالفتح: خيار. وملهم، بالفتح: موضع

(١) وكذا في شرح القصائد السبع والأغاني ٢١: ١٣٢ وفي ط فقط:
«ردته إلى أبيه وقومه»، تحريف

(٢) ش: «ورثت طرفة بقولها».

كثير النخل) فخرج عمرو بن هند يتصيد، ومعه عبد عمرو، فأصاب حماراً فقمره، فقال لعبد عمرو: انزل إليه! فتزل إليه فأعياه، فضحك عمرو بن هند وقال: لقد أبصرَكَ طرفةً حين قال:

ولاعيبَ فيه غير أنْ له غني البيت

٤١٧

وقال في آخرها: ويقال: إن الذي قتله المعلّى بن حنشل^(١) العبدى والذي تولى قتله بيده معاوية بن مرة الأيقل^(٢) حتى من طسم وجد يس. ثم قال: وكان أبو طرفة مات، وطرفة صغير، فأبى أعمامه أن يقسموا ماله، فقال:

ما تَنْظُرُونَ بِمَالِ وَرْدَةَ فِيكُمْ صَغُرَ الْبَنُونَ وَرَهْطَ وَرْدَةَ غَيْبٌ^(٣)
 قد يَبْعَثُ الْأَمْرَ الْعَظِيمَ صَغِيرُهُ حَتَّى تَظُلَّ لَهُ الدَّمَاءُ تَصْـبُبُ
 وَالظُّلَمَ فَرَّقَ بَيْنَ حَيٍّ وَائِلٍ بَكَرُ تَسَاقِيهَا الْمَنَايَا تَغْلِبُ
 وَالصَّدُوقُ يَأْلَفُهُ الْكَرِيمُ الْمُرْتَجَى وَالْكَذِبُ يَأْلَفُهُ الدَّنِيءُ الْأَخِيْبُ
 ويقال: إن أول شعرٍ قاله طرفة، أنه خرج مع عمه في سقر، فنصب فخاً فلما أراد الرحيل قال:

يَا لَكَ مِنْ قُبْرَةٍ بِمَعْمَرٍ خَلَاكَ الْجَوْ فَيُضَى وَأَصْفِرَى
 وَنَقْرَى إِنْ شِئْتَ أَنْ تُنْقَرَى قَدْ رُفِعَ الْفَنَخُ، فَاذَا تَحْدَرَى
 لَا بَدْءَ يَوْمًا أَنْ تُصَادَى فَاصْبِرَى ٥١

(١) ط: «خش»، صوابه في ش والشعراء ١٣٨

(٢) وردت هذه الكلمة مهملة الاعجام في النسختين، واعجامها من

الشعراء ١٣٨

(٣) ط: «صغر البنون»، صوابه في ش والشعراء. ووردة أم

طرفة كما في الشعراء

وعمر بن هند المذكور هو من ملوك الحيرة . كان عاتياً جباراً ، ويسى محرّقا أيضاً ، لأنه حرّق بنى تميم ، وقيل : بل حرّق نخل اليمامة . والنعمان ابن المنذر صاحب النابغة أخو عمرو بن هند^(١) . وسيأتى إن شاء الله تعالى ، نسبة عمرو بن المنذر في نسبة أخيه النعمان بن المنذر^(٢) في الشاهد الثالث بعد هذا .

(تمة)

ذكر الأمدى في المؤلف والمختلف من اسمه طرفة من الشعراء أربعة ، من اسمه طرفة أولهم هذا .

و (الثاني) طرفة بن ألاءة بن نضلة بن المنذر بن سلمى بن جندل بن نهشل بن دارم .

و (الثالث) طرفة الجذمي أحد بنى جذيمة العبسي^(٣) . و (الرابع) طرفة أخو بنى عامر بن ربيعة .



(١) صاحب النابغة هذا هو النعمان بن المنذر بن المنذر بن امرئ القيس بن عدى . وأما عمرو فهو عمرو بن هند نسب الى أمه ، واسمه عمرو بن المنذر بن امرئ القيس . انظر العمدة ٢ : ١٧٩ فعمرو بن هند عمه لا أخوه . وسيأتى ذلك في الشاهد ١٥٥ نقلا عن العمدة . فيبدو أن صواب العبارة « ابن أخى عمرو بن هند »

(٢) كذا . والوجه « فى ترجمة ابن أخيه النعمان بن المنذر » حسب ما يفهم من نص العمدة الذى اعتمد عليه البغدادى

(٣) فى المؤلف ١٤٦ : أحد بنى جذيمة بن رواحة بن قطيعة بن عبس بن بغيض . وفى القاموس : « طرفة الخزيمى من بنى خزيمة بن رواحة » تحريف . وانظر جمهرة ابن حزم ٢٥١

وأُشَدَّ بعده ، وهو الشاهد الثالث والخسون بعد المائة ، وهو من شواهد سيبويه (١) :

١٥٣ (وَيَأْوِي إِلَى نِسْوَةٍ عُطِّلَ وَشُعْنًا مَرَاضِيْعَ مِثْلَ السَّمَالِي)

على أن قوله : (شُعْنًا) منصوبٌ عل الترحم كالذي قبله .

قال سيبويه : وشُعْنًا منصوبٌ بإضمار فعل . قال الأعمى : « لأنه لما قال : نِسْوَةٍ عُطِّلَ ، عُلِمَ أَنَّهُنَّ شُعْتُ . فكأنه قال : وأذكرهنَّ شُعْنًا . إلا أنه فعل لا يظهر ، لأن ما قبله دلَّ عليه فأغنى عن ذكره » .

وقال ابن خلف : الشاهد أنه نصبَ شُعْنًا ، كأنه حيث قال : إلى نِسْوَةٍ عُطِّلَ ، صرن عنده ممَّنْ عُلِمَ أَنَّهُنَّ شُعْتُ ولكنه ذكر ذلك تشنيعاً لهنَّ وتشويهاً . قال الخليل : كأنه قال : أذكرهنَّ شُعْنًا ، إلا أن هذا فعلٌ لا يستعمل إظهاره ، لأن ما قبله قد دلَّ عليه فأغنى عن ذكره ، على ما يجرى الباب عليه في المدح والذم (٢) .

٤١٨

وأُشَدَّه سيبويه في موضع آخر (٣) أيضاً قبل هذا يجرَّ شُعْتُ عطفًا على عُطِّلَ . وقال (٤) : « وإن شئت جررت على الصفة . وزعم يونس أن ذلك أكثر ، كقولك مررت بزيد أخيك وصاحبك » . ثم قال (٥) : « ولو قال : فشُعْتُ ، بالفاء لُقُبِحَ » .

(١) سيبويه ١ : ١٩٩ ، ٢٥٠ وانظر العيني ٤ : ٦٣ وابن يعيش

١٨ : ٢ والهدليلين ٢ : ١٨٤ ومعاني الفراء ١ : ١٠٨

(٢) انظر سيبويه ١ : ٢٥٠ وقارن ما نقل هنا عن الخليل بما هو مسطور هناك

(٣) يعني ١ : ١٩٩ وفي ط : « في مواضع آخر » ، صوابه في ش

(٤) يعني في ص ٢٥٠ لا ص ١٩٩ .

(٥) أي في ص ١٩٩ لا ص ٢٥٠ .

قال النحاس : ومعنى قوله : لَتُبَيِّحَ : لا يجوز . لأنَّ عطلاً وشعثاً صفتان ثابتتان معاً في الموصوف ، فعطفت إحداهما على الأخرى بالواو ، لأن معناها الاجتماع ؛ ولوعطفت بالفاء لم يجرز لأنه لم يرد أن الشعث حصل لمن بعد العطل .

وأورد هذا البيت صاحبُ الكشف عند قوله تعالى : (وَأَوَلُوا الْعِلْمَ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ^(١)) على أن المنتصب على المدح كما يجيء معرفة بجيء نكرة ، كما في شعناً فإنه منصوبٌ على الترحم .

وأورده أيضاً ابنُ الناطم وابنُ هشام في شرح الألفية ، على أن قوله : شعناً ، منصوب بفعل مضمر على الاختصاص ، ليبين أن هذا الضرب من النساء أسوأ حالاً من الضرب الأول الذي هو العطلّ منهن . ومثل هذا يسمى نصباً على الترحم .

قال ابن الحاجب (في أماليه) : لا يجوز أن يكون شعناً منصوباً مفعولاً معه ، لأن شرطه التشريك مع المرفوع في نسبة الفعل . وقد توهم من لا عبرة به جواز : سرت والجبل ؛ وهو غير جائز ، إذ الجبل لا يسير ؛ ولو سلم جوازه فلا بد من تأويله ، وهو أن يجعل كأن كل جزء من الجبل سائر ، لأنه إذا سار من موضع [من ^(٢)] نواحي الجبل فذاك مفارق له .

والبيت مطلق الروى ، فهو بكسر اللام من السعالى ، كما أنشده سيبويه . قال النحاس : هكذا أخذناه عن أبي إسحاق ، وأبى الحسن ، وهو الصواب . وأنشد هذا البيت العروضيون ، منهم الأخفش سعيد : « مثل السعال » بإسكان اللام . ولا يجوز إلا ذلك على ما رووه ؛ لأنهم جعلوه من المتقارب من الضرب الثانى من العروض الأولى .

(١) الآية ١٨ من آل عمران

(٢) التكملة من أمالى ابن الحاجب مخطوطة دار الكتب رقم ٢٦ نحو

وقوله : (ويأوى . الخ) فاعل يأوى ، ضميرُ الصياد : أى يأتى مأواه
ومنزله إلى نسوة . وعُطِّلَ : جمع عاطل ، قال فى الصحاح : « والعَطَلُ بالتحريك :
مصدر عطَّلت المرأة : إذا خلا جِيدُها من القلائد ، فهى عُطِّلَ بالضم وعاطل
ومِعْطال . وقد يُستعمل العَطَلُ فى الخلط من الشيء ، وإن كان أصله فى الحلى ،
يقال عطِّل الرجل من المال والأدب فهو عُطِّل ، بضمة وبضمّتين » . وهذا
هو المراد هنا ؛ لأن المعنى : أنَّ هذا الصياد يَغيب عن نسائه للصيد ، ثم يأتى
اليهن فيجدُهنَّ فى أسوأ الحال .

و (الشُعْث) جمع شَعْناء ، من شِث الشعر شَعْنًا فهو شِث ، من باب
تعب : تَغَيَّر وتلبَّد لقلَّة تعبُّده بالدهن ؛ ورجل أشعث وامرأة شعناء .
و (المراضيع) : جمع مِرْضاع ، بالكسر وهى التى تُرْضِع كثيرًا .

و (السَّعَالَى) بفتح السين ، قال أبو على القالى ، فى كتاب المقصور
والممدود : السَّعْلَى ، بالكسر وبالقصر : ذَكَر الغيلان ، والأنثى سَعِلَاة :
وقال الأصمعى : يقال : السَّعَلَاة : ساحرة الجن . حدَّثنا أبو بكر بن دريد
قال : ذَكَر أبو عبيدة ، وأحسب الأصمعى قد ذكره أيضاً ، قال لَقِيَت
السَّعِلَاةُ حَسَّانَ بْنَ ثَابِتٍ فى بعض طُرُقَات المدينة — وهو غلام ، قبل أن
يقول الشعر — فبركت على صدره ، وقالت : أنت الذى يرجو قومك أن
تكون شاعرهم ؟ قال : نعم ؟ قالت : فأنشدنى ثلاثة أبيات على روى واحد ،
وإلا قتلتك ؟ فقال :

إذا ما ترعرعَ فينا الغلامُ فما إنْ يُقالَ له : مَنْ هُوَ ؟
إذا لم يَسُدْ قبلَ شدِّ الإزارِ فذلك فينا الذى لا هُوَ ؟
ولى صاحبٌ من بنى الشَّيْضَبَانِ فحيناً أقولُ وحيناً هُوَ ؟

فخلت سبيله . ٥١ .

والشَّيْصَان ، بفتح الشين المعجمة وبعدها ياء مثناة تحتية وبعدها صاد مهملة مفتوحة وبعدها باء موحدة ، قال ابن دريد في الجهرة : هو ابن جثي من الجن . . وأنشد هذا البيت .

وروى أبو سعيد السكريّ هذا البيت في أشعار هذيل كذا :

له نسوةٌ عاطلاتُ الصّدو رِعُوجُ مراضِعُ مثلُ السَّعَالِي^(١)

وقال : عوج : مهازيل مثل الغيلان في سوء الحال ؛ هو جمع عَوَجاء .

قال في الصحاح : « والعوجاء : الضامرة من الإبل » . وعلى هذه الرواية فلا شاهد في البيت .

وهذا البيت لأمية بن أبي عائد الهذليّ من قصيدة طويلة عدتها ستة وسبعون بيتاً^(٢) ، على رواية أبي سعيد السكريّ (في أشعار الهذليين) وهذا مطلعها :

(إِلا يا لَقَوْمٍ لِطِيفِ الْخِيَالِ يُوَرِّقُ مِنْ نَازِحٍ ذِي دَلَالِ^(٣))

الطَّيْفُ هُنا مصدر طاف الخيال يَطِيفُ طَيْفًا . ويُوَرِّقُ : يسهّد . وقوله : من نازح ، أى من حبيب بعيد .

وهذا من أبيات سيبويه ؛ أورده شاهداً على فتح اللام الأولى وكسر

(١) ط . « مراضع » صوابه من الهذليين وتصحيح الشنقيطي في

نسخته

(٢) الحق أن عدتها ٨٣ بيتاً كما في شرح أشعار الهذليين للسكري

٤٩٤ - ٥١٤ بتحقيق عبد الستار فراج

(٣) بالقوم ، بكسر الميم ، وكما قال الصبان في حاشيته ٣ : ١٦٦ :

« بحذف ياء المتكلم والدلالة بالكسر عليها »

الثانية فرقاً بين المستغاث به والمستغاث من أجله . قال سيبويه^(١) : معناه :
مَنْ لطيف الخيال من نازح ذى دلال يؤرّقنى . وذكر النازح لأنه أراد
الشخص . والدلال : الدلالة بحسنٍ ومحبةٍ ونحوها .

(أجاز إلينا على بعده ، مهاوى خرقٍ مهَابٍ مهَالٍ)

أجاز الخيال : أى قطع إلينا على بعده . مهاوى : مواضع يهوى ويسقط
فيها وهو مفعول أجاز . والخرق ، بالفتح : الفلاة الواسعة تنخرق فيها الرياح .
ومهَابٍ ، بالفتح : موضع هَيْبَةٍ^(٢) . ومهَالٍ : موضع هَوْلٍ .

(صحارٍ تَفَوَّلُ جِنَّاتُهَا وأحداًب طَوْدٍ رفيع الجبالِ)

صحارٍ : جمعُ صحراء . وتَفَوَّلُ : تتلَوْن كالغول . والجَنَّانُ بالكسر : جمع
جانّ ، وهو أبو الجنّ . وأحداًب : منصوب بالعطف على مهاوى ، وهو جمع
حدَب بالتحريك ، وهو ما ارتفع من الأرض .

(خيالٌ لجمدةٍ قد هاج لى نُكَّاساً من الحبِّ بعد اندِمَالٍ)

أى ذلك الخيال خيالُ جمدةٍ . يقال : عرض لى نُكَّس ونُكَّس بضمهما .
واندمل : أفاق بعض الإفاقة .

(تَسْدَى مع النومِ نِمْنَاهَا دُنُو الضُّبَابِ بَطْلٍ زُلَالٍ)

(١) انظر كتاب سيبويه ١ : ٣١٩ ولعل الكلام : « قال شراح أبيات
سيبويه » ٠ ورواية البيت فى سيبويه والأعلم :

ألا يالقوم لطيف الخيال أرق من نازح ذى دلال
ففيه الحرم فى أول الشطر الثانى كقول امرئ القيس :

* وابن جريح كان فى حمص أنكرها *

أو تكون لام « الخيال » فى أول الشطر الثانى فتكون العروض
محذوفة .

(٢) ط : « هبة » ، صوابه فى ش .

أَيُّ غَشِينَا خِيَالُهَا كَمَا تَغْشَى الضَّبَابُ الْأَرْضَ . الْأَصْعَى : الضَّبَابُ :
الغيم . وَالطَّلَّ : الندى . وَالزُّلَال : الصافي .

(فَبَاتَتْ تَسْأَلُنَا فِي الْمَنَامِ وَأَحْبَبَ إِلَيَّ بِذَاكَ السُّؤَالَ ^(١))

(تَتَنَّى التَّحِيَّةَ بَعْدَ السَّلَامِ ثُمَّ تَفْدِي بَعْمٌ وَخَالٍ)

(فَقَدْ هَاجَنِي ذِكْرُ أُمِّ الصَّبِيِّ مِنْ بَعْدِ سَقَمٍ طَوِيلٍ لِلْمِطَالِ)
أَيُّ الْمَطَاوِلَةِ .

(وَمَرَّ لِلْمَنُونِ بِأَمْرِ يَغْوُ لُ مِنْ رُزْءِ نَفْسٍ وَمِنْ نَقْصِ مَالٍ)
مَرٌّ بِالْجُرْ عَطْفٌ عَلَى قَوْلِهِ مِنْ بَعْدِ سَقَمٍ .

(إِلَى اللَّهِ أَشْكُو الَّذِي قَدْ أَرَى مِنْ النَّائِبَاتِ بَعَافٍ وَعَالٍ)

أَيُّ تَأْخُذٍ بِالْعَفْوِ وَالسَّهْوَةِ أَوْ تَقَهْرٍ ^(٢) فَتَعْلُو وَتَعْظُمُ ؛ يُقَالُ عَالَهُ الْأَمْرُ :
إِذَا تَفَاقَمَ بِهِ ، شَكَا إِلَى اللَّهِ مَا أَصَابَهُ مِنْ دَهْرِهِ .

(وَإِظْلَالَ هَذَا الزَّمَانِ الَّذِي يُقَلِّبُ بِالنَّاسِ حَالًا لِحَالٍ ^(٣))

مَعْطُوفٌ عَلَى الَّذِي وَهُوَ مُصْدَرٌ أَطْلَّ عَلَى الشَّيْءِ بِمَعْنَى أَشْرَفَ عَلَيْهِ .

(وَجَهْدَ بَلَاءٍ إِذَا مَا أَتَى تَطَاوُلُ أَيَّامُهُ وَاللَّيَالَى)

عَطْفٌ عَلَى الَّذِي أَيْضًا .

(فَلَسَّ الْهُمُومَ بِعَيْرَانَةٍ مُوَاشَكَةِ الرَّجْعِ بَعْدَ التَّنْقَالِ ^(٤))

أَيُّ سَرِيعٍ رَجْعٍ يَدِيهَا . وَالْمُنَاقَلَةُ : ضَرْبٌ مِنَ السَّيْرِ .

(١) ويروى : « فَيَاتِ يَسْأَلُنَا »

(٢) ط : « أَيُّ تَقَهْرٍ » ، وَالتَّصْحِيحُ لِلشَّنَقِيطَى فِي نَسْخَتِهِ

(٣) ويروى : « تَقَلِّبُ بِالنَّاسِ »

(٤) ط : « اِتْتِقَالَ » ، وَهِيَ رَوَايَةٌ صَحِيحَةٌ أَيْضًا ، لَكِنِ التَّفْسِيرُ

بَعْدَهُ يَقْتَضِي مَا أَثْبَتَ مِنْ شِ

ثم أخذ في وصف ناقته . . إلى أن شبهها بحمار الوحش ، ووصفه بشيء كثير إلى أن ذكر أنه أورد أثنته الماء . . فقال :

(فلما وردنَ صَدْرَنَ النَّقِيلَ أَوْبَ مَرَامِي غَوِيٍّ مُغَالِي)

النقيل : المناقلة في السير ؛ وأصله إذا وقع في حجارة ناقل ، وهو أن ينقل قوائمه يضعها بين كل حجرين . والمُغَالِي : المرامي الذي يغالي في الرمي غيره ، ينظران أيهما (١) أبعد سهمًا . يقول : آبت كأوب السهام . وأوبها إذا نزع النازع في القوس ، فإذا أرسل السهم فقد آب من حيث نزع .

(فأسلكها مَرَصْدًا حَافِظًا به ابنُ الدُّجَى لاصِقًا كَالطُّحَالِ)

أى فأسلكها الفحل ، وهو حمار الوحش ، مَرَصْدًا ، أى مكانا يرصد به الرامي الوحش . وقوله : به ، أى بالمرصد . وابن الدُّجَى : الصياد ؛ وهو جمع دُجِيَّة ، وهى بيت الصائد ، تكون حَفِيرَةً يستتر فيها لئلا يراه الوحش . وقوله : لاصِقًا . . الخ ، يقول : قد لصق الصياد بأرض حَفِيرته ليخفى عن الصيد كما لصق الطحال بالجنب .

(مُقِينًا مُعِيدًا لِأَكْلِ الْقَنِيصِ ذَا فَاقَةٍ مَلْحَمًا لِلْعِيَالِ)

المُقِين : المقتدر ، من أقات على الشيء بمعنى اقتدر عليه . والمعيد : الذى قد اعتاد صيد القنيص . والمَلْحِم : اسم فاعل من ألحم (٢) : إذا أطمع اللحم .

(وَيَأْوِي إِلَى نِسْوَةٍ عُطَّلَ . . . البيت)

(١) فى النسختين : « الذى يغالى فى الرمي أيهم » وتكملة العبارة وتصحيحها من السكرى ٥٠٧ والترقيم هناك موهم فصححه كما هنا . وفى السكرى : « أبعد غلوا » .
(٢) ط : « لحم » صوابه فى ش

فاعله ضمير ابن الدجى وهو الصياد .

(تَرَا حُ يَدَاهُ بِمَحْشُورَةٍ ^(١) خَوَاطِي الْقِدَاحِ عِجَافِ النَّصَالِ)
 في الصحاح : « راحت يده بكذا : خَفَّتْ لَهُ » . والمحشورة : نَبْلٌ قد
 ألطف قُدُّهَا ، وهو أسرع لها وأبعد . وخواطى القداح : جمع خاطية ، أى متينة
 مكتنزة . والقداح : جمع قِدَحٍ بالكسر ، وهو عود السهم . وعجاف النصال :
 أى قد أرهفت حتى دَقَّتْ ^(٢) .

ثم وصف قوسه ونباله وصدق رمية . . إلى أن قال :

٤٢١ (فَعَمَّا قَلِيلٍ سَقَاها مَعًا بِمُزْعَفٍ ذَيْفَانٍ قِشْبِ ثُمَالٍ)
 المزْعَفُ ^(٣) : الموت السريع . والذيفان : السم . والقِشْبُ ، بالكسر :
 أن يُحْلَطَ بشيء ليقتل . وثمان ، بالضم : مُنْقَعٌ . شبه السهام به .
 (سِوَى الْعِلْجِ أَخْطَاهُ رَائِعًا بِشَجَرَاءَ ذَاتِ غِرَارٍ مُسَالٍ)
 يقول : سقاها بمزْعَفٍ ^(٤) سوى العليج ، أخطأه فلم يصبه . والعلج ،
 بالكسر : الحمار الغليظ . وشجَرَاءَ : صقيلة عريضة . وغرارها : حدّها .
 ومُسَالٍ : ممطول ، ومنه خد أسيل وأسال ^(٥) .

(فَجَبَالَ عَلَيْهِنَّ فِي نَفْرِهِ لِيَفْتَنَّهُنَّ لَزُولِ الزَّوَالِ)

(١) فى النسختين : « تروح » ، صوابه مما يقتضيه التفسير التالى ،
 من شرح الهذليين .

(٢) ط : « رقت » بالراء . وفى شرح السكرى : « وعجاف : مرهفة
 رقاق » .

(٣) حورها الشنقيطى هنا وفى متن البيت الى « المذعف » بالذال ،
 وكلاهما صحيح وان كانت رواية السكرى بالزاي

(٤) جعلها الشنقيطى : « بمذعف » .

(٥) كذا فى النسختين ، ولم أجده

جال عليهن : أقبلَ واعتمد عليهن في نفره حتى نفر . ليفتنهنّ :
أى ليشتنق بهن^(١) ، أى ليزول بهن عن الرامى^(٢) .

(فلما رآهنّ بالجلهتين يكبّون في مطحرات الإلال)
الجلهية : ما استقبلت من الوادى . يكبّون في مطحرات ، يعنى سهاما .
والمطحر : الملق . والإلال بالكسر : جمع آلة ، بالفتح والتشديد ،
وهى الحرّبة .

(رمى بالجراميز عرض الوجين وأرمد في الجرى بعد انتال^(٣))
رمى : أى الحمار ، يقال : رمى بالجراميز أى بنفسه . والوجين : ما اعترض
لك من غلظ . وأرمد : أسرع في العدو بعد أن كان انتال انتالة فجال .
نمّ وصف الحمار بشدة عدوه حينما نفر من الصياد ورأى أنه مصرعة .
إلى أن قال :

(أشبه راحلتى ما ترى جواداً ، يُسمع فيها مقلّى
وأنجو بها عن ديار الهوا ن غير انتحال الذليل للموالى)
بها : أى براحتى . والموالى : الذى يقول أنا مولاك . يقول : ليس كما
ينتحل الذليل للموالى . أى لا أقول ذلك ولا أفعله أى انتحالا .

(وأطلب الحبّ بعد السلوّ حتى يقال : امرؤ غير سال)

(١) فى النسختين : « ليشتنق بهن » ، صوابه فى شرح السكرى
واللسان « فتن » وفيه : « افتن الحمار بأننه واشتنق بها : اذا اخذ فى
طردها وسوقها يمينا وشمالا ، وعلى استقامة وعلى غير استقامة ، فهو يفتن
فى طردها أفانين الطرد » .

(٢) ط : « عن الرى » ، صوابه فى ش والسكرى .

(٣) ط : « بالجراميز » و « أرمد » ، صوابه فى ش والسكرى

اشتبهى أن يعاود الحبَّ والهوى ، بعد ما رأى الناس أنه قد أقْلَع
(أسلى المَسُومَ بأَمْسَالِهَا وأطوى البلادَ وأقضى الكَوَالِي)
أى وأقضى ما تأخر على من الحقوق . يقال دَيْنٌ كَالْيُ : إذا تأخر .
أى أقضى الدين بوفاءةٍ على هذه الراحلة ، إلى ملك ؛ أو أضرب
في الأرض لمكسب

(وأجعلُ فُقْرَتَهَا عُدَّةً إذا خِفْتُ بَيُّوتَ أَمْرِ عُضَالٍ)
وهذا آخر القصيدة^(١) يقال : بعير ذو فُقْرَةٍ : إذا كان قوياً على الركوب .
وبَيُّوتٌ : هو أمرٌ جاء بَيَّاتاً . وعُضَالٌ : شديد . يقول : أجعلُهَا عُدَّةً ، إذا نزل
بى أمرٌ معضل هربت عليها .

أمية
ابن أبي عائد

و (أُمِيَّة) هذا ، هو أمية بن أبي عائد . (بالذال للمعجمة) العَمْرَى .
أحد بني عمرو بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل^(٢) . . شاعر إسلامي
مخضرم ، على ما في الإصابة عن المرزباني .

وفي الأغاني : أنه من شعراء الدولة الأموية وأحد مدأحهم . له في عبد الملك
ابن مروان وعبد العزيز قصائد^(٣) . وقد وفد إلى عبد العزيز بن مروان بمصر ،
وأُشْد قصيدته التي أولها^(٤) :

٤٢٢

(١) آخرها في رواية الأصمعي فقط . والا فان بعدها بيتين آخرين ،
من رواية الجمحي كما في شرح السكري ٥١٤

(٢) في النسختين : « تميم بن سعد بن هذيل » ، صوابه من الأغاني
٢٠ : ١١٥ وجمهرة ابن حزم ١٩٧ والمعارف ٣٠ قال ابن قتيبة : « والعدد
في سعد بن هذيل ، تميم بن سعد ، وحريث بن سعد ، ومنعة بن سعد ،
وخزاعة بن سعد ، وجهامة بن سعد ، وغنم بن سعد » .
(٣) في الأغاني : « قصائد مشهورة » .

(٤) الأبيات في الأغاني ٢٠ : ١١٥ - ١١٦ أحد عشر بيتاً .
والثالث هنا ليس فيها ، وإنما هو في شرح السكري لاشعار الهذليين
حيث أخذ المصنف الأبيات .

أَلَا إِنَّ قَلْبِي مَعَ الظَّاعِنِينَ حَزِينٍ ، فَنِذَا يُعْرَى الْحَزِينَا
 وَسَارَ بِمِدْحَةِ عَبْدِ الْعَزِيدِ رِجْلَانُ مَكَّةَ وَالْمَجْدُونَا
 وَقَدْ ذَهَبُوا كُلُّ أَوْبٍ بِهَا فَكُلُّ أَنْاسٍ بِهَا مُعْجَبُونَا
 مَجْبَرَةٌ ، مِنْ صَحِيحِ الْكَلَامِ ، لَيْسَتْ كَمَا لَفَّقَ الْمُحَدِّثُونَا
 وَطَالَ مُقَامُهُ بِمِصْرَ عِنْدَهُ ، وَكَانَ يَأْنِسُ بِهِ ، وَوَصَلَهُ بِصَلَاتِ سَنِيَّةٍ ؛
 فَتَشَوَّقَ إِلَى الْبَادِيَةِ وَإِلَى أَهْلِهِ ، فَأَذِنَ لَهُ وَوَصَلَهُ .

* * *

وَأُنْشِدْ بَعْدَهُ ، وَهُوَ الشَّاهِدُ الرَّابِعُ وَالْخَمْسُونَ بَعْدَ الْمِائَةِ (١) :

١٥٤ (لَا إِلَهَ جَرَمًا كُلَّمَا ذَرَّ شَارِقُ
 وَجُوهُ كِلَابٍ هَارَشَتْ فَازْبَارَتْ)

عَلَى أَنْ قَوْلَهُ : (وَجُوهُ كِلَابٍ) مَنْصُوبٌ عَلَى الذَّمِّ .

وَهَذَا الْبَيْتُ مِنْ أَيْيَاتِ لَعْمَرُو بْنِ مَعْدٍ يَكْرِبُ . وَهِيَ :

(وَلَمَّا رَأَيْتُ الْخَيْلَ زُورًا ، كَأَنَّهَا جَدَّ أَوَّلُ زُرْعٍ أُرْسِلَتْ فَاسْبَطَرَتْ
 فَجَاشَتْ إِلَى النَّفْسِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَرُدَّتْ عَلَى مَكْرُوهِهَا فَاسْتَقَرَّتْ
 عَلَامٌ تَقُولُ الرِّيحُ يَنْقِلُ عَاتِقِي إِذَا أَنَا لَمْ أَطْعُنْ إِذَا الْخَيْلُ كَوَّتْ
 لَا إِلَهَ جَرَمًا كُلَّمَا ذَرَّ شَارِقُ وَجُوهُ كِلَابٍ هَارَشَتْ فَازْبَارَتْ
 فَلَمْ تُغْنِ جَرَمُ نَهْدَهَا أَنْ تَلَاقِيَا (٢) وَلَكِنْ جَرَمًا فِي الْإِلْقَاءِ ابْدَعَرَتْ

(١) الحماسة بشرح المرزوقي ١٦٠ والحيوان ١ : ٣١٨ والسمط

(٢) وكذا في الحماسة ١٦١ برواية : « اذ تلاقيا » . وروى :
 « أن تلاقيا » .

ظَلِمْتُ كَأَنِّي لِلرَّمَاحِ دَرِيَّةٌ^(١) أَقَاتِلُ عَنْ أَبْنَاءِ جَرَمٍ ، وَفَرَّتِ
فَلَوْ أَنَّ قَوْمِي انْطَقَتْنِي رِمَاحُهُمْ نَطَقْتُ ، وَلَكِنَّ الرَّمَاحَ أَجَرَتْ
هَذَا الْمَقْدَارَ أوردته أبو تمام في الحماسة . وفي ديوانه أكثر من هذا .

وقصة هذه الأبيات^(٢) : هو ما حكاه المفضل الطبرسي في شرح الحماسة :
أَنَّ جَرَمًا وَنَهْدًا ، وَهَما قَبِيلَتَانِ مِنْ قِضَاعَةَ ، كَانَتَا مِنْ بَنِي الْحَارِثِ بْنِ كَعْبٍ ؛
فَقَتَلَتْ جَرَمٌ رَجُلًا مِنْ أَشْرَافِ بَنِي الْحَارِثِ ؛ فَارْتَحَلَتْ عَنْهُمْ وَتَحَوَّلَتْ فِي بَنِي
زُبَيْدٍ . فَخَرَجَتْ بَنُو الْحَارِثِ يَطْلُبُونَ بَدَمَ أَخِيهِمْ ، فَالْتَقَوْا ؛ فَغَبَّأَ عَمْرُو جَرَمًا
لنَهْدٍ ، وَتَغَبَّأَ هُوَ وَقَوْمُهُ لِبَنِي الْحَارِثِ . فَفَرَّتْ جَرَمٌ ، وَاعْتَلَتْ بِأَنَّهَا كَرِهَتْ
دِمَاءَ نَهْدٍ ؛ فَهَزَمَتْ يَوْمَئِذٍ بَنُو زُبَيْدٍ . فَقَالَ عَمْرُو هَذِهِ الْأَبْيَاتُ يَلُومُهَا . ثُمَّ غَزَاهُمْ
بَعْدُ ، فَانْتَصَفَ مِنْهُمْ .

فقوله : زُورًا ، هو جمع أَزُورُ ، وهو الموعج الزُّورُ ، بالفتح ، أى الصدر .
يقول : لما رأيتُ الفُرسَانَ منحرفين للطعن ، وقد خَلَّوْا أَعْنَةً دَوَابَّهُمْ وَأَرْسَلُوها
علينا ، كأنها أَنهَارُ زَرْعٍ أُرْسِلَتْ مِيَاهُهَا فَاسْبَطَرَتْ ، أى امتدت . والتشبيه
وَقَعَ عَلَى جَرَى الْمَاءِ فِي الْأَنْهَارِ ، لا على الأنهار ؛ فَكَأَنَّهُ شَبَّهَ امْتِدَادَ الْخَيْلِ
فِي انْحِرَافِهَا عِنْدَ الطَّعْنِ ، بِامْتِدَادِ الْمَاءِ فِي الْأَنْهَارِ وَهُوَ يَطْرُدُ مَلْتَوِيًّا وَمُضْطَرِبًا .
وهذا تشبيه بديع .

وقوله : فجاشت .. الخ ، جاشت : ارتفعت من فزع . وهذا ليس لكونه
جبانًا ، بل هذا بيان حال النفس . ونفسُ الجبان والشجاع سواء فيما يدهمهما
عند الوهلة الأولى ، ثم يختلفان : فالجبان يركب نفرتَه ، والشجاع يدفعها

(١) ط : « دريئة » ، وهى مع صحتها لا تلائم تفسير البغدادى التالى .
وفى شرح المروزقى : « ذكر أبو زيد أنها تسمى دريئة الصيد بالهمز » .
(٢) القصة بتفصيل واضح فى معجم البكرى ٤١ - ٤٢

٤٢٣

فِيثُبْتُ . قَالَ أَبُو عبيدة : قَالَ عبد الملك بن مروان : وَجَدْتُ فُرْسَانَ الْعَرَبِ
سِتَّةَ نَفَرٍ : ثَلَاثَةٌ مِنْهُمْ جِزَعُوا مِنَ الْمَوْتِ عِنْدَ الْإِقَاءِ ، ثُمَّ صَبَرُوا ؛ وَثَلَاثَةٌ لَمْ
يَجِزَعُوا : قَالَ عَمْرُو :

فَجَاشَتْ إِلَى النَّفْسِ أَوَّلَ مَرَّةٍ الْبَيْتِ
وَقَالَ ابْنُ الْإِطَابَةِ :

وَقَوْلِي كَلَّمَا جَشَأْتُ وَجَاشَتْ : مَكَانَكَ ؛ مُحَمَّدِي أَوْ تَسْتَرِيحِي
وَقَالَ عَنزَةَ :

إِذْ يَتَّقُونَ بِي الْأَسِنَّةَ لَمْ أَخِمْ عَنْهَا ، وَلَكِنِّي تَضَاقِقَ مُقَدَّمِي^(١)
فَأَخْبَرَ هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةَ أَنَّهُمْ هَابُوا ثُمَّ أَقْدَمُوا^(٢) . وَقَالَ عَامِرُ بْنُ الطَّفِيلِ :
أَقُولُ لِنَفْسِي مَا أُرِيدُ بَقَاءَهَا أَقِلِّي لِلرَّاحِ أَنْتِي غَيْرُ مَدِيرِ^(٣)
وَقَالَ قَيْسُ بْنُ الْخَطِيمِ :

وَإِنِّي فِي الْحَرْبِ الضَّرُوسِ مُوَكَّلٌ بِإِقْدَامِ نَفْسِي مَا أُرِيدُ بَقَاءَهَا^(٤)
وَقَالَ الْعَبَّاسُ بْنُ مَرْدَاسٍ :

أَشْدُّ عَلَى الْكُتَيْبَةِ لَا أَبَالِي أَحْتَقِي كَانَ فِيهَا أَمْ سِوَاهَا
فَأَخْبَرَ هَؤُلَاءِ أَنَّهُمْ لَمْ يَجِزَعُوا .

(١) فِي النُّسَخَتَيْنِ : « أَنْ يَتَّقُونَ » ، وَحُورُهَا الشَّنْقِيطِيُّ إِلَى الصَّوَابِ :
« إِذْ يَتَّقُونَ »

(٢) ط : « قَدَّمُوا » ، وَهِيَ صَحِيحَةٌ ، إِذْ تَأْتِي قَدَمٌ بِمَعْنَى تَقْدِمِ ،
وَمِنْهُ قَوْلُ لَبِيدَ :

قَدَمُوا إِذْ قِيلَ قَيْسُ قَدَمُوا وَارْفَعُوا الْمَجْدَ بِأَطْرَافِ الْأَسْلِ
(٣) ط : « أَقِلِّي الْمَرَامِ » ، صَوَابُهُ فِي شَيْءٍ مَعَ اثَرِ تَصْحِيحِ وَالْمُفَضَّلِيَّاتِ
٣٦٢ وَدِيوَانِ طَفِيلِ ١٢٠ . وَيُرْوَى « الْمَرَاءِ » كَمَا فِي حِمَاسَةِ ابْنِ الشَّجَرِيِّ
٧ . « وَالشُّكُوكِ » كَمَا فِي السَّمَطِ ٣٤٤

(٤) دِيوَانِ قَيْسِ ١٠ . وَشَرَحَ شَوَاهِدَ الْمَغْنَى ١٨٦

الفاء زائدة، وجاشت : جواب لما عند الكوفيين والأخفش . وعند البصريين للعطف، والجواب مخنوف يقدر بعد قوله : فاستقرت ، أى طاعت أو أبلت . والقرينة عليه قوله : علام تقول الرمح . . البيت ، كذا قال شراح الحماسة وهذا تعسف نشأ من أبي تمام ، فإنه حذف بيت الجواب اختصاراً كما دته . لكن كان على الشارح مراجعة الأصل . والجواب هو البيت الثالث المخنوف ، وهو :

(هتفتُ فجأتُ من زُبَيْدٍ عصابةُ إذا طردت فاءتُ قريباً فكرتُ)
و « فاءت بمعنى رجعت » . وأوّل مرّة : ظرف . وقوله : علام تقول الرمح . . الخ ، أورده ابن هشام في المغنى ، على أن (على) فيه تعليلية . وأورده في شرح الألفية أيضاً شاهداً على إعمال (تقول) عمل ظنّ . وما استفهامية ، ولهذا حذف ألفها . وأثقله الشيء : أجهده . والعائق : ما بين للنسك والعنق وهو موضع الرداء .

قال ابن جني (في إعراب الحماسة) : يروى الرمح بالنصب والرفع : فأما الرفع فعلى ظاهر الأمر ، وأما النصب فعلى استعمال القول بمعنى الظنّ ، وذلك مع استفهام المخاطب ، كقوله :

* أَجْهَالًا تَقُولُ بَنِي لُؤَيٍّ ^(١) *

وعلى قوله :

* فَمَتَى تَقُولُ الدَّارَ تَجْمَعُنَا ^(٢) *

(١) تمامه كما في مخطوطة اعراب الحماسة ٤٤ أدب بدار الكتب :

لعمري أيبك أم متجاهلينا

وسياتي في ٤ : ٢٣ بولاق . وانظر العينى ٢ : ٤٢٩

(٢) صدره كما في العينى ٢ : ٤٣٤ وديوان عمر ٣٩٤ :

أما الرحيل فدون بعد غد

وروى لنا أبو علي بيت الخطيئة :

إذا قلتُ أني آيبُ أهلَ بلدةٍ حطّطتُ بها عنه الوَلِيَّةُ بالهجرِ
بفتح الهمزة من أني قال : ومعناها إذا قدّرتُ وظننتُ أني آيب .

فإن قيل : فليس هنا استفهام ، فكيف جاز استعمال القول استعمال الظن ؟
قيل : لم يميز هذا للاستفهام وحده ، بل لأنّ الموضع من مواضع الظنّ . ولو كان
للاستفهام مجرد من تقاضى للموضع له وتلقيه إياه فيه ، لجاز أيضا أقول زيدا
منطلقا ، وأقول زيد عمرًا جالسًا^(١) . ولما لم يميز ذلك — لأنه لا يكاد يستفهمه
عن ظنٍّ غيره — علمت به أن جوازه إنما هو لأنّ الموضع مقتضى له .
وإذا كان الأمر كذلك ، جاز أيضا : « إذا قلتُ أني آيبُ » بفتح همزة أني ،
من حيث كان الموضع متقاضيًا للظنّ . وهذه رواية غريبة لطيفة . ولو كسرت
هنا همزة إنَّ ، لكان كالرفع في قولك : أتقول زيدٌ منطلق ، إذا حكيت
ولم تُعَيِّل .

٤٢٤

وأما (إذا) و (إذا) في البيت ، ففهما نظر : وذلك أن كل واحدة
منهما محتاجة إلى ناصب هو جوابها ، وكل واحدة منهما جوابها محذوف يدل
عليه ما قبلها . وشرح ذلك أن تقول : إنَّ إذا الأولى جوابها محذوف ، حتّى
كأنه قال : إذا أنا لم أظنّ وجب طرحي الرمحَ عن عاتقي . فدلّ قوله :
« علامَ تقولُ الرمحَ يثقلُ عاتقي » على ما أراده من وجوب طرح الرمح
إذا لم يظن به ، كقولك : أنت ظالم إن فعلت ، أي إن فعلتَ ظلمت وذلك
« أنت ظالم » على ظلمت . وهذا بابٌ واضح . . وإذا الأولى وما ناب عن

(١) ط : « لجاز أيضا أقول زيدا منطلقا ويقول « دون همزة
الاستفهام وفي ش مثله لكن بزيادة همزة الاستفهام » وأيقول » واعتمدت
في تصحيح العبارة وإكمالها على مخطوطة ابن جنى ليتسق الكلام ويصلح .

جوابها في موضع جواب إذا الثانية ، أى نائب عنه ودالّ عليه وتلخيصه : أنه كأنه قال : إذا الخليل كرت وجب إلثائي الرمح مع تركي الطمن به . ومثله من التركيب : أزورك إذا أكرمتني ، إذا لم يمنعني من ذلك مانع^(١) . فاعرف صحة الغرض في هذا الموضع ، فإنه طريق ضيق ، وكلُّ مُجتاز^(٢) فيه قليل التأمل لمحصل حديثه ، فإنما يأنس بظاهر اللفظ ، ولا يوليه طرفاً من البحث . انتهى باختصار .

والتبريزي جعل إذا الأولى ظرفاً لقوله : يُثقل ، وإذا الثانية ظرفاً لقوله : لم أظن ، بضم العين ، لأنه يقال طعنه بالرمح من باب قتل .

وقوله : (لما الله جرماً . الخ) أصل اللحن نزع قشر العود . يدعو عليهم بالهلاك : أى قشرهم الله غداة كل يوم . والدثور في الشمس ، بالذال المعجمة : أصله الانتشار والتفريق ، ويقال ذرت الشمس : طلعت . و (شارق) : الشمس . و (كلماً) : منصوب على الظرف . ووجه : منصوب على الذم والشم ، ويجوز أن يكون بدلاً من جرماً . و (هارشت) ، في الصحاح : « المراهش : المهارشة بالكلاب ، وهو تحريش بعضها على بعض » . وقوله : (فازبأرت) أى انتفشت حتى ظهر أصول شعرها ، وتجمعت للوثب . وهذه الحالة أشنع حالات الكلاب . وهذا تحقير^(٣) للشبهة ، وتصوير لقباحة منظره . شبه وجوههم بوجوه الكلاب في هذه الحالة .

(١) في النسختين : « إذا أكرمتني ، أى إذا لم يمنعني » . وكلمة « أى » تحيل المقصود وتفسده ، واعتمدت في حذفها على مخطوطة اعراب الحماسة لابن جنى

(٢) في النسختين : « وكل محتار » . صوابه من ابن جنى

(٣) في النسختين : « تحقيق » .

وقوله : فلم تَفْرِجْ جَرْمٌ . . الخ أى لم تقاومْ جَرْمَ نَهْدًا بل فَوَّتَ منها .
وقال الطبرسى : لم تكن أى لم تكفْ جَرْمَ نَهْدًا ، ولكنها فَوَّتَ ؛ قال الشاعر :

* وَأَغْنَى نَفْسَكَ عَنَّا أَيُّهَا الرَّجُلُ *

وابذعرت : تفرقت : وقال الإمام المروزقى (١) : والمعنى : لم تنصر جرم نهداً وقت الالتقاء ؛ ولكن جرماً انهزمت وهامت على وجهها فضت ، واصطلت نهداً بنار الحرب ، ومست حاجتها إلى من ينصرها ويذب عنها الأعداء . وأضاف نهدها إلى ضمير جرم ، لأن اعتمادهم كان عليها ، واعتقادهم الاكتفاء بها .

وهذا غفلة عن سبب الأبيات . وإضافة نهد إلى ضمير جرم للملابسة ، فإن جرماً أعدت لمقاتلة نهد ، كما أن زبيداً أعدت لمقاتلة بنى الحارث .
وقوله : ظلت كأتى . . الخ أى بقيت نهاري منتصباً فى وجوه الأعداء ، والظن يأتى من جوانبي ، أذب عن جرم وقد هربت . فالدرية هى الحلقة التى يتعلم عليها الطعن ؛ وأما الدراة بالهمز ، فهى الدابة التى يستتر بها من الصيد ؛ يقال : درأها نحو الصيد وإلى الصيد وللصيد : إذا سقتها ، من الدرا وهو الدفع . وجملة كأتى خبر ظلت . وجملة أقاتل حال ؛ ويجوز العكس . قال يوسف بن السيرافى (فى شرح شواهد إصلاح المنطق) : يقول : صرت لكثرة الطعن فى ، ودخول الرماح فى جسدى ؛ كالحلقة التى يتعلم عليها الطعن . وحكايته : أن جرماً كانت مع زبيد ، ونهداً مع بنى الحارث بن كعب ؛ فالتقوا ، فانهزمت جرم وبنو زبيد وكاد عمرو يؤخذ ، وقاتل يومئذ قتالا شديداً .

٤٢٥

(١) شرح الحماسة ١٦١ . وفى الاقتباس من نص المروزقى تقديم وتأخير .

وقوله : فلو أن قومي ، يقول : لو صبروا وطعنوا برماحهم أعداءهم ،
لأمكنني مدحهم ، ولكن فرارهم صيرني كالمشقوق اللسان ؛ لأنني إن مدحهم
بما لم يفعلوا كذبت وردُّ عليّ . يقال أجرت لسان الفصيل : إذا شقت
لسانه لثلا يرضع أمه .

قال أبو القاسم الزجاجي (في أماليه الوسطى) أخبرنا ابن شقير قال :
حضرت المبرد وقد سأله رجل عن معنى قول الشاعر :

فلو أن قومي أنطقني رماحهم ..

البيت

فقال : هذا كقول الآخر :

وقافية قيلت فلم أستطع لها دفاعاً إذا لم تضربوا بالمنابر
فادفع عن حق بحق ، ولم يكن ليدفع عنكم قاله الحق باطلاً

قال أبو القاسم : معنى هذا : أن الفصيل إذا لهج بالرضاع جعلوا في أفه
خلالة محددة ، فإذا جاء يرضع أمه نخستها تلك الخلالة ، فتمتعه من الرضاع ؛
فإن كف .. وإلا أجرّوه . والإجرا : أن يشق لسان الفصيل أو يقطع
طرفه ، فيمتنع حينئذ من الرضاع ضرورة . فقال قائل البيت الأول : إن قومي
لم يقاتلوا ، فأنا مجر عن مدحهم ، لأنني ممنوع ؛ كأن رماحهم حين قصروا
عن القتال بها أجرتني عن مدحهم ، كما يجرّ الفصيل . عن الرضاع . ففسره
أبو العباس بالبيتين اللذين مضيا . وللإجرا موضع آخر ، وهو أن يظعن
الفراس الفارس فيمكن الرمح فيه ، ثم يتركه منهزماً يجرّ الرمح ، فذلك قاتل
لا محالة . ومنه قول الشاعر (١) .

(١) هو عنتره . ديوانه ١٥٩ وتصحيف العسكري ٣٣ ، ٩٦

وآخرَ منهمُ أجزرتُ رُحْمِي وفي البَجَلِيّ مِعْبَلَةٌ وقِعَ^(١)
وقول الآخر^(٢).

ونَتَقَى بأفضل مالنا أحسابنا ونُجِرُّ في الهيجا الرماحَ وندعى اه
قوله . وندعى أى نتسب في الحرب كما ينتسب الشجاع في الحرب فيقول:
أنا فلانُ ابنُ فلان .

و (عمرو) هو الصحابيّ ابن معديكرب بن عبد الله بن عمرو
ابن عُصَم بن عمرو بن زُبيد الأصغر — وهو منبه — بن ربيعة بن سلمة بن
مازن بن ربيعة بن منبه بن زُبيد الأكبر بن الحارث بن صعب بن سعد
العشيرة بن مدحج بن أدد بن زيد بن كهلان بن سبأ^(٣) .

عمرو بن
معديكرب

ومعدى اشتقاق مثل اشتقاق معدان ؛ ويزيد عليه بأنه يجوز أن يكون من
العُدوان ، فقلبت الواو ياء لما بنى على مَفْعَل أو يكون بنى على مفعول ، فقلبت
الواو ياء ، ثم خففت الياء لطول الاسم ، لأنه جعل مع كَرَب كالاسم الواحد .
و (كرب) يجوز أن يكون من الكَرَب الذى هو أشد الغَم ، أو من
كرب فى معنى قارب ، أو من أكربتُ الدلو : إذا شدتها بالكرب ، وهو
الحبل الذى يُشد على العراق ، قال ابن جنى : فسره ثعلب : أنه عذاه الكَرَبُ ،
أى تجاوزه وانصرف عنه .

(١) البجلى ، بسكون الجيم لافتتحها ، نسبة الى بجلة ، من بنى
سليم . وأخطأ الأصمعي فرواه بفتح الجيم منسوباً الى بجيلة . وانظر
اللسان (بجل ، عبل ، وقع) والاشتقاق ٥١٦
(٢) هو الحادثة الديباني . المفضليات ٤٥ . قال الميمنى : « وقد
وقفت على نسخة ديوانه ملوكية بخط ياقوت الخطاط ، وقابلت طبعة ليدن
عليها ، وأخذت فى تصحيحها لغرض الطبع ، الا أن حادثة عظيمة أصبت
بها حالت دون ذلك » .

(٣) الميمنى : « فى نسب عمرو بن معديكرب خلاف وارتباك .
راجع السمعاني ٢٧١ والأغانى ١٤ : ٢٤ والاصابة ٥٩٧٠ والاستيعاب » .

و (عُضْم) بضم العين وسكون الصاد المهملتين . و (زُبَيْد) مصغر زُبْدَة
 ٤٢٦ أَوْ زَبْدٍ ؛ وَالزَّبْدُ . العطاء ، يقال : زَبَدَ زَبْدًا : إِذَا أَعْطَاه . وقال شارح
 ديوانه : وسمى زُبَيْدًا ، لآنه قال : من يَزْبُدُنِي نصره ، أى يرفِدُنِي . وَالزَّبْدُ
 فى كلام العرب : الرِفْدُ والمُعَوَّة . اه وكذا رأيت فى جهرة الانساب . إنما سُمِّيَ
 زُبَيْدًا ، لآنه قال : من يَزْبُدُنِي نصره ، لما كثر عموته وبنو عمّة فأجابوه
 كلهم . فسُئِلُوا كلُّهم زُبَيْدًا ما بين زبيد الأصغر إلى منبّه بن صعب ، وهو زبيد
 الأكبر . وأخوه زبيد الأصغر كلهم يدعى زُبَيْدًا اه :

وكنية عمرو أبو ثور . وهو الفارس المشهور ، صاحب الغارات والوقائع
 فى الجاهلية والإسلام . قال فى الاستيعاب : وفد على النبي صلى الله عليه وسلم
 فى سنة تسع . وقال الواقديّ : فى سنة عشر ، فى وفد زُبَيْد فأسلم اه . وأقام مدّة
 فى المدينة ، ثم رجع إلى قومه وأقام فيهم سامعًا^(١) مطيعًا ، وعليهم فروة بن
 مُسَيْك ، فلما تُوَفِّيَ النبي صلى الله عليه وسلم ارتدّ .

قال النووى (فى تهذيب الأسماء واللغات) : ارتدّ مع الأسود العنسى ،
 فسار إليه خالد بن سميد فقاتله ، فصره خالد على عاتقه فانهزم ، وأخذ خالد
 سيفه . فلما رأى عمرو الأمداد من أبى بكر ، رضى الله عنه ، أسلم ؛ ودخل على
 المهاجر بن أبى أمية بغير أمان ، فأوثقه وبعث به إلى أبى بكر ، فقال له أبو بكر :
 أما تستحى كل يوم مهزومًا أو مأسورًا ؟ لو عززت هذا الدين لرفعك الله ؟ قال :
 لا جرم ، لأقبلن^(٢) . ولا أعود . فأطلقه وعاد إلى قومه . ثم عاد إلى المدينة ،
 فبعثه أبو بكر رضى الله عنه إلى الشام ، فشهد اليرموك . اه .

وله فى يوم اليرموك بلاه حسن ؛ وقد ذهب فى إحدى عينيه . ثم بعثه

(١) فى الإصابة : « مسلما »

(٢) ش : « لأقتلن » وفى التهذيب للنوى : « لأقبلن » .

عمر رضى الله عنه إلى العراق ؛ وله في القادسية أيضاً بلاء حسن ، وهو الذى ضرب حَظْمَ الفيل بالسيف ، فانهزمت الأعاجم ، وكان سببَ الفتح . ومات في سنة إحدى وعشرين من الهجرة .

وفى كيفية موته خلاف . قيل : مات عطشاً يوم القادسية ، وقيل : قُتِلَ فيه ، وقيل : بل مات فى وقعة نهاوند بعد الفتح ، وقيل : غير ذلك . وعمره يومئذ مائة وعشرون ، وقيل : مائة وخمسون . ولم يذكره السجستاني فى للمعمرين .

روى أَنَّ رجلاً رآه وهو على فرسه ، فقال : لَأَنْظُرُ ما بقى من قوة أبى ثور . فأدخل يده بين ساقه وجنبِ الفرس ، ففطن لها عمرو ، فضمَّ رجله وحرَّكَ الفرس فجعل الرجلُ يعدو مع الفرس ولا يقدر أن ينزع يده ، حتى إذا بلغَ منه صاح به ، فقال له . يا ابن أخى : مالك ؟ قال : يدي تحت ساقك ؟ فخلّى عنه . وقال له : إنَّ فى عمك بقيّة .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والخمسون بعد المائة وهو من شواهد سيبويه^(١) .

١٥٥ (أقارعُ عَوْفٍ ، لأُحاولُ غيرَها . وجوهَ قُرُودٍ تَبْتَغى مَنْ تَجَادِعُ) لِمَا تَقَدَّمَ فى البيت قبله ، أعنى أن نصب (وجوه) على الشتم .

قال النحاس : ويجوز رفعه على إضمار مبتدأ ، أو على أن يجعله بدلاً من أقارع عوف : تبديل النكرة من للمعرفة ، مثل : (لَتَسْفَعَنَّ النَّاصِيَةَ . نَاصِيَةٌ كَاذِبَةٌ)^(٢) .
وقل ابن السِّدِّ البَطْلَيْوسِيَّ عن يونس بن حبيب ؛ فى أبيات المعاني ؛ أنه

(١) سيبويه ١ : ٢٥٢ وابن الشجرى ١ : ٣٤٤ وديوان النابغة ٥٣

(٢) الآية ١٥ ، ١٦ من سورة العلق

قال : لو شئتَ رفعتَ ما نصبته على الابتداء وتُضِيرُ في نفسك شيئاً لو أظهرته
لم يكن ما بعده إلا رفعاً ؛ كأنك قلت : لهم وجوهٌ قروءٌ ٥

وهذا البيتُ للناطقة الذبياني ، من قصيدةٍ يعتذر بها إلى النعمان بن المنذر ، صاحب الشاهد
مما وشتَ به بنو قُريع . وقبله :

(لَعْمَرَى ، وما عَمَرَى عَلَىٰ بِهِيْن لَقَدْ نَطَقَتْ بِطُلًّا عَلَى الْأَقَارِعُ)
٤٢٧ واستشهد به ابن هشام في المغني ^(١) على أن جملة « وما عَمَرَى عَلَىٰ بِهِيْن »
معتزلةٌ بين القسم وجوابه .. العَمَرُ بفتح العين ، هو العُمَرُ بضمها ، لكن
خَصَّ استعمالُ المفتوح في القسم . أى ما قَسَى بَعْمَرَى هَيْنُ عَلَى ، حَتَّى يَتَّهِمَ
مَتَّهِمٌ بِأَنَّى أَحْلَفُ به كاذباً . والبطل ، بالضم ، هو الباطل ؛ ونصب على المصدر ،
أى نطقت نطقاً باطلاً .

وقوله : (أَقَارِعُ عَوْف) بدلٌ من الْأَقَارِع . و (لا أحاول) لا أريد .
والمجادعة ، بالجيم والدال المهملة ، هو أن يقول كلٌّ من شخصين : جَدَّ عَالِك !
أى قَطَعَ اللَّهُ أَنْفَكَ . وهى كلمة سبٍّ ، من الجدع وهو قطع الأذن والأنف .
يقول : هم سفهاء يطلبون مَنْ يشاتمهم . و (الْأَقَارِعُ) هم بنو قُريع بن عوف
ابن كعب بن زيد مناة بن تميم ، الذين كانوا سَعَوْا به إلى النعمان حتى تَغَيَّرَ له .
وسَاطَمَ أَقَارِعَ ، لأنَّ قُريعا أباهم سَمَّى بهذا الإبهم . وهو تصغير أقرع ، ولهذا
جمعه على الأصل . والعرب إذا نسبتِ الأبناء إلى الآباء فَرَّعَ سَمَتَهُمْ باسم
الأب ، كما قالوا : المَهالبة والمَسامعة في بنى المهلب وبنى مِسْعَم ^(٢) . وزعم

(١) انظر شرح شواهد المغني ٢٧٦ وسيبويه ١ : ٢٥٢

(٢) المهالبة : بنو المهلب بن أبى صفرة . وذكر ابن حزم أن له
ثلثمائة ولد . الجمهرة ٣٦٧ - ٣٧٠ . وأما المسامعة فهم بنو مسمع بن
شيبان بن شهاب . الاشتقاق ٣٥٥ - ٣٥٦

الدمايني (في الحاشية الهندية) أن الأقارع جمع أقرع . ثم نقل من الصحاح أن الأقرعين : الأقرعُ بن حابس وأخوه مرثد . وهذا ، كما ترى ، لا مناسبة له هنا .

والسبب في غضب النعمان على النابغة ، هو ما حكاه شارح ديوانه وغيره ، عن أبي عمرو وابن الأعرابي ، أنهما قالوا : كان النابغةُ ممن يجالس النعمان ويسمر عنده ورجلٌ آخر من بني يشكر يقال له : المنخلُ ، وكان جميلاً يثهم بالمتجرّدة امرأة النعمان . وكان النعمان قصيراً دميماً ، قبيحَ الوجه أبرش . وكانت المتجرّدة ولدت للنعمان غلامين . وكان الناس يزعمون أنهما ابنا المنخل . وكان النابغة رجلاً حليماً عفيفاً ، وله منزلة يُحسد عليها . فقال له النعمان يوماً — وعنده المتجرّدة والمنخل^(١) — صِفْها يا نابغة ، في شرك . فقال قصيدته الدالية التي أولها :

* أَمِنْ آلِ مِيَّةٍ رَائِحٌ أَوْ مُفْتَدَى *

— وستأتى إن شاء الله تعالى في هذا الكتاب — فوصف النابغة فيها بطئها وزادها وفرجها ولذة مجامعتها . فلما سمع المنخلُ هذه القصيدة لحقته غيرة . فقال للنعمان : ما يستطيع أن يقول هذا الشعر إلا من قد جرّب ! فوَقَر ذلك في نفس النعمان . ثم أتى النعمان بعد ذلك رهطاً من بني سعد بن زيد مائة بن تميم ، وهم بنو قريع ، فبلغوه أن النابغة يصف المتجرّدة ويذكر فيها ، وأن ذلك قد شاع بين الناس . فتغيّر النعمان عليه . وكان للنعمان بوابٌ يقال له عصام بن شهبر الجرمي . فأتى النابغة ، فقال له عصام : إن النعمان واقع بك فانطلق . فهرب النابغة إلى غسان ملوك الشام ، وهم آل جفنة ، ومكث

(١) في ش : « والنابغة » ، والافق ما في ط

عندهم ، ومدحهم بقصائد (كما تقدم في الشاهد الخامس والثلاثين بعد المائة^(١)) .

٤٢٨

وكان سبب وقوع بني قريع في النابغة عند النعمان : هو ما حكاه أبو عبيد والأصمعيّ قالا : كان لمرّة بن ربيعة بن قريع بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم ، سيفٌ جيّد . فحسده النابغة فدلّ على السيف النعمان بن المنذر ؛ فأخذه من مرّة ، فحقد مرّة ، على النابغة وأرصد له بشرّ ، حتّى تمكن منه ، فوقع فيه عند النعمان ؛ فبعد أن هرب النابغة ومكث عند آل جفنة أرسل إلى النعمان قصائد يعتذرُ إليه بها ، ويحلف له : أنه ما فرط منه ذنب . واشتدّ ذلك على النعمان ، وعرف أنّ الذي بلغه كذب . فبعث النعمان إلى النابغة : « أنك لم تعتذر من سخطي إن كانت باهتكتك ، ولكننا تغيّرنا لك من شيء مما كنّا لك عليه ؛ ولقد كان في قومك ممنع وتحصين ، فتركته ؛ ثم انطلقت إلى قوم قتلوا جدّي ؛ وبينى وبينهم ما قد علمت » . وكان النعمان وأبوه وجدّه قد أكرموا النابغة وشرّفوه وأعطوه مالا عظيما ، حتّى كان لا يأكل ولا يشرب إلا في أواني الذهب والفضة . ثم بلغ النابغة أنّ النعمان ثقيل ، من مرض أصابه حتّى أشفق عليه منه ، فأتاه النابغة ، فرضى عنه النعمان ، ووهب له مائة بعير من عصافيره وهي إبل كانت للنعمان تسقى بها .

والنابغة قد تقدمت ترجمته في الشاهد الثاني بعد المائة^(٢) .

والنعمان هذا ، آخر ملوك الحيرة . ثم ولى بعده إلياس بن قبيصة الطائي ثمانية

(١) صوابه « السابع والثلاثين بعد المائة » . انظر ص ٣٢١ من هذا الجزء ، وأما الخامس والثلاثون فليس فيه ذكر للنابغة

(٢) الصواب أنه الشاهد ١٠٤ انظر ص ١٣٥ من هذا الجزء

أشهر ، واضطرب ملك فارس ، وضعفوا — وكانت ملوك الحيرة من تحت أيديهم — وأتى الله عز وجل بالإسلام فغزا أهله النبي ﷺ (١) .

وأول من ملك الحيرة مالك بن فهم بن عمرو بن دوس بن الأزد . ملك العرب بالعراق عشرين سنة . والحيرة هي أرض في العراق ، بلدة قريبة من الكوفة . قال الهمداني في جزيرة العرب (٢) : سار تبع أبو كرب في غزوته الثانية . فلما أتى موضع الحيرة خلف هناك مالك بن فهم بن غنم بن دوس ، على أثقاله . وتخلف معه من ثقل من أصحابه ، في نحو اثني عشر ألفاً . وقال : تحبّروا هذا الموضع (٣) فسُمي الموضع الحيرة (وهو من قولهم : تحبّر الماء . إذا اجتمع وزاد) (٤) ، وتحبّر المكان بالماء : إذا امتلأ (٥) (فمالك أول ملوك الحيرة وأبوه . وكانوا يملكون ما بين الحيرة والأنبار وهيت ونواحها ، وعين التمر وأطراف البراري : العُمير والقطّطاة وخفّية (٦) . وكان مكان الحيرة [من (٧)] أطيب البلاد ، وأرقه هواء ، وأخفه ماء ، وأعداه رُبة (٨) ، وأصفاه جواً ، قد تعالى عن عمق الأرياف ، واتّضع عن حُرّوة

(١) الذي في العمدة ٢ : ١٧٩ : « بالنبي »

(٢) الحق أن النقل التالي إنما هو للهمداني في كتاب آخر غير صفة جزيرة العرب . والنص في معجم البكري ٤٧٩ مسبوفاً بجملة « قال الهمداني » ، دون تقييد بكتاب خاص . فلعل البغدادي توهم أنه من صفة جزيرة العرب حين وجد هذا النص فيه

(٣) وكذا في معجم ما استعجم ، مع أن تحير الماء فعل لازم

(٤) ش : « ودار »

(٥) هذا التفسير من زيادات البغدادي ، وليس في معجم البكري

(٦) كذا في ط ومعجم ما استعجم وجعلها الشنقيطي بقلبه « وخفّية »

وبوضع حاء معجمة تحت الحرف الأول توكيداً للضبط ، ولم أجده في كتاب مما لديّ

(٧) التكملة من معجم البكري

(٨) يقال غذا البلد : طاب هواؤه . والعادة : الأرض الطيبة . ط :

« وأعدبه تربه » ، صوابه في ش ومعجم البكري . وفي بعض مخطوطات البكري : « وأعدله » تحريف كذلك .

الغائط ، واتصل بالمزارع والجنان والمتاجر العظام ، لأنها كانت من ظهر البرية على مرفأ سفن البحر ، من الهند والصين وغيرها ١ هـ

قال ابن رشيقي في العمدة (١) : وملك بعد مالك بن فهم ابنه جديمة ابن مالك ، وهو الأبرش والوضاح ، وكان ملكه ستين سنة . ثم عمرو بن عدى ابن نصر بن ربيعة اللخمي — وعمرو هذا هو ابن أخت جديمة الأبرش وفيه قيل : « شبَّ عمرو عن الطوق » ثم امرؤ القيس بن عمرو بن عدى ، ويقال : بل الحارث بن عمرو ، وأنه هو الذي كان يدعى محرّقا . ثم النعمان بن امرئ القيس ، وهو النعمان الأكبر ، الذي بنى الخورنق . ثم المنذر بن امرئ القيس وهو المنذر الأكبر ابن ماء السماء ، أخو النعمان الأكبر (٢) . ثم المنذر ابن المنذر وهو الأصغر . ثم أخوه عمرو بن المنذر ، وهو عمرو بن هند ، وسمي محرّقا أيضا ، لأنه حرّق بنى تميم ، وقيل بل حرّق نخل البجامة . ثم النعمان بن المنذر بن المنذر صاحب النابغة وهو آخر ملوك ظلم كما ذكرنا (٣) .

واعلم أن هذه القصيدة غالب أبياتها شواهد في كتب العربية ، وهي قصيدة الشاهد خمسة وثلاثون بيتا . فلا بأس بإيرادها مختصرة تنمياً للفائدة . وهي على هذا الترتيب :

(عَفَا ذَوْحُسِي مَنْ فَرَّتْنِي الْفَوَارِعُ فُجْنِبَا أَرِيكَ فَالتَّلَاعُ الدَّوَاغِعُ) ٤٢٩

عفا: درس وأحى . وذو حُسي : بلد في بلاد بني مُرة ، وهو بضم الحاء

(١) العمدة ٢ : ١٧٩

(٢) في النسختين : « أبو النعمان الأكبر » ، وإنما هو أخوه ، كما في العمدة . وأبوهما هو امرؤ القيس بن عمرو بن عدى .

(٣) انظر ما سبق في ص ١٣٥ من هذا الجزء وما بعدها

والسين^(١) المهملتين والتقصير . وفرتنى : أى من منازل فرتنى ، وهو بفتح الفاء وسكون الراء وبمدها تاء مفتوحة يليها نون ، قال فى الصحاح : « هو مقصور وهو اسم امرأة . والعرب تسمى الأمة فرتنى^(٢) » . والفوارع : جمع فارة ، قال فى الصحاح : « وفارة الجبل : أعلاه . وتلاع فوارع : مشرفات المسایل » . وأريك بفتح الهززة وكسر الراء ، قال البكرى فى معجم ما استمعتم : « هو موضع فى ديار غنى بن يعمر » . وأنشد هذا البيت ، ثم قال : « وقال أبو عبيدة : أريك فى بلاد ذبيان قال : وهما أريكان : أريك الأسود ، وأريك الأبيض . والأريك : الجبل الصغير . وقال الأخفش : إنما سُمي أريكا ، لأنه جبل كثير الأراك » . والتلاع بالكسر : مجارى الماء إلى الأودية ، وهى مسایل عظام . والدوافع : تدفع الماء إلى الميث ، والميث يدفع إلى الوادى الأعظم . كذا فى الشرح .

(فَجَمَعَ الْأَشْرَاجَ ، عَفَى رَسُومَهَا مَصَافٍ مَرَّتْ بَعْدَنَا وَمَرَاجُ)

قال أبو عبيدة : مجتمع الأشراج : مسایل فى الأرض تصب إلى الأودية ؛ والواحد شرج ، بفتح الشين المعجمة وسكون الراء وآخره جيم . والرسوم : الآثار . وعفى : درس ومحال^(٣) . والمصايف : جمع مصيف . ومراجع : جمع مربع^(٤) .

(١) كذا . يعنى « وبالسين » لايضم السين ، وهذا مألوف من تعبير البغدادى .

(٢) ط : « تسمى المرأة فرتنى » ، صوابه فى ش والصحاح واللسان (فرتن) .

(٣) درس ، يلزم ويتعدى كما هنا . قال :

درسته الريح ما بين صبا وجنوب درجت حيننا وأصل

(٤) ط : « والمصايف ، جمع صيف ، ومراجع : جمع ربيع » والوجه

من ش

(تَوَهَّمَتْ آيَاتٍ لَهَا فَعَرَقَتْهَا لَسْتَهُ أَعْوَامٍ ، وَذَا الْعَامُ سَابِعُ)

أراد آيات الدار . واللام بمعنى بَعْدَ أى بعد ستة أعوام . وتوهَّمت : تفرَّست .

وهذا البيت من شواهد أبيات سيبويه^(١) ، أنشده على أن العامُ صفةُ ذا ، وسابعُ خبر اسم الإشارة . وأورده ابن هشام أيضاً في شرح الألفية ، على أن سابغاً استعمل مفرداً ليفيد الاتصاف بمعناه مجرّداً ؛ وهذا بخلاف ما يستعمله الشخص مع أصله ليفيد أن الموصوف به بعضُ العدد المعين ، نحو : سابعُ سبعة ، وثامنُ ثمانية ، ونحوها .

(رَمَادُ كَكُحْلِ الْعَيْنِ مَا إِن تُبَيِّنُهُ وَنُؤَى كِحِذْمِ الْحَوْضِ أَثْمُ خَاشِعُ)

أى من الآيات رماد ونؤى . استأنف وفسّر بعض الآيات . زعموا : أن الرماد يبقى ألف سنة . وروى : (لَا يَأُبَيِّنُهُ) اللأى ، بفتح اللام وسكون الهزلة : البطء ؛ ونصب على نزع الخافض : أى أَسْتَبَيِّنُهُ بعد بطء . والنؤى ؛ بضم النون وسكون الهزلة . حفيرة تحفر حول الخباء ويجعلُ ترابها حاجزاً لئلا يدخله المطر . والجِذْمُ ، بكسر الجيم وسكون الذال المعجمة : الأصل والباقي . وخاشع : لاطىء بالأرض ، قد اطمأن وذهب شخوصه .

(كَأَنَّ بَحْرَ الرَامَسَاتِ ذُبُوها عَلَيْهِ قَضِيمٌ نَمَقَتْهُ الصَّوَانِعُ)

هذا البيت أورده الشارح المحقق (في شرح الشافية) في باب المنسوب^(٢) ، على أن فيه حذف مضاف : أى كأن أثر بحر الرامسات . وبحرٌ مصدر ميميٌّ

(١) سيبويه ١ : ٢٦٠

(٢) أنظر شرح شواهد الشافية للبغدادي ١٠٦ وابن يعيش ٦ :

٤٣٠

لا اسم مكان، فإن أسماء المكان والزمان والآلة لا ترفع فضلاً عن أن تنصب .
 وذيوها : قد انتصب بمجرر ، فـجَرَّ مصدر مضاف لفاعله ، وذيوها مفعوله ،
 وإنما كان بتقدير مضاف ، وهو أثر مجرر أو مكان مجرر ؛ لأنه إن كان مصدراً
 فلا يصح الإخبار بقوله قضيم ؛ وإن كان اسم مكان فلا يصح نصبه المفعول .
 والرامسات : الرياح الشديدة المهبوب ، من الرمس وهو الدفن . وذيوها :
 ماخيرها : وذلك أن أوائلها تسمى بشدة ثم تسكن . ورؤى يجر (ذيوها)
 على أنه بدل من الرامسات ، وعليه فالمجرر اسم مكان ، ولا حذف . والقضيم :
 حصير منسوج ، خيوطه سيور . كذا في القاموس وكذا قال شارح ديوانه :
 « شبه آثار هذه الرامسات في هذا الرسم ، بحصير من جريد أو آدم^(١) »
 ترمله الصوانع ، أى عمله وتخزذه . ومثله لدى الرمة :

* ريحٌ لها من هباب الصيف نعيم^(٢) *

أى نعمة كالوشى . وقال العجاج :

* سحابة الأولى دروج الأذيال *

ولا يناسبه قول الجار يردى (فى شرح الشافية) : إن القضيم جلد أبيض
 يكتب فيه ؛ فإن الصوانع جمع صانعة ، والمعهود فى نساء العرب النسج
 وما أشبهه ، لا الكتابة . والمعنى يقتضيه أيضاً ؛ فإن الرمل الذى تمر عليه
 الريح يشبه نسج الحصير . والصنع : إجادة الفعل وليس كل صنع فعلاً ؛
 ولا يجوز نسبته إلى الحيوانات غير آدميين ، ولا إلى الجمادات ، وإن كان

(١) فى شرح الوزير أبى بكر لديوان النابغة ص ٥٠ : « ومن روى
 عليه حصير ، فهو حصير يعمل من جريد وأدم »

(٢) كذا فى النسختين . وفى الديوان ٥٧٧ واللسان (نيم) :

* فيفا عليه نذيل الريح نعيم *

وصدره فى الديوان :

* والركب تملو بهم صهب يمانية *

الفعل ينسب إليهما . ولا يقال صَنَعَ بفتحين ؛ إلا للرجل الحاذق المجيد ؛ ولا صَنَاع ، بالفتح ، إلا لامرأة تتقن ما تعمله ضد الخرقاء . وفي القاموس : « رجل صنع اليدين بالكسر والتحريك ، وصنيع اليدين وصنَاعهما : حاذقٌ في الصنعة . وامرأة صَنَاع اليدين كسحاب : حاذقة ماهرة بعمل اليدين وجمعهما صُنْعٌ كَكُتِبَ ^(١) » . وقوله : نَمَّقَتْه : أى حَسَّنَتْه . قال الشارح : كل ما أُلْزِقَ بعضه إلى بعض وأُقيم سطورُه ، من نخل أو كتاب ، فهو مُنَمَّقٌ .

(على ظَهَرٍ مَبْنَاةٍ جَدِيدٍ سَيُورُهَا يَطُوفُ بِهَا وَسَطَ اللَّطِيْمَةِ بَائِعٌ)

قال أبو عبيدة : المَبْنَاةُ ، بكسر الميم وسكون الباء الموحدة : نِطْعٌ . يقول : هذا الحَصِيرُ على هذا النِطْعِ ، يطوف به بائعٌ في الموسم . قال الأصمعيّ : كان من يبيع مَتَاعاً يَفْرُشُ نِطْعاً ، ويضع عليه مَتَاعَهُ ، والنِطْعُ يَسَمَّى مَبْنَاةً . فيقول : نشر هذا التاجرُ حَصِيرًا على نِطْعٍ . وإِنَّمَا سَمَّيْتُ مَبْنَاةً ، لأنها كانت تَتَّخَذُ قَبَابًا ، والقُبَّةُ والبناء سواء ؛ والأنطاع تَبْنَى عليها القباب . والنِطْعُ ، بكسر فسكون وفتحين وكتنب : بِساطٌ من الأديم . واللطيمة ، قال أبو عمرو : سوقٌ فيها بَزٌّ وطيب . وقال أبو عبيدة : اللطيمة : العِيرُ التي تحمل دِقَّ المتاع وأفضله وتحمل إلى الأسواق والمواسم ؛ ولا تسمى لطيمة إلا وفيها طيب . وقوله : جديد سيورها ، أراد الأديم ؛ وأنشد :

* وَفَدَّتْ مِنْ أَدِيمِهِمْ سَيُورِي *

(فأسبلَ مِيَّ عَبرةَ فَرَدَتْهَا على النَّحْرِ : منها مُسْتَهْلٌ ودَامِعٌ ^(٢))
مُسْتَهْلٌ : سائل منصبٌّ له وقع ؛ ومنه استهلت السماء بالمطر : إذا دام مطرها . ودامع : قاطر .

(١) الذى فى القاموس : « وحكى : رجال ونسوة صنع بضميتين » .
(٢) فى النسختين : « وهامع » ، والتصحيح للشنقيطى فى نسخته

(على حين عاتبت المشيب على الصبا فقلت: أَلَمْ تَصْحُ؛ وَالشَّيْبُ وَازِعٌ!)

يأتى شرحه إن شاء الله تعالى في باب الظروف^(١)

(وقد حالَ همٌّ دونَ ذلكَ داخلُ دخولِ الشَّغافِ تَبَغْيِهِ الأصابعُ)

أى دون هذا الذى أشبَّ به^(٢) وأبكى عليه هو الصبا. وروى: (وقد جالهم). وروى أيضا:

٤٣١

ولكنَّ هَما دونَ ذلكَ داخلُ مكانَ الشَّغافِ

أى غلاف القلب . وقال الأصمى: الشَّغافُ: داء يدخل تحت الشراسيف فى البطن فى الشق الأيمن، إذا التقى هو والطحال مات صاحبه . يقول: هذا الهم الذى هو موضع الشَّغاف الذى يكون فيه القلب . ثم رجع إلى الشَّغاف فقال: تَبَغْيِهِ الأصابع: أى تلتئمسه أصابعُ المُتَطَبِّينَ، ينظرون أنزلَ من ذلكَ الموضع أم لا، وإِثْمًا ينزل عند البرء: قال ابن السِّدِّ (فى شرح أبيات أدب الكاتب)^(٣): «هذا قول الأصمى وأبى عبيدة. وقيل معناه: تلتئمسه، هل انحدر نحو الطحال فيتوقع على صاحبه الموت، أم لم ينحدر فترحى له السلامة» وقال أبو على البغدادى: يعنى أصابع الأطباء يلمسوننى، هل وصل إلى القلب أم لا؟ لأنه إذا اتصل بالقلب تليف صاحبه . وإِثْمًا أراد النابغة: أنه من موجدة النعمان عليه، بين رجاء ويأس، كهذا العليل الذى يخشى عليه الهلاك، ولا يأسَ مع ذلك من برئه . وهذان التأويلان أشبهُ بفرض النابغة من التأويل الأول .

(وَعِيدُ أبى قابوسَ فى غيرِ كُنْهِهِ . أتانى ودونى را كِسُ فَاَلضَّوْاجِعُ)

(١) وهو الشاهد ٤٩٩ . وهو من شواهد سيبويه ١ : ٣٩٦ .

(٢) ط : « أشيب » ، صوابه فى ش .

(٣) الاقتضاب ٣٤٢ .

أبو قابوس . كنية النعمان بن المنذر . قال الأصمعي : أي جاءني وعيده في غير قدر الوعيد . أي لم أكن بلغت ما يفضب عليّ فيه . وراكس : واد . والضوّاجع : جمع ضاجعة ، وهو منحني الوادي .

(فَبِتُّ كَأَنِّي سَاوَرْتَنِي صَّيْلَةٌ مِنْ الرُّقْشِ فِي أَنْيَابِهَا السَّمُّ نَاقِعٌ)

المساورة : المواثبة ؛ والأفعى لا تلدغ إلّا وثباً . وضيئلة : هي الحية الدقيقة القليلة اللحم . والعرب تقول : سلط الله عليه أفعى حارية . تحرى : أي ترجع من غلظ إلى دقة ، ويقلّ دما ويشتدّ سمها . قال :

داهية قد صغرُت من الكِبَرِ جاء بها الطوفان أيامَ زَحَرٍ^(١)

وقوله : ناعم : أي ثابت ، يقال : تقع ينقع تقوعاً : إذا ثبت . والرُقْشُ من الحيات : المنقطة بسواد . وهي من شرارها ، فلذا خصّها بالذكر . وقال شارح ديوان الخطيئة في شرح هذا البيت من شعره :

كأني ساورتني ذاتُ سمٍّ نَقِيعٍ ما يلائمها رُقاها

النقيع : المنقوع المجموع ؛ وذلك : أن الحية تجمع سمها من أول الشهر إلى النصف منه ؛ فإن أصابت شيئاً لفظته فيه ؛ وإن جاء النصف ولم تصب شيئاً تنهشه لفظته من فيها بالأرض ، ثم استأنفت تجمع إلى رأس الشهر ؛ ثم تفعل كفعالها الأول فهذا دأبها الدهر كله . وهذا البيت من أبيات سيبويه^(٢) ، أورده على أن ناقماً رفع على أنه خبر عن السمّ ، ويجوز في غير الشعر ناقماً على الحالية . وقوله : في أنيابها ، هو الخبر . وأورده المرادي في شرح الألفية ، وكذلك ابن هشام في المغني^(٣) ، على أن بعضهم قال : ناعم صفة للسمّ — وهو

(١) الرجز لحلف الأحمر ، أو النابغة . انظر الحيوان ٤ : ١١٩ .

(٢) سيبويه ١ : ٢٦١

(٣) شرح شواهد المغني للسيوطي ٣٠٥ . وانظر جمع الهوامع

٢ : ١١٧ والدرر اللوامع ٢ : ١٤٨

ابن الطراوة — فإنه قال : يجوز وصف المعرفة بالنكرة إذا كان الوصف خاصاً لا يوصف به إلا ذلك الموصوف . وهذا لا يبيزه أحد من البصريين إلا الأخفش . ولا حجة في هذا البيت قال ابن هشام^(١) : إنه خبر للسم . والظرف متعلق به ، أو خبر ثان .

(يُسَهِّدُ فِي لَيْلِ التَّمَامِ سَلِيمُهَا حَلَّى النِّسَاءِ فِي يَدَيْهِ قَعَاغُ)

ليل التمام بكسر التاء : أطول ليلة في السنة . والسليم : اللديغ . قال الزجاجي في أمالي الصغرى^(٢) : سمى العرب الملسوع سليماً تفاؤلاً ، كما سموا المهلكة مفازة ، من قولهم فوز الرجل : إذا مات ؛ كأنهما لفظتان لمعنى . وكان ينشد قول الشاعر :

كَأَنِّي مِنْ تَذَكُّرِ آلِ لَيْلَى إِذَا مَا أَظْلَمَ اللَّيْلُ الْبَهِيمُ
سَلِيمٌ بَانَ عَنْهُ أَقْرَبُوهَ وَأُسْلَمَهُ الْمَدَاوِي وَالْحَمِيمُ

ولو كان على ما ذهب إليه في السليم ، لقليل لكل من به علة صعبة : سليم ؛ مثل المبرسم والمجنون والمفلوج ؛ بل كان يلزم أن يقال للبيت : سليم اه .

وفيه أن للنقول عنه أنه هو وابن الأعرابي قال : إن بني أسد تقول : إنما سمى السليم سليماً لأنه أسلم لما به . على أن العلة لا يجب أطرادها : فتأمل . وقوله : حلّى النساء الخ ؛ كان المدوغم يُجعل الحلى في يديه والجلال حتى لا ينام فيديب السم فيه .

(١) في النسختين : « قال هشام » . وإنما هو ابن هشام في المغنى ، في النوع الثاني من الجهة السادسة من الجهات التي يدخل منها الاعتراض على العرب .

(٢) انظر ملحقات أمالي الزجاجي بتحقيق عبد السلام هارون ص ٢٢٠ وما في حواشيها من تعليق على هذا النص .

(تَنَازَرَهَا الرَّاقُونَ مِنْ سُوءِ سَمْعِهَا تُطَلِّقُهُ طَوْرًا ، وَطَوْرًا تَرَاوِعُ)

وروى أيضاً : (ننازرها الراقون) وهو جمع حاوٍ ، وهو الذى يمسك الحيات . أى أنذر بعضهم بعضاً بأنها لا تحيب راقياً . وروى : (من سوء سمعها) يعنى أنها حية صماء ^(١) وقوله : تطلقه : تخف عنه مرة وتشتد عليه مرة . قال المبرد فى الكامل ^(٢) — عندما أنشد هذه الأبيات الأربعة ، من قوله : وعيد أبى قابوس ، إلى هذا البيت — ومن التشبيه الصحيح هذه الأبيات ، وهذه صفة الخائف للمهموم ؛ ومثل ذلك قول الآخر :

تَبَيَّتُ الْمَهْمُومُ الطَّارِقَاتُ يَمْدُنَنِي كَمَا تَعْتَرِي الْأَوْصَابُ رَأْسَ الْمَطْلُوقِ ^(٣)

والمطلوق هو الذى ذكره النابغة فى قوله : تطلقه طورا . الخ . وذلك أن المنهوش إذا ألح الوجع به تارة وأمسك عنه تارة ، فقد قارب أن يؤمس من برئه ^(٤) . وإنما ذكر خوفه من النعمان وما يعتريه من لوعة فى إثر فترة . والخائف لا ينام إلا غرارا ، فلذلك شبهه بالملدوغ المسهد . اهـ

(أَتَانِي أُبَيْتَ اللَّعْنِ أَنَّكَ لَمَتْنِي وَتِلْكَ الَّتِي تَسْتَكُّ مِنْهَا الْمَسَامِعُ

مَقَالَةٌ أَنْ قَدْ قُلْتَ : سَوْفَ أَنَالُهُ وَذَلِكَ مِنْ تِلْقَاءِ مَثَلِكَ رَائِعٌ)

قال ابن الأنبارى فى شرح المفضليات : « قوله : أبيت اللعن : أى أبيت أن تأتى من الأخلاق المذمومة ما تلعن عليه . وكانت هذه تحية نلم وجُدام ، وكانت منازلهم الحيرة وما يليها . وتحية ملوك غسان : يا خير الفتيان ، وكانت

(١) ورواه ابن الأعرابى : « من سوء سمعها » بكسر السين ، والسمع

الذكر . انظر شرح الوزير أبى بكر .

(٢) الكامل ٥٠٧ .

(٣) أنشده فى اللسان (طلق)

(٤) ط : « يؤيس من برئه » ، وكلاهما صحيح . وأيس : لغة فى

يئس .

منازلم الشام . وحكى ثعلب عن الفراء أن المشيخة كانوا يُضَيِّفُونَهُ عَلَى الْغَلَطِ ،
لأنه إذا أضافه خرجَ ذمًّا ، فيقول : أَيْتَ اللَّعْنِ ؛ كأنَّهم شَبَّهوه بِالْإِضَافَةِ عَلَى
الْغَلَطِ . وقال : أراد بيت اللعن أى يا من هو بيت اللعن . والقول هو
الأوَّل ، اهـ . وتستك : تنسد ولا تسمع . ورائع : مفزع وخوف . وقوله :
مقالة أن قد قلت ، تفسير لأنك^(١) رواه الأصمعي برفع مقالة على أنه بدل من :
أنك لمتنى . وروى بفتح التاء أيضاً . قال الأخفش فى كتاب المعاية : إنه نصب
ملامة^(٢) على : أنك لمتنى . ، فجاء به من بعد ماتم الاسم ، وهو من الصَّلَةِ ، وهذا
ردىء . اهـ . وقال ابن هشام فى المغنى : ويحكى أن ابن الأخضر^(٣) سئل
بمحضرة ابن الأبرش عن وجه النصب^(٤) فى قول النابغة : مقالة أن قد قلت
وأنشد البيتين . فقال :

٤٣٣

ولا تصحب الأردى فتردى مع الردى^(٥)

ف قيل له : الجواب ؟ فقال ابن الأبرش : قد أجاب . يريد أنه لما أضيف
إلى المبنى اكتسب منه البناء ، فهو مفتوح لا منصوب ، ومحلّه الرفع بدلاً

(١) ط : « للآتى » ، صوابه فى ش مع أثر تصحيح .

(٢) هذا بناء على رواية : « ملامة أن قد قلت » . وكان أولى به أن
يتقدم بالتنبيه على ذلك فى فعل فى شرحه لشواهد المغنى (مخطوطة دار
الكتب ٢ نحو ش) . وقد فر قول الأخفش : أن ملامة نصبت على أنك لمتنى ،
بقوله : (يريد أن ملامة مفعول مطلق عامله لمتنى)

(٣) هو على بن عبد الرحمن بن مهدى ، ابن الأخضر الاشبيلى المتوفى
سنة ٥١٤ كما فى بغية الوعاة .

(٤) قال البغدادي فى شرحه لشواهد المغنى (المخطوطة سالفة
الذكر ج ٢ : ٨٢٢) : « كذا فى النسخ ، وصوابه : عن وجه الفتح »
والبغدادي ألف شرح شواهد المغنى بعد تأليفه للخزانة

(٥) عجز بيت لطرفة هو ختام معلقته فى بعض الروايات . وصدوره
إذا كنت فى قوم فصاحب خيارهم

من : أنك لمتني ؛ وقد روى بالرفع . وهذا الجواب عندي غير جيد ؛ لعدم إبهام المضاف . ولو صحَّ لصحَّ البناء في نحو : غلامك وفرسه ، ونحو هذا ، مما لا قائل به .

ثم قال : وإنما هو منصوب على إسقاط الباء ، أو بإضمار أعني ، أو على المصدرية . وفي البيت إشكالٌ ، لو سأل السائل عنه كان أولى ، وهو إضافة « مقالة » إلى أن قد قلت ، فإنه في التقدير مقالة قولك ، ولا يضاف الشيء إلى نفسه . وجوابه : أن الأصل مقالة فحذف التنوين للضرورة ، لا للإضافة ؛ وأن وصلتْها بدلٌ من مقالة ، أو من أنك لمتني ، أو خبرٌ لمحذوف . وقد يكون الشاعر إنما قال : مقالةً أن ، بإثبات التنوين ونقل حركة الهمزة ، فأنشده الناس بتحقيقها ، فاضطروا إلى حذف التنوين ١ هـ .

ولا يخفى أن هذا كله تعسفٌ ، وإنما هو من إضافة الأعم إلى الأخص ، لأن (مقالة) أعمُّ من (قولك) . وهي من الإضافة البيانية كشجر الأراك . أي مقالة هي هذا القول .

(أتوعد عبداً لم يخنك أمانةً وتترك عبداً ظالماً وهو ضالعٌ)

قال أبو عبيدة : ظالم : جائر متحامل . وضلعٌ أي جار . وروى : (ظالم) أي مذنب ؛ أخذ من ظلع البعير وهو أن يقي^(١) ويعرج .

(حملت على ذنبه وتركته كذي العري كوى غيره وهو راتع)

هذا البيت من شواهد أدب الكاتب لابن قتيبة^(٢) . قال الأصمعي : العرّ بالفتح : الجرب نفسه . وأنشد :

(١) يقال وقى يقي ، أي ظلع وعرج ، وفرس واقية للتي بها ظلع . انظر اللسان (وقى ٢٨٥) . وفي النسختين : « يتقى » . تحريف .
(٢) أدب الكاتب ٢٤٠ والاقتضاب ٣٧١

* كَالْعُرِّ يَكْمُنُ حِينًا نَمَّ يَنْتَشِرُ *

والْعُرِّ بِالضَّمِّ : قَرَحٌ يَأْخُذُ الْإِبِلَ فِي مَشَافِرِهَا وَأَطْرَافِهَا شَبِيهٌ بِالْقَرَعِ ،
وَرَبَّمَا تَفَرَّقَ فِي مَشَافِرِهَا مِثْلَ الْقُوبَاءِ ، يَسِيلُ مِنْهُ مَاءٌ أَصْفَرٌ .

قال ابن السَّيِّدِ (في شرحه لأدب الكاتب) : في معناه خمسة أقوال :

أحدها : أن هذا أمرٌ كان يفعله جُهَالُ الْأَعْرَابِ ؛ كَانُوا إِذَا وَقَعَ الْعُرُّ
فِي إِبِلٍ أَحَدِهِمْ اعْتَرَضُوا بِعِمْرٍ صَحِيحًا مِنْ تِلْكَ الْإِبِلِ فَكُفُّوا مِشْقَرَهُ وَعَضْدَهُ
وَنَحْدَهُ ، يَرَوْنَ أَنَّهُمْ إِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ ذَهَبَ الْعُرُّ مِنْ إِبِلِهِمْ . كما كانوا يعلّقون
على أنفسهم كُؤُوبَ الْأَرَانِبِ خَشِيَةَ الْعَطَبِ ، وَيَقْتَتُونَ عَيْنَ فِخْلِ الْإِبِلِ لِثَلَا
تَصِيبَهَا الْعَيْنُ . وهذا قول الْأَصْمَعِيِّ وَأَبِي عَمْرٍو وَأَكْثَرِ اللَّغَوِيِّينَ .

ثانيها : قال يونس : سألت رُوَيْبَةَ بِنَ الْعَبَّاجِ عَنْ هَذَا ، فَقَالَ : هَذَا
وَقَوْلُ الْآخَرِ :

* كَالثَّوْرِ يُضْرَبُ لَمَّا عَافَتِ الْبَقْرُ *

شئٌ ؛ كَانَ قَدِيمًا ، ثُمَّ تَرَكَ النَّاسُ . وَبَدَّلَ عَلَيْهِ قَوْلُ الرَّاجِزِ :

وَكَانَ شُكْرُ الْقَوْمِ عِنْدَ الْمَنَنِ^(١) كَيَّ الصَّحِيحَاتِ وَفَقْدِ الْأَعْيُنِ

ثالثها : قيل : إِنَّمَا كَانُوا يَكُونُ الصَّحِيحُ لَثَلًا يَتَعَلَّقُ بِهِ الدَّاءُ ، لَا لِيَبْرَأَ
السَّقِيمُ ؛ حَكَى ذَلِكَ ابْنُ دُرَيْدٍ .

رابعها : قال أبو عبيدة : هذا [أمرٌ^(٢)] لم يكن ، وَإِنَّمَا هُوَ مِثْلُ لَاحِقِيَّةٍ .

٤٣٤

(١) ط : « كَانَ شُكْرٌ » ش : « كَانَ شُكْرٌ » وَالتَّصْحِيحُ لِلْعَلَامَةِ

الْأَلُوسِيِّ فِي بُلُوغِ الْأَرْبِ ٢ : ٣٠٦ فِيمَا نَقَلَهُ مِنَ الْخَزَانَةِ .

(٢) التَّكْمِلَةُ مِنَ الْاِقْتِضَابِ .

أى أخذت البرىء، وتركته المذنب، فكنت كمن كوى البعير الصحيح، وترك السقيم؛ لو كان هذا مما يكون. قال: ونحو من هذا قولهم: «يشرب عجلان ويسكر ميسرة». ولم يكونا شخصين موجودين.

خامسها: قيل: أصل هذا: أن الفصيل كان إذا أصابه العرّ لفساد في لبن أمه عمدوا إلى أمه فسكّووها، فتبرأ: وبرأ فصيلها ببرئها، لأن ذلك الداء إنما كان سرى إليه في لبنها. وهذا أغرب الأقوال وأقربها إلى الحقيقة.

ومن روى كذى العرّ بفتح العين، فقد غلط. لأن العرّ الجرب؛ ولم يكونوا يكونون من الجرب، وإنما [كانوا^(١)] يكونون من القروح التي تخرج في مشافر الإبل وقوائمها خاصة. وقوله: كذى العرّ، حال من مفعول تركته؛ أو تقديره: تركاً أكثر من كذى العر^(٢)، وجملة «يكوى غيره» تفسيرية، وجملة «وهو راتع» حال من غير. وهذا ضربه مثلاً لنفسه. يقول: أنا برىء، وغيرى سقيم؛ فحملتني ذنب السقيم، وتركته. وقد قال السكيت: ولا أكوى الصّحاح براتعات بهنّ العرّ قبلي ما كوينّا

قال ابن أبي الإصبع (في التّجويد^(٣)) أنشد ابن شرف القيروانيّ ابن رَشِيق:

غيرى جنى، وأنا المعاقبُ فيكم فكأننى سبابة المتندّم

وقال له: هل سمعتَ هذا المعنى؟ فقال: سمعته، وأخذته أنت وأفسدته!

فقال: ممن؟ فقال: من النابغة الذبيانيّ حيث يقول:

(١) التكملة من الاقتضاب.

(٢) يعنى أنه مفعول مطلق.

(٣) يعنى تحرير التّجويد. انظر التحرير ص ٥٠٩.

وكلفتنى ذنبَ امرئٍ وتركته كذى المرءُ يكوى غيره وهوراتعُ
[فهذا المعنى الذى أخذته . و^(١)] أمّا إفساده فلائك قلت فى صدر بيتك :
إنك عوقبت بجناية غيرك ، ولم يعاقب صاحبُ الجناية ؛ ثم قلت فى عجز
بيتك : إن صاحبَ الجناية قد شريكك فى العقوبة . فتناقض معناك : وذلك
أنك شبّهت نفسك بسبابة المنتدم ؛ وسبابةُ المنتدم أولُ شيء يألم فى المنتدم
ثم يشرّكها المنتدم فى الألم ؛ فإنّه متى تألم عضوٌ من الحيوان تألم كله ؛ لأنّ
المدرِك من كلِّ مدرِكٍ حقيقة ؛ وحقيقته — على المذهب الصحيح — هى جملةُ
المشاهدة منه والمكوى من الإيل يألم وما به عُرٌّ ، وصاحبُ المرء لا يألم جملة .
فن هنا أخذتَ للمعنى وأفسدته انتهى .

وهذا تدقيق فلسفى لا مدخل له فى الشعر .

(وذلك أمرٌ لم أكنْ لِأقوله ولو كُبلت فى ساعدى الجوامع)
كُبلت : جُمعت من الكبل وهو القيد . والجوامع : الأغلال ؛ جمع جامعة .
(أذاك بقولٍ لهلَه النسيج كاذباً ولم يأتِ بالحق الذى هو ناصع^(٢))
يقال : ثوب لهلَه النسيج وهلمهل النسيج : إذا كان رقيقاً ، وكذلك
هلهال . ولهذا سمى الشاعرُ المشهور المهلهل^(٣) ، لأنه أول من أرق الشعر .
وقيل : سمى بيتٍ قاله . وناصع : بيّن واضح .

(لعمري ، وما عمري علىَّ بهين البيت)

(أقارعُ عوفٍ لا أحاول غيرها^(٤) البيت)

(١) التكملة من النسخة الخطية لتحريير التحرير المحفوظة بدار الكتب

برقم ٤٦٥ بلاغة .

(٢) انظر المعانى الكبير لابن قتيبة ٨٢٧

(٣) انظر ص ١٦٤ من هذا الجزء .

(٤) ط : « أقارع عوفا ، صوابه فى ش والديوان

تقدم شرحهما .

(أتاكَ امرؤٌ مُستَعِلٌ لى بَغْضَةٍ له من عَدُوٍّ مِثْلَ ذَلِكَ شافعُ)
 فان كنتَ لَذا الضَّغْنِ عَنِ مَنكَلَا ولا حِلْفِي عَلَى البراءة نافع
 ولا أنا مأمونٌ بشيءٍ أقوله وأنت بأمرٍ لا محالة واقِعُ
 حلفتُ فلم أتركْ لِنَفْسِكَ رِيبَةً وهل يَأْتِنُ ذُو إِمَةٍ وهو طائعُ
 الضَّغْنِ بالكسر : الحقد . والإِمَّة ، بالكسر : الدين ، بالكسر ،
 والقصد والاستقامة . يقول : هل يَأْتِنُ مَنْ كان على طريقةٍ حسنةٍ وهو طائع .
 (بمصطَحَبَاتٍ مِنْ لَصَافٍ وَثَبْرَةٍ ^(١) يَزُرْنَ أُلُالًا ، سِيرُهُنَّ تَدَافِعُ)
 الباء متعلِّقة بحلفت . وأراد بالمصطَحَبَاتِ الإبل التي يحجَّ عليها من
 لَصَافٍ وَثَبْرَةٍ . وَلَصَافٍ ، بفتح اللام وكسر الفاء كحذامٍ ، ويجوز أن يكون
 كسحابٍ ، وهو جبل في بلاد بني يربوع . وَثَبْرَةٍ في بلاد بني مالك . وأُلال ،
 بضم الهززة ^(٢) ولامين : جبل صغير عن يمين الإمام بعرفة ^(٣) . وقوله :
 سِيرُهُنَّ تَدَافِعُ : أى من الإعياء : أى يتحاملن تحاملا ، من الجهد والتعب .
 (تَمَامٌ تُبَارَى الشَّمْسَ خَوْصًا عِيوُثًا لَهْنٌ رَذَايَا بِالطَّرِيقِ وَدَائِعُ)
 قال الشارح : تمام بالفتح ؛ طير يشبه الشَّامِيَّ سريع الطيران ، شبه الإبلَ
 بها . تبارى الشمس ، يعنى فى ارتفاعها . ويروى : (تُبَارَى الرِّيحَ) أى تعارضها
 لُسْرَعَتِهَا . وأُلُحُوصٌ ، بالخاء المعجمة : جمع خَوْصاء : أى غائرة عيوُثُها ذاهبة
 فى الرأس من الجهد . والرذايا : المعسِيَّاتُ ، أرذاهنَّ السفر فلم تنبعث ، فتركت

(١) فى النسختين : « وبشره » فى متن البيت وشرحه ، والصواب ما أثبت من الديوان ومعجم ياقوت (ثبرة ، وألال)

(٢) فى ياقوت أنه بفتح الهززة ، يوزن حمام . ثم قال : « وقد روى الألال ، يوزن بلال » .

(٣) فى ياقوت : « قال ابن دريد : جبل رمل بعرفات عليه يقوم الإمام

وأخذ عنها رحلها . وقد أرذيت الشيء : طرحته ؛ يقال جل رذى وناقة رذية .
وكذلك المعية والطلح والرجيع . وودائع : قد استودعت الطريق .

(عليهنَّ شعثٌ عامدون ليرهنَّ فهنَّ كآرام الصريم خواضع)

ويروى : (فهنَّ كأطراف الخفي) وهو جمع حنية ، وهى القوس التى
حنيت . يقول : قد ضمرت الإبل ودقت من السير . وخواضع : خواشع .
والآرام : جمع ريم . والصريم : ما انفرد من الرمل :

(إلى خير دين نسكه قد علمته وميزانه فى سورة المجد ماتع)

إلى : متعلقة بقوله : عامدون . وميزانه : سننه وشرائعه . والسورة ،
بالضم . المنزلة . وماتع : مرتفع ؛ يقال : متع النهار : إذا علا .

(فإِنَّكَ كالليل ، الذى هو مدركى وإن خلت أن المنتأى عنك واسع)

المنتأى على وزن مفتعل ، من النأى وهو البعد ؛ يقال : انتأى القوم :
أى تباعدوا .

قال أبو على (فى إيضاح الشعر) : يحتمل أن تكون إن نافية ، كأنك
قلت : ما خلت أن المنتأى عنك واسع ، لأنك كالليل المدركى أينما كنت .
ويجوز أن تكون إن للجزاء ، كأنه قال : إن خلت أن المنتأى عنك واسع ،
أدركتنى ولم أفتك ، كما يدركنى الليل . والأوّل أشبه اهـ .

وقد اعترض الأصمى على النافية فى هذا البيت فقال : تشبيه الإدراك
بالليل ، يساويه إدراك النهار ؛ فلم خصّه دونه ؛ وإنما كان سبيله أن يأتى بما
ليس له قسم ، حتى يأتى بمعنى ينفرد به ؛ (أقول) : إنما قال : كالليل ، ولم يقل :

كالصُّبْح مثلاً ، لأنه وصفه في حال سُخْطه ، فشَبَّهه بالليل وهو له . فهي كلمة جامعة لمعانٍ كثيرة . كذا في تهذيب الطبع ^(١) .

وهذا البيت من شواهد تلخيص المفتاح ، أورده شاهداً لمساواة اللفظ للمعنى .

وما أحسن قول ابن هانيء الأندلسي في هذا المعنى :

أَيْنَ الْمَفْرَأِ ! وَلَا مَفْرَأَ لِهَارِبٍ وَلَكَ الْبَسِيطَانِ : التَّرى والماء
(خطاطيفُ حُجْنٍ في حبالٍ متينةٍ تُمدُّ بها لِيَدِ إِلَيْكَ نَوَازِعُ)

الخطاطيف : جمع خُطَّافٍ ، وهي الحديدة التي تخرج بها الدلاء وغيرها من البئر . وحُجْنٌ : معوجة ، جمع أحجن وحجناء . يقول : أنا في قبضتك تقدر على متى شئت ، لا أستطيع الهرب منك . وهو مثل : ونوازع : جواذب يقال : نزعت من البئر دلوّاً أو دلوين . وبئر نزوع : إذا كان يُسْتَقَى منها باليد (سَيِّلِغْ عِذْرًا أَوْ نَجَاحًا مِنْ أَمْرِي إِلَى رَبِّهِ رَبُّ الْبَرِيَّةِ رَاكِعٌ)

راكع : فاعل سيبلغ ، وهو بمعنى الخاضع والذليل ، يعنى به نفسه .

(وَأَنْتَ رَبِيعٌ يُنْعَشُ النَّاسَ سَيِّبُهُ وَسَيْفٌ أُعِيرَتْهُ الْمَنِيَّةُ قَاطِعُ)

أى أنت بمنزلة الربيع . ينعش : يرفع ويجبر . وسَيْبُهُ : عطاؤه . أى أنت

سَيِّبٌ وعطاء لوليِّك ، وسيفٌ لأعدائك

(وَتُسْقَى إِذَا مَاشَتْ غَيْرَ مَصْرَدٍ بِزَوْرَاءٍ فِي أَكْنَافِهَا الْمِسْكُ كَارِعُ)

غير مَصْرَدٍ : أى غير ممنوع ولا مقطوع . يقال : مَصْرَدٌ عَلَى الشَّرَابِ : إذا

(١) ذكر المستشرق كرتكو أنه فى نوادر اللغة ، لأبى محمد قاسم بن

محمد الأصفهاني ، كما ذكر الميمنى فى الاقليد ٣٧ قال الميمنى : « والذى

فى ياقوت فى ترجمة ابن طباطبا صاحب عيار الشعر أن تهذيب الطبع له

٦ : ٢٨٤ مرجليوث . وهو محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم

طباطبا . »

سقاء دون الرى ؛ وهو التصريد . والزوراء : إناء مستطيل . من فضة . وقال صاحب الصحاح : هو القدح . وكارع : أى أن المسك على شفاة ذلك الإناء وقال الأصمعيّ : المزوراء : دار بالحيرة ، وحدثني من رآها وزعم أن أبا جعفر هدّمها .

(أبى الله : إلّا عدله ووفاءه فلا التّكرم معروف ولا العرف ضائع)
وهذا آخر القصيدة ، أى ما يريد الله إلّا عدل النعمان بن المنذر ، وإلا وفاءه ، فلا يدعه أن يجور ولا أن يغير ، فلا التّكر يعرفه النعمان ، ولا الجميل يضيع عنده .

نم الجزء الثانى

والحمد لله وحده

(١)
فهرس التراجم

الصفحة

١٦	الأحوص بن محمد
٢٤	متهم ومالك ابنا نورة
٢٨	الثريا (صاحبة عمر بن أبي ربيعة)
٢٩	سهيل (زوج الثريا)
٣٢	عمر بن أبي ربيعة
٥٤	عاتكة بنت يزيد
٧٥	أبو طالب (عم النبي صلى الله عليه وسلم)
٨٩	قس بن ساعدة الایادی
١٠٢	سحيم عبد بن الحسحاس
١٢٣	الخطابي : أبو سليمان محمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب
١٣٥	النايفة القدياني
١٣٨	من اسمه (النايفة)
١٤٤	سلم بن دارة
١٦٤	المهمل بن ربيعة النخعي
١٧٢	بجير
١٨١	الصلتان العبدى ، وذكر من يقال له الصلتان
٢٠٢	عبد يغوث بن وقاص الحارثي
٢١٠	مالك بن الربيع
٢١٥	عبيد بن الأبرص
٢٢٣	نصر بن سيار « أمير خراسان »
٢٢٨	الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان
٢٣٤	خالد بن المهاجر
٢٣٩	الأهلب المجلي
٢٤٠	من يقال له (الأهلب) من الشعراء
٢٤٦	ليبد بن ربيعة
٢٦٤	عبد الله بن الزبير (بفتح الزاي) الأسدي
٢٦٩	أبو رياح
٢٧٨	البسيت بن حريث
٢٧٩	من يقال له البسيت
٣٠٤	عبد الله بن رواحة
٣٠٥	زيد بن أرقم
٣١٢	مسلم بن معبد الوالي
٣١٨	خطام المجاشعي

الصفحة	
٣٣٢	زهير بن أبي سلى
٣٤٧	أبو الطيب المتنبي
٣٧٠	القطامي التغلبي
٣٧١	من يقال له « القطامي »
٣٧٢	زُقر بن الحارث
٣٧٩	يزيد بن الحرّم
٣٩٠	أبو النجم وهشام بن عبد الملك
٤٠٦	جار أبي داود الإيادي الشاعر المشهور
٤٠٦	الخطيئة
٤١٩	طرفة بن العبد
٤٢٥	من اسمه طرفة
٤٢٥	أمية بن أبي عائذ الهذلي
٤٤٤	عمرو بن معديكرب

(ب)

فهرس الشواهد

(المفعول المطلق)

الناهد	الصفحة
٨٢ هذا سُراقَةُ للقرآنِ يدرُسُهُ	والمرء عند الرُشائِنِ يَلْقَها ذِيبُ ٣
٨٣ دارٌ لُسْعَدَى إِذْهُ مِنْ هَواكا	■
٨٤ فخيرٌ نَحْنُ عند البأسِ مِنْكُمْ	إِذا الداعي للشوبُ قَالَ يالَا ٦
٨٥ عَمَرَكِ اللهُ إِلا ما ذَكَرَتِ لَنَا	هل كُنْتَ جارتَنَا أَيامَ ذِي سَلَمٍ ١٣
٨٦ قَعِيدِكَ أَنْ لا تُسَمِعِنِي مَلَامَةً	ولا تُنَكِّئِي قُرْحَ الفؤادِ فَيَسِجَمَا ٢٠
٨٧ أَيُّها المُنْكَحُ الثريا سُهَيْلا	عَمَرَكِ اللهُ كَيْفَ يَلْتَقِيانِ ٢٨
٨٨ عَجَبٌ لِنِلكَ قَضِيَّةً ، وإِقامتي	فِيكم على تلكَ القَضِيَّةِ عَجَبُ ٣٤
٨٩ فيها ازْدِهافُ أَيُّها ازْدِهافِ	٤١
٩٠ إِنِّي لَأَمْنُكَ الصُّدودُ وَإِنِّي	قَسَمًا إِلَيْكَ مع الصُّدودِ لَأَمِيلُ ٤٨
٩١ إِذْنٌ لا تَبْعَناءُ على كُلِّ حالَةٍ	من الدَّهْرِ جَدًّا غَيْرَ قولِ التَّهَازُلِ ٥٦
٩٢ أَجِدُكُمْ لا تَقْضِيانِ كَرًّا كُما	٧٧
٩٣ دَعوتُ لِي نَابِي مِسورًا	فَأَيُّ ؛ فَلْيَبِي يَدَيِ مِسورِ ٩٢
٩٤ إِذا شُقَّ بَرْدُ شُقٍّ بِالْبُرْدِ مِنْهُ	دَوَالِيكَ حَتَّى كُلُّنا غَيْرُ لابسِ ٩٩
٩٥ ضَرْبًا هَذا ذِيكَ وَطَمَنًا وَخُضا	١٠٦
٩٦ جاءوا بِمَذْقٍ هل رَأَيْتَ الذَّنْبَ قَطَّ	١٠٩
٩٧ قَعَّالتُ : حَنانُ ما أَنِي بِكَ ههنا	أَذُو نَسَبٍ أَمْ أَنْتَ بِالْحَيِّ عارفُ ١١٢
٩٨ أَرْضًا وَذُؤْبَانُ الخُطوبِ تَتَوَشَّئِي	١١٥
٩٩ قَعَّلتُ لَه : فاهَا لِفِيكَ ما نَها	قَلوصُ امرئٍ قارِيكَ ما أَنْتَ حاذِرُهُ ١١٦

(المفعول به)

الصفحة

الشاهد

- ١٠٠ فَوَاعِدِهِ سَرَحْتِي مَالِكٍ أَوْ الرُّبَا بَيْنَهُمَا أَسْهَلَا ١٢٠
 ١٠١ كِلَا طَرَفِي قَصْدُ الْأُمُورِ ذَمِيمٌ ١٢٢
 ١٠٢ جَارِي، لَا تَسْتَنْكِرِي عَذِيرِي : سِيرِي وَإِشْفَاقِي عَلَى بَعِيرِي ١٢٥
 ١٠٣ وَإِنْ تَعْتَذِرِ بِالْحُلِّ مِنْ ذِي ضُرُوعِهَا إِلَى الضَّيْفِ، يَجْرَحُ فِي عَرَاقِبِهَا نَصْلِي ١٢٨

(المتنادى)

- ١٠٤ يَا بُؤْسَ لِلْجَهْلِ ضَرَارًا لِأَقْوَامٍ ١٣٠
 ١٠٥ يَا أَبَجَرَ بْنَ أَبَجَرَ يَا أَتْنَا أَنْتَ الَّذِي طَلَقْتَ عَامَ جُحُنَا ١٣٩
 ١٠٦ سَلَامُ اللَّهِ يَا مَطَرُ عَلَيْهَا وَلَيْسَ عَلَيْكَ يَا مَطَرُ السَّلَامُ ١٥٠
 ١٠٧ يَا لَلْكُهُولِ وَلِلشَّبَانِ لِلْعَجَبِ ١٥٤
 ١٠٨ يَا لَعَطَافَنَا وَيَا لَرِيَّاحٍ ١٥٤
 ١٠٩ يَا لَلْفِرَاقِ مِنْ أَلَمِ الْفِرَاقِ ١٥٥
 ١١٠ يَا لَبَكْرٍ أَنْشِرُوا لِي كَلْبِيًّا يَا لَبَكْرٍ أَيْنَ أَيْنَ الْفِرَارُ ١٦٢
 ١١١ يَا شَاعِرًا لَا شَاعِرَ الْيَوْمَ مِثْلُهُ جَرِيرٌ، وَلَكِنْ فِي كَلْبٍ تَوَاضَعُ ١٧٤
 ١١٢ أَعْبَدَا حُلًّا فِي شُعْبِي غَرِيبًا أَلْوَمًا لَا أَبَالِكَ وَاعْتِرَابًا ١٨٣
 ١١٣ أَدَارًا بِجُزْئِي هَجَّتِ لِلْعَيْنِ عِبْرَةٌ فَاهِ الْهَوَى بَرَفَضٌ أَوْ يَتَرَفَقُ ١٩٠

- ١١٤ أَلَا يَا نَخْلَةَ مِنْ ذَاتِ عِرْقِي عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ السَّلَامُ ١٩٢
١١٥ يَا رَاكِبًا، إِمَاعَرَضْتَ فَبَلَّغْنِي نَدَامَايَ مِنْ نَجْرَانٍ أَنْ لَا تَلْقَا ١٩٤

(توابع المنادى)

- ١١٦ يَا إِذَا الْخَوْفُنَا بِمَقْتَلِ شَيْخِهِ حَجِرَ تَغْنِيَ صَاحِبِ الْأَحْلَامِ ٢١٢
١١٧ إِنِّي وَأَسْطَارُ سُطُونِ سَطْرًا لِقَائِي : يَا نَصْرُ نَصْرُ نَصْرًا ٢١٩
١١٨ عَلَا زَيْدُنَا يَوْمَ النِّقَارِ أَسْ زَيْدُكُمْ بِأَبْيَضَ مَاضَى الشُّفْرَتَيْنِ يَمَانِ ٢٢٤
١١٩ رَأَيْتُ الْوَلِيدَ بْنَ الْيَزِيدِ مَبَارَكًا شَدِيدًا بِأَخْنَاءِ الْخِلَافَةِ كَاهِلَهُ ٢٢٦
١٢٠ يَا صَاحِرَ يَازَا الضَّامِرُ الْعَنَسُ ٢٢٩
١٢١ جَارِيَةٌ مِنْ قَيْسِ بْنِ ثَعْلَبَةَ ٢٣٦
١٢٢ طَلَبَ الْمُعَقَّبِ حَقَّهُ لِلظُّلُومِ ٢٤٠
١٢٣ فَإِنْ لَمْ تَجِدْ مِنْ دُونِ عَدْنَانَ وَالِدَا وَدُونَ مَعَدَّةٍ ، فَلْتَزْعَكِ الْعَوَازِلُ ٢٥٢
١٢٤ فَلَسْنَا بِالْجِبَالِ وَلَا الْحَدِيدِ ٢٦٠
١٢٥ يَسْمَعُهَا لِأَمِهِ الْكِبَارُ ٢٦٦
١٢٦ مَعَاذَ الْإِلَهِ أَنْ تَكُونَ كَطَبِيبَةٍ وَلَا دُمِيَّةٍ وَلَا عَقِيلَةٍ رَبِّ رَبِّ ٢٧٧
١٢٧ إِنَّ الْمَنِيَا يَطْلِفْنَ عَلَى الْأُنَاسِ الْأَمْنِيَا ٢٨٠
١٢٨ مِنْ أَجْلِكَ يَا الَّتِي تَيَمَّمْتُ قَلْبِي وَأَنْتِ بِخَيْلَةٍ بِالْوَصْلِ عَنِّي ٢٩٣
١٢٩ يَا الْفُلَامَانَ الَّذِينَ فَرَا إِنِّي كَمَا أَنْ تَكْسِيَانَا شَرًّا ٢٩٤
١٣٠ إِنِّي إِذَا مَا حَدَّثْتُ أَلَمًا أَقُولُ : يَا اللَّهُمَّ يَا اللَّهُمَّا ٢٩٥

١٣١ وما عليك أن تقول كل ما سبحت أو صليت: يا اللهم ما ٢٩٦
أرؤد علينا شيخنا مسلماً

١٣٢ يا تيم تيم عدي لا أبا لكم لا يلقينكم في سوءة عمر ٢٩٨
١٣٣ يا زيد زيد اليعلات الذبل تطاول الليل عليك فانزل ٣٠٣
١٣٤ فلا والله لا يلقي ليا بي ولا ليا بهم أبداً دواء ٣٠٨
١٣٥ وصاليات ككما يؤفنين ٣١٣
١٣٦ يا من رأى عارضاً أسر به بين ذراعي وجبة الأسد ٣١٩
١٣٧ كليني لهم يا أمية ناصب ٣٢١

(الترخيم)

١٣٨ خذوا حظكم يا آل عكرم واذكروا أو اصبرنا، والرحم الغيب تذكروا ٣٢٩
١٣٩ أباعرو ولا تبعد، فكل ابن حرة سيدعوه داعي موثة فيجيب ٣٣٦
١٤٠ ديارمية إذ متى تساعفنا ولا يرى مثلها عجم ولا عرب ٣٣٩
١٤١ لله ما فعل الصوارم والقنا في عمرو حاب وصبة الأغنام ٣٤٥
١٤٢ ألا أضحت جبالكم رماماً وأضحت منك شاسعة أماماً ٣٦٣
١٤٣ فني قبل التفرق يا ضبأعا ولا يك موقف منك الوداعا ٣٦٧
١٤٤ أطرق كرا أطرق كرا إن النعام في القرى ٣٧٤
١٤٥ فقالوا تعال يا برى بن مخرم قلت لهم : إني حليف صداء ٣٧٨
١٤٦ عجبت لمولود ولبس له أب وذى قل لم يلد أبو أن ٣٨١

(ما يختص بالنداء)

- ١٤٧ يا مَرْحَبَةً بِجَمَارِ نَاجِيَةٍ ٣٨٧
 ١٤٨ فِي لَجَّةِ أَمْسِكَ فَلَانًا عَنْ قُلٍّ ٣٨٩
 ١٤٩ أَطُوفُ مَا أَطُوفُ نَمِ آوَى إِلَى يَتِّ قَعِيدَتُهُ لَكَاعٍ ٤٠٤

(الاختصاص)

- ١٥٠ بِنَا ، تِمَا يُكْشَفُ الضَّبَابُ ٤١٣
 ١٥١ إِنَّا بَنِي ضَبَّةَ ، لَا نَفِرُ ٤١٤
 ١٥٢ لَنَا يَوْمٌ وَلِلْكَرْوَانِ يَوْمٌ تَطِيرُ الْبَائِسَاتِ وَلَا نَطِيرُ ٤١٥
 ١٥٣ وَيَأْوِي إِلَى نِسْوَةٍ عُطْلٍ وَشُمْنَا مَرَاضِعَ مِثْلَ السَّمَالِ ٤٢٦
 ١٥٤ لَهَا اللَّهُ جَرْمًا كَلَّمَادِرُ شَارِقُ وَجْوهَ كِلَابِ هَارَشَتْ فَازُ بَارَتْ ٤٣٦
 ١٥٥ أَقَارِعُ عَوْفٍ ، لَا أَحَاوِلُ غَيْرَهَا وَجْوهَ قُرُودَ تَبْتَنِي مَنْ تَجَادِعُ ٤٤٦